التاريخ السياسى لإمارة عربستان العربية

يتناول الكتاب فترة هامة وخطيرة فى تاريخ الخليج العربى بصورة خاصة ؛ وتاريخ العرب الحديث بصورة عامة، فهو يبحث فى تاريخ إمارة عربستان العربية التى كانت تشكل الحد الشرقى الأقصى للوطن العربى الكبير ، إلا أن المد العربى انحصر عنها تاركا بقاياه تلتهمه القومية الإيرانية الحديثة، وتسعى جاهدة للقضاء على عروبة المنطقة وما كانت تتمتع به من الحكم ذاتى .

وقد عكف المؤلف فى دراستها على أسس موضوعية خالية من الحماسة المصطنعة ؛ وحقق الكشف عن بعض جوانب الغموض فى تاريخها المعاصر ، مستعينا بما توافر لديه من مجموعة هامة من المخطوطات ، والكثير من الوثائق المحلية التى لم يسبق أن نشرت من قبل، بالإضافة إلى مختلف المراجع العربية والأوربية والفارسية ، ومقابلة الشخصيات المعاصرة .

والكتاب دراسة لإحدى إمارات الخليج العربى الشمالية التى لعبت دوراً بارزاً فى أحداث الخليج، واستطاع حكامها من بنى كعب أن يكونوا سادة قسمه الشمالى، كما كان القواسم سادة قسمه الجنوبى . وكان تفجر البترول عاملا هاماً من عوامل تقويض الحكم العربى فى المنطقة . ويكشف الكتاب عن منافسة الدول الأوربية فى الخليج وفارس ومدى تأثيرها على عربستان . وقد وثق آخر حكامها « الشيخ خزعل » بما أظهرته بريطانيا له من مودة ، فراح ضحية دبلوماسيتها وكان ظهور رضا شاه على مسرح السياسة إيذاناً بأفول النفوذ العربى فى عربستان . ويجد القارئ إضافة إلى ذلك دراسة علمية ومنهجية لفترة حكم خزعل الحاسمة (١٨٩٧ – ١٩٢٥) ودراسة واعية وعميقة لعوامل نكبة العرب فى عربستان .

والكتاب وضعه مؤلف متخصص عاش فى المنطقة وتهيأت له من الظروف والفرص ما جعله يقف على تطورات المشكلة بعمق وإدراك . فالكتاب لا يستغنى عنه كل مثقف عربى وكل باحث فى تاريخ العرب الحديث .



مكتبة التاريخ العربي الحديث

التاريخ السياسي

لإمارة عربستان العربية

١٨٩٧ - ١٩٢٥

تأليف
مصطفى عبد القادر النجار



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. ع. م.

الإهـداء

إلى ابنتى ذلفاء ودرقاء الغاليتين

تقديم

عرفت الصديق مصطفى عبد القادر النجار ، وهو من أبناء القطر العراقى الشقيق، شاباً ممتلئاً حماسة ، يزخر فؤاده بما تزخر به أفئدة شباب هذا الجيل من العرب من حب لوطنهم العربى الكبير ولأوطانهم الصغرى ، ومن إقبال على التنقيب عن كل ما يضيف جديداً إلى تاريخ أمتهم . وانصبت حماسة مصطفى عبد القادر على موضوع تاريخ إمارة عربستان فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين حتى عام ١٩٢٥ ،حين انتهى الحكم العربى فيها ووقعت تحت طائلة الحكم الإيرانى المباشر الذى سعى إلى محو عروبتها وطبعها بالطابع الفارسى . وبرغم أننى أشفقت عليه من متابعة هذا الموضوع سعياً وراء الحصول على درجة الماجستير تحت إشرافى ، وذلك لقلة المصادر المطبوعة المتصلة به ، فإن حماسته وصدق إخلاصه لعروبته مما أركبه المركب الصعب وجعله يصر على المضى فى طريقه إلى نهايته : محاولا البحث والتنقيب فى مخطوطات البصرة وغيرها من الحواضر العراقية، وساعياً إلى عبور شط العرب إلى حيث توجد عربستان وأهلها من بنى كعب الذين لا يزالون يحنون إلى إخوتهم فى سائر أنحاء الوطن العربى . وفى النهاية جمع مصطفى عبد القادر أطراف موضوعه وخرج علينا بهذا البحث الذى حصل به على درجة الماجستير فى الآداب من جامعة عين شمس بتقدير ممتاز ، وما لبث أن انخرط فى سلك التعليم الجامعى بالبصرة حيث أرجو له مستقبلا زاهراً فى خدمة التاريخ العربى .

وإذا كان جيلنا قد رزئ بفقدان فلسطين، كما رزئ بضياع لواء الإسكندرونة فإنه برغم ذلك قد سجل انتصارات لا شك فيها حين رفع عن كواهله أعباء النير الاستعمارى ، ثم مضى يتابع ثوراته ويمتد بها إلى المجالات الاجتماعية .

فلقد أصبحت القومية العربية حقيقة واقعة من المحيط الأطلنطى إلى الخليج العربى ، وحددت مكانها على خط مواجهة الإمبريالية والاستعمار ، ودعم المسيرة الاشتراكية والتحرر الوطنى . وكانت النتيجة هى ضراوة الهجوم الإمبريالى على العالم العربى من كل صوب وحدب : من إسرائيل قاعدته الأساسية على الأرض العربية ، ومن إيران التى أصبحت — وقد وقعت تحت طائلة الحكم الرجعى القائم فيها والخاضع للاحتكارات البترولية وللإمبريالية العالمية — لا تقل خطورة بالنسبة إلى حركة التحرر العربى من إسرائيل .

إن المواجهة مستمرة بين العروبة وأعدائها . وإذا كنا الآن قد عقدنا العزم على تخليص فلسطين والأرض العربية المحتلة الأخرى من نير الاحتلال الصهيونى، فأحر بنا أن نوسع قاعدة اهتماماتنا لتشمل الأراضى العربية السليبة كافة ومنها عربستان . ولهذا أنوه بهذا الجهد الذى بذله الأخ مصطفى عبد القادر النجار ، وأرجو أن يؤتى نشره ثماره من حيث إلقاء الضوء على هذه البقعة العزيزة من أرض العروبة، التى ضاعت نتيجة للمساومات الدولية ووقوع العرب تحت طائلة الاستعمارين : العثمانى والغربى ، شأنها فى ذلك شأن فلسطين والإسكندرونة . كما أرجو أن يسد هذا البحث فراغاً حقيقياً فى المكتبة العربية ، وأن يسهم بدوره فى حركة إعادة كتابة تاريخنا القومى .

وأخيراً فإننى أشكر لدار المعارف عملها على نشر هذا البحث فى سلسلة مكتبة التاريخ العربى الحديث التى أرجو أن تقوم بدورها فى تقديم الأبحاث المبتكرة فى مجال التاريخ العربى ، وخاصة ما يتصل منها بالموضوعات القومية التى هى فى أمس الحاجة إلى النظرة العلمية الجادة .

البصرة فى ١١ شباط (فبراير) ١٩٧٠

أحمد إبراهيم مصطفى

مقدمة

يتناول هذا البحث فترة خطيرة فى تاريخ الخليج العربى بصورة خاصة ، وتاريخ العرب الحديث بصورة عامة ، كانت على قصرها (١٨٩٧—١٩٢٥) ذات أهمية بالغة ، ذلك لأن المد العربى بعدها انحسر عن إمارة عربستان تاركاً بقاياه — التى كانت تشكل الحد الشرقى الأقصى للوطن العربى — تلتهمه القومية الإيرانية الحديثة ، وتسعى مجاهدة للقضاء على عروبته وعلى ما كان يتمتع به من حكم ذاتى .

وقد وقع اختيارى على هذا البحث الذى أقدمه للحصول على درجة الماجستير لأسباب عدة ، منها : أنه برغم أهمية عربستان فى تاريخ العرب واتصالها بتاريخنا المعاصر ، لم أعرف أحداً من القدماء أو المحدثين أخذ نفسه بالتعرض لها كقطاع متميز بنية وحدوداً ، وظلت فى سبات يكتنفها كثير من الغموض ويجهل تاريخها الكثيرون ، وإن ما كتب عنها — وهو قليل جداً — لم يكن سوى كتابات دعائية أو صحفية ، أما الباحثون الذين أشاروا إليها فى كتاباتهم فقد وقع معظمهم فى هفوات لاحصر لها أشرت إلى بعضها فى حواشى الرسالة ، وإلى بعضها الآخر فى ثبت المصادر ، ويبدو أن سبب تلك المآخذ راجع إلى ندرة المصادر من جهة وتشويه الحقائق بعد الاحتلال الفارسى للإمارة من جهة أخرى.

ومنها : أنى أحد أبناء البصرة الملاصقة لإقليم عربستان ، الأمر الذى هيأ لى فرصاً — ربما لا تتهيأ لغيرى — شعرت بأنى أستطيع فهم بيئتها والكثير من جوانب حياتها ، وأن أقف على تطورات المشكلة ، وأن أزور المنطقة كلما عن لى ذلك أو جابهنى غموض أو شك ، وأن أقابل الكثير من الشخصيات المعاصرة التى كانت لها يد طولى فى الأحداث التى وقعت فى عربستان خلال حكم الشيخ خزعل ، فكشفت بذلك عن بعض جوانب غموض المشكلة التى بقيت

بعيدة عن المسح التاريخي والبحث العلمي الموضوعي .

ولست أريد أن أذكر أن هذا البحث جديد على الدراسات الجامعية ، ولكن أذكر أنه عاصر الاتجاه الذى تحولت به كلية آداب عين شمس — بإشراف عميد التاريخ العربى الحديث الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم — فى توجيه الجهود إلى تقييم مشكلات الوطن العربى وقضاياه على أساس علمى دقيق يلتقى فى الميدان العربى وغير العربى ، لأن تاريخ العرب تاريخ الإنسانية ، وكلهم مدفوع من أجل غاية معينة ، أما غاية العربى فأنبل من أن تناقش شرعيتها ، فهى من أجل أمة تريد أن تعيش ما عاشت الحياة ، وقد آن للباحثين العرب أن يكتبوا تاريخهم بأنفسهم ويكسروا قيد الاحتكار الأجنبى فى كتابة التاريخ العربى الحديث ، فهم أحق به وأخلص له وأقدر عليه .

والبحث يستهدف دراسة قضية عربستان المعاصرة ، وقد بدأ واضحاً أن الفترة الزمنية التى تحدد بها هذا البحث تمثل فترة حكم الشيخ خزعل ، وإن ارتكزت عليه هذه الدراسة فلأنه يمثل القمة التى وصلت إليها إمارة عربستان، وهو أعظم شخصية حكمتها، كما تمثل نهايته الانحدار العربى السريع فى عربستان وهذا ما دفعنا لمعرفة آثاره . والواقع أن هذا التحديد لا يمثل — فى اعتقادنا — حاجزاً فاصلا بين السنين ، لذلك وجدت من الضرورى فى بعض الأحيان الرجوع إلى فترات سابقة أو متأخرة قليلا لاستكمال الصورة الناقصة وتوضيح بعض الجوانب الغامضة ، ذلك لأن الأوضاع التى هيمنت على تاريخ عربستان الحديث اتخذت أشكالا مختلفة ، كالصراع الفارسى العثمانى والمنازعات القبلية ومداخلات القوى الأجنبية ومحاولات احتكار النفوذ والنزاع الفارسى العربى . وقد حاول الشيخ خزعل — الذى امتد حكمه ربع قرن من الزمان وشهد أحداثاً خطيرة قاسى منها ما قاساه — أن يحولها إلى ما فيه مصلحته ومصلحة بلاده فلم يستطع .

والواقع أننى عندما عكفت على دراسة الموضوع لم يكن فى مخيلتى النتيجة التى سأتوصل إليها ، كما أن أستاذى المشرف الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

تردد قليلا فى اختيارى الموضوع ، ذلك لأن مادته نزرة، وربما لا تفى بالغرض المقصود . ولكن عندما بدأت أستقصى الحقائق وأقارن الأحداث وأتحرى المعلومات وأغربلها، ظهر جلياً أن عربستان إمارة لها شخصيتها المحلية المتميزة، وقد لعبت دوراً مهماً فى التاريخ العام، وهى فى كيانها جزء لا يتجزأ من الوطن العربى، وقد سجل لها الماضى البعيد والقريب تاريخاً هو جزء من تاريخ الخليج العربى . والدراسة فى مجموعها تولى عناية خاصة بدراسة الأصول التاريخية للأوضاع الحديثة فى عربستان، وإلقاء الضوء على مشكلاتها الداخلية وعلاقاتها الخارجية ، تلك المنطقة التى ينبغى أن يتجه إليها اهتمام العرب اليوم . وما أشد حاجتنا إلى دعم عواطفنا بالدراسة العلمية .

ولما كانت الرسائل العلمية تهدف فى العادة إلى كشف جوانب جديدة لمشكلة ، أو إعادة كتابة القديم بأسلوب علمى حديث ، فإن رسالتى — على ما يبدو — حققت الغرضين ، وقد تجلى ذلك فى فصول الرسالة التى حرصت على أن يكون البحث فيها مقتصراً على الأحداث الرئيسية التى كان لها تأثير واضح فى السياسة الداخلية والخارجية ، وقد تركت جانب الأحداث البسيطة والعلاقات الخاصة والشخصية ، فقسمت الرسالة إلى خمسة فصول يتقدمها تمهيد جغرافى عام كشفت به طوبوغرافية المنطقة مع إشارة إلى تسميتها وأهميتها ومدنها ؛ وذلك ليكون مدخلا يفهم منه تأثير البيئة الطبيعية على التاريخ العام . والفصل الأول شمل التطورات السياسية العامة للإمارة ، تلك التطورات التى ابتدأت بمجىء بنى كعب من الداخل إلى ضفاف الخليج الشمالية فى عربستان ؛ فكانت النواة التى التف حولها التشكيل العربى الحديث فى المنطقة والذى أخذ ينمو إلى دولة ؛ وهذا ما دفعنى لأن أبدأ رسالتى بهم . انطلق بنو كعب خلالها من قيود بيئتهم ومضوا يشقون طريقهم إلى البحر الذى ظلوا يستمدون مقوماتهم

منه ، وفوق أمواجه لقوا عظمتهم ، ولكنهم لم يغفلوا الاهتمام بما كان يجرى فى
البر ، إلا أنه كان اهتماماً مقصوراً على التأمين لا الرغبة فى التوسع ، حتى إذا
ما جاء الوقت الذى أحست فيه عربستان أن طريق البحر قد سدته المنافسة
الدولية أمامها ، اكتفت بالبر لتنمى قوتها وتصنع عظمتها . فقامت أسرة آل مرداو —
وآخر أمرائهم الشيخ خزعل — تحمل العبء ، باعتبارهم الورثة الطبيعيين
لبنى كعب فى المنطقة ، لتقبض على زمام الحكم . وقد يلاحظ أنه لم تقم
فى عربستان وحدة سياسية واسعة تضم الوحدات السياسية الصغيرة المجاورة ،
ولعل ذلك يرجع إلى أن بنى كعب قد حملوا إلى بيئتهم الجديدة ما اعتادوه
فى باديتهم من تنازع وتنافر إلى جانب تغلغل النفوذ الأجنبى فى المنطقة —
لا سيما النفوذ البريطانى — الذى أخذ ينفذ إلى هذه البلاد ، وقد كان من أهم
أهدافه الحيلولة دون تكوين وحدة سياسية كبيرة للبلدان العربية فى الخليج
العربى ، بالإضافة إلى كل هذا تضمن الفصل مراحل النزاع الفارسى العثمانى
على الإمارة — وعربستان هى إحدى المناطق المتنازع عليها — ذلك النزاع الذى
احتدم على طول الحدود السياسية فشجع الأطراف المتنازعة على البحث عن
الأصول التاريخية للمشكلة ، وعندما أبرمت معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧
عملت فارس لأن تجعل من عربستان جزءاً لا يتجزأ من أرضها بادعاءاتها الوهمية
تلك الادعاءات التى أثبت زيفها بحقائق كبيرة أوردتها فى الفصل .

أما الفصل الثانى فقد اقتصر على الشئون الداخلية لعربستان أيام حكم
الشيخ خزعل ، فاتضح لنا من خلاله شخصية الشيخ خزعل وطبيعة حكمه
والقبائل العربية فى منطقته ، تلك التى لعبت الدور الأكبر فى السياسة الداخلية
والتى استند الشيخ خزعل على عصبيتها فى قوته وعلاقاته الخارجية .

وقد أكد الفصل الثالث على تلك العلاقات وخص منها العلاقات العربية ،
ولا سيما مع الكويت ونجد والعراق ، فكانت صلات مباشرة بعيدة عن التعقيد

السياسى الذى عليه دول العرب اليوم . فقد اتسمت تلك العلاقات بالانفتاح
التام والتعاون الوثيق ، فلا حواجز ولا قيود . ويلاحظ تنقل العرب فى المنطقة
دون ما عائق يمنعهم ، وقد قام الشيخ خزعل بمجهود سياسى فاعتبر بارعاً
فى علاقاته ، إذ كان رفيقاً ملازماً لأمراء الكويت ، وسنداً كبيراً للسيد طالب
النقيب ، ووسيطاً كريماً للأمير ابن سعود . وكان من البارزين فى الميدان إبان
الاحتلال البريطانى للعراق ، فوضع طاقاته كاملة للمحتلين ووهبهم ثقته
طمعاً فى مساندتهم إياه ، ولكن خاب ظنه عندما أعاقوا ترشيحه لعرش العراق ،
فكانت تجربة قاسية أفهمته أن الدبلوماسية البريطانية تسعى وراء مطامعها ،
ولكنه لم يأخذ منها درساً .

ومن أجل الربط بين أوضاع عربستان الداخلية والتطورات الدولية الحاسمة
كان الفصل الرابع ، وقد تحدث عن تطور النفوذ الأجنبى فى عربستان .
ويبدأ الفصل ببداية التوسع الأوربى فى حوض الخليج العربى إذ شهد الخليج
ضغوطاً أوربية متسلسلة ربطت ما بين القرن السادس عشر وأوائل القرن
العشرين ، فغدا عنصراً هاماً من عناصر السياسة الدولية ، مما دفع طلاب
الثروة إلى إنشاء مراكز تجارية ومستعمرات لهم ، فكانت بادئ ذى بدء منافسة
برتغالية — هولندية ، ثم ترعرعت فى أرجائه منافسة بريطانية — فرنسية ، ثم
أعقبها — فى المدة التالية — تخوف بريطانى من امتداد النفوذ الروسى إلى الخليج ،
وقد غدت فارس خلاله ميداناً رئيسياً لذلك الصراع الذى أخذ ينمو ويتفرع ،
ولما كانت عربستان تحتل موقعاً كاملا على فم الخليج ، فقد تحولت إلى مركز
سياسى واقتصادى مهم فى الشرق الأوسط وأصبحت من المواضيع المهمة
فى العلاقات الدولية — ولا سيما فى عهد حاكمها الشيخ خزعل — لذلك ، فإنها
شهدت تحديات أجنبية متعددة الجوانب استطاع الوجود العربى خلالها أن يصمد
أمام تلك التحديات ، فظل الخليج عربياً واعتصمت العروبة فى أقطاره متخذة
معاقلها على سواحله ، وكانت عربستان تشكل عالماً مهماً يعد من المعالم الحضارية

العربية البارزة فى حياة شعوب الخليج ، ومن هنا زاد تعلق بريطانيا بربوعها ، فقد جذب نهر كارون انتباه رجال الدبلوماسية البريطانية وكبار رجال الشركات . ولما تفجر النفط فيها زاد تشبث بريطانيا بوجودها على شواطئها ، إذ أسبغ النفط عليها أهمية جديدة ذات خطر ، ولا شك أن المكانة الممتازة ، التى تبوأتها بريطانيا فى المنطقة ، جاءت بعد جهد كبير مع منافسيها الأجانب ، وأصبحت على ما يبدو تشكل خطراً فى المستقبل على عروبة عربستان ، إلا أنه ظهر بعدئذ أن الخطر الحقيقى والمباشر آت من الشمال حيث القومية الإيرانية الحديثة المعادية للعرب ، وهذا ما تناوله الفصل الخامس . وإذا كان نصيب فارس كبيراً فى الفصل ، فلأنها تحاد عربستان ، وقد مارست أنواعاً من الضغوط عليها ، وحشدت طاقاتها للسيطرة على ربوعها منذ أن كانت مفككة عاجزة فى ظل القاجاريين وحتى أنجبت باعث قوميتها رضاخان الذى غدا عنصراً هاماً فى الحكم ، فاندفع يتشبث بالوجود الفارسى على شواطئ الخليج ، فنشب نزاع حاد مع الشيخ خزعل كان من نتائجه تقويض الحكم العربى فى عربستان تمهيداً لنشأة النفوذ الفارسى واستقراره فيها — حتى اليوم . وقد أنهيت الفصل بمحاولة لدراسة عوامل نكبة العرب فى عربستان ، فقسمتها إلى عوامل خارجية تجلت فى الضغوط الأجنبية ، فى وقت كان العرب مشغولين عن أحداثها ، وعوامل داخلية كان أبرزها ما عانته البلاد من آثار أوتوقراطية الشيخ خزعل .

والواقع أن مستقبل عربستان لا يزال ذا مغزى معاصر خطير ، فإذا كانت راية الاستقلال قد خفقت على أكثر بلدان العالم العربى ، فإن عربستان تبذل كل غال من أجل التحرر من السيطرة الفارسية ، فالعرب فيها يؤمنون بحق تقرير المصير ولا يعترفون بالسيادة الفارسية ، كما يعارضون سياسة القمع التى تتبعها إيران لعزلها عن الركب العربى ، تلك السياسة التى لم تتوان عن تهديد أية حركة وطنية داخل عربستان . وإنى أعد الجهود العلمية التى أنجزتها فى سبيل قضية عربستان واجباً قومياً متواضعاً لأجل تأكيد عروبة المنطقة من جهة ، ولتعريف

أبناء الضاد بمنطقة بالغة الخطورة هى جزء من كيانهم — لا تقل أهمية عن فلسطين — لا تزال ترزح تحت النفوذ الفارسى .

وإنى إذ أقدم هذا البحث إلى لجنة المناقشة أرجو أن أكون قد وفقت فى إرساء قواعد لبنة من لبنات تاريخنا القومى على أسس موضوعية خالية من الحماسة المصطنعة ، وحققت الكشف فى بعض جوانب تاريخنا المعاصر ، على الرغم من وجود صعوبات كثيرة يتعرض لها الباحث فى دراسة مشكلة مثل مشكلة عربستان ، ذلك لأن التصدى لمثل هذا الموضوع ليس بالأمر السهل ، لاكتنافه ببعض الصعوبات المتمثلة بذلك العنف والإرهاب الذى فرضته السلطات الفارسية على الإقليم وملاحقة من يجاهر بعروبته ، وقد خرّ نفر من أبناء العروبة فى الإقليم وما جاوره ممن يعملون لتأكيد عروبته ، فأحجم وسط هذا العنف السياسى الكثيرون عن الخوض فى الموضوع ، فلم أكن أستطيع الحصول على المعلومات من أصحابها — وبخاصة فى عربستان — إلا بعد جهد جهيد ومراقبة دقيقة أضف إلى ذلك قلة المادة وتشتتها فى بطون المصادر على اختلاف أنواعها مثل كتب التاريخ والتراجم والرحلات والأدب والحكايات والدواوين والمعاجم ، بالإضافة إلى الدراسات الحديثة ، عربية وأجنبية ، فقد ظهر لى أنه لا بد من مراجعة أكبر عدد ممكن من المراجع عن عربستان — لم يكن هناك بحث واحد على الأقل خصّ التاريخ الدبلوماسى للمشكلة . ونظرة إلى قائمة المصادر والمراجع فى نهاية الرسالة تعطى فكرة عن هذه الأنواع من المصادر القديمة والمراجع الحديثة التى رجعت إليها ، ومن ثم الصعوبة فى التقاط المادة المشتتة فيها — وكثيراً ما كنت أقرأ الكتاب من البداية إلى النهاية فلا أوفق فى العثور على المعلومات المطلوبة ؛ لذا توسعت بالبحث حيناً وأوجزته حيناً آخر ، بقدر ما سمحت لى به تلك المصادر . ولقد سعيت جهدى للتغلب على قلة المادة بالبحث عما يقوم مقامها بين الصحف والدوريات والمخطوطات ، ومن ثم مقابلة الشخصيات المعاصرة لأحداث عربستان ، وفائدتى من تلك المقابلات

كانت غير مباشرة ، إذ كنت بواسطتها أتأكد من بعض جوانب الشكوك أو الغموض التى تعترض طريق بحثى آخذاً بنظر الاعتبار الحذر والحيطة والمقارنة فى الأقوال ، وبذلت ما فى وسعى لأتلمس أصح المعلومات وأوثقها . فمن المعلوم أن تلك المقابلات لا يمكن أن تفى بالغرض المطلوب إذا لم يسندها ما يؤيد صحتها ، لذا اضطررت إلى إهمال جانب كبير منها — برغم بذلى عناء كبيراً فى الحصول عليها — وأود الإشارة إلى أن عدداً من الشخصيات المهمة التى أخذت عنها لم ترغب فى أن أذكر أسماءها .

ومن الطبيعى أن يقوم هذا البحث فى أساسه على الوثائق التى هى حجر الزاوية بالنسبة إلى الموضوعات المتصلة بالتاريخ السياسى ، فقد رجعت بصددها إلى الوثائق المنشورة وغير المنشورة ، واستطعت — إلى حد ما — العثور على قدر مفيد من النصوص والرسائل والمستندات والتعهدات الخطية التى جرت مع الشيخ خزعل وجهات متعددة أخرى ، وقد تضمن ملحق الرسالة أهمها ، وتمكنت بواسطتها استخلاص بعض الحقائق التى تدل عليها هذه النصوص بعد تحليلها ومقارنتها وجمع أشتات المعلومات الأخرى ذات العلاقة ، وكما استطعت الحصول على بعض المراسلات التى أجراها الممثلون البريطانيون إلى حكوماتهم فى فترة عقد معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧ فاطلعت عليها وأفدت منها بشأن بعض الجوانب فى الفصل الأول ، ولكنها كانت فائدة محدودة ، ذلك لأن الفصل الأول من الرسالة لم أكن أبغى منه الخوض فى نواح جانبية تفصيلية ، وإنما جعلته مدخلا عاماً شاملا لفهم طبيعة حكم الشيخ خزعل بعدئذ وتطورات القضية قبل تسنمه مقاليد الحكم . ولما كانت الوثائق غير المطبوعة خالية من نصوص المعاهدات والاتفاقيات ، فقد استعضت عنها بالوثائق المنشورة فى كتاب : Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East. 2 vols. ، وكتاب شاكر صابر الضابط — العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران ، فقد احتوى الأول على نصوص أهم المعاهدات التى عقدت

مع دول الشرق الأوسط بين القرنين السادس عشر والعشرين والظروف التى أحاطت بعقد كل واحدة منها ، أما الثانى فقد احتوى على نصوص معاهدات الحدود العراقية — الفارسية ، منذ صدر العهد العثمانى فى العراق حتى تاريخه الحديث ، كما رجعت إلى كتاب : Aithison, C.U. A Collection of Treaties Engagements and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries. (Calcutta : 1909-vol. 11).

فقد اختص الجزء الحادى عشر بالمعاهدات التى عقدت بين حكومة الهند الإنكليزية وقبائل الخليج فى فارس وأفغانستان . وقد نظمت بموجبها العلاقات بين الطرفين . وقد حفظت تلك المعاهدات مصالح الإنكليز فى المنطقة وضمنت لهم سيادة مطلقة عليها . كما أفدت من تقرير درويش باشا الذى ترجمته وزارة الخارجية العراقية عن التركية ، وأهمية هذا التقرير تظهر فى مجموعة السندات والوثائق الشرعية التى تثبت ملكية المحمرة للدولة العثمانية . كما آثرت الرجوع إلى وثائق جبهة تحرير عربستان ، تلك المنظمة السياسية التى تنطق بصوت القضية ، فأهميتها بالغة لأنها تؤكد عروبة عربستان ، وعلى الرغم من أن هذه الوثائق تقتصر على الجانب السياسى ، إلا أننى وجدت فيها ما له علاقة بموضوع دراستى .

ومن مصادر بحثى المخطوطات العربية ، وترجع أهميتها فى أن مؤلفيها كانوا معاصرين لحكم الشيخ خزعل . فالأعرجى صاحب مخطوط « مناهل الضرب فى أنساب العرب » تتناول القبائل العربية فى عربستان من بنى كعب وفروعها من « البوناصر والبوكاسب» وغيرهم ، ولكنه بالغ فى مدح الشيخ ، فأخذت منه ما خص بنى كعب ، وأهملت ما تطرق به للشيخ خزعل . أما حسين الشيخ خزعل صاحب مخطوط « تاريخ عربستان» فهو من حفدة الشيخ خزعل : ومخطوطه يحتوى على مجموعة نادرة من الرسائل الخطية ، إلا أنه يلاحظ عليه ميله المكشوف إلى جده وتسويغ أعماله ، لذلك لم آخذ منه إلا ما تميز بروح

الاعتدال والهدوء . أما مخطوط الشيخ جواد الشبيبى المسمى « حياة الشيخ خزعل خان» فإن عنوانه لا يدل على مادته ، فهو يأتى فى قائمة مصادر الدرجة الثانية . وللشيخ محمد النجفى مخطوط « الرياض الخزعلية فى السياسة الإنسانية » ، وهو فى جزأين ، وقد نسب إلى الشيخ خزعل ، وهو مخطوط أدبى يعطى الباحث فكرة عن مدى ما وصل إليه عرب الإمارة من مستوى فكرى ثقافى . أما تاريخ كعب ، وهو مخطوط لمؤلف مجهول فقد تناول أمراء بنى كعب فى الفلاحية ، وفيه ذكر للمحمرة ، ومثله مخطوط « زهر الربيع» فى جزأين لنعمة الله الجزائرى . ومن مخطوطات مكتبة آل باش أعيان « تحفة النصرة فى تاريخ البصرة» جزءان ، « وتاريخ البصرة الكبير» الجزء السادس ، وفيهما إشارات واضحة عن أسرة آل مرداو الحاكمة وآخر أمرائها الشيخ خزعل .

وبعد المخطوطات كان لا بد من الرجوع إلى الدوريات العربية ، فاستفدت مما ورد من معلومات فى دائرة المعارف الإسلامية عن المنطقة بصورة عامة ، كما اطلعت على الصحف العربية المعاصرة لحكم الشيخ خزعل ، وأخص منها بالذكر : الأوقات البصرية والزوراء والعراق والمفيد والعمران المصرية ، فعثرت فى بعضها على مقالات وأخبار لا يستغنى عنها الباحث ، وعلى الرغم من أننى كنت لا أعتمد على أخبارها إلا بعد الوثوق من صحتها بالمقارنة والتمحيص فإذ كنت كثيراً ما أهمل خبراً أو رأياً أشك فى صحته . ومن الجرائد الحزبية التى اطلعت عليها ، جريدة « لواء الاستقلال» وقد تضمنت رأى حزب الاستقلال العراقى فى مشكلة عربستان ، كما أتاحت لى جريدتا اليقظة والجريدة أن أطلع على عشرات من المقالات للشباب القومى العربى حول قضية عربستان ، فأوضحت فى ذهنى أبعاد القضية بجوانبها المختلفة ، على أن تلك الصحف لم تكن خالية من التحيز المكشوف أحياناً ، إذ يصل إلى حد الحماسة العاطفية ، لذلك كان اعتمادى عليها نادراً جداً . كما آثرت الرجوع إلى المجلات العربية . ويحوى بعضها بلا شك مقالات قيمة ذات اختصاص ، وأهمها مجلة المقتطف ،

فقد عثرت فيها على مقالة ثمينة عن السياسة البريطانية الفارسية، تميزت بروح الاعتدال والفهم الصحيح لتطور الأحداث فى فارس القاجارية . أما لغة العرب فكان صاحبها أنستاس مارى الكرملى مخلصاً للعلم ، وكانت له آراء صائبة وإن تكن فى بعض الأحيان متطرفة ، وبخاصة ما كان منها متعلقاً باللغة العربية ، فقد احتوت على مقالات لا تقل شأناً عن سابقتها من حيث الأهمية التاريخية . ومثلها كانت مجلة المشرق ، أما مجلة الجمعية الجغرافية العراقية فقد أفادتنى فى الكشف عن علاقة سهل عربستان بسهل وادى الرافدين . وهيأت لى مجلة كلية الآداب — بجامعة بغداد مادة وفيرة عن المنافسة الأجنبية فى الخليج العربى . كذلك اطلعت على أعداد من مجلة صوت الإسلام وسامراء ، وقد لمست فيهما تحيزاً كبيراً ، ففى صوت الإسلام عثرت على مقالات لأحد أمراء عربستان تميز بالتطرف لمصلحة العرب ، وفى مجلة سامراء عثرت على ترجمة لبعض فقرات كتاب أحمد كسروى عن تاريخ عربستان ، وكان منصباً على وجهة النظر الفارسية ، لذا كنت أحاذر الانسياق معهما ، ولم أكن أعتمد إلا على ما أتأكد من صحته .

كذلك رجعت إلى الدوريات الإنكليزية ، وكانت أكثر اعتدالا من زميلاتها العربيات ، وهى بالرغم من أنها تمثل وجهة النظر الإنكليزية ذات المصالح الخاصة فى عربستان قد عثرت فى كثير من الأحيان فيها على مقالات مسهبة أصيلة ذات أهمية تاريخية قيمة هيأت لى مادة لا يمكن للباحث أن يستغنى عنها ، لا سيما البحوث التى قدمتها مجلة الجمعية الجغرافية الملكية : Royal Geographical Society فقد أمدتنى بأوفر مادة من بين المجلات لا سيما مقالات كل من Rawlinson الذى أسند إليه منصب قنصل بريطانيا العام فى العراق . ومقال Layard ذلك الرحالة الإنكليزى الذى كان له نفوذ كبير فى الدوائر السياسية البريطانية ، وتولى منصب سفير بريطانيا فى الآستانة فى الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وهو صاحب أول مشروع بريطانى للحدود الفارسية العثمانية .

وقد جعل المحمرة تابعة للدولة العثمانية . وكان « كاننك » مقتنعاً بوجهة نظره ورشحه ليمثل بريطانيا فى اللجنة الرباعية للحدود ، وفى مقاله وصف قيم لمقاطعة عربستان . وللورد Curzon مقالة لا يمكن الاستغناء عنها لنهر كارون ، وبالإضافة إلى هؤلاء اطلعنا على مقالات كل من : Binnie, James, Lanch ، فقد عالج الأول موضوع سكة حديد بغداد ، والثانى كتب عن رحلة قام بها على الحدود التركية الفارسية ، والثالث وضع فصلا جغرافياً ممتازاً عن حوضى شط العرب وكارون .

أما ما يخص الكتب التى تدور حول بعض نقاط البحث فكانت مزيجاً من القديم والحديث ، سواء أكانت عربية أم أجنبية ، وكلاهما عبارة عن شذرات قصيرة هنا وهناك . أما كتب التراث العربية فقد زودتنى بمعلومات أعدها غاية فى الأهمية ، ذلك لأنها دلتنى على مداخل المواضيع ، ومن أهمها كتب : ابن حوقل وابن بطوطة وأبى الفدا والاصطخرى والحموى والمقدسى وخسرو ، فقد أعطانى هؤلاء فكرة واضحة عن كون هذا الإقليم عاش جزءاً من العراق حيناً ومستقلا عنه فى أكثر الأحيان ، باعتباره ولاية من ولايات العالم الإسلامى وقد رسم بعضهم له خريطة تقريبية .

أما المصادر الحديثة ، فهى على كثرتها قليلة المادة ، وقد رجعت إلى كتب الرحلات والدراسات العديدة والرسائل العلمية المختصة بتاريخ الخليج ، أهمها كتب التراجم التى أخذت عنها تقصى آثار الشيخ خزعل وأسرته ، منها كتاب أعيان الشيعة لمؤلفه محسن الأمين ، وهو موسوعة تناولت خلاصة وافية لكل عين من أعيان الشيعة الذين لعبوا دوراً فى الحياة العامة ، فأخذنا من الجزء الخامس عشر بعض المعلومات عن الحاج جابر ، وعن الجزء التاسع والعشرين عن الشيخ مزعل ، وعن الجزء الثامن والأربعين عن الشيخ خزعل . كما أن كتاب ملوك العرب للريحانى احتوى على جزء من سيرة أمير عربستان ، وقيمة الكتاب أن كاتبه معاصر للشيخ خزعل وشاهد عيان لمجريات الأمور

خلال جولته التى قام بها فى تلك الربوع . أما الزركلى فقد احتوى كتابه « الأعلام » على ترجمة مختصرة للشيخ خزعل . وهناك كتب عبد المسيح أنطاكى وهو كاتب مرتزق حفلت كتاباته بعبارات المديح والثناء والمبالغة ، ولكن كتاباته ، برغم ذلك ، تعطينا صورة واضحة لحياة الشيخ خزعل فى إمارته ، ولا سيما أنه عاش فى ديوانه وحضر جانباً مهماً من أحداث عربستان ، وقد عاش معظمها . ومن أهم كتبه : الدرر الحسان فى منظورات ومدائح سمو الشيخ خزعل خان ، والقصيدة العلوية المباركة ، والرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة ، ورحلة عظمة السلطان حسين فى وادى النيل ، وهذه الكتب فى جملتها يمكن أن نستخلص منها بعد الاستقصاء والغربلة والمقارنة والتدقيق معلومات غاية فى الأهمية لأحداث عربستان خلال حكم الشيخ خزعل ، ذلك لأنه أعطانا صورة حية لما كان يجرى فى الإمارة ، وقد كان خلال ذلك يعيش متنقلا بين عربستان والبصرة والكويت .

وعن علاقات أمير عربستان العربية وصلته بالبصرة والكويت ونجد ، رجعت إلى أهم مؤلف فى هذا الباب هو كتاب : «تاريخ الكويت السياسى» لمؤلفه حسين الشيخ خزعل ، وهو كتاب وثائقى احتوى على أغزر المعلومات عن علاقة الشيخ خزعل بأمراء الكويت وتطور هذه العلاقة ، وعن صلاته بابن سعود . ونحن — على الرغم من أننا نجد فى كتابته ميلا للشيخ خزعل وتسويغاً لأعماله وصياغة مكشوفة للدفاع عنه — قد استطعنا أن نأخذ منه ، بعد تمحيص ، المعلومات التى تتفق وما ذهب إليه معاصرو الشيخ خزعل فى كتاباتهم . ومن الكتب المهمة التى اعتمدت عليها أيضاً فى هذا المجال كتاب : « المحمرة والوحدة العثمانية » لمؤلفه على محمد عامر ، وهو مترجم عن التركية وقد أمدنى بمعلومات وافية عن علاقة الشيخ خزعل بالبصرة ، وخاصة فى فترة الحكم العثمانى ، وقيمة الكتاب أن صاحبه من المعاصرين الذين اتصلوا بالحوادث مباشرة . لكننا كنا حذرين من معلوماته لأنه أظهر عطفاً لا حدود له على الشيخ

خزعل برغم أنه يظهر من كتاباته أنه عثمانى النزعة . كما استندت على كتب حرصت ما استطعت أن تكون أصلية ، منها كتاب : « التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية » للنبهانى ، والكتاب موسوعة فى اثنى عشر جزءاً ، شمل كل جزء منها منطقة من مناطق جزيرة العرب ، فأفادنى كثيراً فى معرفة العلاقة بين عربستان والبصرة وصاحبه معاصر لأحداثهما . وثمة كتاب آخر عاصر صاحبه الحوادث هو كتاب : « فى غمرة النضال » لمؤلفه سليمان فيضى الذى كان متصلا بالحوادث اتصالا وثيقاً ، وقد بحث الفترة التى شغل فيها منصب معتمد الإمارة عند الشيخ خزعل لمراسلة الملوك والأمراء العرب حتى تقويض الحكم العربى فى عربستان. ولكن مما يؤخذ عليه أنه لم يكن دقيقاً فى ذكر السنين ، ثم إنه يفسر الأحداث بمنظاره الشخصى الخاص ، لذا كان اعتمادى عليه يشوبه الحذر ، وقد استندت من مذكراته هذه على المعلومات التى يرويها عن مشاهداته بالذات وعن أعماله فى عربستان .

أما المعلومات عن بنى كعب والنزاع الفارسى العثمانى حول عربستان ، فقد استندت على جملة كتب ، أهمها كتاب : « عنوان المجد فى أحوال بغداد والبصرة ونجد » لمؤلفه إبراهيم فصيح الحيدرى ، وهو مؤلف معاصر ، عثمانى الميل زار عربستان وكتب عن أحداثها وعلاقتها بالبصرة . أما كتاب المدنى — خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق — فهو مختصر لمطالع السعود بطيب أخبار الوالى داود الذى ألفه عثمان بن سند البصرى — وهو ما زال مخطوطاً — وكان اعتمادى عليه فيما رواه عن عهد داود باشا ونزاع الفرس على البصرة وعربستان ، وقيمة الكتاب أن مؤلفه معاصر للأحداث التى يرويها . أما كتاب « تاريخ إمارة كعب العربية فى القبان والدورق » فهو مخطوط لمؤلف مجهول حققه على نعمة الحلو ، وقيمته التاريخية مهمة لأن المؤلف سجل الأحداث كما شاهدها . إضافة إلى تلك هناك نخبة من الكتب الحديثة عالجت بعض جوانب النزاع الفارسى العثمانى حول عشائر بنى كعب ، أذكر منها : كتب العزاوى : عشائر

العراق وتاريخ العراق بين احتلالين ، وكتاب مقدمة فى تاريخ العرب الحديث لعبد الكريم غرايبة . ورسالتين قيمتين لعبد العزيز نوار وهما : داود باشا وتاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا . وكتاب على نعمة الحلو عن بلاد الأحواز « دراسة لجغرافية الإقليم » وكتاب عبد الأمير محمد أمين عن : القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر . وقد وجدت على بعض هذه الكتب مآخذ أوردتها فى ثبت المصادر ، ولا أرى ضرورة لإعادتها ، وهى فى جملتها محاولة لإعادة كتابة القديم بأسلوب حديث .

أما عن موضوع النفوذ الأجنبى فى عربستان ، فكان اعتمادى على كتب حديثة أيضاً وبعض تلك الكتب عبارة عن رسائل علمية درست النفوذ الأجنبى فى الخليج العربى بشىء من الموضوعية ، ولما كانت عربستان إحدى إمارات الخليج جاءت تلك الرسائل على ذكرها ، ولكن فى معظمها أشياء يعوزها الاطلاع والدقة ، فمن هذه كتاب : الخليج العربى والعلاقات الدولية لمحمود على الداود الذى اعتمد فيه المؤلف على وثائق دار المحفوظات البريطانية ، لكنه أغفل الاعتماد على المخطوطات والمطبوعات العربية ، فجاءت نظرته إلى تاريخ الخليج من الخارج لا من الداخل ، فى وقت يمثل الحدث الداخلى أهمية لا تقل عن الأثر الخارجى . وقد أوردت فى ثبت المصادر بعض المآخذ عليه . وهناك كتاب : الخليج العربى — دراسة لتاريخ الإمارات العربية لمؤلفه جمال زكريا قاسم ، وهو أشمل وأعم من كتاب الداود ، وهناك كتب صلاح العقاد : الاستعمار فى الخليج الفارسى والتيارات السياسية فى الخليج العربى ، وهما من المصادر التى لا غنى للباحث عن تاريخ الخليج العربى من الرجوع إليهما . أما كتاب : على طريق الهند لعبد الفتاح إبراهيم — فبالرغم من أن معلوماته مقتضبة ، لا يخلو من فائدة علمية بهذا الصدد .

وعن المؤلفات فى النزاع بين رضاخان والشيخ خزعل رجعت إلى أهم مصدر يمكن الرجوع إليه فى هذا الباب وهو : مذكرات رضا شاه ، وهى

المذكرات التى تمثل وجهة النظر الفارسية الرسمية فى مشكلة عربستان ، وهى مزودة بالوثائق والرسائل والبيانات ، لذا كانت على جانب كبير من الأهمية ، ولكنى كنت عند الاعتماد عليها حذراً تمام الحذر فلم أستند عليها إلا فيما يخص ادعاءات الجانب الفارسى فى القضية أكثر من استنادى عليها فى سرد الحوادث ، وإن أردت الرجوع إليها فلا آخذ منها إلا ما أيدته لى مقابلات الشخصيات العربية المعاصرة أو مذكراتهم الخاصة . وهناك كتاب الساداتى وعنوانه « رضا شاه بهلوى » ، وهو ينتصر فى كتابته لرضاخان أكثر من انتصاره للشيخ خزعل .

وإلى جانب تلك الكتب الأساسية التى أتيت على ذكرها ، هناك كتابان دعائيان لم يتوخ فيهما مؤلفاهما الدقة العلمية فسيطرت على أسلوبهما الاندفاعات العاطفية . وهذان الكتابان هما كتاب : « عربستان الجزء العربى المغتصب » لمؤلفه شفيق رشيدات الذى اقتبس كثيراً من معلوماته من الكتاب الآخر : « الكفاح العربى فى عربستان » لمؤلفه خليل التميمى ، وقيمة الكتابين فى أنهما يمثلان الحماسة القومية والدفاع عن الحق العربى فى عربستان ، لهذا فإنى لم أرجع إليهما إلا فى حالات خاصة جداً وما تثبت صحته المصادر الأخرى . وهناك كتب أخرى كثيرة جداً صفحت عن ذكرها لأنها أقل أهمية مما ذكرت .

ولما كان من الضرورى الرجوع إلى نوعين من الكتابات : نوع قدمه باحثون عرب ، ونوع آخر قدمه باحثون من الغرب ، فإنى رجعت إلى المصادر الأوربية المختلفة بما تضمنته من رحلات أو دراسات ، ذلك لأنى وجدت من الأجانب من أسهم فى الإشارة إلى عربستان ، وأخص منهم Ainsworth فقد رجعت إلى كتابين له ، الأول : A Personal Narrative of the Euphrates Expedition. والثانى : The River Karun - an opening to British Commerce والمؤلف أحد أعضاء بعثة تشسنى فى رحلته الكشفية المعروفة على طول نهر الفرات ، وكتاباته مهمة إذ تناولت قبائل بنى كعب والطبيعة الجغرافية لمناطق سكناهم ، والملاحة النهرية البريطانية فى نهر كارون . وبصورة عامة فإن المادة

التاريخية فى كتبه قليلة ، وهو يركز اهتمامه على الناحية الحضارية ، لكن معلوماته هامة وأساسية . أما كتاب : The Persian Revolution فيعطينا فكرة واضحة عن الوضع الداخلى فى إيران خلال حركة ١٩٠٥ — ١٩٠٩ ، وقد عرض مؤلفه Browne وجهة نظر القوميين الدستوريين الإيرانيين ، وقد كان صديقاً شخصياً لزعمائهم . ومن كتاب : Bullard وعنوانه : Britain and the Middle East أخذنا وجهة النظر البريطانية فى شئون فارس والمحمرة ، والكتاب دراسة سريعة ومختصرة لنشوء العلاقات بين بريطانيا وأقطار الشرق الأوسط . ولكتب اللورد Curzon أهمية كبيرة فى بحث قضايا الخليج العربى ، إذ يعتبر كتاب : Persia and the Persian Question من كتب الرحلات القيمة ، ففيه إشارات متميزة عن كعب ومناطق سكناهم ، لا سيما أنه يعد فى عداد المختصين فى سياسة الهند والشرق الأوسط . ومن المؤلفات المهمة التى رجعت إليها فى هذه الدراسة كتاب : Four Centuries of Modern Iraq الذى ألفه Longrigg ويبدأ الكتاب من القرن السادس عشر — الفتح العثمانى — حتى القرن التاسع عشر ، وقد أكد فى كتابته على عروبة مناطق كعب . ومثله كتاب Niebuhr المسمى Travel Through Arabia and other Countries in the East فقد احتوى هذا الكتاب على معلومات أساسية مهمة ، خاصة إذا عرفنا أن مؤلفه مكث فى منطقة الخليج طوال الفترة الواقعة بين شهرى كانون الأول (ديسمبر) ١٧٦٤ وحزيران (يونيه) ١٧٦٥ حين سجل معلومات غاية فى الأهمية تتعلق بالقبائل العربية النازلة على شاطئ الخليج العربى شرقاً وغرباً ، فأشار إلى كعب وعلاقاتها السياسية والعسكرية ، وأكد عروبة مناطقها . أما كتاب : Lorimer المسمى : Gazetteer of the Persian Gulf فيعد من الكتب الوثائقية المهمة جداً عن الخليج العربى ، وهو سفر ضخم فى أربعة مجلدات ، وقد اعتمد كاتبه فيه على سجلات حكومة الهند ، ويحتوى على وثائق سرية لم يسمح بالاطلاع عليها حتى بعد الحرب

العالمية الثانية . وكتاب وقائع الخليج هذا عظيم الفائدة عن موضوع النشاط البريطانى فى الخليج العربى فى القرون التاريخية الحديثة ، ولا سيما حوادث القرن التاسع عشر بالذات . ومن الكتب المهمة فى تاريخ الخليج كتاب : Sykes المسمى : A History of Persia الذى يعرض فيه المنافسة البريطانية فى الخليج ومشكلة الحدود الفارسية العثمانية ، وتمتاز كتاباته بأنها حية ، ذلك لأنه قضى وقتاً طويلا يعمل ممثلا لحكومته فى فارس . ومن الدراسات الحديثة المهمة التى رجعت إليها كتاب Marlowe المسمى : The Persian Gulf in the Twentieth Century وبصورة عامة فإن المعلومات التى قدمها المؤلف — على الرغم من أنها محدودة بالنسبة لما يتعلق بتاريخ عربستان — هى قيمة للغاية . على أن أهم الكتب التى تناولت فترة حكم الشيخ خزعل على الإطلاق كتب Wilson ذلك الدارس الإنكليزى المعاصر الذى عمل فى المنطقة طيلة فترة حكم الشيخ خزعل ، فارتبط معه بصداقة متينة والتزم جانبه ، وقد ظهر ذلك واضحاً فى كتاباته ، فلا بد أن تستمد كتبه أهمية فائقة ، لكون كاتبها أقام ردحاً طويلا فى البلاد التى يصف أحداثها ، وصارت له معرفة تامة بأهلها ، فبعد هذا لا بد أن تكون كتبه مليئة بالحقائق التاريخية المفيدة ، ومن أهم كتبه التى أخذت عنها : The Persian Gulf الذى يحتوى فى نهايته على قائمة بالمراجع على جانب كبير من الأهمية لدارسى هذه الموضوعات ، ويرمياته فى عربستان التى أطلق عليها اسم : South West Persia وكتاب Loyalties لا سيما الجزء الثانى منه . وتعد تلك المراجع من أهم الدراسات عن المنطقة وأفضلها ، ولكنى كنت فى كل ذلك آخذ التفسيرات بحذر شديد لأنها بصورة عامة تظهر عطفاً كبيراً على المصالح البريطانية ، وهجوماً على طلاب الحركة الوطنية العربية ، كما أنها لا تخلو من مبالغة ، فعلى الرغم من إمكان عدّ بعضها محايدة ، فإننا يجب أن ندرك أن مؤلفيها يكتبون من وجهة نظر خاصة تجاهات نواحى مهمة فى التاريخ العربى .

إضافة إلى تلك المصادر ، رجعت إلى أهم ما كتب باللغة الفارسية عن

عربستان ، ذلك المؤلف الذى كتبه سيد أحمد كسروى تبريزى ، وكان قد مكث فى عربستان أكثر من سنة ، وشهد تقويض الحكم العربى ، فبذل جهوداً كبيراً فى وضع كتابه « تاريخ بانصد ساله خوزستان » الذى بدأه بإمارة المشعشعين فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وانتهى بتقويض حكم الشيخ خزعل ، واعتمد فيه على عدد من المصادر الفارسية الأصلية المعاصرة ، إلى جانب عدد من المراجع الإنكليزية الهامة ، والكتاب يؤكد تبعية عربستان لفارس . وكان اعتمادى عليه كبيراً فى معرفتى وجهة النظر الفارسية التاريخية فى القضية ، إذ أن المؤرخين الفرس لم يخل تقييمهم للقضية من تأثر عكسى .

إن التعرض بالدرس لكل ما توافر لدينا من المصادر التى تناولت عربستان خلال حكم الشيخ خزعل بصورة مفصلة هو أبعد ما نطمع إليه ، ولكن يكفى أن أشرت إلى أهم تلك المصادر إشارة موجزة .

ولا شك أن اللجنة ستقدر كل التقدير الجهود المضنية التى بذلتها فى التحضير لإعداد هذه الرسالة التى أملتها الموضوعية التاريخية وحدها — وقد دخلت مشكلة عربستان فى المجال السياسى أكثر من دخولها فى الميدان التاريخى العلمى .

وبعد هذا أود أن أعترف بأنى مدين لعملى كله وبتفتح وجدانى على معنى التاريخ وقيمته إلى أستاذى المشرف على هذه الرسالة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى الذى رسم الطريق وقدّم النصح ومنح من وقته الثمين لى ما هون العبء ، وما هذا البحث إلا ثمرة من تلك البذرة التى أولاها رعايته وجهده ، فإليه وإلى الدكتور جمال زكريا قاسم المشرف الآخر على الرسالة الذى أبدى لى من اقتراحاته القيمة وإرشاداته السديدة ما مكننى من الاستمرار فى البحث — أقدم كل ثناء .

كما أسجل عظيم تقديرى للتوجيهات القيمة التى أشار بها على أستاذى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، تلك التى فتحت لى آفاقاً أوسع فى البحث وكان له الفضل الأعظم فى تشجيعى على مواصلة البحث ، ثم إلى الدكتور

صلاح العقاد الذى لم يبخل على بتقديم المشورة الصائبة عندما أعوزتنى ظروف البحث إليه .

وأخيراً أسدى الشكر للهيئات والأشخاص الذين أمدونى بمساعدتهم ، وأعانونى على استكمال البحث ، وأخص منهم بالذكر آل الشيخ خزعل — لا سيما الشيخ حسين والشيخ أحمد — ، والزميلين : محمود منير ؛ لتفضله بقراءة الرسالة ، ومحمد جبار المعيد لمساعدتى فى طبع الرسالة . والشيخ عبد القادر باش أعيان لفتح المكتبة العباسية لى .

وختاماً أشكر سلفاً أعضاء لجنة المناقشة لما سيتجشمونه من تدقيق للرسالة وتصويبها وإكمال نواقصها ، آملا أن أكون قد وفقت فى الوفاء ببعض الواجب نحو أمتى العربية . والله أسأل أن يمدنى بعونه .

تمهيد

المميزات الطبيعية

تقع عربستان إلى الجنوب الشرقى من العراق — وهى بذلك تكون نهاية الطرف الشرقى من الهلال الخصيب ، الذى يبدأ عند السهول الفلسطينية ماراً ببلاد الشام والعراق — وتحتل القسم الشمالى الشرقى من الوطن العربى ، وهى تشكل منطقة حاجزة بين الوطن العربى — آسيا العربية — والقسم غير العربى من قارة آسيا . وقد كانت إحدى الوحدات السياسية الصغيرة التى تحفّ بشبه الجزيرة العربية . إلا أننا لا نستطيع أن نتحدث عنها كإقليم قائم بذاته ، فهى امتداد طبيعى لسهول وادى الرافدين ومتصلا اتصالا — يكاد يكون تامّاً — به من الناحية الجغرافية والاقتصادية والبشرية والتاريخية .

وعربستان محصورة بين خطى عرض ٣٠ ، ٣٣° شمالا ، أما بالنسبة لخطوط الطول فتقع بين٤٨ و ٥١° شرقاً — وبهذا يكون امتدادها من الشرق إلى الغرب يساوى امتدادها من الشمال إلى الجنوب تقريباً — ومن ملاحظة امتدادها بالنسبة لخطوط العرض نجد أنها تقع فى القسم الجنوبى من المنطقة المعتدلة الشمالية . يحدها من الشمال سلسلة جبال كردستان (لرستان) ، ومن الشرق امتداد جبال البختيارية وهى جزء من جبال زاجروس [1]— وتكون هذه الجبال حدوداً طبيعية — ومن الغرب العراق — بلوائيه البصرة والعمارة — ومن الجنوب الساحل الشمالى للخليج العربى .

---

(١) يبلغ طولها نحو ٦٢٠ ميلا ، وعرضها نحو ١٢٠ ميلا ، ويروح ارتفاعها بين ٣٢٨٠و ٥٥٧٠ قدماً .

وقد لعبت عربستان دوراً رئيساً فى التجارة لما تحتله من موقع استراتيجى على فم الخليج العربى – إذ أنها تحتل سواحله الشمالية ، وتسيطر سيطرة كاملة على موانئه – ولا سيما زمن العباسيين ، لأن قناة السويس لم تكن قد فتحت بعد . كما أن لعربستان مكانة مهمة فى العالم الحديث – وبخاصة العالم العر- ليس لكونها غنية فى ثروتها الطبيعية أو لأهميتها الاستراتيجية فحسب ، بل لكونها – كما أسلفنا – تشكل منطقة انتقال بين العرب وغير العرب فى قارة آسيا . ولقد اتجه العالم الغربى – نظراً لاحتياجه القوى المحركة – بقوة إلى هذه المنطقة ليسد حاجته من معدن النفط ، ولهذا أصبح لعربستان مكانة اقتصادية يمكن أن تلخص بما يلى :

١ – وقوعها على رأس الخليج العربى وعلى الطريق الأقصر الذى يربط البحر المتوسط بالمحيط الهندى .

٢ – اتصالها بميادين النفط والحقول المجاورة بأسهل الطرق وأيسرها ، فجعلتها ميداناً للتنافس الدولى الخطير – كما سنرى – للحصول على النفط – العصب الرئيس للصناعة والحرب .

٣ – مجاورتها للجزء الجنوبى من إيران والعراق والكويت ، وإشرافها المباشر على سواحل الخليج وجزره .

٤ – أن الأراضى الخصبة [1] ونهر كارون تجعلها مركزاً مهماً للإنتاج الزراعى والصناعى ، فإذا ما استغلت مواردها الطبيعية استغلالا جيداً فستتحول – حتماً – إلى مصدر من مصادر الإنتاج الزراعى والصناعى الرئيسية فى الشرق .

أما موقع عربستان العسكرى فلا يقل أهمية عن مكانتها الاقتصادية ، فقد وصفه العسكريون بأنه فى غاية الأهمية ، لأنه يقع ضمن الجسر الأرضى

---

(١) Wilson : South-West Persia, p. 96 : «– أن السير وليم ويلكوكس الذى رافقه من المحمرة حتى الأحواز وجد أن تربة عربستان تفوق تربة بلاد الرافدين فى الخصوبة .

الذى يوصل القارات الثلاث – آسيا وأفريقيا وأوربا – بعضها ببعض ، كما أنه يكون خط الدفاع الطبيعى – المتمثل بجبال البختيارية وكردستان – بين العراق وإيران [1] . وتبلغ مساحة عربستان ١٥٩,٦٠٠ ألف كيلو متر مربع [2] . أما عدد سكانها فيقدر بـ (١,٥) مليون عربى [3] ينتمى معظمهم إلى بنى كعب وبنى تميم وبنى طرف – مما حدا بفارس – تحت حكم الصفويين – أن تطلق على هذا الإقليم اسم عربستان ومعناها بلاد العرب [4] – وهذا اعتراف ضمنى من فارس بعروبة هذه المنطقة – غير أن العرب كانوا يطلقون اسم الأحواز على هذا الإقليم [5] . فالأحواز اسم عربى وكان اسمها فى أيام الفرس خوزستان

---

(١) سلمان الدركزلى – جغرافية العراق والأقطار المجاورة : ٣٠٤ .

(٢) حيث يبلغ طول الإمارة الآن ٤٢٠ كم وعرضها ٣٨٠ كم ، وقد كانت من قبل ، أكثر من هذا ، إلا أن إيران عمدت إلى اقتطاع مساحات كبيرة من أرض هذا الإقليم وضمتها إلى ولايات مجاورة بهدف تقليص مساحتها وتحت ستار إجراء التنظيمات الإدارية الحديثة « سنة ١٩٣٦ » .

(٣) ذلك قبل الاحتلال الإيرانى للإمارة عام ١٩٢٥ ، ويسكنها الآن بجانب العرب حوالى نصف مليون من الإيرانيين وفدوا إلى المنطقة فى نطاق حملة التفريس للإمارة .

(٤) اسم عربستان يطلقه غير العرب على الأرض العربية المجاورة لهم فأطلق الأتراك اسم عربستان على سورية لاسيما القسم الشمالى منها ، ونرى ذلك فى التقويم الذى أصدرته الحكومة فى الآستانة سنة ١٨٥٩ : – أن اسم الفيلق المرابط فى سوريا (عربستان أوردوسى) . انظر : يعقوب سركيس – مباحث عراقية – ج ١ : ٢٣٧ كما يطلق الإيرانيون اليوم اسم (عربستان سعودى) على المملكة العربية السعودية .

(٥) الأحواز جمع لكلمة حوز ، وأصلها مصدر للفعل (حاز) بمعنى الحيازة والتملك ، وكان العرب يستعملون هذا اللفظ دلالة على تمليك الأرض دون سواها ، ويشيرون به إلى الأرض التى اتخذها فرد ، وبين حدودها فاستحقها دون منازع . ويذكر أنه لما غزا الإسكندر المقدونى فارس وجزأها إلى إمارات انفرد العرب بالمنطقة وأطلقوا عليها اسم الأحواز نسبة إلى ملكيات قبائلهم لأقسامها . انظر : – ياقوت الحموى – معجم البلدان ج ١ : ٣٨٠ ، ويشير إلى أن الأهواز جمع هوز وأصله حوز ، فلما كثر استعمال الفرس لهذه الكلمة غيرتها حتى أذهبت أصلها جملة لأنه ليس فى كلام الفرس حاء مهملة وإذا تكلموا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء . انظر أيضاً :

Le Strange: The Land of the Eastern Caliphate, p. 267.

وراجع أيضاً : صفى الدين البغدادى – مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ج ١ : ١٣٥ .

ومعناها بلاد القلاع والحصون [1].

إن منطقة عربستان هى النهاية الطبيعية لسهل العراق الرسوبى (السهل الفيضى) ذى التربة الغرينية الخصبة، والذى تتوافر فيه المياه الغزيرة . فسهل عربستان — من حيث تكوينه وطبيعة أرضه — امتداد للسهل المنخفض الموجود فى العراق [2]. وهو مشابه لأراضى العراق الجنوبية التى هى جزء من نطاق اليابس الحديث التكوين ، ويكون بصورة عامة — سهلا منبسطاً — شأنه شأن المناطق التى تكونها ترسبات الأنهار ، وقد تكون هذا السهل الرسوبى نتيجة للترسبات التى جلبتها مياه الأنهار . ونهر الكرخة وكارون، يعدان من أعظم الأنهار القادمة من المرتفعات الشرقية — تكويناً للترسبات . وقد كونا دلتاهما بسرعة تفوق سرعة امتداد دجلة والفرات [3] وبينما كان نهرا دجلة والفرات يرسبان الطمى كان نهر كارون يصب مياهه الغرينية فى ملتقى نهرى دجلة والفرات وبهذه الكيفية كان عاملا أساسيًّا فى تكوين الأراضى المرتفعة — نسبيًّا — التى تمتد من البصرة فى اتجاه الشرق [4] .

---

(١) خوزستان : هى بلاد الخوز ، إذ أن العرب بعد معركة القادسية بنوا فيها مواضع حربية كل موضع يسمى خوز بالفارسية . وخوزستان هى إحدى الولايات الإسلامية كتب عنها مؤرخون كثيرون فأسهبوا فى وصفها وذكروا حدودها وكورها وطبيعة أرضها وأنهارها . راجع : Le Strange, Op, cit., p. 268

ابن حوقل — صورة الأرض : ٢٢٥ وما بعدها ، ورسم لها خارطة .
أبو الفدا — تقويم البلدان : ٣١١ وما بعدها .

الإصطخرى — المسالك والممالك : ٦٢ وما بعدها ، ورسم لها خارطة .

دائرة المعارف الإسلامية — المجلد التاسع — العدد الأول — مادة خوزستان : ٣٨

(٢) Donald N. Wilber : Iran, Past and Present, p. 12.

(٣) جاسم محمد الخلف — محاضرات فى جغرافية العراق الطبيعية : ٤٢ .

(٤) Willcocks: From the Garden of Eden to the Crossing of the Jordan, p. 30.
ويذكر أحمد سوسة — وادى الرافدين — ج ٢ : ١٧٢ : — أى بلاد عربستان ولواء البصرة جميعه =

ومن دراسة الظواهر الجغرافية لمنطقة عربستان نلاحظ أن سطحها عبارة عن سهل منبسط متشابه فى جميع أجزائه تشقه عدة أنهار وتتخلل بعض أقسامه أهوار ومستنقعات ، أما الأراضى البعيدة عن الأنهار فهى صحراوية قاحلة تغمر بعضها السباخ ، وترتفع الأراضى فجأة من الشرق إلى ارتفاعات شاهقة فى جبال البختيارية ومن الشمال فى كردستان (ارستان) . وليس هناك — ما عدا ذلك — سوى سلسلة من التلال طولها نحو ٣٠ ميلا وارتفاعها نحو ٣٠٠ قدم من منطقة الأحواز [1] ويشقها نهر كارون عند مدينة الأحواز . أما تربة هذا الإقليم — ومعظمها سباخ يعلوها الملح — فقد تأثرت كثيراً بالرواسب ذات الذرات الكبيرة الخشنة [2] التى حملتها المجارى المائية الصغيرة المنحدرة من المرتفعات الإيرانية نحو هذا السهل ، ونتيجة لهذا تبددت مياهها حتى تكونت الدلتاوات المروحيّة وإلى جانب ذلك هناك أودية ضيقة حفرتها المجارى فى منطقة التلال فى أثناء انحدارها من المرتفعات الإيرانية [5] .

تجرى فى عربستان أنهار كثيرة — دون انقطاع — فهى ليست بالأنهار الموسمية مما يؤمن للمزارعين وفرة المياه لسقاية مزروعاتهم ، أشهرها كارون — وقد لعب دوراً كبيراً فى حياة الإمارة — وهناك أنهار أخرى عديدة [4] أقل أهمية من نهر كارون ، كما أن هناك أنهاراً قديمة اندرست الآن (وقد ذكرها مؤرخو العصور الإسلامية).

= وقسماً من لواء الناصرية كانت فى أوائل الألف الأول قبل الميلاد تحت الماء .

(١) سلمان الدركزلى — جغرافية العراق : ٢٧٩ .

(٢) كوردن هستد — الأسس الطبيعية لجغرافية العراق : ٥٧ .

(٣) نورى خليل البرازى — التربة وأثرها فى التطور الزراعى فى سهل العراق الرسوبى — مجلة الجمعية الجغرافية العراقية — المجلد الأول : ١٢٢ .

(٤) هناك بحث عن أنهار عربستان فى : Binnie: Some Notes on the Karun River, p. 205-6.
النبهانى — التحفة النبهانية ج ٩ : ٤٨ — ٥٣ .

أما نهر كارون [١] — وهو عند العرب نهر دجيل [٢] — (وسموه نهر الأحواز ونهر تستر) ، فإنه ينبع من جبال البختيارية ويصب فى شط العرب بالقرب من المحمرة وتقع عليه مدينة الأحواز فى الوسط ، وهو أكبر أنهار عربستان وأشهرها : طوله زهاء ١٣٠٠ كيلو متر ، فهو أطول من شط العرب ، وعمقه كعمق نهرى دجلة والفرات ، ماؤه مشهور بعذوبته وخفته [٣] . أهم روافده نهر ديز (كارون الأسفل) الذى ينبع من جبال كوه كارو ويدخل مقاطعة عربستان تاركاً ديزفول على الضفة اليسرى . ويعد نهر الميناو — نهر دبيس [٤] — أحد الفروع المهمة لنهر كارون فى شرقى مدينة الأحواز ، يسكنه الآن فخذ من عشيرة كعب يسمى « كعب الميناو » — أو كعب دبيس — . أما نهر كرخه (نهر السوس) فلا يقل أهمية عن نهر كارون [٥] ، ينبع من سفوح جبال بشتكوه الغربية — وله ثلاثة منابع رئيسية — وبعد أن يقطع المنطقة الجبلية يدخل أراضى عربستان السهلة ويصب فى الوقت الحاضر فى هوير الحويزة [٦] ، وتتوزع مياهه فيه بوساطة عدد من المصبات ، ولهذا فإن القسم الأدنى من واديه ليس جيداً

---

(١) كارون : اسم محرف على ما يقال من : كوه رنك (الجبل الملون) وهو الجبل الذى ينحدر من هذا النهر . راجع : Le Strange: *Op. cit.*, p. 268,. وفى مجلة لغة العرب — العدد (٢) آب (أغسطس) ١٩١٣ (البريم أو عبادان الحديثة) : ٥٨ ما نصه (لا تقل قارون بالقاف وكما يقوله بعض الأتراك) .

(٢) طه باقر — مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة : ج ٢ : ٣٧٥ .

(٣) ابن حوقل — صورة الأرض : ٢٣٠ والمقدسى — أحسن التقاسيم : ٤٠٨ .

(٤) لقد حفر هذا النهر فى عهد الخليفة عثمان بن عفان بناء على اقتراح من والى البصرة عبد الله ابن عامر ، وقام بحفره شخص اسمه دبيس : كاظم الساعدى — تاريخ البصرة : ٢٢ .

(٥) Wilson: *Op. cit.*, p. 96.

ويذكر : درويش باشا — تقرير تحديد الحدود الإيرانية العثمانية : ٧ أن العرب يسمونه نهر السويب .

(٦) ليس وفالكون « ترجمة أحمد صالح العلى » (التاريخ الجغرافى لسهول ما بين النهرين) : مجلة الجمعية الجغرافية — المجلد الأول آب ١٩٦٢ : ٢٠١ .

كطريق للنقل ، أما القسم الأوسط منه فإنه جيد [١] .

أما نهر الجراحى فإنه ينبع من مقاطعة بهبهان ويصب فى هور الفلاحية وهو نهر قوى كنهر كارون يبعد عن الأحواز ٣٨ كيلو متراً [٢] .

مناخ عربستان مشابه إلى حد كبير مناخ المنطقة الجنوبية من العراق ؛ التى تقع فى منطقة انتقال بين المناخ الصحراوى الحار ومناخ البحر الأبيض المتوسط ، فقد أثر الموقع هذا فى المناخ إذ جعل صيفه شديد الحرارة عديم الأمطار . إلا أن درجات الحرارة تقل كلما اتجهنا من الجنوب إلى الشمال والشمال الشرقى ، وقد تعتدل الحرارة بعض الاعتدال فى الصيف عندما تهب الرياح الشمالية . أما هبوب الرياح الجنوبية الشرقية — وتسمى محلياً (شرجى) — فإنها تقلب الصيف لاذعاً محرقاً كما تؤثر تأثيراً بيناً فى ارتفاع معدل الرطوبة النسبية [٣] لا سيما أن المنطقة قريبة من الخليج العربى ومن منطقة المستنقعات . أما شتاؤه فمعتدل تسقط فيه أمطار قليلة ومتغيرة فى كميتها ومواسمها إلى درجة أنها لا تكفى للزراعة ، فلا بد من الاعتماد على الرى . ويعتبر الخليج العربى المصدر الرئيسى للأمطار التى تسببها الأعاصير فى عربستان إلى جانب أعاصير البحر المتوسط .

ولا بد من الإشارة هنا إلى التفاوت الواضح فى مناخ عربستان ، فالمنطقة الجنوبية التى تحيط بها الأهوار والبحيرات ويجاورها الخليج العربى تتأثر بالرطوبة القادمة منها جميعاً ، أما المنطقة الشمالية القريبة من الجبال العالية فتتأثر ببرودتها كثيراً ، والفصول الأربعة فى عربستان متداخلة — شأنها شأن البصرة — والفصلان

---

(١) إبراهيم شريف — الموقع الجغرافى للعراق وأثره فى تاريخه العام حتى الفتح الإسلامى ؛ ٣٦ ، ويذكر المؤرخون أن قبر النبى دانيال هو فى جوف هذا النهر حيث تجرى فوقه المياه . انظر : ابن حوقل : ٢٣٠ والمقدسى : ٤٠٨ .

(٢) عبد الواحد باش أعيان — زبدة التواريخ (مخطوط) : ج ١١ : ٣٤٣ وهناك أنهار كثيرة فى عربستان لا أهمية لها أذكر منها : نهر كركر (المسرقان عند العرب) ونهر شاوور ونهر عجيرب ونهر لوره ونهر شطيط .

(٣) Donald Wilber: *Op. cit.*, p. 19.

وهو يشبه درجة الحرارة فى عبادان والمحمرة والأحواز بحرارة جو الصحارى .

كذلك انظر Wilson: *Op. cit.*, p. 218.

المتميزان فيها هما الصيف والشتاء ، أما الربيع والخريف فهما قصيرا الأمد [١] .
وفى عربستان كثير من المدن القديمة الجذور العريقة فى الحضارة والتى لها ماض تاريخى . إلى جانب المدن الجديدة التى نشأت فى الفترة الحديثة لعوامل متعددة ، منها تجارية ومنها سياسية ومنها التى خلقها البترول . والسكنى الحقيقية فى الإمارة مركزة بشدة على جوانب الأنهار بسمك محدود ، وهكذا أصبحت الأنهار كعقد منظوم من المدن التى تتجاذب على طولها تبلغ قرابة ٥٠ مدينة .

فالأحواز [٢] (الأهواز وتسمى الناصرية) — وقد أطلق العرب عليها اسم الأحواز لتمييزها عن اسم إقليم الأحواز — هى إلى الشمال الشرقى من المحمرة حوالى ١٢٠ كم ، وهى مركز إمارة عربستان تقع على نهر كارون فى أواسط عربستان [٣] .

أما المحمرة — وهى اليوم خرمشهر — فتقع عند مصب نهر كارون فى شط العرب وتبعد عن الأحواز ١٢٠ كم عن طريق نهر كارون ، وهى ميناء تجارى مهم مرتبط بالبصرة ارتباطاً اقتصادياً واجتماعياً وثيقاً . شيدها يوسف بن مرداو — من شيوخ قبيلة البوكاسب — عام ١٨١٢ على بقايا مدينة كانت قائمة هناك قبل ستة قرون [٤] ، بعد أن أذنت له قبيلة كعب — وكان تابعاً لها — واتخذها

---

(١) على نعمة الحلو – بلاد الأحواز : ٢٨ ، الدركزلى – جغرافية العراق : ٢٨١ .

(٢) فتحت الأحواز على يد حرقوص بن زهير بتأمير عتبة بن غزوان فى أيام تمصير البصرة وولايته عليها ، وكور الأحواز : سوق الأحواز ورامهرمز وإيذج وعسكر مكرم وتستر وجنديسابور وسوس وسرق ونهر تيرى ومناذر . انظر : ياقوت الحموى ج ١ : ٣٨١ والبكرى – معجم ما استعجم ج ١ : ٢٠٦ .

(٣) لقد عانت الأحواز كثيراً من أذى الزنج إبان ثورتهم واتخذها زعيمهم وقتا ما مقراً له ، وفى المئة التالية أعاد الأمير عضد الدولة البويهى بناء قسم منها ، انظر : فيصل السامر – ثورة الزنج : ١١١ وما بعدها ، المقدسى : ٤١٠ وما بعدها . ويذكر لسترنج أن الأحواز تعرف قديماً عند الفرس باسم هرمز شهر كما سميت هرمز أردشير : Le Strange: *op. cit.*, p. 269. .

(٤) Longrigg: Four Centuries of Modern Iraq, p. 248.
وهذه المدينة هى خاراكس "Charax" انظر : جورج فاضلو حورانى – العرب والملاحة =

وأتباعه سكناً لهم وسموها محمرة [١] وأصبحت عاصمة للإمارة بعد استقلالها .

وعبادان [٢] — وتسمى جزيرة خضر — (وهى اليوم آبادان) من مدن عربستان التاريخية المهمة ، تقع جنوب المحمرة حوالى ١٨ كم ، وهى ميناء لتصدير نفط عربستان وفيها أكبر مصفاة للنفط فى الشرق الأوسط .

وهى عبارة عن جزيرة مستطيلة الشكل تحيط بها مياه شط العرب من جميع جهاتها . وعبادان مدينة قديمة زارها رحالة كثيرون وكتب عنها مؤرخو العصور الإسلامية [٣] وقد عدوها ضمن مدن البصرة والعراق الجنوبى .

= فى المحيط الهندى : ٤٤ ، ومصدره : سليمان حزين Arabia and Far East, p. 100 .

(١) عبد الواحد باش أعيان ج ١١ : ٣٤١ ، إبراهيم فصيح الحيدرى – عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد : ١٨١ . ومما تجدر ملاحظته أننى لم أجد لاسم المحمر ذكراً فى كتب التاريخ الإسلامى ولم تذكرها المصنفات العربية القديمة ، ويقال إن تسميتها جاءت من تكون أرضها نتيجة ترسبات الغرين الأحمر عند مصب نهر كارون فأصبح ترابها أحمر ، راجع : أمين لطفى – دليل البصرة : ١٩٢ ، أنطاكى – الدرر الحسان : ١٦ .

(٢) سميت نسبة إلى عباد بن الحصين ، وهو أول من رابط بعبادان . وأما إلحاق الألف والنون فهى لغة مستعملة فى البصرة ونواحيها فإنهم إذا سموا موضعاً أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون فى آخره ألفا ونوناً . انظر : الحموى ج ٦ : ١٠٤ – ١٠٥ ، للاطلاع على التفاصيل راجع أيضاً : جعفر الأعرجى – مناهل الضرب فى أنساب العرب : ٣٦٣ (مخطوط) . وقد جعلها الإصطخرى – المسالك والممالك : ٥٧ من مدن البصرة العامرة. وهناك بحث قيم عن عبادان فى مجلة لغة العرب للكرملى : العدد ٤ تشرين أول (أكتوبر) ١٩١١ : ٢١ .

(٣) قال عنها ابن حوقل : ٥٣ : " أما عبادان فحصن صغير على شط البحر " . ولما زارها ناصر خسرو – سفرنامه : ١٠٠ ، فى سنة ١٠٤٧ م وجدها ميناء ينمو . وبقيت كذلك حتى القرن الثالث الهجرى حيث تقلصت ولم يبق منها سوى قرية صغيرة على بعد ٣ أميال فقط عن البحر عند ما زارها ابن بطوطة – رحلته ١١٧ – ١١٨ ، ويحاجج المقدسى : ٤١٢ – ٤١٣ من يزعم أن عبادان ليست من العراق ويؤكد أنها قطعة من العراق . ويذكر Le Strange: *op, cit.*. p. 70-71. " أن جبايتها بلغت أربعمائة وواحداً وأربعين ألف دينار تدفع إلى بيت مال البصرة " .
وكتب فصيح الحيدرى – عنوان المجد – سنة ١٢٨٦ هـ : ١٧٩ – ١٨١ عن عبادان فذكر أنها من حدود البصرة ومن سواد العراق ، وكانت فى القديم على الساحل وليس وراءها قرية كما يقال (ما وراء عبادان قرية) أما الآن فقد ظهر من البحر أرض واسعة وصار وراء عبادان قرى كثيرة .

والحويزة [١] – وهى اليوم دشت ميشان – من المدن العريقة فى عربستان، اتخذتها دولة المشعشعين العربية عاصمة لها سنة ١٤٤١ أيام المغول [٢] ، وكانت من قبل تابعة للعراق ، وتسكنها عشائر كثيرة من العرب [٣] . وقد خضعت منطقة البصرة إلى نفوذ إمارة الحويزة سنة ١٦٩٧ – ١٧٠٠ [٤] ، وتقع الحويزة شمال غربى المحمرة – تجاه لواء العمارة العراق – على نهر الكرخا وهو موطن قبائل بنى طرف، ويسكنها الصابئة منذ القدم [٥] . ومن المدن العربية فى عربستان تستر – ويسميها الفرس شوشتر – وهى غوطة عربستان الخصبة ذات المياه الوفيرة [٦] . ومنها دسبول « دازفول» الواقعة على نهر « ديز » جنوب جند يسابور – ذات المواقع الأثرية ومدرسة الطب المشهورة – ومعناها قنطرة دز أو قنطرة القلعة وهى عبارة عن تلول متوازية . وإلى جنوب غربى دسبول تقع أطلال مدينة السوس – الأثرية [٧] – . أما الفلاحية – وهى اليوم شاوكان – وتسمى

---

(١) يذكر ياقوت فى معجمه – ج ٣ : ٣٧٣ – ٣٧٤ : الحويزة تصغير الحوزة وأصله من حاز يحوز حوزاً ، وهوموضع حازه دبيس بن عفيف الأسدى فى أيام الطائع لله ونزل فيه وبنى أبنية . بالنسبة إلى مادة الحويزة ، راجع : الكعبى – زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر : ٢٩ ، النبهانى – التحفة النبهانية : ج ١٠ : ٣٩ .

(٢) جاسم حسن شبر – تاريخ المشعشعين : ١٢ ، أحمد كسروى تبريزى – تاريخ بانصد ساله خوزستان : ٥ وما بعدها ” أن من الأسباب الرئيسية لزوال دولة المشعشعين فى الحويزة هو تغيير نهر الكرخا مجراه وابتعاده عنها “ .

(٣) نعمة الله الجزائرى – زهر الربيع (مخطوط) : ٣٤٦ .

(٤) Longrigg: *Op. cit.*, p. 129.

على ظريف الأعظمى – تاريخ الدول الفارسية فى العراق : ١٠٦ .

عبد الكريم محمود غرايبة – مقدمة تاريخ العرب الحديث : ١٠٧ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الثامن – العدد الرابع : ١٥٣ (مادة الحويزة) .

(٦) انظر : المقدسى : ٤٠٩ ، يذكر وصفاً ممتعاً رائعاً عن مياهها وبساتينها وخيراتها .

Le Strange: *Op. cit.*, p. 276.

(٧) التى عثرت فيها بعثة التنقيبات الفرنسية فى سنة ١٩٠١ – ١٩٠٢ على مسلة حمورابى الأثرية . راجع : طه باقر – مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ج ١ : ٢٩٢ ، وأمين واصف – الفهرست : ٤٨ ، ٦٣ .

الدورق، فهى مركز أمراء عربستان قبل بناء المحمرة ، عمّرها وسكنها بنو كعب، وتقع على نهر الجراحى وأشهر مزروعاتها النخيل . ومن المدن المهمة مسجد سليمان فى أقصى الشرق – حيث آبار النفط – التى تمتد منها الأنابيب إلى مصفى عبادان . وهناك مدن أخرى فى عربستان أذكر منها : الخفاجية – الحميدية – الخزعلية – الفيلية – الدبيس – قرية الملا – معشور – البسيتين – قلعة الشيخ .

الفصل الأول

التطورات السياسية العامة للإمارة

بنوكعب [١] :

وهم من القوى الرئيسية التى لعبت دوراً فعّالاً فى حياة إمارة عربستان السياسية ، وظهرت على مسرح السياسة فى الشرق الأوسط فى منتصف القرن السابع عشر ، عندما هاجرت فروعها من العراق [٢] سعياً للاستقرار والاستقلال ، واستوطنت شط العرب شرقاً وغرباً — لذا عُدُّوا رعايا عثمانيين فى الأصل — وأخذت تزرع الرز وتربىّ الحيوانات [٣] . واتخذت — عقيب ظهورها — مدينة قبان [٤] (التى كانت من ممتلكات الدولة العثمانية) — وقد أخضعها

---

(١) للاطلاع على ما كتب عن بنى كعب تاريخيا وجغرافيا ، راجع :

ا — Ainsworth, W.F.A. : Personal Narrative of the Euphrates Expedition.

ب — Curzon, George N. : Persia and the Persian Question.

جـ — Niebuhr, C. : Travel Through Arabia and other Countries in the East.

د — Lorimer, J.G.: Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia.

هـ — أحمد كسروى تبريزى — تاريخ بانصد سالة خوزستان — الفصل الثانى — : ١٤١–٢٧٢ .

(٢) عبد القادر باش أعيان — تاريخ البصرة الكبير — جـ ٦ (مخطوط) ، ويذكر القلقشندى — نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : ٣٢٩ أن بنى كعب بطن من بنى عامر بن صعصعة ، نزحت من شبه جزيرة العرب واستقرت فى العراق . ويبين : تقرير سرى لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة وضعته دائرة الاستخبارات البريطانية : ٤٥ " أن بنى كعب جميعهم ينتمون إلى أصل واحد حتى كعب الساكنة فى عربستان ". أما العزاوى فى : « تاريخ العراق بين احتلالين » : جـ ٧ ص ٣٨ فيؤيد أنه « لا تزال مجموعات كبيرة من كعب فى العراق » .

(٣) Longrigg : Op. cit., p. 84.

(٤) خضعت قبان لحكم ولاة البصرة قرابة القرن ونصف القرن (١٥٩٦ — ١٧٣٣) ، ولقد اندرست معالم المدينة اليوم ، والراجح أنها تقع على أحد فروع خورموسى . انظر :

= Lorimer : Op. cit., Vol. 1, Part 2, p. 1627.

أفراسياب لولاية البصرة منذ ١٥٩٦ م — مقراً لها . وفى أواسط القرن الثامن عشر حدث نزاع عنيف فى فارس من أجل العرش — إثر مقتل نادر شاه سنة ١٧٤٧ م — ، فوسط الفوضى التى سادت فارس [١] ، قدمت قبيلة بنى كعب من قبان بقيادة الشيخ سلمان ، واستولت على الدورق ، واتخذتها قاعدة لها [٢] ، وأبدلت اسمها إلى الفلاحية [٣] . وكانت هذه البقاع من عربستان تحت نفوذ قبائل الأفشار التركية . وقد نال بنو كعب المساعدة من دولة المشعشعين العربية (إمارة الحويزة) المجاورة التى سبق أن قدّم أميرها [٤] ولاءه إلى السلطان العثمانى سليمان القانونى — عندما فتح العراق — ، فأقر فى منصبه . ولكن ظلّ ذلك الأمير متذبذباً فى ولائه بين السلطان والشاه [٥] ، وقد سيطر على شط العرب لدرجة أنه لم يتح لسفينة أن تمر إلا بعد أن تدفع ضريبة لوكيله [٦] .

وبدخول بنى كعب إلى الفلاحية ، بدأت هذه الإمارة تنقرض بعد حكم دام زهاء خمسمائة عام ، فقامت على أنقاضها إمارة بنى كعب [٧] ، التى أخذت

= كما يمكن الرجوع إلى الجزء الجغرافى منه (مادة قبان) : "Qubban"

(١) للاطلاع على التفاصيل ، راجع : Lockhardt :Nadir Shah, pp. 1, 17

(٢) Ainsworth : *Op cit*, Vol II, p. 208.

(٣) يجعل أحمد مصطفى أبو حاكمة — محاضرات فى تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة : ١٠٢ ، الدورق والفلاحية ميناءين استولى عليهما الشيخ سلمان من الأفشار ، والصحيح أن الدورق هو الاسم القديم للفلاحية والتسميتان هما لموضع واحد .

(٤) راجع : Longrigg : *Op. eit.*, p. 44. ويذكر فى ص ٦ عن أمير الحويزة أنه سليل بيت عربى ينتمى إلى ربيعة .

(٥) عبد الكريم غرايبة : ٩٩ .

(٦) عبد الكريم غرايبة : ١٠٦ ، إلا أن هذه السيطرة لم يرتح لها العثمانيون ، فجرت محاولات لاحتلال عربستان — بعد الموقعة التى هزمت فيها جيوش الشاه عباس الأول أمام بغداد سنة ١٥٨٧ — ، انظر : دائرة المعارف الإسلامية : مادة خوزستان — مج (٩) ع (١) : ٣٨ ، أما عن علاقة الحويزة بالعراق فانظر : النبهانى — التحفة النبهانية — ج ١٠ : ٣٩ — ٤٠ .

(٧) العزاوى — العراق بين احتلالين — ج ٧ : ٣٩ ، ومما تجدر ملاحظته أن عبد العزيز سليمان =

قوتها تنمو نمواً سريعاً ، وبدأت تتوسع فى جهة الشمال والشرق ، وقد تذبذبت فى ولائها السياسى بين العثمانيين والفرس ، ولم تخضع بصورة فعلية إلى أى من الدولتين — شأنها فى ذلك شأن إمارة الحويزة — فادعت كلتا الدولتين حق السيادة عليها . واستطاع الكعبيون وسط هذا الصراع الناشئ فى المنطقة بين الفرس والعثمانيين ، أن يثبتوا وجودهم كعامل أساس للأمن والاستقرار ، وكضرورة ملحة لتأمين الملاحة والتجارة عبر الخليج ، وقيادة القوافل البرية ، فحقق هذا الوضع لهم مركزاً ممتازاً بين الإمبراطوريتين المتصارعتين ، مما دفع كلا منهما إلى التقرب إليهم واجتذابهم إلى حظيرتها ، كما طالب كل فريق منهما بدفع ضريبة سنوية . لقد ألزم موقع بنى كعب المائى على شط العرب والخليج العربى ، شيوخها أن يستعينوا على معاشهم — إلى جانب ما تنتجه أراضيهم من تمور وغلات أخرى — ببناء أسطول بحرى كبير يعد من أضخم الأساطيل فى الخليج خلال القرن الثامن عشر ، استطاعوا أن يدعموا به استقلال إمارتهم الناشئة ، وتمكنوا بوساطته من القيام بالتوسعات ، فاستولوا على جزر

=نوار ذكر فى كتابه (داود باشا والى بغداد : ٩٥) ما نصه : "وكانت عشيرة بنى كعب قد استطاعت هى الأخرى أن تكون لنفسها إمارة قوية ترتكز على الحويزة منذ القرن السادس عشر وكانت شيعية المذهب ، وأصبحت أداة فى يد حكومة إيران للاستيلاء على البصرة" وهو قول يلفت النظر ، فالمعروف عن كعب أن إمارتها ارتكزت على الفلاحية واتخذتها قاعدة لها . راجع :

Ainsworth : *Op. cit.*, Vol. II, p. 208.

ولا علاقة لها بالحويزة سوى أنها استقرت بادئ الأمر إلى جوارها ، فالحويزة إمارة مستقلة حكمها المشعشعون منذ سنة ١٤٤١ م . راجع : جاسم حسن شبر — تاريخ المشعشعين : ١١ — ١٢ ؛ كما أن بنى كعب لم يظهروا على مسرح السياسة إلا فى منتصف القرن السابع عشر ، ولم يكونوا إمارتهم إلا فى منتصف القرن الثامن عشر ، بعد مقتل نادر شاه ، راجع :

Wilson : The Persian Gulf, p. 187.

وراجع : عبد الفتاح إبراهيم — على طريق الهند : ١٣ ، وأعتقد أن بنى كعب ما كانوا أداة فى يد فارس عند استيلائهم على البصرة وإنما كانوا حلفاءهم ، بعد أن عجز الفرس عن إخضاعهم ، راجع : Wilson : The Persian Gulf, pp. 186-187 .

شط العرب المحاذية لإمارتهم ، ووصلوا إلى حدود البصرة [١] ، وظلوا مصدر إزعاج لها طيلة حكمهم — مستغلين ضعف الوالى .

والواقع أن مولد الأسطول البحرى لبنى كعب كان حدثاً تاريخياً بارزاً من أحداث الخليج العربى ، فقد لعب دوراً رئيسياً فى مياهه الدافئة وعُدّ واحداً من الأحلاف القوية التى قامت فى الخليج [٢] ، إلى جانب قوة القواسم [٣] فى ساحل عمان ؛ وكانا قد وقفا معاً فى حربهم ضد المقاومة الفارسية العثمانية البريطانية المشتركة فانتصروا عليها [٤] . وتمكن بنو كعب أن يكونوا سادة الخليج فى قسمه الشمالى ، كما كان القواسم سادته فى القسم الجنوبى ، فأصبح الخليج آنئذ منطقة نفوذ عربية .

لقد وصف الذين كتبوا عن كعب — لا سيما المؤرخون الإنكليز — والقبائل الأخرى التى سيطرت على أوجه النشاط البحرى فى الخليج بالقرصنة ، وهذا حكم يحتاج إلى بعض التروى ، إذ أن المدّ القبلى ، الذى طفح فى جزيرة العرب ، دفع هؤلاء وغيرهم إلى السواحل بعد أن عجزت الأرض عن إعالتهم ،

(١) عبد الأمير محمد أمين — القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر : ٤١.

(٢) Longrigg, : Op. cit., p. 31-39. 108-122.

(٣) القواسم من القوى البحرية التى أحرزت شهرة عظيمة فى الحروب البحرية ، نزلوا ساحل عمان فى النصف الثانى من القرن السابع عشر ، وهم من قبيلة عربية تعود بأوصالها إلى عدنان وبواطنها إلى سامراء بالعراق ، وتم لهم الاستقرار فى وطنهم الجديد فأظهروا قوة متفوقة فى القرن الثامن عشر ، واتخذوا من رأس الخيمة مركزاً لهم ، وقد تحالفت كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا ضدهم ، واستطاعت إنكلترا السيطرة أخيراً على مناطقهم سنة ١٨١٩ م ، وأجبرتهم على توقيع معاهدة سنة ١٨٢٠ ، التى بموجبها أقيمت مشيخات الساحل المهادن السبع انظر ، : سيد نوفل — الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة — ج ٢ : ٥١ — ٥٧ ، وصلاح العقاد — التيارات السياسية فى الخليج العربى : ٩٦ — ١١٤ ، ويذكر فى حاشية ص ٩٨ : أن وثائق بمباى تفيض بأخبار القواسم ومغامراتها البحرية ، كذلك يمكن الرجوع إلى تقرير مطول فى مختارات بمباى المنشورة (p. 290-359):-
Selection from the records of the Government of Bombay No. 24, Bombay 1856.
راجع أيضاً : Miles, S.B.:The Countries and Tribes of the Persian Gulf, Vol. II, p. 269

(٤) سيد نوفل — ج ٢ : ٩١ .

وكان على رأس ذلك المدّ بنو كعب ، الذين استعملوا بادئ الأمر سفناً صغيرة فى استخراج اللؤلؤ وفى صيد الأسماك ، كما استعملوها فى نقل التجارة بين سواحل الخليج الأخرى والهند ، ولكن منطقة بنى كعب كانت الطريق الوسطى بين طرق التجارة الشرقية التى تمر بين عالم المحيط الهندى وعالم البحر المتوسط فلم تترك وشأنها ، إذ جاءتهم السفن الأوربية الكبيرة لتنافسهم فى أرزاقهم وتجارتهم ، فاضطروا إلى استعمال صورة مشابهة لما كان يقع بين القبائل من مشاحنات فى البر تحولت عند سيطرتهم على البحر إلى حروب بحرية ، فكانوا يشنون هجمات موفقة على السفن الأوربية ، وقد مارست كل من البرتغال وهولندا وفرنسا وإنكلترا هذا الأسلوب إلا أنهم وصفوها بكونها حروباً بحرية تتم لحساب دولهم [١] ، ولما كانت القبيلة يمكن اعتبارها وحدة سياسية رسمية فى تلك البيئة ؛ فلذا يصح أن تطلق على تلك المغامرات العربية اسم الحروب البحرية أيضاً ، وغايتها منع الأوربيين وعدم السماح لهم بارتياد مناطق النفوذ العربية فى الخليج .

وقد شهد الخليج العربى نشاطاً كبيراً لبنى كعب أيام إمارة الشيخ سلمان ابن سلطان (١٧٣٧ — ١٧٦٧) — الذى يعد أعظم من تولى الإمارة فى القرن الثامن عشر — فازدهرت عربستان فى حكمه ازدهاراً لم تبلغ مثله من قبل ، إذ اهتم بتشجيع الزراعة والتجارة فى كل المناطق التى تحت سيطرته [٢] ، وقد وصف بالشجاعة والذكاء ، واستعان بالخبراء العمانيين فعزز أسطول الإمارة ووسعه حتى أصبح يضاهى فى القوة الأسطول العثمانى فى الخليج [٣] ، ففرض الضرائب على السفن المارة شمال الخليج دون استثناء وحمى المنطقة بالقوة . وتمكن من نشر سلطانه على كافة الموانئ الممتدة من جزيرة عبادان إلى قرب

(١) صلاح العقاد — التيارات السياسية : ٩٦ — ٩٧ .

(٢) Curzon, : Op. cit., Vol. 2, p. 323.

(٣) عبد الكريم غرايبة : ١٥٣ .

مدينة بوشهر وعلى سواحل عمان فى الخليج العربى [١] . ولم تتخلص حكومة البصرة من إرهابه فاضطر متسلمها (على بك) إلى مصالحته سنة ١٧٦١ [٢] وهابته شركة الهند الشرقية ، وقد كان الشيخ سلمان على جانب كبير من الدهاء والحزم ، فأظهر مقدرة فائقة على الحكم ، وقد صادف فى أيامه أن زار عربستان الرحالة الدانمركى كارستن نيبور [٣]؛ فترك لنا وصفاً دقيقاً عن استقلاله الذاتى فى المنطقة ودبلوماسيته فذكر : « أنه لم يكن يدفع شيئاً إلى كريم خان ، فإذا طالبه اعتذر شاكياً عدم قابليته على الدفع ومعللاً ذلك بتقاضى الأتراك الأموال الطائلة منه . أما إذا طلب باشا بغداد الرسوم منه فإنه يشكو أمر الفرس معه . وكان يعرف جيداً كيف يجتذب إلى جانبه أنبل أعيان البصرة . وبذلك استطاع أن يضم قراها إليه الواحدة تلو الأخرى مقابل واردات يؤديها بسخاء إلى متسلمها . وكان يتقاضى رسوما كمركية لا بأس بها من السفن القادمة إلى البصرة وعليها أن تشترى تمراً منه عند عودتها إلى وطنها » [٤] .

وبلغ من قوة الشيخ سلمان ما أقلق الأتراك (متسلم البصرة وباشا بغداد) والفرس (كريم خان الزندى) والإنكليز (شركة الهند الشرقية) فحاربوه منفردين فلم يفلحوا . فقد جرد كريم خان حملته عليه سنة ١٧٥٧ لكسر شوكة ذلك النفوذ العربى فى عربستان وضمها إلى السيادة الفارسية، إلا أن هذه

(١) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ١ : ٤٩ .

(٢) رسول الكركوكلى — دوحة الوزراء : ١٣٣ — ١٣٥ .

(٣) يعتبر نيبور نموذجاً كاملا للرائد العالم ذى النزعة الإنسانية ، أرسله ملك الدانمارك فى بعثة علمية سنة ١٧٦٢ مكونة من خمسة أعضاء للتجوال فى الشرق العربى والاطلاع على معالمه ، وشاءت الأقدار ألا يعود من هؤلاء سوى نيبور المهندس المكلف بتدوين المعلومات الجغرافية ، وملاحظاته تستوقف القارئ العربى ، إذ أنه يدون مشاهداته عن سكان الساحل الشرقى للخليج العربى؛ فيراه خاضعاً للعرب لا للفرس ويسوق فى معرض حديثه فزع ملوك الفرس من النفوذ العربى فى تلك السواحل : Niebuhr : *Op, sit.,*

(٤) مشاهدات نيبور فى رحلته من البصرة إلى الحلة : ٣٥ — ٣٦ .

الحملة لم تنجح فى مهمتها [١] . كما أن الأتراك تراجعوا أمام قوته ، فعندئذ حاربوه متحالفين سنة ١٧٦٥ ، وكانت دوافعهم متباينة : — فقد حاربه كريم خان الزندى لنزعته التوسعية — كأسلافه — فكان يرمى دائماً إلى ضم العراق — موطن أئمة الشيعة — إليه لا عربستان — حلقة الوصل بينه وبين العراق — وحدها . وقد حاربه العثمانيون لأنهم شعروا بالضعف أمامه فلم يتقاضوا منه الرسوم التى كان يدفعها أمراء المنطقة من قبل ، وكان قد هددهم بالسيادة على شط العرب — منفذ العراق إلى الخليج — . أما الإنكليز فحاربوه لتهديده مصالحهم التجارية المتمثلة فى شركة الهند الشرقية [٢] والتى حولت مقرها منذ عام ١٧٦٣ من بندر عباس إلى البصرة [٣] وتحولت — بالرغم من احتفاظها بطابعها التجارى — إلى مؤسسة سياسية ، واستطاعت الحصول على براءة قنصلية من السلطان العثمانى اعترف بموجبها بوكيل شركة الهند الشرقية قنصلا إنكليزياً فى البصرة ، وقد كانت لهذه البراءة أهمية سياسية ، إذ استغل ممثل الشركة ضعف الأتراك فى البصرة وتزايد قوة كعب فكانت البصرة بين سنتى ١٧٦٣ — ١٧٧٣ تعتمد اعتماداً كلياً فى حمايتها من أسطول كعب على أسطول شركة الهند الشرقية [٤] .

ولكن الشيخ سلمان استطاع أن يشتت أساطيل المتحالفين [٥] . فلم يستطع

(١) سليم طه التكريتى — الصراع على الخليج العربى : ٧٦ ، محمود على الداود — أحاديث عن الخليج العربى : ١٦ .

(٢) لقد وضع أرنولد ولسن دراسة حول ارتباط شركة الهند الشرقية والحكومة البريطانية بشط العرب وعربستان منذ سنة ١٦٠٠ حتى أوائل القرن العشرين . انظر :

Wilson : South-west Persia, p. 128.

(٣) Kirk : A Short History of the Middle East, p. 106.

(٤) مجلة كلية الآداب — بغداد ، العدد (٦) سنة ١٩٦٣ — التنافس بين الشركات الإنكليزية فى منطقة الخليج العربى — عبد الأمير محمد أمين : ٢١٢ ، ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٥) Wilson : The Persian Gulf, p. 186-187.

Longrigg : *Op cit.* p. 173-179.

الأتراك التصدى له بصورة فعالة ، فاضطروا إلى مصالحته . وزحف إليه كريم خان بجيش كبير ، ولكن احتماء الشيخ سلمان بمناطق الأهوار والجزر التى تكتنف إمارته لم يمكن كريم خان من اللحاق به بسبب فقدان وسائل المواصلات فاضطر إلى الانسحاب [١] ، بعد أن خرب السدود ومشاريع الرى التى بناها العرب على ضفاف نهر كارون [٢] . وتفرغ بعدئذ للإنكليز الذين لعبوا دوراً فعالاً فى مساعدة سلطات البصرة فى نزاعها مع كعب ، فوجه إليهم الشيخ سلمان ضربته واستولى على بعض سفنهم القادمة من الهند ، واشتبك معهم بعدئذ بحرب أبدى فيها من الشجاعة والمهارة العسكرية ما أثار إعجاب أعدائه حتى بلغت شهرته أوربا [٣] . وأخيراً اضطروا إلى التراجع بعد أن غنم منهم سفناً وذخائر كبيرة ، ومنذ ذلك الوقت بدأ اهتمام الإنكليز بالمنطقة ، وفكروا فى إدخالها فى منطقة نفوذهم – كما سنرى [٤] .

إن هذه الانتصارات المتوالية قوت عزيمة قبائل كعب ، ومدت نفوذها على جميع عربستان ، ويبدو أن الكعبيين كانوا على اتصال دائم مع القبائل العربية الأخرى فى قطر والبحرين والكويت وعمان ، إلا أنه لم يحدث أن دخلت تلك القبائل مع بعضها فى حلف سياسى ، ولم نعثر على ما يؤيد عكس ذلك ، فشكل ذلك سبباً رئيسياً فى زوال السيادة العربية على الخليج بعدئذ . والحلف الرئيسى فى المنطقة – بعد وفاة الشيخ سلمان سنة ١٧٦٧ – هو دخول الكعبيين فى حلف مع كريم خان ، فأيدوه فى حملته على البصرة – وكانوا قد انصرفوا عن مضايقتها

---

(١) مشاهدات نيبور فى رحلته من البصرة إلى الحلة : ٣٦

Lorimer : Op. cit., Vol. 1, Part II pp. 1628-9.

(٢) محمود على الداود – الخليج العربى والعلاقات الدولية : جـ ١ : ٦٣ .

(٣) جاكلين بيرين – اكتشاف جزيرة العرب : ١٧٣

Ainsworth: Op. cit,, Vol. 1, p. 209.

(٤) انظر : الفصل الرابع من الرسالة .

فترة من الزمن [١] – بوساطة أخيه صادق خان . وقد بذل موظفو شركة الهند الشرقية المتحالفة من إخضاع البصرة [٢] ، وكان ذلك فى عهد المماليك فى العراق . والقيمة السياسية لهذا التحالف تكمن فى أن فارس اعترفت اعترافاً فعلياً بتلك القوى العربية وسيادتها التامة على المنطقة – وكانت قد عجزت عن إخضاعها – ولا يمكن – فى العرف السياسى – الدخول فى تحالف مع طرف آخر إذا لم يكن ذلك الطرف معترفاً بسيادته ومكانته السياسية .

ومما يلفت النظر فى الحياة السياسية للإمارة أن نزاعاً حاداً دب فى صفوف أمرائها أسفر عن انقسام – يمكن وصفه بأنه خطير – إذ حدث أن أذن رئيسها لشيخ قبيلة (البوكاسب) – أحد أفخاذ كعب – المدعو مرداو بن على بن كاسب ، بالإقامة على مصب نهر كارون ، فوضع أحد أمرائها الحاج يوسف أساس بلدة المحمرة سنة ١٨١٢ ، فكان هذا إيذاناً بانقسام بنى كعب إلى قسمين : قسم ظل فى الفلاحية [٣] (وهم البوناصر) ، وقسم انتقل إلى المحمرة [٤] (وهم البوكاسب) . إلا أن المحمرة غدت خصماً لبنى كعب – قسم الفلاحية – بدل أن تكون ظهيراً لهم [٥] . أما التى فى الفلاحية فقد انقسمت على نفسها سنة ١٨٤٩ ، وثار بينهم النزاع على الإمارة ، وشبت حرب فتكت بقوتهم

---

(١) Wilson: Precis of the Relations of the British Government with Tribes and Shaikhs of Arabstan, p. 5.

انظر أيضاً : أحمد مصطفى أبو حاكمة – محاضرات فى تاريخ شرق الجزيرة العربية فى العصور الحديثة : ١٠٢ .

(٢) على ظريف الأعظمى – مختصر تاريخ البصرة : ١٤٣ ، شاكر صابر الضابط – العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران : ٥٠ .

(٣) راجع الملحق الأول فى الرسالة للاطلاع على أمراء بنى كعب – قسم الفلاحية – حتى تلاشى إمارتهم .

(٤) عبد الفتاح إبراهيم – على طريق الهند : ١٤ ، درويش باشا – تقرير تحديد الحدود الإيرانية العثمانية : ٤ ، عبد القادر باش أعيان – تاريخ البصرة ، والشيخ خزعل هو آخر أمراء البوكاسب فى المحمرة .

(٥) أحمد الصوفى – المماليك فى العراق : ١٨٥ ، Longrigg: Op. cit., p. 129 .

اغتنمتها فارس، للتنكيل بهم إلا أنها فوضت أمرهم بالتالى للحاج جابر رئيس البوكاسب آنذاك .

النزاع الفارسى العثمانى على الإمارة :

لقد شهدت المنطقة العربية فى الشرق صراعاً دموياً عنيفاً بين الفرس والعثمانيين ، استمر من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر ، وكانت عربستان إحدى المناطق العربية التى تعرضت لذلك الصراع . ومما يميز هذه الفترة من تاريخ العراق العربى (القسم الجنوبى من العراق) أن إمارات عربية نشأت فيه على صعيد محلى قبلى ، فكانت إمارة آل عليان [1] (فى المدينة شمال البصرة) ، وإمارة المنتفك ، وإمارة الحويزة ، وإمارة الفلاحية (فى عربستان) ، وكان أمراؤها من العرب المحليين ، يتمتعون باستقلال ذاتى فى إماراتهم . وقد تعرضت عربستان لهجمات متوالية مباشرة من الفرس والعثمانيين ، على حد سواء ، أكثر من تلك الإمارات العربية التى تجاورها ، وتفسير ذلك يكمن فى كونها من مناطق الحدود بين الإمبراطوريتين الفارسية والعثمانية [2] ، والتى تحتل أهمية عسكرية بالنسبة لاستراتيجية الخليج العربى ، فهى تشرف على الطريق المؤدية إلى العراق من إيران ، ولذلك أدركتها كل قوة راغبة فى التوسع الإقليمى ، فإن من يسيطر على منافذها البرية والبحرية يتفوق على غيره ، فيستطيع أن يشل أطماع خصمه ومصالحه . فهى إذن بالغة الأهمية فى الدفاع والهجوم . فإلى جانب كونها تشكل حاجزاً منيعاً ضد أى هجوم على رأس

---

(١) راجع عنها : نعمة الله الجزائرى – زهر الربيع – ج ٢ : ١٢٦ – ١٢٩ .

(٢) إن النزاع الفارسى على عربستان يشبه إلى حد ما فى بعض جوانبه النزاع الفرنسى الألمانى على الألزاس واللورين، وقد خضعت هاتان المقاطعتان– باعتبارهما من مناطق الحدود – لفرنسا تارة ولألمانيا «أخرى فى أثناء النزاع الطويل بين الدولتين وقاسى السكان كثيراً من ألوان الاضطهاد، فتعرضوا لموجات متتابعة من الضغط لمحاولة صبغهم بالصبغة الألمانية حيناً آخر . انظر : دولت صادق وآخرين – الجغرافية السياسية : ٢٥ .

الخليج – بسبب محاذاتها إلى خط الدفاع الطبيعى المتمثل بجبال كردستان والبختيارية – ، فإن من يمتلك مشارفها تعطيه زمام المبادرة بالهجوم والقوة فى الدفاع . والواقع أن الدولتين – خلال سلسلة الحروب الطويلة بينهما – لم تستطيعا الاحتفاظ بنفوذهما فى المنطقة ، فكان اسمياً فى الغالب ، ويبدو أن النزاع الفارسى العثمانى هذا لا يخلو من جوانب إيجابية ، فلولا الصراع الرهيب الذى فرضه العثمانيون على المنطقة ضد الفرس ، ولولا بسط حمايتهم على الإمارة فى فترات منقطعة غير قصيرة لما كانت عربستان حتى الآن عربية ، ولكانت حتماً منذ زمن بعيد جزءاً منصهراً فى فارس ، فعروبة المنطقة مدينة بلا شك إلى ذلك النزاع الذى فرضه العثمانيون على عربستان ، فكان من ثماره أن نعم العرب بالاستقلال الذاتى فى منطقتهم ، واحتفظوا بمقوماتهم الأساسية ، وكانت النتيجة الحتمية للنزاع العسكرى الفارسى العثمانى [1] على الإمارة أن يصاحبه صراع سياسى ، فاشتد الخلاف بين الفريقين حول تبعية رعايا المنطقة . وقد شهد القرنان الثامن عشر والتاسع عشر تردى العلاقات بينهما ، وقد وضعت مشروعات متعددة حول تحديد تلك التبعية ، فقد وضع لايارد البريطانى مشروعاً جعل فيه المحمرة وسكانها تابعين للدولة العثمانية ، واعتبر نهر بهمشير المنفذ المائى الوحيد للفرس على الخليج العربى [2] . أما هنرى مور – وكيل شركة الهند الشرقية فى البصرة – فقد رأى « أن بنى كعب هم رعايا عثمانيون فى الأصل . وقد سكنوا لسنين طويلة أراضى واسعة ضمن حدود الإمبراطورية العثمانية المحاذية للإمبراطورية الفارسية ، ودفعوا فى بعض السنين مبالغ كبيرة من المال إلى خزينة باشا بغداد لقاء سكناهم الأراضى العثمانية ، وبعد سنين

---

(١) للاطلاع على بعض أوجه هذا النزاع ، راجع : ريجارد كوك – بغداد مدينة السلام – ج ٢ ترجمة : مصطفى جواد ، وفؤاد جميل .

Kirk: A Short History of the Middle East, Chapter III.

(٢) Layard, A.H. : "A Description of the Province of Khuzistan", Journal of the Royal Geografic Society, Vol. XVI (16) pp. 1-105.

من وفاة نادرشاه أخذ بنو كعب فى امتلاك أراضى جديدة ضمن الإمبراطورية الفارسية ، ولهذا أصبحوا رعايا لكلا الدولتين العثمانية والفارسية »[١] . ويؤكد الكولونيل رولنسون — الذى شغل منصب قنصل بريطانيا فى بغداد — فى مذكرة حول النزاع بين الدولة العثمانية وفارس ، ما ذهب إليه مور ، من أن بنى كعب كانوا رعايا عثمانيين فى الأصل[٢] .

وهكذا تباينت الآراء ، فكان الادعاء العثمانى يستند إلى أن بنى كعب عند قدومهم من نجد بادر ولاة بغداد والبصرة[٣] بإسكانهم فى المحل المسمى (السابلة) الذى يبعد مسافة ثلاث ساعات إلى الجهة الشرقية من المحمرة ، وهناك سندات فى طابو البصرة تؤيد ملكية تلك الأراضى للدولة العثمانية وقد صدرت بها فرمانات سلطانية متعددة ، كما أن الأراضى الواقعة فى الجانب الشرقى من المحمرة تابعة لأشخاص تبعيتهم عثمانية كانوا يدفعون الضرائب لخزينة البصرة ، وقد دفعوها لداود باشا[٤] . زد على ذلك أن المنطقة سبق أن قدمت ولاءها للسلطان العثمانى عند فتحة العراق[٥] — متمثلة بأمير الحويزة العربى الذى أقره السلطان فى منصبه — إضافة إلى أن معاهدة أمير أشرف

---

(١) Letter from Henry Moore to London, dated April 9, 1767.
مصدره : عبد الأمير محمد أمين — القوى البحرية : ٥٥ .

(٢) Rowlinson, H.C.: Memorandum on the Dispute between Turkey and Persia, (1855-1857).
وفى كتابات رولنسون توجد تقييدات فى ذكر المحمرة وعرب كعب ، وهى مطبوعة فى مذكرات الجمعية الملكية فى الهند ، وقد نشرها فى سلسلة المقالات .

(٣) من المعروف أن حاكم البصرة إفراسياب عمل على إسكانهم فى قبان وخصهم بعربستان ، لأنهم كانوا من أنصاره ، لأنه أراد أن يحفظ بهم حدود البصرة من عائلة الهجوم الفارسى فوفوا له ، وظلوا تحت حكم ولاة البصرة أكثر من قرن . انظر : فتح الله الكعبى — زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر : ١٧ ، محسن حسن آل الطالقانى — فى مقدمة لديوان الكعبى : ٥٤ .

(٤) درويش باشا — تقرير تحديد الحدود الإيرانية العثمانية : ٣ — ٥ .

(٥) عبد الكريم محمود غرايبة : ١٠٦ .

لسنة ١١٤٠هـ — ١٧٢٧م ، المعقودة بين الدولة العثمانية وفارس ، نصت على : دخول منطقة الحويزة (عربستان) تحت نفوذ الدولة العثمانية[١] . وقد سوغوا استقلال الإمارة الإدارى عنهم بأنهم اتبعوا أسلوباً خاصاً مع الفئات غير التركية ، فأبقوا من النفوذ لها — وبخاصة من يصعب الاتصال بهم — ومن هؤلاء رؤساء القبائل فى أسفل العراق[٢] . أما الادعاء الفارسى فيأتى من أن توسع العرب فى المنطقة شمل أماكن كان الفرس يدعون حق السيادة عليها ، إضافة إلى أن شيوخ عربستان لم يعلنوا استقلالهم تماماً عن فارس ، ويستدلون على ذلك بأن بعضاً من أولئك الشيوخ أعلنوا ولاءهم فى عدة مناسبات للحكومة الفارسية[٣] ، وكانوا يدفعون لها فى أحايين كثيرة ضريبة سنوية ، أما الأواصر المذهبية فلا تقل أهمية عن الروابط السياسية من وجهة النظر الفارسية . ولما كانت حكومة طهران حامية المذهب الشيعى ، فلا يمكن أن تترك عربستان الشيعية تحت نفوذ الدولة العثمانية السنية فى فترة كان التعصب المذهبى على أشده وقد لعب دوراً رئيسياً فى السياسة[٤] ، لذا وصف النزاع العثمانى الفارسى بأنه نزاع مذهبى[٥] أكثر من كونه نزاعاً سياسياً[٦] .

---

(١) شاكر صابر الضابط : ٤٠ ، وقد نصت المادة السابعة منها على « أن منطقة الحويزة — لقربها من البصرة .. قررت الدولة العثمانية احتلالها وتتعهد الدولة الفارسية بعدم التدخل عند قيام الدولة العثمانية باحتلالها » . راجع : المصدر السابق ٤١ ، رسول الكركوكلى — دوحة الوزراء : ٢٤.

(٢) Kirk: A Short History of the Middle East, p. 91.

(٣) لقد اتبع الفرس سياسة خاصة فى عربستان — وفى معظم مناطق الحدود — خلال أزمة الصراع الطويل على عربستان ، فكانوا يدفعون بالحكام الذين يتعرضون لضغط من جانب الحكومة العثمانية إلى إعلان الولاء للشاه ويعقبه دخول الجيوش الفارسية الأراضى العربية .

(٤) إبراهيم شريف — الشرق الأوسط : ٣٠ ، محمد أنيس — الدولة العثمانية والشرق العربى : ١٠٦ — ١٠٧ .

(٥) محمد شفيق غربال — منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية : ١٢٤.

(٦) لقد طلب نادرشاه من الدولة العثمانية سنة ١٧٤٣ : أن تعترف بالمذهب الشيعى وتعده مذهبا خامساً وتخصص له ركناً فى الكعبة ، إلا أن الدولة العثمانية رفضت طلبه ، فاتخذ ذلك الرفض =

وهكذا تحملت عربستان عبء الادعاء العثمانى والفارسى ، وعُدَّ أبناؤها رعايا لكلتا الدولتين فى آن واحد ، فنادى الفرسُ وباشوات العراق بحق السيادة عليها ، وطالب كل فريق منهما بدفع ضريبة سنوية كاعتراف بالتبعية . ولكن شيوخ عربستان استغلوا هذه الخلافات فضربوا فريقاً بآخر ، وحافظوا على استقلالهم ، كما فسحت لهم هذه الفرصة من الخلافات المجال للتوسع فى المنطقة ، وسيطروا سيطرة كاملة على ربوع منطقتهم ووطدوا نفوذهم فى شط العرب ، واحتلوا الكثير من القرى وبساتين النخيل والجزر هناك ، حتى وصلوا إلى البصرة وأخضعوا الملاحة فى شط العرب لهم . وقد تعرضوا لهجمات الفرس المتواصلة وتهديداتهم المستمرة ، إلا أن فارس لم تستطع أن تمارس سيادتها الكاملة على عربستان [١] ، لأنها لم تكن تملك القوة التى يمكن أن تفرض بها تلك السيادة . فحين تعرض الشيخ غيث بن غضبان (١٨١٢–١٨٢٩) – أحد شيوخ بنى كعب – إلى ضغط فارسى نلاحظ أنه طلب إلى سلطان مسقط وعمان – سعيد بن سلطان – إرسال قوات عسكرية وبحرية لغرض وقف الضغط الفارسى على استقلاله [٢] ، فكفّت فارس مرغمة عن ذلك . أما سلطات البصرة فقد أظهرت عجزاً تاماً فى مواجهة قوتهم النامية ، فاستعان متسلمها – عزيز أغا – بالشيخ جابر الصباح – شيخ الكويت – لوقف غاراتهم المستمرة عليه فكان الهجوم على المحمرة وعبادان سنة ١٨٢٧ الذى استطاع الكويتيون فيه الاستيلاء على قرية البريم (عبادان) وأخذ جميع التمور التى كانت هناك . وقد انتهت الحرب بالصلح بعد مفاوضات بين الشيخ غيث والوالى داود باشا [٣] ،

= ذريعة للحرب ، فكانت حرباً ضروساً بينهما . انظر : على ظريف الأعظمى – تاريخ الدول الفارسية فى العراق : ١١٣ .

(١) العزاوى : بين احتلالين – ج ٧ : ٣٩ .

(٢) الداود – أحاديث عن الخليج العربى : ١٧ .

(٣) حسين الشيخ خزعل – تاريخ الكويت السياسى – ج ١ : ٧٨ – ٨١ .

فإن السلطات العثمانية فى البصرة أخذت – مضطرة – تشترى رضاهم بالسكوت والتغاضى والمال .

وقد ازدادت أهمية عربستان شأناً بعد تشييد مدينة المحمرة عام ١٨١٢ ، فصارت ميناء تجارياً مهماً ، ترسو به السفن القادمة إلى إيران والكويت وغيرهما . وأخذت تنافس البصرة [٢] – الميناء الوحيد للعراق على شط العرب .

إن منافسة المحمرة للبصرة والعمل على فض النزاع على تبعيتها وتأكيد السيادة العثمانية عليها ، وتعرض البصرة باستمرار لغارات بنى كعب [٢] – كان آخرها تلك التى حدثت إثر عزل داود باشا آخر ولاة المماليك فى العراق – وعدم اطمئنان الدولة العثمانية لولاء الكعبيين ، دفع بالدولة العثمانية إلى احتلال المحمرة احتلالاً عسكرياً ، لا سيما أن الشاه الفارسى فى ذلك الوقت كان مشغولاً بمحاصرة مدينة هراة بإيران [٣] ، فاستغل على رضا باشا اللاز [٤] الفرصة مدفوعاً بتحريضات فونتانييه (Fontanier) قنصل فرنسا المتجول [٥] الذى دفعه إلى الاستيلاء على المحمرة قبل أن يسبقه إليها الإنكليز ، إذ كانت المحمرة أحد الميادين التى التهبت فيها هذه المنافسات البريطانية – الفرنسية . وقد وجد على رضا فى فونتانييه مستشاراً سياسياً وعسكرياً خلال عمليات الحملة ، إذ أمده بالخرائط اللازمة ، وكتب له أسماء المواقع باللغة التركية ليكون من السهل

(١) أحمد كسروى : ١٨١ .

(٢) عبد الواحد باش أعيان – ج ١١ : ٣٤٨ .

(٣) أحمد كسروى : ١٨٢ .

(٤) هو على رضا باشا اللاز الطربزونى من وزراء الدولة العثمانية ، كان يتنقل فى وظائف الدولة حتى وجهت إليه رتبة الوزارة وولاية حلب . قضى على داود باشا فى العراق وتولى على إثرها ولاية بغداد (١٨٣١ – ١٨٤١) ثم نقل إلى ولاية دمشق وفيها كانت وفاته . انظر : المدنى – خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق : ٢ – ٣ .

(٥) عينُ بعد القضاء على المماليك فى العراق قنصلا لفرنسا فى البصرة وقد لعب دوراً مهماً فى تبصير حكومته عن أحوال العراق وعربستان وأوضاعهما العامة ومدى تقدم النفوذ الإنكليزى فيهما .

عليه أن يدير المعركة (١) . فتوجه إلى البصرة بحملة قادها بنفسه سنة ١٨٣٧ ، يشاركه فيها بعض العشائر العربية ، كما التحق به فى البصرة الشيخ جابر الصباح – شيخ الكويت – مع قواته وتوجهوا إلى المحمرة حيث هاجموها بقوتهم البرية والنهرية (٢) ، وبعد قتال استمر ثلاثة أيام ، تم لعلى رضا باشا الاستيلاء على المدينة بعد أن انسحبت قوات الحاج جابر بن مرداو – شيخ المحمرة آنذاك – منها ، فدك حصونها وهدم دورها وقتل من أهلها خلقا كثيراً .

ولم تسلم من يده الفلاحية – حاضرة بنى كعب – فتعرض لها ، مما اضطر شيخها ثامر بن غضبان (١٨٣٢ – ١٨٣٧) على تركها إلى هنديان ، ونصب على إمارة كعب بدله عبد الرضا بن بركات (٣) .

أما المحمرة فالملاحظ أنه تركها دون أن يعين عليها حاكماً عثمانياً ، كما أنه لم ينظم إدارتها أو يربطها بالبصرة، وهذا ما حدا بالبعض أن يوجه اللوم له

---

(١) Fontanier : Voyage dans L'Inde et dans le Golf Persique par L'Egypte et le Mer Rouge, I. pp. 374-375.

نقلا عن : عبد العزيز نوار – تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا : ٧٥ – ٧٦ .

(٢) محسن الأمين – أعيان الشيعة – ج ١٥ : ١٩٣ – ١٩٥ ، يوسف القناعى – صفحات من تاريخ الكويت : ١٥ – ١٦ ، محمد خليفة النبهانى – التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية – ج ٩ : ٣١٤ .

(٣) العزاوى – تاريخ العراق بين احتلالين – ج ٧ : ٣٨ ، Longrigg: Op. cit., p. 265

وفى ديوان عبد الباقى العمرى – الشاعر العراقى المعروف – قصيدة طويلة يصف فيها احتلال المحمرة بصورة دقيقة وكان قد رافق الحملة مع على رضا باشا ، ومن أبيات قصيدته :

على رضا بالسيف حكم عبــده ... فقيل له عبد الرضا حين أمــره

وطابت له سكنى فلاحيه الهنـا ... وقد حاز من رستاق ثامر أكثره

وفر لنحو الهنديــان وقومــه ... لعبد الرضا انحازت وكرت مقهقره

ومن أراد التفاصيل لتلك الأحداث وما بعدها (لاسيما فترة ١٨٤١ – ١٨٤٧) يمكن الرجوع إلى مراسلات الممثلين البريطانيين الذين عملوا فى المنطقة إلى حكوماتهم ، وفى مكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس مجموعة من هذه المكاتبات ، وأخص بالذكر :

Rawlinson, Wellesly, Kenball, Taylor, Sheil

ويفسر حملته على أنها غزو ونهب وعودة (١) . وعكف بعدئذ راجعاً إلى الكويت برفقة الشيخ جابر الصباح الذى ساعده على توطيد نفوذه فى عربستان وتخليص البصرة من بنى كعب (٢) .

ولم تقدر لإجراءات على رضا باشا أن تدوم طويلا فى عربستان ، فسرعان ما رجع الحاج جابر إلى المحمرة ، ومنها عقد العزم لمقابلة على رضا فى الكويت ، فتمت المقابلة وتفاهما على تولى الحاج جابر شئون المحمرة ، دون أن تتعرض له الدولة العثمانية فى المستقبل وقبل منه ولاء رمزياً .

من دراستنا السابقة يتضح لنا أن شيوخ عربستان رفضوا على الدوام النزول عن سيادتهم لكل من فارس والدولة العثمانية ، كما يتبين لنا أن علاقة الإقليم كانت أوثق مع العراق – لا سيما البصرة – منها مع فارس . والعوامل الجغرافية والتاريخية والبشرية تكون قوة دافعة للتمازج الوثيق بينهما ، فجهات شط العرب الشرقية مفتوحة إلى العراق ، أما مع فارس فهناك جبال شاهقة تشكل سداً منيعاً يصعب اجتيازه (٣) . أما الصلات العشائرية بين بنى كعب العراق وبنى كعب عربستان ، فلا يمكن التغاضى عنها والتقليل من قيمتها ، فهى رابطة دم وعرق ونسب ولغة ومصير وكيان (٤) ، فلا غرابة أن يحصل هناك تداخل اجتماعى واقتصادى بين البصرة وعربستان ، كان من مظاهره التصاهر بين أهل المنطقتين ، فارتبطوا بوشائج القرابة المتينة ، وصار من المستحيل فصلهم بعضهم عن بعض ، كما امتلاك كثيرون من أهالى البصرة الإقطاعيات الواسعة فى أراضى عربستان وكانوا يؤدون خراجها إلى الدولة العليا العثمانية (٥) ،

---

(١) العزاوى – المصدر السابق : ٤٠ .

(٢) جمال زكريا قاسم – الخليج العربى : ٢٠ .

(٣) Sykes : History of Persia, Vol. II, p. 366.

(٤) عبد الكريم الندوانى – تاريخ العمارة وعشائرها : ٧٢ .

(٥) عبد الواحد باش أعيان – ج ١١ : ٣٤٣ ، ويذكر أن أكثر أهالى البصرة ملكاً للأراضى فى عربستان هو بيت الكواوزة (أسرة آل باش أعيان العباسيين فى البصرة) .

وهذا يفسّر لنا كيف اعتبرت منطقة عربستان من سواد العراق[١] ودخلت ضمن حدود البصرة[٢] .

معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧ :

بعد الاحتلال العثمانى للإمارة ، تدخلت فارس فى الأمر خوفاً من تطويقها بالقوات العثمانية من الجنوب والغرب ؛ فبادرت بالاحتجاج وأرسلت منوجهر خان (معتمد الدولة حاكم فارس) إلى عربستان متذرعاً بحجج شتى ؛ منها عدم إرسال الشيخ ثامر مواد غذائية لجيشه ، ومنها أن الشيخ ثامر امتنع عن تسليم محمد تقى خان رئيس قبائل البختيارية الذى أعلن العصيان على الدولة القاجارية عندما التجأ إليه ، فما كان من معتمد الدولة إلا احتلال عربستان (١٨٤٠ — ١٨٤٢) ، فهرب الشيخ ثامر إلى الكويت . وقد أقر منوجهرخان عبد الرضا ابن بركات أميراً على كعب بادئ الأمر إلا أنه عاد فأصدر أمراً بتولية المولى فرج الله المشعشعى الفلاحية[٣] . ولما رفضت السلطات العثمانية تسليم الشيخ ثامر له ضغط على بنى لام فاضطروا إلى الفرار داخل الأراضى العثمانية ، كما هبطت عشائر الفيلية الفارسية من جبالها منقضة على مضارب بنى لام[٤] . إضافة إلى ذلك طالبت فارس يؤيدها الحاج جابر شيخ المحمرة — بالتعويض عن الخسائر التى ألحقها الجيش العثمانى بالإمارة ، فبات من الضرورى أن تقرر الدولتان إجراء مباحثات جديدة[٥] ، وكانتا قد أعياهما النزاع

(١) Wilson, The Persian Gulf — p. 42.

(٢) فصيح الحيدرى — أحوال البصرة : ٢٧ .

(٣) على نعمة الحلو — تاريخ إمارة كعب العربية : ٩٢ — ٩٦ .

(٤) عبد العزيز نوار — تاريخ العراق الحديث : ٣٣٢ .

(٥) لقد عقدت الدولتان الفارسية والعثمانية سلسلة من المعاهدات بشأن الحدود بينهما ، أهمها معاهدة قصر شيرين الموقعة فى عهد السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٩ (وقد اعترفت الدولة الصفوية بعائدية العراق نهائياً للدولة العثمانية) ، ومعاهدة أمير أشرف سنة ١٧٢٧ (وبموجبها دخلت منطقة=

الطويل لا سيما أن إنكلترا — الطامعة بأملاك الدولة العثمانية — وروسيا — التى تقف بجانب الفرس — قد تدخلتا فى الأمر ، وضغطتا على الدولتين المتنازعتين لقبول وساطتيهما لحسم ما بينهما من خلاف بلغ حداً خطيراً سنة ١٨٤٢ على إثر تولية نجيب باشا (١٨٤٢ — ١٨٤٧) ولاية بغداد وكان يصر على أن يكافح من أجل فرض السيادة العثمانية على كل جزء من الأجزاء المشكوك فى ولائها للسلطان ، وقد أخذ يهدد فارس بالشيخ ثامر الذى التجأ للعثمانيين فكان رد الفعل الفارسى المطالبة بعربستان حتى القرنة[١] وكادت معركة عنيفة تقع بين الطرفين لولا تدخل روسيا وإنكلترا فى أمر تشكيل لجنة رباعية لحسم الخلاف[٢] ، فوضعت بريطانيا مشاريع الحدود بين الدولتين — كما رأينا — كان نصيبها الرفض من الجانب الروسى[٣] ، فكان موقف بريطانيا من ذلك بعدئذ أن امتنع أبردين من ضم عربستان إلى فارس ذلك لأن بريطانيا أصبحت تسعى إلى فتح منطقة كارون للمشروعات التجارية والملاحية[٤] . وبعد عدة اجتماعات مطولة — استمرت أكثر من ثلاث سنوات — لأطراف النزاع ،

= الحويزة تحت نفوذ الدولة العثمانية) ، ومعاهدة نادر شاه سنة ١٧٤٦ (وهى تأكيد لمعاهدة سنة ١٦٣٩) ، ومعاهدة أرضروم الأولى سنة ١٨٢٣ (وقد اعتبرت من الوثائق المهمة فى حينها ، إلا أنها لم تحسم الخلاف بصورة نهائية ، وبقى كثير من الأمور معلقاً وعلى الأخص مشكلة عربستان) . انظر : نصوص المعاهدات فى : شاكر صابر الضابط — العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران : ٢٩ — ٦٢ .

(١) عبد العزيز نوار — تاريخ العراق الحديث : ٣٣٣ .

(٢) جريدة البلد - العدد ٢٥٤ — آذار (مارس) سنة ١٩٦٥ — عربستان ، صلاح العقاد — الاستعمار فى الخليج الفارسى : ١٥٨ ، محمود الدرة — القضية الكردية : ٦٤ — ٦٥ .

(٣) المصدر السابق : ٦٥ ، إذ أن روسيا تطمع فى أن تفتح منطقة كارون وجنوب غربى فارس لنفوذها كى تصل إلى البحار الدافئة .

(٤) Lorimer : *Op. cit.*, Vol. 1, Part 1, p. 1375

نظراً لما كانت عليه منطقة عربستان من أهمية للمشروعات البريطانية التجارية ولخطوط المواصلات ، عنى تيلر (القنصل البريطانى فى بغداد) بإبلاغ سفير بريطانيا بالآستانة تطورات الموقف فى عربستان إلا أن حقيقة الأوضاع فى المنطقة كان أمراً صعباً للغاية .

تعرضت خلالها أعمال المؤتمر إلى التوقف بسبب هجوم قوات نجيب باشا على كربلاء سنة ١٨٤٣ ، فاستغل الفرس ذلك سياسياً على مائدة المفاوضات (١) ، ومما طالبوا به دفع تعويضات الخسائر التى لحقت بعربستان خلال احتلال على رضا المحمرة ، فكان رد السلطان على ذلك المطالبة بانسحاب الفرس من المحمرة . وهكذا اشتدت الأزمة وأرسلت الدولة العثمانية سفينة حربية سنة ١٨٤٦ إلى كارون لغرض تحويل تجارة المحمرة إلى البصرة بعد أن كادت تجارة البصرة أن تتلاشى . وأخذت هذه السفينة ترغم القوارب المتجهة إلى المحمرة بالمرور على البصرة لدفع الرسوم الكمركية ثم السماح لها بالرسو فى المحمرة ، فاعترضت فارس على هذا الإجراء وأيدتها بريطانيا (٢) ، فاضطرت الدولة العثمانية أخيراً إلى سحبها . وأخيراً لما وجدت أطراف النزاع أن مشكلات الحدود ستحتاج إلى وقت طويل ، فضلت عقد معاهدة تنص على حل بعض المشكلات القائمة وأن يترك البعض الآخر للدراسة ، فكانت معاهدة أرضروم الثانية فى ٣١ أيار (مايو) سنة ١٨٤٧ أيام السلطان العثمانى عبد المجيد والشاه الفارسى محمد . وتحتوى المعاهدة على تسع مواد ، وقد غيرت كثيراً فى حدود المنطقة ، إذ نصت المادة الثانية منها على أن :

(تتنازل الحكومة الفارسية عن كل ما لها من ادعاءات فى مدينة السليمانية)
(ومنطقتها « شهرزور » وتتعهد رسمياً بأن لا تتدخل فى سيادة الحكومة)
(العثمانية على تلك المنطقة أو تتجاوز عليها . وتعترف الحكومة العثمانية بصورة)
(رسمية بسيادة الحكومة الإيرانية التامة على مدينة المحمرة وميناءها ، وجزيرة)
(خضر « عبادان » والمرسى والأراضى الواقعة على الضفة الشرقية — أى الضفة)
(اليسرى — من شط العرب التى تحت تصرف عشائر معترف بأنها تابعة لإيران ،)

(١) يبدو أن الفرس بالغوا كثيراً فى أزمة كربلاء وتقدموا بمطالب عدة إلى الدولة العثمانية . للاطلاع عليها راجع : عبد العزيز نوار — تاريخ العراق الحديث : ٣٣٧ .

(٢) Lorimer: Op. cit., pp. 1378-1380.

(وفضلا عن ذلك فللمراكب الإيرانية حق الملاحة فى شط العرب بملء الحرية)
(وذلك من مصب شط العرب فى البحر إلى نقطة اتصال حدود الفريقين) .

أما المادة الثالثة فتنص :

(لما كان الفريقان المتعاقدان قد تنازلا بهذه المعاهدة عن ادعاءاتهما الأخرى المختصة بالأراضى فإنهما يتعهدان بأن يعينا حالا قومسيرين ومهندسين بمنزلة ممثلين عنهما من أجل تقرير الحدود بين الدولتين بصورة تنطبق على أحكام المادة المتقدمة) .

أما باقى المواد فهى إقرار لما جاء فى المعاهدات السابقة من ألفة وأخوة ورعاية لحقوق الجوار ، وكانت بوجه عام تبحث فى قبائل الحدود وشئون الزوار وأمور الملاحة والتجارة (١) . وقد تم التصديق على المعاهدة بعد مخابرات سياسية لسنين عديدة (٢) .

وفى ٢٦ نيسان (أبريل) سنة ١٨٤٧ ألحقت بالمعاهدة مذكرة إيضاحية حول بعض الشروط الواردة فيها ، قدمت من الدولة العثمانية إلى السفيرين الروسى والبريطانى فى إسطنبول ، جاء فيها :

يظن الباب العالى بأن الفقرة الواردة فى المادة الثانية من مسودة المعاهدة والتى تنص على ترك مدينة المحمرة وميناءها ومرساها وجزيرة خضر لإيران لا يمكن أن تشمل أراضى الباب العالى المتضمنة خارج المدينة ولا موانيه الأخرى الواقعة فى هذا الإقليم . ويهم الباب العالى كذلك فيما يتعلق بالنص الوارد

(١) للاطلاع على النص الكامل للمعاهدة وملحقاتها والمذكرات الإيضاحية ، راجع : الملحق الثانى للرسالة .

(٢) العزاوى — تاريخ العراق بين احتلالين : ٧٩ .

فى فقرات أخرى من هذه المادة حول إمكان تقسيم العشائر التابعة فعلا لإيران ، أى إسكان نصفها الواحد فى أراض عثمانية . ونصفها الآخر فى أراض إيرانية ، أن يعلم : هل ذلك معناه أن يصبح أيضاً أقسام العشائر الموجودة فى تركيا خاضعة ؟ و بالتالى أن تترك كذلك لإيران الأراضى التى تحت تصرف تلك الأقسام ، وهل سيكون لإيران الحق يوماً من الأيام فى المستقبل فى أن تنازع الباب العالى حق التصرف بالأراضى المذكورة . . . ؟ ثم إن الباب العالى يستفهم ما إذا كان سيتم الحصول على موافقة الحكومة الإيرانية على مسألة الاستحكامات والحصون المضافة إلى المادة الثانية . فأجابها السفيران بمذكرة مشتركة جاء فيها : « لما كان الممثلان الموقعان أدناه راغبين وملزمين فى إزالة الغموض العالق بذهن الباب العالى حول جميع المسائل المذكورة فى أعلاه ؛ فإنهما يصرحان بهذا كالآتى :

« بخصوص[1] — أن مرسى المحمرة هو القسم الواقع مقابل مدينة المحمرة فى قناة الحفار . وهذا التعريف لا يحتمل إلى أن يؤدى تفسيراً آخر فى معناه . وفضلا عن ذلك فإن الممثلين الموقعين فى أدناه يشاطران الحكومة العثمانية الرأى القائل بأن قيام الحكومة العثمانية بتركها لإيران مدينة المحمرة وميناءها ومرساها وجزيرة خضر فى المنطقة المذكورة لا يعنى تركها أية أراضى أو موانى أخرى موجودة فى تلك المنطقة . ويصرح كذلك الممثلان الموقعان فى أدناه بأنه سوف لا يكون لإيران الحق بأية حجة كانت فى أن تقدم ادعاءات حول المناطق الكائنة على الضفة اليمنى من شط العرب ، ولا حول الأراضى العائدة لتركيا على الضفة اليسرى حتى حيث تقطن من تلك الضفة أو من تلك الأراضى عشائر إيرانية أو أقسام منها . . أما بشأن مسألة الاستحكامات

(١) شاكر صابر الضابط : ٦٣ — ٧٣ .

والحصون فلا يستطيعان سوى بيان رأيهما الشخصى وهو أن تعهد الدولتين الإسلاميتين تعهداً متبادلا بعدم تحصين ضفتى شط العرب ، معناه ضمان آخر لدوام العلاقات السلمية بين المملكتين ، كما أنه من شأنه توثيق عرى الإخلاص وحسن النية وهذا ما ترمى إليه المعاهدة المذكورة » .

وقد أجابتها الدولة العثمانية على مذكرتها بما يلى :

« لقد قيل فى مذكرة معاليكم فيما يتعلق بالأراضى والعشائر التى تبحث فيها المادة الثانية من مسودة المعاهدة أنه ، وإن كان الباب العالى يوافق على ما جاء فى هذه المادة بشأن احتفاظ إيران بمدينة المحمرة وميناءها وبالمرسى الواقع مقابل المدينة فى قناة الحفار وبجزيرة خضر ، لكنه لا يتنازل بذلك عن ميناء آخر أو أراض أخرى فى تلك المنطقة وأنه سوف لا يكون للحكومة الإيرانية الحق فى تقديم أى ادعاء بحقوق الملكية لا فيما يخص الأماكن الكائنة على الضفة اليمنى من شط العرب ولا فيما يخص الأماكن العائدة للحكومة العثمانية على الضفة اليسرى منه حيث تقطن عشيرة إيرانية أو قسم منها . . . » .

وقد وقع الطرفان بعد ذلك المعاهدة فأصبحت نافذة المفعول . ولو تأملنا المعاهدة التى أوردنا منها النصوص الخاصة بعربستان لظهر لنا أكثر من ملاحظة عليها :

أولا : أن المعاهدة قررت مصير شعب برغم إرادته وبدون مساهمته فى تقرير مصيره[1] ، إذ تفاوضت أطراف غير معنية على منطقة لم تخضع

(١) لقد طالب حزب الاستقلال العراقى (فى بيان أصدره بهذا الشأن) بوجوب إجراء استفتاء لهذه المنطقة العربية تشرف عليه هيئة دولية محايدة ليتسنى لها تقرير مصيرها بنفسها . انظر نص البيان فى : محمد مهدى كبة — مذكراتى فى تصميم الأحداث : ١٨٨ — ١٩٢ .

لكلا الطرفين فى أى وقت مضى ، فقد عجز العثمانيون فى تثبيت نفوذهم فيها ، كما أنها كانت مستقلة تماماً عن الحكومة الفارسية[١] ، فتحت كلتا الدولتين مالا تملك للأخرى[٢] . ولم تؤيد الوثائق أن عربستان خضعت حتى بعد معاهدة أرضروم الثانية للدولة الفارسية ، وإنما اكتفت منها بولاء رمزى فقط .

ثانياً : أن المعاهدة تضم بين طياتها شروطاً غامضة مما سبب استمرار النزاع على عربستان[٣] ، فقد قسمتها المعاهدة إلى منطقتى نفوذ جعلت للدولة الفارسية المنطقة التى « تحت تصرف عشائر معترف بأنها تابعة لفارس » ؛ أما ما عداها فتكون تبعيتها للدولة العثمانية . فالتقسيم إذن كان على أساس عشائرى قبلى من الصعب تطبيقه ، الأمر الذى دفع الدولة العثمانية بعدئذ إلى الاحتجاج عليه بمذكرتها الإيضاحية للسفيرين البريطانى والروسى ، وقد طلبت فيها تفسيراً عن كيفية إجراء هذا التقسيم . ونلاحظ أن المعاهدة اعتبرت مناطق بنى كعب من المناطق المعترف بتبعيتها لفارس ، وهذا ادعاء سبق أن نقضته الدولة العثمانية نفسها خلال نزاعها حول عربستان وأيدتها فيه بريطانيا[٤] ، إضافة إلى أن قبيلة بنى كعب لم تنزل عن سيادة أراضيها لفارس فى يوم من الأيام[٥] ، ولم تمت لها بأية صلة قومية أو بشرية .

ثالثاً : يتضح من المذكرة التى أجاب عنها السفيران البريطانى والروسى

---

(١) الداود – أحاديث عن الخليج العربى : ١٦ .

(٢) مصطفى عبد القادر – عربستان : لمحة تاريخية منذ الفتح العربى حتى تولى بنى كعب الإمارة – مجلة المعلم – العدد الثانى – شباط ١٩٦٧ : ٥٠ وما بعدها .

(٣) Longrigg : Op. cit., p. 301.

(٤) راجع : النزاع الفارسى العثمانى على الإمارة ، للاطلاع على الادعاء العثمانى والمشروعات البريطانية .

(٥) الداود – الخليج العربى والعلاقات الدولية : ٦٣ .

للدولة العثمانية ، أن الأقسام التى نزلت عنها الحكومة العثمانية لفارس محدودة جداً ، وهى ميناء المحمرة وجزيرة خضر (عبادان) ، وليس لفارس حق السيطرة على أى قسم من الأراضى أو الموانئ الأخرى الموجودة فى إقليم عربستان . كما أشارت المذكرة بأن فارس لا يمكنها أن تدعى حقوق الملكية فيما يخص الأماكن الكائنة على الضفة اليمنى أو اليسرى من شط العرب ، فيتبين لنا ونحن ندرس هذه المذكرات والإيضاحات ، أن الدولة العثمانية عقدت المعاهدة عن غير اقتناع كاف بالنزول ، ويبدو أن ضغطاً أجنبياً – روسياً وإنكليزياً – كان وراء هذا النزول .

رابعاً : يظهر للباحث أن النزعات المذهبية قد ساهمت مساهمة فعالة فى عقد المعاهدة بين طهران – حامية المذهب الشيعى – وإستانبول – حامية المذهب السنى – فألحقت عربستان – وهى منطقة شيعية[١] – بفارس ، فى حين ضمت السليمانية وما جاورها وهى – منطقة سنية[٢] – للدولة العثمانية ، فى وقت كان العامل المذهبى يسيطر سيطرة كاملة على العلاقات الفارسية العثمانية . فالفرس كانوا حماة المذهب الشيعى ، « وهم يكرهون السنيين »[٣] ، ومن مظاهر تلك النزعات أن شاه إيران عند احتلاله العراق أمر بهدم معالم السنة وقبورهم ، وأمر بقتل جماعة من علمائهم[٤] ، أما العثمانيون – حماة المذهب السنى – فكان ردّ الفعل المذهبى عندهم أقوى وأعنف ، فقد شهد العراق مآسى مذهبية لاحدود لها مع الفرس ، من مظاهرها أن العثمانيين أمروا الفرس بضرورة الدخول

---

(١) فصيح الحيدرى – عنوان المجد : ١٨٠ ، على نعمة الحلو – بلاد الأحواز : ١٤٣ ، عبد المسيح أنطاكى – الدرر الحسان فى منظورات ومدائح سموالشيخ خزعل خان : ١٧ .

(٢) محمود الدرة : ٤٦ ، إضافة إلى ذلك أن الدولة العثمانية رحبت بانضمام السليمانية ومنطقتها لها لأنها منطقة جبلية ممتازة للدفاع عن الغزوات الفارسية المتكررة وكانت تمثل الطريق التى سلكتها الجيوش الفارسية فى أكثر الأحيان عند هجومها على العراق .

(٣) Wilson : South-West Persia, p. 139.

(٤) محمد أنيس – الدولة العثمانية والشرق العربى : ١٣٧ ، Longrigg : Op. cit., p. 20

التاريخ السياسى

فى مذهب أهل السنة والجماعة فى معاهدة ١٧٤٦ المعقودة بين الدولة العثمانية ونادر شاه[١] ، ومن رفض كان نصيبه القتل . ولما كانت عربستان والسليمانية من أشد مناطق الاحتكاك بين الدولة العثمانية وفارس ، فلذا جاء التنازل فى معاهدة أرضروم الثانية كحلّ علّه يساهم فى التخفيف من حدّة هذا التوتّر المذهبى . فالتقسيم الذى أقرته المعاهدة كان تقسيما مذهبيًّا ، الأمر الذى يفسر لنا استمرار النزاع بين الدولتين بعدئذ ، ذلك لأن النزاع المذهبى[٢] لا يمكن أن ينتهى[٣] بالشكل الذى رسمته المعاهدة ، التى أخذت بالجانب المذهبى وأهملت الجانب القومى[٤] .

خامساً : إضافة إلى ما تقدم، هناك عوامل لا يمكن إغفالها ، دفعت بالعثمانيين لعقد هذه المعاهدة ، فالدولة العثمانية تحملت الكثير من أجل مطالبتها

---

(١) رسول الكركوكلى – دوحة الوزراء : ٧٥ .

(٢) لقد بقيت فارس والدولة العثمانية على حال من الجوار السيء مدة تزيد على أربعة قرون إلى أيام الانقلابين الكمالى والبهلوى حين ابتدأ عهد جديد من العلاقات العثمانية الإيرانية . انظر : محمد، شفيق غربال – منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية : ١٢٤ .

(٣) شفيق رشيدات – عربستان : الجزء العربى المغتصب : ٥٠ .

(٤) يرى جلال يحيى – العالم العربى الحديث : (٢٠١) بشأن مشكلة عربستان أن المسألة ظهرت أمام غير المتعمقين وكأنها صراع بين العربية والفارسية أو بين السنة والشيعة ، وهو رأى يحتاج إلى إثبات وترو . وبالمناسبة : أن معظم الذين أشاروا إلى معاهدة أرضروم لم يميزوا بين الأولى والثانية ، ولم يتأكدوا من سنتيهما . انظر على سبيل المثال :
محمد حافظ غانم – العلاقات الدولية العربية : ١٧٤ ، سليم طه التكريتى – الصراع على الخليج العربى : ٧٦ ، محمود على الداود – أحاديث عن الخليج العربى : ١٧ ، الخليج العربى والعلاقات الدولية : ٦٣ ، على الشرقى – العرب والعراق : ١٢ .
إن معاهدة أرضروم الأولى سنة ١٨٢٣ لم تتطرق إلى حل لمشكلة عربستان ، وكان إبرامها على غرار معاهدة ١٧٤٦ المعقودة بين نادر شاه والدولة العثمانية . راجع : أحمد على الصوفى – الممالك فى العراق : ١٨٥ ، عبد العزيز نوار – داود باشا والى بغداد : ١٨٣ – ١٨٥ . وللاطلاع على نص معاهدة أرضروم الأولى ، راجع : شاكر صابر الضابط – العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران : ٥٦ – ٦٠ ، Hurewitz-Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. 1, pp. 90-92.

بعربستان ، فكان نزاعاً كلفها باهظاً ، إلا أن عربستان لم تقدم تعويضاً لما تحمله العثمانيون من أجلها ، فلم تفدهم اقتصاديًّا لفقر سكانها ، ولا عسكريًّا لأنها لم تكن تعترف لهم إلا بالقليل من النفوذ السياسى ، إضافة إلى أن موقعها النائى عن استانبول جعلها لم تحظ بأى اهتمام منهم شأنها شأن إمارات الخليج العربى الأخرى ، فكان التنازل بعد هذا أمراً متوقعاً .

سادساً : لم تقرّ المعاهدة ضم عربستان ككل إلى فارس ، والواقع أنها لم تؤثر على الوضع السياسى العام فى الإمارة ، وقد ظلت من الناحية الواقعية مستقلة عن حكومة طهران[١] ، إذ أن العرب الساكنين فى عربستان لم يعترفوا ببنود تلك المعاهدة ، واعترضوا بشدة على مقرراتها[٢] .

سابعاً : مما يلفت النظر فى أمر هذه المعاهدة أن فارس نفسها أخذت تطعن بها بعدئذ ، وادعت عدم شرعيتها بحجة أن البرلمان الفارسى لم يصدقها[٣] . فيتضح لنا من هذا أن الدولة الفارسية كانت لا تطمع بعربستان وحدها فحسب ، بل كانت نواياها تمتد إلى العراق – ذى الأهمية الدينية بنظرها ، بسبب احتوائه العتبات الشيعية المقدسة[٤] – فليس غريباً أن نلاحظ أن شاه إيران يطلب من الدولة العثمانية تشكيل إمارتين فى كربلاء والنجف لأولاده[٥] عند انتزاع العثمانيين العراق من السيطرة الفارسية .

ثامناً : لقد كانت معاهدة أرضروم الثانية من الضعف بحيث جعلت العثمانيين هم أيضاً يتعرضون لها بالنقد والرد ، فقد وضع درويش باشا

---

(١) حسن العطار – الوطن العربى : ٣٨ .

(٢) سليم طه التكريتى – الصراع على الخليج العربى : ٧٦ ، ويبدو أن المؤلف خلط بين معاهدة أرضروم الثانية والأولى ، انظر : ٧٦ – ٧٧ .

(٣) عبد الرزاق الحسنى – تاريخ العراق السياسى الحديث – ج ٣ : ٣٢٧ .

(٤) عبد الكريم غرايبة : ٢٨ .

(٥) انظر نص المعاهدة فى شاكر صابر الضابط : ٢٠ .

سنة ١٨٥٢ — عضو لجنة الحدود — تقريراً أورد فيه خلاصة السندات المتعلقة بالمحمرة وما حواليها ، وهى مصدقة بفرمانات سلطانية [١] موجودة فى سجلات المحاكم الشرعية فى البصرة ، تثبت انتساب عشيرة كعب إلى الدولة العثمانية ، وبذا تكون مناطقها ضمن حدود لواء البصرة [٢] ، كما حذر من أن بقاء المحمرة وعبادان تحت السيطرة الفارسية ، معناه فقدان البصرة لأهميتها التجارية وانخفاض وارداتها الكمركية ، وقد أورد بعض البنود التى تدلل على أن بساتين النخيل والمقاطعات الزراعية فى عربستان ،كانت وما زالت تعود ملكيتها إلى البصرة [٣] ، وتعد من ملحقاتها وتدار من قبل السلطات العثمانية . أما الحويزة ، فقد أثبت استقلالها قبل الاحتلال العثمانى لها سنة ١٧٢٧ ، ولم يرد أنها خضعت للسيطرة الفارسية أبداً . ولتنفيذ ما جاء فى المعاهدة شكلت لجنة دولية سنة ١٨٤٨ من ممثلى روسيا وإنكلترا وفارس والدولة العثمانية — يمثلها درويش باشا [٤] — لتحديد الحدود . وكان بدء عملهم من المحمرة ، وبالرغم من أن أعمال المسح بقيت غامضة إلا أن الموظفين البريطانيين استمروا فى القيام بالتدقيق على الحدود [٥] ، كما أن إعداد الخرائط بقى سائراً على هوادته بتباطؤ فى موسكو .

---

(١) للاطلاع على الوثائق والمستندات ، راجع : درويش باشا : ٢ — ١٠ .

(٢) انظر الوثيقة فى المصدر السابق : ٣ .

(٣) المصدر السابق : ٥ .

(٤) لقد انتدبت الدولة العثمانية درويش باشا لوضع تقرير عن الحدود الفارسية العثمانية ، وكان أستاذاً فى المهندسخانة ، فوضع تقريراً موجوداً باللغة التركية قامت وزارة الخارجية العراقية بترجمته سنة ١٩٥٣ . ومما يلفت النظر فى التقرير الذى وضعه سنة ١٨٥٢ أنه يشير إلى سجلات دائرة طابو البصرة ، وهى دائرة لم تنشأ فى العراق إلا فى عهد مدحت باشا (١٨٦٩ — ١٨٧٢) راجع : عبد الكريم غرايبة — مقدمة تاريخ العرب الحديث : ٢٠٦ — ٢٠٨ ، والأرجح أنه يقصد بها المحاكم الشرعية فى البصرة والتى كانت تصادق على شرعية الأملاك آنذاك .

(٥) من الموظفين البريطانيين الذين كانوا برفقة لجنة المحكمين المؤلفة لحسم الخلاف مستر جيمس فيليكس جونس ، وقد قام بعدة رحلات على جانبى الحدود ووضع عدة بحوث أهمها بحث بعنوان (رحلة إلى بعض الأراضى الفارسية والكردية) فى ١٦ آب ١٨٤٨ . انظر :

=James Felix Jones: "Narrative of a Journey to the Frontier of Turkey and Persia, through

وقد اجتمعت اللجنة فى سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٥١ فى بغداد والمحمرة، إلا أن المفاوضات تعثرت بسبب عدم اتفاق الطرفين المتنازعين على تثبيت الحدود ، ونتيجة لذلك اقترح اللورد بالمرستون سنة ١٨٥١ أن يعهد إلى ممثلى تركيا وفارس تخطيط الحدود العامة فى استانبول يساعدهم فى مهمتهم أعضاء اللجنة ، فقبل اقتراحه [١] ، وعادت اللجنة سنة ١٨٥٢ إلى استانبول لإنهاء القضية ، إلا أن إعلان حرب القرم قطع المفاوضات [٢] ، فزادت تركيا الريبة المتقابلة بين الفريقين ضغثاً على إبالة ، بالنظر لتخوفها من محالفة الفرس للروس [٣] . إلى جانب عدم إشراك بريطانيا فارس فى الحرب كما كانت تود حكومة الشاه [٤] . والعقبة الأخرى التى كادت تودى بالمفاوضات ، نشوب حرب قصيرة الأمد بين بريطانيا وفارس سنة ١٨٥٦ [٥] ، بسبب خلاف الأخيرة مع أفغانستان حليفة بريطانيا ، فتقدم القائد الإنكليزى السير جيمس أوترام وضرب المحمرة فى ٢٦ مارس ١٨٥٧ واحتل عربستان [٦] وبحث مع السلطات التركية التى قدمت له يد المساعدة فى هذه الحرب إمكان ضم مدينة المحمرة إلى ولاية بغداد [٧] ، ولكن قبل أن يتم أى اتفاق سياسى كانت معاهدة باريس قد

---

a part of Kurdistan". Submitted to Government on the 16th August, 1848. = Selections from the Records of the Bombay Government No. XLIII News Series, pp. 135-213.

(١) يوسف رزق الله غنيمة — السياسة البريطانية الفارسية — مجلة المقتطف ج ٢ مج ٨٢ (١٩٣٣) ص ١٩٨ . (٢) العزاوى : العراق بين احتلالين : ج ٧ : ٨٠

(٣) Longrigg: Op. cit., p. 300.

انظر أيضاً : مصطفى عبد القادر — رأى فى معاهدتى أرضروم وسايكس بيكو وأثرها على الوضع السياسى للوطن العربى — مجلة المعلم — ع ٣ كانون الثانى ١٩٦٨ : ٢٠ — ٢٨ .

(٤) صلاح العقاد : الاستعمار فى الخليج الفارسى : ١٦ .

(٥) Curzon: Persia and the Persian Question. Vol. II, p. 405.

(٦) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٣ : ٩٩ .

Wilson: The Persian Gulf, p. 2573.

(٧) صلاح العقاد — الاستعمار فى الخليج الفارسى : ١٦١ .

أبرمت فى مارس سنة ١٨٥٧ [١] ، ومن شروطها انسحاب الإنكليز من جميع المناطق التى احتلوها بمجرد خروج الفرس من هرات [٢] ، ثم استؤنفت المفاوضات فوضعت خارطة فى بطرسبورج سنة ١٨٦٥ للحدود الممسوحة ، وقد دامت المفاوضات عليها خمس سنوات ، وكان من ثمارها اتفاقية سنة ١٨٦٩ — ١٨٧٠ التى أبرمت بين وزير خارجية الدولة العثمانية محمد أمين عالى باشا ، والسفير الفارسى فى الآستانة حسين محمد خان ، وقوام هذه الاتفاقية سبع مواد كل ما جاء فيها « أن تبقى الأراضى المتنازع عليها بيد الدولة التى هى فى يدها إلى أن تكشف عليها الهيئة المكونة من الدول الأربع [٣] » . ولم يتوصل الطرفان إلى اتفاق بالرغم من أنهما بذلا المزيد من الجهود المضنية لحل النزاع القائم ، واستمرت الخلافات التى لم تؤد إلى تقدم المفاوضات بمختلف درجات الحدّة حتى سنة ١٩١٢ ، إذ توصل مندوبو الدول الأربع إلى تعريف خط الحدود فى بروتوكول وقّع عليه فى الآستانة فى ١٧ تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩١٣ [٤] ، أكدت مواده الخاصة بعربستان ما جاء فى معاهدة أرضروم الثانية عدا استثناء واحد ورد فيه « أن شيخ المحمرة يستمر فى التمتع — وفق أحكام القوانين العثمانية — بحقوق ملكيته فى الأراضى العثمانية » ، وهو امتياز منحته الدولة العثمانية له — كما يبدو — اعترافاً منها بتداخل الأراضى والممتلكات بين البصرة وعربستان . وعدم استطاعتها التمييز بين رعاياها ورعايا شعب عربستان ، وإضافة إلى ذلك نص البروتوكول على تعيين قوميسيون مؤلف

---

(١) كارل بروكلمان — تاريخ الشعوب الإسلامية : ج ٤ : ١٦٦ .

(٢) جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ١٥٥ .

(٣) انظر نص الاتفاقية فى : شاكر صابر الضابط : ٧٤ .

(٤) وقعه عن الجانب البريطانى السفير المفوض السير لويس مالت ، وعن الجانب الفارسى السفير المفوض مرزا محمود خان قاجار ، وعن الجانب الروسى السفير المفوض المسيو ميشيل ده جيير ، وعن الجانب العثمانى الأمير سعيد حليم باشا الصدر الأعظم ووزير الخارجية . انظر نص البروتوكول فى : شاكر صابر الضابط : ٧٦ — ٨٧ ، وانظر أيضاً : وزارة الخارجية — حقائق عن الحدود العراقية الإيرانية : ٢ .

من قوميسرى الحكومات الأربع لغرض تحديد الحدود على الأرض وتأشيرها [١] . وقد باشرت الهيئة المكونة أعمالها ، إلا أنها لم تكمل مهمتها بسبب قيام الحرب العالمية الأولى ، فتوقفت عن العمل ، بيد أنها قبيل توقفها سنة ١٩١٣ أعادت للعثمانيين شقة من الأرض كانت قد تنازعتها تركيا وفارس سنة ١٩٠٧ فى جوار خانقين تعرف (بالأراضى المحولة) . وعلى إثر انتهاء الحرب العالمية وانفصال العراق عن الدولة العثمانية ، صارت هذه الأراضى من أملاك الحكومة العراقية ، وفيها حقول النفط التى منح امتيازها بعدئذ إلى شركة نفط خانقين [٢] .

عروبة المنطقة :

إن العرب فى منطقة حوض نهر كارون يرجع مركزهم إلى زمن سحيق . وهم إلى يومنا هذا يكونون الأغلبية الساحقة فى المنطقة . فالحقيقة الكبرى : هى أن عربستان وطن عربى ، وعروبتها لم تكن وليدة ظرف تاريخى معين ، بل هى أمر يرجع فى أصوله إلى جذور الماضى وإلى طبيعة الإقليم .

لقد تعرض جنوب غربى آسيا — بما فيه عربستان — للسيطرة العثمانية منذ القرن السادس عشر ، وقد نازعتها السيادة الدولة الفارسية ، كما أن الزحف الأوربى بدأ يستهدف المنطقة فأثر ذلك تأثيراً عامّاً عليها ، الأمر الذى عرضها للتدهور الاجتماعى والسياسى فترة ليست بالقصيرة ، إلا أن القرن التاسع عشر شهد بوادر نهضة فى المنطقة أدت إلى ظهور فكرة القومية العربية — ذات النهج

---

(١) المصدر السابق : ٨٥ .

(٢) يوسف رزق الله غنيمة — السياسة البريطانية الفارسية — مجلة المقتطف — العدد نفسه ص ١٩٨ — ١٩٩ ، عبد الرزاق الحسنى — تاريخ الوزارات العراقية — ج ١ : ١٠٢ ، ٢٣١ . وبخصوص ما أنجزته الهيئة من أعمال قبيل توقفها ، راجع : وزارة الخارجية العراقية — حقائق عن الحدود العراقية الإيرانية : ١٠ — ١٣ ، وللاطلاع على خط الحدود بعدئذ ، راجع : هادى رشيد الجاوشلى — شئون مناطق الحدود فى الجمهورية العراقية : ١٧ — ٢٤ .

الواضح – التى سرعان ما اصطدمت بفكرتين أخريين ، الأولى : فكرة الجامعة الإسلامية – التى عدّت عربستان جزءاً من الإمبراطورية العثمانية –، والثانية : فكرة القومية الإيرانية الحديثة – التى تغلبت على الأولى فقضت على الحكم العربى فى عربستان – إن النزاع العثمانى – الفارسى على المنطقة ، يمثل فى الواقع : التصادم بين الفكرتين ، وكان التيار الثانى أقوى من الأول ، إذ كان موقف العثمانيين رخواً فى المباحثات ، فى حين كان موقف الفرس صلباً . وبالرغم من تصديق التنازل فى معاهدة أرضروم الثانية ، فإن الإمارة بقيت عربية لا تقر بشىء مما وقع . كما أن فارس نفسها أبقت الاستقلال الذاتى لها ، واعترفت بإمارة الحاج جابر بن مرداو وأولاده من بعده[١] . وسنحاول فى بحثنا هذا التدليل على أصالة عروبتها ونقائها .

١ – الحقائق الجغرافية :

لقد أثبتت التحريات الجيولوجية أن التاريخ الجيولوجى لأراضى كل من عربستان والسهل الرسوبى من العراق متماثل ، فقد تكونا فى وقت واحد[٢] ، من طمى وترسبات نهرى دجلة والفرات ونهر كارون وتفرعاته[٣] ، فأدى ذلك إلى ظهور الأراضى الحديثة على جانبى شط العرب[٤] ، لذا فإن سهول عربستان – وهى تسمية حديثة لما كان يعرف قديماً باسم (سهول سوسيانا) – تكونت مكملة للسهل الرسوبى فى جنوب العراق[٥] ، وهى وثيقة الاتصال

(١) حسن العطار – الوطن العربى: ٣٨ .

(٢) هستد – الأسس الطبيعية لجغرافية العراق : ٤٦ – ٥٢ .

(٣) ليس وفالكون (ترجمة : أحمد صالح العلى) – التاريخ الجغرافى لسهول ما بين النهرين : ١٩١ – ٢١٧، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية – العدد نفسه، لقد تضمن هذا المقال بحثاً قيماً عن طوبوغرافية سهول مابين النهرين وعلاقتهما بسهل عربستان، Willcocks: Op. cit., pp. 31-33

(٤) إبراهيم شريف – الموقع الجغرافى للعراق وأثره فى تاريخه العام : ٣٦.

(٥) أحمد سوسة – وادى الفرات ومشروع سدة الهندية : ١٧٢.

معه، فهناك مسالك برية وأخرى نهرية، بينهما كانت متوافرة فى الأزمنة القديمة ، كما هى متوافرة فى الوقت الحاضر[١] ، سهلت هذا الانتقال . أما العلاقات المكانية الطبيعية، التى تربط بين عربستان وإيران، فتكاد تكون معدومة، إذ ليست هناك أى علاقة فى التكوين الطبيعى بين سهل عربستان وهضبة إيران الجبلية ، فقد ذكر السير أرنولد ولسن فى مذكراته أن : « عربستان تختلف عن إيران اختلاف ألمانيا عن إسبانيا»[٢] . إذ أن إيران عبارة عن هضبة تحيط بها حافات من السلاسل الجبلية الضخمة تفصلها عن جميع جهاتها تقريباً[٣] ، ولا سيما القسم المحاذى لعربستان ، فيتكون من عدد من السلاسل المتعاقبة الشاهقة الارتفاع[٤]، التى لا تتضمن ممرات سهلة يمكن اجتيازها، وكل ما تتضمنه وديان ضيقة لأخوار تنحدر على سفوحها[٥]، يستخدمها الرعاة فى تنقلهم بين أعالى هذه السفوح وأسافلها ، فالاعتبارات الجغرافية إذا أخذناها بنظر الاعتبار فى تحديد المنطقة – وهى كثيراً ما تكون فواصل طبيعية كالجبال والبحار – نلاحظ أن عربستان متصلة اتصالا طبيعيًّا بالعراق[٦] ، وتفصلها حواجز طبيعية[٧] عن إيران لا يمكن إغفالها كعامل مهم فى تحديد تبعية الإقليم للدولة . وقد عرف منذ القديم أن مدن عربستان جزء لا يتجزأ عن ولاية البصرة[٨] ولم ترد تبعيتها لفارس عند أى رحالة جغرافى جاب المنطقة وكتب عنها ، فهى عندهم عراقية الطبيعة تماماً[٩] ، فإنها تكون مع القسم الأسفل من بلاد ما بين

(١) إبراهيم شريف – الموقع الجغرافى : ٢٤٨ ، الدركزلى : ٢٨٩ .

(٢) Wilson: South-West Persia, p. 93.

(٣) الدركزلى : ٣٧٨ ، إبراهيم شريف – الشرق الأوسط : ٤٠ .

(٤) Sykes, History of Persia, Vol. II, p. 366. (٥) إبراهيم شريف–الشرق الأوسط : ٤٠ .

(٦) الإصطخرى : ٦٣ Wilber: Op. cit., p. 12.

(٧) ابن حوقل : ٢٢٩ ، ومما هو جدير بالذكر أن الإسكندرونة سلخت عن سوريا مع أن جبال طوروس تكون حدوداً طبيعية بين تركيا وسوريا . انظر : أمين سعيد – الوطن العربى : ١٦٨.

(٨) الإصطخرى: ٦٤ ، مجلة لغة العرب – ع ٤ – تشرين الأول أكتوبر ١٩١١ : ١٢١.،

(٩) الدركزلى : ٢٧٩ . Longrigg: Op. cit., p. 5.

النهرين وحدة جغرافية اقتصادية شاركت سابقاً فى الازدهار السومرى والكلدانى ، وخضعت بعدئذ للعرب الذين امتد نفوذهم عبر فارس [١] .

وإلى جانب ذلك هناك بعض الخواص الجغرافية التى تربط أراضى عربستان بأراضى العراق ، من أهم مظاهرها : الخواص المناخية التى تتشابه فيها مع جنوب العراق وتتغاير كلياً مع إيران . وتشترك منطقة عربستان مع المنطقة الجنوبية من العراق بظاهرة المد والجزر التى أثرت تأثيراً عاماً فى نواحى الصرف وأساليب الرى ، وبالتالى فى الحاصلات الزراعية التى تشابهت — إضافة إلى ذلك — بفعل التماثل فى نوعية وتكوين التربة بينهما .

والتكوين الطبيعى يؤثر — بصورة عامة — تأثيراً كبيراً فى التكوين الاجتماعى للبلاد ، فتشابهت عربستان والسهل الرسوبى فى العراق فى أنهما كانا موضع إغراء وجذب بالنسبة لسكان المناطق الجبلية والفقيرة التى تكتنفها [٢] .

٢ — الحقائق التاريخية :

إن عربستان فى منطق التاريخ وحكم اللغة — وحتى فى رأى الباحثين الأجانب فيما كتبوه عن هذه المنطقة — عربية ، وتكون مع بلاد ما بين النهرين وحدة تاريخية قائمة بذاتها ، فقد ذكر الرحالة البرتغالى بيدرو تاسكيرا Pedro Teiskeira — الذى زار المنطقة سنة ١٦٠٤ — أن جميع المنطقة الواقعة إلى شرق شط العرب كانت تؤلف إمارة عربية يحكمها مبارك بن عبد المطلب [٣] — الذى كان مستقلا عن الفرس والأتراك — وقد دخل فى تحالف عسكرى مع الدولة البرتغالية ، التى كانت قد وسعت نفوذها فى الخليج العربى يومئذ . أما الرحالة الإيطالى بترو ديلا فالى Pietro della Valle — الذى زار

(١) جان جاك بيربى — الخليج العربى : ٩٨.
(٢) إبراهيم شريف — الموقع الجغرافى للعراق : ٢٥٠ .
(٣) أحد أمراء المشعشعين العربية (١٥٨٩ — ١٦١٦).
انظر : Teiskeira: The Travel of Pedro Teiskeira, with His "Kings of Harmuz", and extracts from His "Kings of Persia". (Hakluyt Society, 1902).

حوض نهر كارون إلى مصبه فى شط العرب — فقد ذكر أن الشيخ منصور ابن مطلب [١] : كان يقاوم بقوة محاولة الشاه عباس الأول التدخل فى شئون إمارته الداخلية وكان على اتصال دائم مع حاكم البصرة [٢] . ويذكر لونكريك أن عربستان مهما اختلف عن العراق فهى لا يمكن أن تختلف عنه فى الوجهة التاريخية . فقد كان قسم منها جزءاً من العراق باستمرار وعلى اتصال بسكانه ، وقد خضعت لجميع التأثيرات الخارجية التى خضع لها العراق نفسه [٣] . أما نيبور — الذى زار المنطقة سنة ١٧٧٢ — فقد أكد « أن العرب هم الذين يمتلكون جميع السواحل البحرية للقسم الشرقى من الخليج . . . ويستحيل تحديد الوقت الذى أنشأ فيه العرب هذه المستعمرات على الساحل ، وقد جاء فى السير القديمة أنهم أنشأوها منذ عصور سلفت ، وإذا استعنا بالملحمات القليلة التى وردت فى التاريخ القديم ، أمكن التخمين بأن هذه المستعمرات العربية نشأت فى عهد أول ملوك الفرس فى القرن السادس قبل الميلاد تقريباً ... وأن ملوك الفرس لم يتمكنوا قط من أن يكونوا أسياد ساحل البحر ، وقد تحملوا صابرين على مضض أن يبقى هذا الساحل ملكاً للعرب [٤] .

لقد مرت عربستان بنفس الأدوار التاريخية التى مر بها العراق ، فكان فتحها سنة ٦٤٠م [٥] فى خلافة عمر بن الخطاب ، وأصبحت ولاية عربية تتبع فى إدارتها البحرين ، واستمرت خاضعة للحكم العربى الإسلامى تتبع البصرة حيناً وتستقل حيناً آخر ، وكانت خلاله قد تعرضت لهزات سياسية متعددة ، فتذبذبت — وولاية البصرة معها — بين حركات الخوارج والقرامطة والزنج ،

(١) أحد أمراء دولة المشعشعين العربية(١٦٣٤—١٦٤٣) انظر : Della Valle: The Travels of sig. Pietro Della Valle into East-Indies and Arabia Deserta;(Hakluyt Society, 1902).
(٢) محمود على الداود — أحاديث عن الخليج : ١٥ .
(٣) على الشرقى — العرب والعراق : ١٢ . Longrigg: Op. cit., p. 5.
(٤) جاكلين بيرين — اكتشاف جزيرة العرب : ١٦٦ Niebuhr: Op. cit., p. 137.
(٥) دائرة المعارف الإسلامية — ع ١ — م ٩ — ترجمة : أحمد الشنتناوى وجماعته — مادة خوزستان : ٣٨ .

حتى سيطر المغول على الشرق الإسلامى سنة ١٢٥٨ م فتفككت السلطة فيها [١] .
ويظهر من الوثائق أن إمارات عربية نشأت فى الأحواز وسّى كارون طوراً لبنى أسد ، وطوراً للسادة — أمراء دولة المشعشعين وقاعدتها الحويزة — وتارة لبنى كعب — وقاعدتها القبان والفلاحية والمحمرة [٢] .

وتعرضت عربستان أيضاً لموجات من المد والجزر بين كل من الفرس والعثمانيين ورفضت السماح لممثليهم بالتدخل فى شئون العرب الداخلية مستغلين وجودهم فى مناطق الحدود ، وقد دانوا بالولاء أحياناً لفارس ، ولكنه كان ولاء رمزيًّا حتمته الاعتبارات السياسية ، وكان ولاؤهم الدينى يحتم عليهم أيضاً أن يكونوا على صلات طيبة مع النجف مركز العالم الشيعى — الذى كان جزءاً من الإمبراطورية العثمانية — فتأرجحوا فى ولائهم بين الشاه والسلطان العثمانى .

كما يتضح لنا أن تاريخها تاريخ متميز يرتبط بوشائج متصلة بتاريخ البصرة [٣] ، ويغاير بوضوح تاريخ فارس . أما خضوعها — فى فترات متفرقة متباعدة — لفارس ، فلا يمكن اعتباره دليلا على تبعية الإقليم ، فالمعروف أن البصرة هى الأخرى خضعت فى أوقات مختلفة للسيطرة الفارسية ، فهل يعطى ذلك فارس الحق فى المطالبة بها ؟ وهل خضوع منطقة لسيطرة أجنبية — مهما طالت فترة الغزو والسيطرة — يدلل على تبعيتها للدولة الغازية ؟ .. إنه يجب التمييز بين دولة مالكة شرعية ، ودولة غازية تمارس سلطتها بالقوة ، والذى يحدد هذا التمييز رغبة السكان من ناحية ، والدوافع التى حدت بالدولة المسيطرة للغزو ، ومدى المصالح من ناحية أخرى .

لقد حكم العرب فارس قروناً عديدة ، فهل يشكل هذا حقًّا للعرب

---

(١) مصطفى عبد القادر — عربستان : لمحة تاريخية منذ الفتح العربى حتى تولى بنى كعب الإمارة — مجلة المعلم — العدد ٢ سنة ١٩٦٧ : ٥٠ — ٥٥ .
(٢) على الشرق — العرب والعراق : ١٢ .
(٣) أحمد على الصوفى — المماليك فى العراق : ١٨٠ .

فى مطالبتهم بفارس ؟ يصور لنا هذا الاستعراض التاريخى أن عربستان ، خلال تاريخها المتقلب ، استطاعت أن تحتفظ بمقدار كبير من الاستقلال الداخلى ، حتى عند وقوعها تحت السيطرة الأجنبية .

إن عربستان كانت فى عهد الحكم الفارسى — وباعتراف الفرس أنفسهم — أرضاً عربية يسكنها العرب ، فسموها عربستان [١] . إن أصل التسمية مهما اختلفت الآراء فيها ، فهى تشير إلى أصل السكان العرب فى المنطقة والذين يؤلفون الغالبية الساحقة [٢] — ٩٥ ٪ من السكان — . وإذا استندنا إلى التسمية فى الاستدلال على تبعية الإقليم للدولة ، فإن فارس هى التى أطلقت على تلك المنطقة اسم عربستان [٣] ، ويعترف الفرس أنفسهم بعروبتها ، ويخطئون الشاه إسماعيل الصفوى لأنه اعترف بالحكم العربى فيها ، برغم عدم إدانتها بالولاء له واستقلالها عنه ، وفسح المجال للعرب ولم يقض عليهم فكانوا سبباً للاضطرابات مع فارس فى جميع الأدوار ، بعد أن ذاقوا طعم الاستقلال والحكم [٤] .

إن عربستان عربية بتاريخها القديم ووجودها الحديث ، والادعاءات الفارسية لا تستند إلى منطق ولا إلى قانون ولا إلى واقع ، والفرس برغم المركزية التى استعملوها للحيلولة دون إظهار الروابط المشتركة بين سكان ضفتى شط العرب ، فإن خططهم أخفقت . ويضاعف من إخفاقها تلك الوحدة التاريخية

---

(١) أحمد كسروى : ٣٤ ، يذكر أن الفرس أطلقوا اسم عربستان فى عهد الشاه إسماعيل ، أو فى عهد ابنه طهماسب ، إذ يرد هذا الاسم لأول مرة فى كتاب القاضى نور الله الذى ألفه فى عهد الشاه طهماسب ، وكان الناس بعد عهد نادرشاه قد نسوا اسم خورستان مطلقاً ، وكانوا يطلقون على جميع المنطقة اسم عربستان حتى سنة ١٩٢٥ ؛ إذ أمرت حكومة إيران بإطلاق اسم خورستان على المنطقة من جديد .
(٢) جان جاك بيربى : ٨٩ ، الدركزلى : ٢٨١ :
(٣) أحمد كسروى : ٣٥ :
(٤) المصدر السابق : ٣٥ :

والجغرافية لمنطقة الشط ، ووحدة اللغة وطريقة التفكير عند سكانها [١] ، فالحقائق التاريخية تؤيد أنها مقاطعة عربية ، وتسندها فى ذلك الحقائق الجغرافية ، وهى بهذا عربية تاريخيًّا وجغرافيًّا .

٣ ــ الحقائق السياسية :

لو عقدنا مقارنة سياسية عامة فى نظام الحكم بين فارس وعربستان ، لا تضح لنا عدم وجود تشابه ــ مهما كان نوعه ــ بين النظامين ، فأسلوب الحكم فى فارس قائم على الدولة التى رأسها إمبراطور أو شاه [٢] ، أما فى عربستان فالحكم كان قبليًّا [٣] ، وعلى رأس القبيلة شيخ يستمد قوته من العصبية القبلية ، لذا فإن القبلية تتخذ كل الوسائل التى تضمن التماسك الاجتماعى بين أفرادها ــ وهو النظام الذى كان عليه حكام جزيرة العرب ــ ولعل النظام القبلى هذا فى عربستان ، هو الذى جعل فارس لا تعترف بها كنظام سياسى قائم بذاته .

أما الادعاء السياسى لفارس من أن شيوخ عربستان دفعوا ضريبة لها ، فأراه ضعيفاً فى استدلاله ، لأنهم دفعوها للدولة العثمانية أيضاً [٤] . أما قبول شيوخ عربستان إعلان الولاء الرمزى لفارس بعد معاهدة أرضروم الثانية ، فكان لحمايتهم بعد أن تخلت الدولة العثمانية عنهم ، ولأن قبول الولاء هذا كان يمثل أهون الشرين . والواقع أن فارس لم تمارس سيادتها الكاملة على عربستان حتى احتلالها العسكرى سنة ١٩٢٥ [٥] ، وتحويلها إلى ولاية عاشرة لإيران .

---

(١) جان جاك بيربى : ٩٨ .
(٢) أحمد محمود الساعاتى ــ رضا شاه بهلوى : ١٥ .
(٣) العزاوى ــ عشائر العراق ــ ج ٤ : ١٨٢ ، محسن الأمين الحسينى ــ معادن الجواهر ونزهة الخواطر فى علوم الأوائل والأواخر ج ٢ : ٢٨٧
Niebuhr: Op. cit., p. 319.
Longrigg: Op. cit., p. 5.
(٤) مشاهدات نيبور فى رحلته من البصرة : ٤١ .
(٥) محمود على الداود ــ أحاديث عن الخليج العربى : ١٥ ، حسن العطار ــ الوطن العربى : ٣٨ .

ولإسكات العرب عن مطالبتهم بها ــ لا سيما العراق ــ ، حاولت أن تسبق الحوادث ، فأعلنت ضمها جزر البحرين إلى ممتلكاتها [١] . فهذه المنطقة يتكلم سكانها اللغة العربية ، وهناك شط العرب ــ ذلك اللسان المائى ــ الذى يفسر نفسه ، فهو عنوان عربى ، وقد أقرت تسميته فارس نفسها ، ولم تغير اسمه حتى على خرائطها السياسية ــ بالرغم من إصرارها على تسمية الخليج العربى بالفارسى ــ وكل البقاع التى على ضفافه كانت ولا تزال مساكن للعرب ، فهى عربية باللغة والعادات والتقاليد والملامح وأسلوب الحياة ، فهذه المنطقة وحدة سياسية وجغرافية وتاريخية [٢] .

٤ ــ الحقائق الاقتصادية :

فى ظل الحقائق العلمية المتعلقة بالصفات الطوبوغرافية ، وبالنسبة لأثر العامل الهيدرولوجى ، والعامل المناخى ــ التى انعكست آثارها جميعاً فى التوزيع الإقليمى بين عربستان وإيران ــ نجد أن هناك تبايناً واضحاً بين الغطاء النباتى الطبيعى بصورة عامة ، والإنتاج الزراعى بصفة خاصة بينهما . وكان لنظام المد والجزر تأثير كبير على تكوين تربة الإقليم ونباته ، وبالتالى على الزراعة فيه . إذ أن انغمار الأراضى المجاورة لشط العرب بمياه المد أدى إلى تكوين السهول الطينية التى أصبحت تغطى مساحات واسعة من هذا النطاق السهلى . كما أن لحركات المد والجزر أهمية خاصة فى الإقليم ، لأنها تروى زروعه فى أوقات المد ، وتصرف مياهه الزائدة فى أوقات الجزر ، فأثر تأثيراً خاصًّا فى نواحى الرى والصرف المتعلقة بالزراعة [٣] ، وهذا ما ليس له وجود فى هضبة إيرن الجبلية ، ولكنه من المعالم الطبيعية الواضحة فى البصرة . لذا فإن عربستان أصبحت ترتبط ارتباطاً اقتصاديًّا كاملا مع العراق ــ لا سيما السهل الرسوبى

---

(١) جان جاك بيربى : ٢٢٨ .
(٢) على الشرقى ــ العرب والعراق. : ١١ .
(٣) إبراهيم شريف ــ الموقع الجغرافى : ٢٢٨ .

منه — فأراضيهما السهلية الوافرة الخصوبة[١] الغنية بالمياه ، كونت منهما وحدة اقتصادية زراعية ونباتية وحيوانية ، من أهم مظاهرها ذلك النطاق الكثيف من غابات النخيل الذى يمتد على ضفتى شط العرب[٢] ، والذى تنفرد به عربستان عن باقى أقسام إيران ، بيد أنه امتداد طبيعى لأشجار النخيل فى العراق . والانتقال بين سهول عربستان وسهل العراق ميسور جداً يجرى عن طريق شط العرب وهور الحويزة ببعض أنواع من القوارب[٣] ، وإلى جانب ذلك ، هناك مسالك برية كثيرة مفتوحة بينهما[٤] ، إلا أنه يكاد يكون مغلقاً مع إيران . فأثر ذلك تأثيراً بيناً على تبادل السلع التجارية بين عربستان والعراق ، فكانت — قبل بناء المحمرة سنة ١٨١٢ — تعتمد اعتماداً تاماً فى تصدير منتجاتها على ميناء البصرة ، إذ تجمع البضائع من المدن الداخلية فيها ، وتخزن فى مخازن كبيرة فى الأهواز ثم تنقل إلى البصرة حيث تتم عملية التصدير[٥] . أما واردات عبادان فقد كانت تكون مورداً ثابتاً لخزينة البصرة ، فعندما زارها ابن بطوطة كان ما تدفعه لها قرابة أربعمائة وواحد وأربعين ألف دينار[٦] . كما أن عربستان قد ساهمت مساهمة فعالة فى أسباب المهارة فى الملاحة العربية واتساع الميادين التجارية ، ومارست أساليب اقتصادية تكون مع العراق والساحل الشرقى لشبه جزيرة العرب — والتى هى امتداد طبيعى له — وحدة اقتصادية[٧] متشابهة فى الحاصلات الزراعية والملاحة النهرية والحروب البحرية وفى الغوص

(١) Wilson: South-West Persia, p. 96.

(٢) عبد الحميد بلال — الجغرافية الاقتصادية : ٧٣ ، ومما هو جدير بالذكر أن الإيرانيين أطلقوا اسم خرمشهر على المحمرة ومعناه (مدينة التمر) ، مجلة الأسبوع العربى — العدد ٢٩٥ — فلسطين إيرانية فى الخليج العربى — تحقيق محمد سويد وجماعته : ٢٠ — ٢٣ .

(٣) إبراهيم شريف — الموقع الجغرافى : ٢٤٨ .

(٤) الدركزلى : ٢٨٩ ، يعقوب سركيس — مباحث عراقية : ج ١ : ٢١ .

(٥) المقدسى : ٤١٢ — ٤١٣ ، Wilson: The Persian Gulf, p. 69.

(٦) ابن بطوطة : ١١٧ — ١١٨ ، Ibid, p. 68; Le Strange, Op. cit., p. 70-71

(٧) جان جاك بيربى : ٩٨ ، يعقوب سركيس — مباحث عراقية : ج ١ : ٢١ .

لاستخراج اللؤلؤ . وهذه مظاهر عربية تتباين كلياً مع ما فى فارس من أساليب وكيانات اقتصادية ، فالفرس منذ البداية أثبتوا بأنهم بحارة مخفقون ، تعوزهم الخبرة فى شئون البحر وتنقصهم الرغبة فى ركوبه ، ولعل خير تعليل لعجزهم عن إدارة شئون الأساطيل البحرية ما جاء به السير برسى سايكس — أحد المهتمين بدراسة تاريخ فارس — فقد ذكر أن « ليس هناك شىء يوضح تأثير العوامل الطبيعية على ميول الناس وسلوكهم أحسن من النفور والكره اللذين يظهرهما الفرس دائماً للبحر الذى تفصلهم عنه حواجز جبلية شاهقة »[١] ، فاستخدموا العرب بحارة لأسطولهم وأسندوا لهم قيادته — برغم معرفتهم بعدم شعور العرب لهم بالولاء والإخلاص .

ولما جاء العهد البترولى أكد بصورة لا تقبل الشك الوحدة الاقتصادية بين ضفتى شط العرب ، فقد كشف أن الضفتين مثقلتان بكنوز الذهب الأسود[٢] ، فى حين تفتقر أراضى إيران كلها له . وهذا ما دفع بالرأسماليين الأوربيين أن يخصوا عربستان — إضافة إلى العراق — باهتمامهم باعتبارها منطقة خصبة للاستقلال التجارى والصناعى[٣] .

٥ — الحقائق الحضارية :

ويقصد بها تلك الظواهر الاجتماعية ، كاللغة والعادات والتقاليد والدين والعلم والفن والآداب ، إضافة إلى بعض النواحى المادية الأخرى كالزى والمأكل . واللغة من أهم المقاييس العامة لمعرفة هوية أى شعب من الشعوب ، فهى وساطة التفاهم العقلى ، وأداة للتعبير عن الأفكار والشعور ، ووسيلة لإظهار ثقافة الأمة وحضارتها وإبراز شخصيتها التى تميزها عن غيرها . فسكان

(١) Curzon: Op. cit., Vol. IIp. 392.

Sykes: History of Persia, Vol. II, p. 366.

(٢) على الشرق — العرب والعراق : ١٧ .

(٣) محمود على الداود — الخليج العربى : ٥٩ ، جان جاك بيربى : ١١١ .

عربستان يتكلمون اللغة العربية ، وهى التى تربطهم بالتراث العربى والمصير المشترك الواحد ، فى حين يتحدث الفرس بلغة خاصة بهم وهى اللغة الفارسية — من عائلة اللغات الآرية — . أما ادعاء فارس بأن شعب عربستان يتكلمون الفارسية أيضاً ، فهذه ضرورة اقتضتها الظروف فى إقليم تكون الجالية الإيرانية أكبر جالية أجنبية فيه. وحينما تسعى الدول التى لها ميول توسعية إلى فرض حضارتها و بسط نفوذها على مناطق أخرى ، فإنها تسعى لتحقيق ذلك كله عن طريق اللغة. وهكذا فعلت فارس فى عربستان ، وتركيا فى الإسكندرونة وفرنسا فى الجزائر .

والجنس عامل آخر لا يقل أهمية عن اللغة للدلالة على اختلاف حضارة عربستان عن حضارة فارس ، فالفرس يرتد أصلهم إلى الأقوام الهندية الأوربية وإلى الجنس الآرى ، هاجروا من وراء جبال الأورال واستوطنوا إقليم فارس[1] .

أما أصل شعب عربستان فعرب مهاجرون وهم جزء من عرب العراق وشبه الجزيرة العربية فى أصولهم وأنسابهم[2] ، يرتد أصلهم إلى الجنس السامى النقى ، لمجاورتهم جزيرة العرب. وأهم مظهر ترتب على ذلك هو الاختلافات اللغوية بين الإقليمين ، كما ذكرنا آنفاً .

ويسجل لنا الرحالة الدانمركى كارستين نيبور ملاحظات قيمة عن الفروق الحضارية بين عربستان وفارس ، فيذكر أن عربستان « مستقلة عن بلاد فارس ، وأن لأهلها لسان العرب وعاداتهم .. وهم يتعشقون الحرية إلى درجة قصوى ، شأن إخوانهم فى البادية . . . أما مساكنهم فمتواضعة إلى درجة أن العدو لا يكترث لهدمها . . . وكانوا على يقين من أن الفرس لا يمكن أن يفكروا فى الاستقرار على الساحل المجدب ، والتعرض لغزوات العرب . . . الذين يقضون حياتهم فى البحار ، على العكس من الفرس الذين يقيمون فى أجزائها النائية ، والذين يتعاطون الفلاحة والزراعة »[3].

(١) طه باقر — مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة : ٣٨٨.
(٢) جاكلين بيرين — اكتشاف جزيرة العرب : ١٦٦ ؛
(٣) المصدر السابق : ١٦٦ — ١٧٠ .

إن العلاقة المكانية الطبيعية بين العراق وعربستان لها أثر كبير فى تشابه القبائل الموجودة فى كليهما ، فقد سكنت عربستان نفس القبائل العربية الموجودة فى العراق ، ويتحلى سكانها بنفس صفات وعادات وتقاليد أمة العرب[1] . وآثار الجنس العربى وحضارته تبدو على أتمها فى عربستان[2] . أما القول بأن الفرس كثرة فى عربستان ، فهو قول منقوص . فلا أدل على الرد عليه من أن الفرس أنفسهم أطلقوا على الإقليم اسم عربستان . وإذا كانت الآثار الحضارية لأمة تؤلف حقوقاً ، فإن عربستان إقليم عربى . فالبناء الاجتماعى فيها بناء عربى مكين الدعائم ، وجميع ما فيها من مقومات ينطق بعروبتها ، وتضرب الأصالة العربية بجذورها فى المنطقة إلى أبعد أعماق التاريخ ، إذ ظهرت أقدم الأطوار الحضارية[3] فى ربوعها ، وذلك بتأثير حضارة وادى الرافدين[4] .

إن نسبة كبيرة من سكان عربستان تعتنق المذهب الشيعى[5] . أما ادعاء فارس بأن شيعة عربستان فرس ، فهو ادعاء خاطئ . فالشيعة أتباع مذهب إسلامى عربى لم يكونوا يوماً ما رعايا فرساً[6] ، فهم يوجدون فى جميع أرجاء الوطن العربى والإسلامى ، إضافة إلى أن حاضرة العالم الشيعى الرئيسة هى النجف الأشرف — وهى أرض عربية — ، وشتان بين المذهب الدينى والأصل الجنسى ، فالمذهب الدينى لم يكن — يوماً ما — وحده كافياً لخلق جنسية واحدة ، أو ليولد شعوراً مشتركاً بقومية واحدة ، وإلا لحق لدولة البابا — الفاتيكان — المطالبة بالدول الكاثوليكية فى العالم كله .

(١) ميثاق جبهة تحرير عربستان ، العزاوى — تاريخ العراق بين احتلالين: ج ٧ : ٣٩:
(٢) عبد الرزاق الأسدى — الوحى القومى : ١٠٧ .
(٣) طه باقر — مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة — ج ٢ : ٣٧٥ .
(٤) المصدر السابق : ٣٨٠ .
(٥) فصيح الحيدرى — عنوان المجد : ١٨٠ ، عبد المسيح أنطاكى — الدرر الحسان : ١٧ .
(٦) ليس الشيعة فرساً ، وإنما الفرس شيعة .

إن التداخل الحضارى والاجتماعى بين عربستان والعراق له صلة وثيقة بالتداخل الاقتصادى بينهما ، فكان من نتائجه أن امتلك شيوخ المحمرة قسما من نخيل البصرة وأملاكها[١] ، كما امتلك قسم من أهالى البصرة جملة من المقاطعات الزراعية وبساتين النخيل فى عربستان[٢] فى وقت كان فيه التمازج السياسى والاقتصادى والتفاعل الاجتماعى لا حدود له[٣] ، مما ولد فى المنطقة وحدة فى اللغة والذوق والقيم وطرائق التفكير وطريقة بناء المساكن وأسلوب العمل وإعداد الطعام وتقاليد الزواج ورقصة الحرب فى الأعياد وتقديم القهوة العربية والمثل الأخلاقية والمظاهر السلوكية .

٦ – الحقائق القانونية :

إن مشكلة عربستان يمكن اعتبارها فصلا أساساً من المسألة الشرقية التى أقلقت القرن التاسع عشر – وما قبله – وسببت بضع حروب ، بين فارس والدولة العثمانية ، وبالتالى مع الإنكليز . ومن الوجهة القانونية يجب أن تعطى أهمية كبرى لعامل لعب دوراً كبيراً فى قضايا الحدود ، وهو رغبات سكان الأراضى المتنازعة فى عربستان ، والعرف الدولى ينص على أن يكون هناك حدّ أدنى من العدالة والإنسانية يفرض على جميع الدول ، فإذا ظلمت الأقليات جاز لها طلب الحماية الدولية ، وإذا صار الظلم لا يطاق – وقد يؤدى إلى

---

(١) عند الاحتلال البريطانى للعراق سنة ١٩١٤ أصدرت بريطانيا أمراً بإعفاء بساتين النخيل الواسعة لشيخ المحمرة فى الجانب التركى من شط العرب من الرسوم . واستمر هذا الإعفاء حتى سنة ١٩٢٧ حين أصدر مجلس الوزراء العراقى قرارا فى ٣ آب (أغسطس) بضرورة إلغائه . انظر : عبد الرزاق الحسنى – تاريخ الوزارت العراقية ج ٢ : ١٠٧ – ١٠٨ ، كذلك انظر : على محمد عامر – المحمرة والوحدة العثمانية : ٤٣ .

(٢) درويش باشا – تقرير تحديد الحدود الإيرانية العراقية : ١ – ١٠ ، عبد الواحد باش أعيان : ج ١١ : ٣٤٣ .

(٣) عمر فوزى كركوكلى – أريج الطيب فى مآثر السيد طالب النقيب : ٢٤ :

انقراض الجماعات المظلومة – يجوز اللجوء إلى حق الانفصال . فالضمير الحديث يطلب المزيد من الشعور بالكرامة الإنسانية فى عربستان ، ومساواة سكانها أمام القانون فى حرياتهم المعنوية والمادية لتقرير مصيرهم . وهذه الفكرة معترف بها فى القانون المحلى وفى القانون الدولى .

لقد ذاعت فى العالم – خلال القرن التاسع عشر وما تلاه – التسوية السياسية للمشاكل الدولية ، وفقاً لمبادئ القومية وتقرير المصير . إلا أن هذا الحق القانونى لم يستعمل فى حل مشكلة عربستان ، فهو يمثل سابقة خطيرة فى تاريخ العلاقات الحديثة . وخضوعها لفارس يمثل الاحتلال والاقتطاع والضم[١] على أساس اعتبارات غير قانونية ، لأن وجهة النظر الدولية كانت تعتبر عربستان دائماً عربية ، وهى جزء لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية[٢] ، والتنازل العثمانى عنها لفارس كان بمعاهدة لم تبت نهائياً فى مصير المنطقة . فكان نزاعاً مملا وطويلا ، قطعه نشوب الحرب العالمية الأولى ، فأجهضت المحادثات وبقى الأمر معلقاً إلى أن أنهاه رضا بهلوى باحتلال عسكرى شامل للمنطقة[٣] ، فالاحتلال العسكرى لا يقره القانون الدولى التقليدى ولا القواعد الأخلاقية فى العلاقات الدولية ولا الاعتبارات الإنسانية . كما أن التنازل العثمانى عن المنطقة هو الآخر تعرض للطعن القانونى لأنه أهمل حق تقرير مصير الإمارة[٤] ، ولم ترسل لجنة تحقيق دولية – على الأقل – لاستطلاع رأى السكان فيها ، على غرار ما كان متبعاً آنذاك فى مثل هذه الحالات . والواقع أن مزاولة السيادة الفارسية على عربستان ، من وجهة النظر الفارسية ، ظلت ضعيفة . لأن هذه المنطقة ظلت سيادتها عربية مستقلة عن حكومة طهران ،

---

(١) منشورات جبهة تحرير عربستان .

(٢) فصيح الحيدرى – عنوان المجد : ١٨٣ .

(٣) Bullard: Britain and the Middle East, pp. 164-65.

(٤) منشورات الجبهة العربية القومية لتحرير عربستان .

وظلت تمارس علاقات خارجية مع دول أجنبية ذات سيادة[١] ، وكانت متروكة فى أغلب الأحيان لحاكم عربى من الحكام المحليين ، لا تتدخل إيران فى توليته أو عزله ، وإنما تكتفى منه بالجزية — فى بعض الأحيان — وبا لهدايا[٢] . . وهذا المظهر اتخذته إيران ذريعة قانونية بعدئذ ، عند احتلالها الإمارة .

لقد غزا العرب فارس منذ النصف الأول للقرن السابع الميلادى ، وقضوا على الإمبراطورية الساسانية ، ودخلت فارس فى المجتمع الإسلامى العربى[٣] ، ولم يكن لها وجود سياسى مستقل إلى القرن السادس عشر الميلادى ، إذ لم تكن سوى إقليم جغرافى ، فهل يحق للعرب أن يتخذوا ذلك حجة قانونية بتبعية فارس لهم ؟ . .

أما الاحتجاج الفارسى — فى عربستان — باعتراف شيوخ المحمرة بالسيادة الفارسية ورفع العلم الفارسى ، فإن هذا الإجراء كان نتيجة ظروف وقتية سياسية قهرية ، ولم يحدث هذا إلا بعد معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧ لا قبلها ، فهل يمكن تناسى تاريخ قديم وعام ، والتأكيد على فترة قلقة سطحية لا تتصف بالاستقرار ؟ شهدت الإمارة فيها مقاومة عربية عنيفة لمحاولات الفرس السيطرة عليها ، ودفعت قسما من شيوخ الإمارة إلى التحالف مع الإنكليز ، لصد هذا التدخل الإيرانى . الأمر الذى أجبر الفرس أنفسهم على الاعتراف باستقلال الإمارة الذاتى عنهم[٤] . هذا من جهة ، ومن جهة

(١) محمود على الداود — أحاديث عن الخليج : ١٧ ، محمد مهدى كبة — مذكراتى فى صميم الأحداث : ١٩٠ .

(٢) جاكلين بيرين — اكتشاف جزيرة العرب : ١٧٣ .

(٣) سيد أمير على — مختصر تاريخ العرب : ٤٠ ، بروكلمان — تاريخ الشعوب الإسلامية — ج ١ : ١٢٤ .

(٤) سيأتى تفصيل ذلك فيما يلى ، وانظر : حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى : ج ٣ : ١٠٠ .

أخرى أن بريطانيا عندما أرادت إنشاء معمل لتكرير النفط فى عبادان ، انتدبت السيربرسى كركس ليتفاوض عنها مع شيخ المحمرة — باعتباره الحاكم العربى الأعلى فى المنطقة — لعقد اتفاقية بشأن جزيرة عبادان ، وصار يتسلم إيجاراً سنويًّا قدره ٦٥٠ جنيهاً[١] للسماح بمرور خط الأنابيب فى بلاده إلى معمل التكرير فى عبادان . وهذا اعتراف من بريطانيا[٢] — لا يمكن الطعن به من الوجهة القانونية — بالسيادة العربية على عربستان ، وكانت بريطانيا فى وضع يمكنها من معرفة الحقائق ، فهل بعد هذا حجة قانونية أقوى للرد على الادعاء الفارسى بعربستان ؟ ، وما الذى منع الإنكليز من التفاوض مع الحكومة الفارسية إن كانت هى صاحبة النفوذ الفعلى فى المنطقة ؟

٧ — الحقائق القومية :

لقد خضعت أجزاء الوطن العربى للسيطرة الأجنبية ، وقد تفاوتت درجات هذه السيطرة بين ربوعه ، فكانت مباشرة حيناً وغير مباشرة حيناً آخر . وعربستان من الأقاليم العربية التى تعرضت إلى احتلال أجنبى مباشر — وهى كثيرة الشبه بما وقع للإسكندرونة بعدئذ[٣] — . وقد بذل الفرس منذ زمن بعيد محاولات يائسة لضرب الكيان العربى وإزالة سلطانه فى عربستان ، بسبب كرههم الشديد للعرب[٤] . وميلهم للعداء مع كل القوميات غير الفارسية[٥] ، وهذه حركة شاملة لا تخص عربستان وحدها ، بل ولدت كرد فعل عند الفرس للزعامة العربية فى الإسلام[٦] ، فكانت حركة الشعوبية : التى اتهمت العرب

(١) هارفى أوكونور — الأزمة العالمية فى البترول : ٣٤٢ ، ٣٥٠ .

(٢) Lenczowski, George: Oil and state in the Middle East, p. 147.

(٣) أمين سعيد — الوطن العربى : ١٧٣ .

(٤) Wilson: South-West Persia, p. 136.

(٥) Ibid, p. 136.

(٦) حسن إبراهيم حسن — تاريخ الإسلام — ج ٢ : ٨٩ .

« بالبداوة والانحطاط وطعنت فى أنسابهم وشككت بها ، وراحت تتهم الأمة العربية فى ذاتها فادعت أنها ليست أمة واحدة بل مجموعة قبائل متباينة لا ترتبط برابطة عامة ، وهاجمت الأخلاق والسجايا والقيم العربية ووجهت سهامها إلى الثقافة العربية وإلى اللغة العربية ، تطعن بها وتقلل من شأنها ، فى حين راحت تمجد الثقافات الأعجمية وبخاصة الفارسية ، وتحاول إحياء تراثها الفكرى هادفة إلى إحلال الثقافات والقيم الأعجمية محل العربية . . . ودعت الشعوب الأعجمية إلى التضافر لضرب العرب معلنة انتهاء دورهم ، فليس لهم إلا أن يعودوا لرعى الإبل فى الحجاز والجزيرة »[١] . وقد برزت هذه الحركة على أشدها فى عربستان وأصبحت لها ذيول فى بلاد أخرى . ومن الغريب أن يؤدى ظهور مثل هذه الحركات إلى تساؤل البعض وشكهم فى عروبة عربستان ، بدل أن يحاولوا فهم معناها وجذورها وسبب ظهورها . هذا فى حين أن عنفها فى عربستان ما هو إلا مظهر لقوة العروبة فيها .

من المعروف أن عربستان تكون ساحة صراع سياسى ثقافى اجتماعى بين العروبة والأعجمية بعد ظهور العرب على المسرح . وهذه حالة طبيعية فى البلاد الحديثة التى تجاور قوى أجنبية عنيفة ، فلا غرابة أن يتخذ هذا الصراع طابعاً عنيفاً ، أفقد العرب الكثير من سيادتهم السياسية ، من أبرز مظاهره أن رسم نادر شاه خطة فى أواخر أيامه « تقضى بإلقاء القبض على هؤلاء العرب ونقلهم إلى سواحل بحر قزوين وإحلال فرس محلهم ولكن مصرعه الفاجع حال دون تنفيذ هذه الخطة ، وحالت الاضطرابات المستمرة فى بلاد فارس منذئذ دون اعتداءاتهم على حرية هؤلاء العرب »[٢] ، « ولما رأت إيران عاصفة العروبة تجتاح أقطار العرب »[٣] ، حاولت أن تسبق الحوادث التى

(١) عبد العزيز الدورى — الجذور التاريخية للقومية العربية : ٣٥ — ٣٦ .

(٢) جاكلين بيرين — اكتشاف جزيرة العرب — ١٦٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢٢٨ .

كشفتها الحرب العالمية الأولى وظهور الدول العربية القومية للوجود ، فضمتها باحتلال عسكرى لها خوفاً من أن يطالب العرب — لا سيما العراق — بها ، وقد كتبت لسياسة نادر شاه النجاح آنئذ « فتم نقل بعض العشائر العربية إلى شمال إيران ، فى سياسة لا تختلف عن سياسة التتريك فى تركيا فى أخريات أيامها »[١] ، ففرضت محاولات من التفريس القسرى على شعب عربستان فى نواحى متعددة : ثقافية وسياسية واجتماعية .

ويهمنا هنا أن نفهم كيف قابل العرب فى عربستان هذا التحدى للسيادة والفكرة العربية ؟ لقد ظل شعب عربستان عربياً تحكمه فى الداخل أعرافه وتقاليده العربية الخالصة ، ويبدو لى ، خلال اتصالاتى المباشرة وزياراتى المتكررة للمنطقة ، أن هناك نقاء قومياً وشعوراً عربياً خالصاً يمثل تياراً معاكساً لسياسة التفريس فيها ، والإقليم — بالرغم من الحكم الفارسى — لم يفقد سجاياه العربية ، فجميع ما فيه من مقومات تنطق بعروبتها ، وأنظار أبنائه مع العرب .

الاستقلال الذاتى لإمارة المحمرة[٢] :

يعتبر مرداو عميد الأسرة الكاسبية التى انتقلت إلى ضفاف نهر كارون ، فكان بداية انقسام خطير فى صفوف الكعبيين ، من أبرز نتائجه أن تلاشت بعدئذ قوة كعب التى لعبت دوراً إيجابياً فى منطقة الخليج العربى ليحل محلها فخذ آخر منها هو قبيلة البوكاسب ، التى أسست بعد حين إمارة المحمرة العربية .

وكان قيامها ضرورة اقتضتها السيطرة على مداخل كارون — الشريان الرئيس لحياة الإمارة الاقتصادية — الذى بدأ الغرب حينئذ يوجه أنظاره إليه ، لاستغلاله والنفاذ منه إلى مشارف عربستان وما جاورها طمعاً فى خيراتها

(١) قدرى قلعجى — الخليج العربى : ٦١٢ .

(٢) للاطلاع على أمراء المحمرة حتى تقويض الحكم العربى ، راجع : الملحق الحادى والثلاثين .

وثروتها الطبيعية[١] .

والحاج يوسف هو الابن الأكبر لمرداو ، والذى خلف أباه فى رئاسة القبيلة،وعلى يده تم تشييد مدينة المحمرة سنة ١٨١٢ ، والذى سبب ازدهارها — بعدئذ — ظهور أهميتها الدولية ، ففكرت بريطانيا — متمثلة بشركة الهند الشرقية — بإدخالها فى مناطق نفوذها ، كما قام حول تبعيتها نزاع عثمانى فارسى عقيم . ويذكر لونكريك[٢]: أن تبعية الحاج يوسف كان مشكوكاً فى أمرها ، أللفرس هى أم للعثمانيين ؟ والواقع أن تبعيته كانت لبنى كعب فقط[٣] ، ويمكن الحكم عليه من دراسة التاريخ السياسى لبنى كعب . وبالنسبة للمحمرة فإن أول ذكر لاسمها عثرنا عليه فى (تاريخ كعب)[٤] ، إذ أن مؤلفه ذكرها فى حوادث عهد الشيخ غيبلث بن غضبان أحد أمراء بنى كعب (١٨١٢ — ١٨٢٩) فأطلق عليها اسم (كوت المحمرة)[٥] ، ومنه يظهر أنها كانت قلعة يسكنها جماعة من آل كعب ، هم البوكاسب الذين عاشوا تحت حماية أبناء عمومتهم ، شيوخ البوناصر فى الفلاحية فكانت تابعية المحمرة لهم ، فوسعوها وجعلها الشيخ ثامر بن غضبان (١٨٣٢ — ١٨٣٧) ميناء مزدهراً وفتح أبوابها للسفن التجارية[٦] .

---

(١) John Marlowe: The Persian Gulf in the Twentieth Century, p. 30.

(٢) Longrigg: Op. cit., p. 266.

(٣) أحمد كسروى — تاريخ بانصد سالة خوزستان : ١٨١ .

(٤) تاريخ كعب — لمؤلف مجهول : (مخطوط) .

(٥) الكوت : كلمة بابلية — وقيل هندية — بمعنى قلعة ، وقد تطلق على مجموعة البيوت المتلاصقة التى تشبه القرية الصغيرة ، وهى لا تطلق عادة إلا على مكان قريب من البحر أو النهر ، وقد شاع استعمالها فى العراق ونجد وعربستان . راجع : حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ١ : ١٨ — ١٩ ، الأب أنستاس مارى الكرملى — تسمية مدينة الكويت — مجلة المشرق ع ١٠ (بيروت — ١٩٠٤) : ٤٩٩ — ٥٥٨ .

(٦) أحمد كسروى — تاريخ بانصد سالة خوزستان : ١٨١ .

إمارة الحاج جابر بن مرداو (١٨٢٩ — ١٨٨١)[١] :

يمثل الحاج — جابر — الذى تولى الرياسة بعد أخيه الحاج يوسف (+ ١٨٢٩) —[٢] عهداً جديداً فى تاريخ عربستان ، فهو يعد بحق المؤسس الحقيقى الأول لإمارة المحمرة ، وواضع حجر الأساس لكيانها السياسى ، ويظهر من سيرة حياته[٣] ، أنه كان ذا موهبة فريدة وهمة عالية وفكر بعيد النظر ، جعله يتبوأ المكانة اللائقة به كرئيس لرعيته ، وامتاز بجرأته السياسية؛ فكانت له مواقف سياسية استطاع بوساطتها أن يوطد دعائم إمارته ويوسع منطقة نفوذه ويكسب ثقة رعيته ويخضعهم له ، ويحصل على تأييد من الدول التى حوله .

بدأ الحاج جابر حياته السياسية تابعاً كأبيه وأخيه لبنى كعب — قسم الفلاحية — يأتمر بأمرهم ويخضع لإرادتهم[٤] ، ولكن طموحه ورغبته فى الحكم لم تكن خافية على شيوخها، فأضمروا له العداء[٥]، وعندما أراد الشيخ رحمة الله بن عيسى التنكيل به استطاع أن يرضيه فعفا عنه[٦] ،

---

(١) يذكر محمود على الداود — الخليج العربى والعلاقات الدولية : ٦٤ : — أن فترة حكم الحاج جابر هى (١٨٦٢ — ١٨٨١) وهذا غير وارد إطلاقاً ، فالمعروف أنه تولى الرياسة بعد وفاة أخيه سنة ١٨٢٩ ، واعترفت فارس باستقلاله سنة ١٨٥٧ . راجع : عبد القادر باش أعيان — تاريخ البصرة الكبير — (مخطوط) : ج ٦ ، علماً بأن سنة ١٨٦٢ تمثل سنة ولادة الشيخ خزعل .

(٢) عبد القادر باش أعيان — تاريخ البصرة الكبير — (مخطوط) : ج ٦ .

(٣) يصفه عبد المسيح أنطاكى فى : الدرر الحسان ٢٣ : «أنه كان طويل القامة ممتلىء الجسم حنطى اللون مهيب الطلعة قوى اليد والقلب كثير اللين والرفق . أما عبد الواحد باش أعيان — فيذكر فى : زبدة التواريخ — ج ١٣ : ٢٩٦ : — أن مجلسه كان مجلس علم وأدب ينفق على قاصديه من العلماء والمشايخ ورجال الدين والفقراء أموالا كثيرة » .

(٤) محسن الأمين — أعيان الشيعة — ج ١٥ : ١٩٢ .

(٥) انظر ما جرى له مع شيوخ الفلاحية فى: الندوانى—تاريخ العمارة وعشائرها : ٩٥—١٠٠ .

(٦) محسن الأمين — أعيان الشيعة — ج ١٥ : ١٩٢ .

وهكذا غدت المحمرة منذ سنة ١٨٣٠ خصماً لبنى كعب بدل أن تكون عوناً لهم [١] .

وقد عرف الحاج جابر كيف يستميل الشاه الفارسى والوالى العثمانى بالعراق فى وقت واحد[٢] ، ويكسب ثقتهما وتأييدهما له . فكان مقره فى المحمرة ، ومحل سكناه فى كوت الزين بالبصرة [٣] .

ومن أبرز ما حدث فى المحمرة أيامه : تعرضها للهجوم العثمانى بقيادة على رضا باشا اللاز سنة ١٨٣٧ ، إلا أنه ، كما رأينا ، كان هجوماً خاطفاً لم يغير شيئاً فى الكيان السياسى للمنطقة ، تألق فيه نجم الحاج جابر ، بعد أن خرج العثمانيون منها ، فأعاد بناءها ووسعها ، إلا أن نزاعاً حاداً بين الفرس والعثمانيين أعقب الاحتلال حول تبعيتها ، تحمل عبأه الحاج جابر بصبر وثبات . ثم عقد مؤتمر فى أرضروم فى أيار (مايو) سنة ١٨٤٣ من أجل التسوية ، وأخذ المؤتمرون يجمعون الوثائق وقاموا باستدعاء الشيخ ثامر — وكان لاجئاً فى البصرة — لمناقشته فى تطورات الأحداث فى المحمرة [٤] . وأخيراً توصل أطراف النزاع — بإشراف الوسيط الإنكليزى العقيد وليمز ، والوسيط الروسى العقيد أورس — إلى عقد معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧ ، قرر فيه تبعية المحمرة للدولة الفارسية ، وقد عرف الحاج جابر — الذى امتاز بالذكاء والشجاعة[٥] — كيف يستغل الظروف لمصلحته ، فمال — فى أثناء النزاع الفارسى العثمانى على

---

(١) Longrigg : Op. cit., p. 268.

(٢) خضر العبيدى — عربستان (مخطوط) .

(٣) وقد منحته إياها الدولة العثمانية مقابل إعطائه والى بغداد إحدى البواخر التى قدم بها إلى بغداد . انظر : النبهانى — التحفة النبهانية — ج ٩ : ٣١ .

(٤) Filix - Jones : Op. cit., p. 136.
ومن الجدير بالذكر أن المؤتمرين كلفوا جونس أن يتولى وضع خريطة تعينهم على تحديد خط دقيق للحدود .

(٥) محسن الأمين — أعيان الشيعة — ج ١٥ : ١٩٢ .

منطقته — إلى الدولة الفارسية [١] ، بالرغم من أن تابعيتها كانت أقرب للدولة العثمانية ، وترجع فى إدارتها إلى ولاية البصرة إدارة غير رسمية [٢] ، ووقف موقفاً صلباً مع درويش باشا — عضو لجنة تخطيط الحدود العثمانية — ومانع بشدة اعتبار المحمرة جزءاً من الإمبراطورية العثمانية ، وكان يدفعه لهذا الموقف طمعه فى الاستقلال الذى كان أقرب له فى ظل الدولة الفارسية المفككة منه فى الدولة العثمانية ، وتفكيره فى الخروج من تبعية بنى كعب الساكنين فى الفلاحية[٣] ، التى كانت أملاكهم جزءاً من أملاك الدولة العثمانية العلية [٤] ، إضافة إلى أن أبناء منطقته كانوا يحملون الجنسية العثمانية لا الفارسية [٥] فالخروج عن العثمانيين معناه التخلص من التجنيد العسكرى العثمانى الذى يشمل المنطقة فى وقت لا تستطيع فارس سوقهم لعدم امتلاكها هذا الحق . وقد وقفت الدولة العثمانية مناوئة للحاج جابر — الذى تؤيده فارس طمعاً بمنطقته — وأبرز درويش باشا مستندات كثيرة ووثائق رسمية تثبت ملكية دولته أراضى المحمرة [٦] فزادت هذه الحوادث مكانة المحمرة السياسية والتجارية ، وزاد الحاج جابر حرصاً على تقدم منطقته وعلو شأنها [٧] .

والحقيقة أن الحاج جابر — وأبناءه من بعده — لم يخضعوا للسيادة الفارسية ، ولم يعترفوا بمعاهدة أرضروم الثانية ، وظل يحكم منطقته ، لا تقلقه فارس قدر قلقه من العصبية القبلية . التى أخذت تتأجج نيرانها على أثر ضعف بنى كعب

---

(١) هذا يفسر لنا إصرار السلطات الفارسية إلى إعادته الحكم بعد أن وقع غدراً فى يد أعدائه سنة ١٨٦٢ .

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٣ : ٩٦ .

(٣) فصيح الحيدرى — أحوال البصرة : ٢٩ .

(٤) المصدر السابق : ٣٢ .

(٥) خضير العبيدى — عربستان (مخطوط) .

(٦) لقد تضمنها كراس ترجمته وزارة الخارجية العراقية عن التركية بعنوان : تقرير تحديد الحدود الإيرانية العثمانية (بغداد — ١٩٥٣) .

(٧) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٣ : ٩٨ .

فى الفلاحية ، وتحول تبعية المنطقة لفارس ، فانشقت قبائل عربستان سنة ١٨٤٩ على نفسها : « إذ أعلن الشيخ حداد بن فارس رئيس قبيلة آل كثير استقلاله ، وكذلك فعل الشيخ مهاوى رئيس قبيلة بنى طرف . ولم يشذ الشيخ طلال رئيس قبيلة ربيعة عن ذلك ولم يكن شأن البوناصر – وساء بنى كعب فى الفلاحية – أحسن حالا من غيرهم ، فقد ثار بينهم النزاع على الإمارة ودارت حروب طاحنة بين جميع القبائل »(١) ، اغتنمتها فارس للتنكيل بهم . وتدفقت جيوشها على المنطقة – باعتبارها من مناطق نفوذها – فأسرت بعض رؤساء القبائل ، إلا أنها عجزت عن إخضاع ربيعة ، فأصدرت مرسوماً ملكياً فوضت أمرهم بموجبه إلى الحاج جابر (٢) – الشخصية القوية التى حافظت على مكانتها برغم الفوضى التى عمت عربستان – فتصرف بحكمة معها ، إذ تزوج ابنة شيخها (طلال) ، فأولدها الشيخ خزعل – آخر أمراء عربستان – ، وهكذا اجتمعت الرئاسة له ، إلا أن بنى كعب لم يشاءوا الخضوع (لتابعهم بالأمس) ، فثاروا لسيادتهم على المنطقة ، وجرت بينه وبينهم حروب كثيرة تغلب فى معظمها عليهم ، أشهرها وقعة البوحميد ووقعة كوت الشيخ الحاسمة (٣) . وقد تعرضت المحمرة فى ٢٦ مارس سنة ١٨٥٧ إلى هجوم بريطانى كاسح للمنطقة وقف فيه الحاج جابر وأتباعه صامدين بوجه الإنكليز ، إلا أنه وجد بعدئذ أن من مصلحته عدم الوقوف بوجههم ، ولا سيما أن إنكلترا أصبحت ، بموجب معاهدة باريس سنة ١٨٥٧ ، الدولة التى لا منازع لها فى الخليج العربى (٤) . وقد ظلت القوات البريطانية مرابطة فى المحمرة

---

(١) المصدر السابق : ٩٩ .

(٢) يعد أول اعتراف رسمى من فارس بنفوذه .

(٣) عبد المجيد الغزالى – تاريخ البصرة : ٢٩٨ ، جاسم حسن شبر – تاريخ المشعشعين : ٢٠١ .

(٤) جمال زكريا قاسم – الخليج العربى : ١٥٥ Wilber : Op. cit., p. 99.

قرابة ثلاثة أشهر (١) ، انسحبت بعدها على إثر إبرام معاهدة باريس . أما موقف فارس من هذه الأزمة ومن المشاكل الداخلية التى واجهتها ، عند انتقال تبعية عربستان لها ، فكان موقفاً فيه شيء من الحرج والتراجع ، فقد وجدت نفسها عاجزة عن إدارة شئون المنطقة التى لا تمت لها بصلة واقعية سوى ارتباطها بها من الناحية السياسية الشكلية . ولما كانت فارس آنذاك فى وضع لا تحسد عليه من التفكك والانهيار (٢) ، والنزاع العثمانى ما انفك مستمراً عليها ، فقد وجد ناصر الدين شاه (١٨٤٨ – ١٨٩٦) أن من الحكمة ومصلحة بلاده إعلان استقلال عربستان تحت إمارة الحاج جابر ، ليتخلص من عبء إدارتها ، وليجعلها منطقة حاجزة – بمثابة Buffer State حسب المصطلح السياسى الدولى للقرن التاسع عشر – عن تعديات الأتراك المستمرة لحدود بلاده (٣) ، فأصدر فى أواخر سنة ١٨٥٧ مرسوماً ملكياً (٤) يتضمن ما يلى :

١ – تكون إمارة المحمرة إلى الحاج جابر بن مرداو ولأبنائه من بعده .

٢ – تبقى الكمارك تحت إدارة الدولة الفارسية ويديرها أمير المحمرة نيابة عنه .

٣ – يقيم فى المحمرة مأمور من قبل الدولة الفارسية يمثلها لدى أمير المحمرة ، ومهمته تنحصر فى الأمور التجارية فقط .

٤ – يكون علم الإمارة نفس العلم الفارسى .

٥ – تكون النقود المتداولة فى إمارة المحمرة نفس النقود الفارسية .

٦ – شئون إمارة المحمرة الخارجية منوطة بوزارة الخارجية الفارسية .

---

(١) عبد الواحد باش أعيان – زبدة التواريخ (مخطوط) – ج ١٢ .

(٢) محمود على الداود – أحاديث عن الخليج العربى : ١٧ .

(٣) عبد المسيح أنطاكى – رحلة السلطان حسين فى وادى النيل : ٢٠٧ .

(٤) المصدر السابق : ٢٠٧ .

٧ — يتعهد أمير المحمرة بنجدة الدولة الفارسية بجيوشه، فى حالة اشتباكها بالحرب مع دولة أخرى [١] .

وهكذا صدر هذا الاعتراف باستقلال المحمرة الذاتى وبإمارة الحاج جابر عليها[٢] بعد مرور عشر سنوات فقط على عقد معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧ ، وهذا ما توقعه الحاج جابر نفسه خلال أزمة الصراع ، والمرسوم هذا ، برغم عدم إعطائه الإمارة شخصية دولية ، تضمن صراحة استقلال عربستان فى شئونها الداخلية ، واعترف بها إمارة وراثية لها قواتها المستقلة؛ « وصار أميرها يدفع إلى حكومة طهران إتاوة سنوية معينة إضافة إلى واردات الكمارك ، وما عدا ذلك فإن أمير المحمرة أصبح الحاكم المطلق فى إما ته، يفرض من الضرائب ما يشاء،وله جميع واردات الإمارة،وعليه جميع مصروفاتها ، وهو المسئول عن أمنها وإدارة شئونها الداخلية ، وله الحق فى أن يعين من قبله حكاماً على المناطق والمدن التى تقع ضمن إمارته[٣] .

وبعد أن حصل الحاج جابر على اعتراف الشاه باستقلاله الذاتى ، اتجه للنهوض بإمارته ، ففكر فى نقل مقره من المحمرة إلى موضع يبعد عنها كيلو متراً واحداً كان يسمى (أبو جذيع)، فتحوّل سنة ١٨٦٥ إليه ،وأطلق عليه اسم (النيابية) [٤] ، وكان ذلك نتيجة التفكك القبلى الذى ساد المحمرة ، وعمل الحاج جابر على إخماد جذوته بما أوتى من حول وقوة، وكلفه فى بعض الأحيان خوض حروب عنيفة مع بعض القبائل ، أشهرها حربه مع قبيلة التصا سنة ١٨٦٨ ، وتطلب منه الأمر طلب المعونة من ناصر بن راشد السعدون

---

(١) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٣ : ١٠٠ .

(٢) عبد المسيح أنطاكى — الدرر الحسان : ١٢ .

(٣) سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٥ ، محسن الأمين — معادن الجواهر ونزهة الخواطر فى علوم الأوائل والأواخر — ج ٢ : ٢٨٧ .

(٤) ديوان الشيخ حمادى بن نوح الحلى — ج ٢ (مخطوط) سنة ١٣٢٤ ، عبد الواحد باش أعيان — زبدة التواريخ — ج ١١ : ٣٤١ ، ٣٤٣ .

(شيخ المنتفك) وعبد الله الثانى الصباح (شيخ الكويت) [١] ، واستطاع بقوته وذكائه أن يؤلف بين قبائل عربستان ، ويكسبها لجانبه ، فوطد بوحدتهم استقلاله ، إلا أن بنى كعب فى الفلاحية — برغم حروبهم معه — ظلوا منافسين أقوياء له فى عربستان ، وصاروا يبذلون للشاه بسخاء من أجل اعترافه بكيانهم السياسى — الذى فقدوه بقيام إمارة المحمرة — فتدارك الأمر الحاج جابر واغتنم فرصة زيارة ناصر الدين شاه للعراق سنة ١٨٧١ فقصد بغداد طالباً إلى واليها مدحت باشا (١٨٦٩ — ١٨٧٣) التوسط له عند الشاه بتسليم الواردات المترتبة عليه بوساطة معتمد للشاه فى المحمرة لا طهران ، ليأمن منافسة بنى كعب له خارج حدود إمارته ، فتم له ما أراد وسلمه الشاه فرماناً ورتبة (نصرة الملك) [٢] ، ولقبه (أمير تومان) [٣] ، وصار معتمد الشاه يأتيه سنوياً بخلعة ثمينة من طهران اعترافاً به ، فاستقر له الحكم وأمن شر مناوئيه .

وقد استقر له الأمر فى إمارته بعدئذ ، وعاش بقية حكمه فى هدوء نسبى ، وطد خلاله علاقاته بجيرانه عرب العراق — لا سيما شيخ المنتفك ناصر بن راشد السعدون — ولكن ذلك لم يمنعه من التجاوز أحياناً على المناطق المجاورة لحدود إمارته ، الأمر الذى عكر صفو الأمن عليها [٤] . أما علاقاته مع عبد الله الثانى ابن صباح الثانى شيخ الكويت فكانت متينة ، إذ كان يرسل له شيخ الكويت النجدات المستمرة ليوطد بها دعائم إمارته فى حربه مع القبائل المنشقة ،

---

(١) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ١ : ١٣٣ — ١٣٤ .

(٢) عبد الواحد باش أعيان — زبدة التواريخ (مخطوط) — ج ١٣ : ٢٩٥ — ٢٩٦ ، ونصرة الملك رتبة يمنحها الشاه لذوى الحظوة عادة .

(٣) عبد المسيح أنطاكى — الدرر الحسان : ٢٢ ، العزاوى — عشائر العراق — ج ٤ : ١٨٢ ، وأمير تومان : لقب من الدرجة الرفيعة يمنح تكريماً للشخصيات .

(٤) جريدة الزوراء — ع ١٦٥ فى ١١ جمادى الأولى سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) ، وهى أول صحيفة عراقية ظهرت فى العراق ، فصيح الحيدرى — أحوال البصرة : ٢٦ .

فكافأه على صنيعه هذا بسبعين كارة من التمر راتباً سنوياً [١] . أما علاقاته مع فارس فكانت إسمية لا تتعدى النواحى الشكلية السياسية التى فرضتها عليه معاهدة أرضروم الثانية ، كما أن المعروف عنه أنه كان لا يعطى فارس إلا شيئاً قليلا [٢] لا يتعدى واردات الكمارك بعد أن يخصم له ولرجال حاشيته بعضها [٣] . ومن ناحية أخرى نلاحظ أنه أبى تغيير زيه العربى عندما أمره ناصر الدين شاه بذلك على إثر عقد معاهدة أرضروم [٤] .

وفى سبيل بناء كيان إمارته الاقتصادى وضع « الحجر الأساسى لأجل وضع مشاريع لتشجيع الملاحة فى شط العرب ، وكان غرضه فى ذلك توسيع نهر كارون وجعله صالحاً للملاحة من مصبه فى شط العرب إلى ميناء تستر إلى القسم الشمالى الشرقى من عربستان . وقد رفض الحاج جابر قبول العروض الاقتصادية البريطانية المتعلقة بفتح نهر كارون للملاحة البريطانية ، وكان يرمى من تلك المعارضة إلى الاحتفاظ باستقلاله الذاتى عن الحكومة الفارسية وعدم فسح المجال للشركات الأجنبية لاستغلال نهر كارون » [٥] .

وإمارة الحاج جابر على المحمرة دامت أكثر من نصف قرن ، قضاها فى تدعيم استقلاله ، وبناء كيانه السياسى والمحافظة عليه . توفى سنة ١٨٨١ بعد أن تجاوز التسعين من عمره ، فانتقلت الإمارة إلى ابنه مزعل .

٢ — إمارة الشيخ مزعل (١٨٨١ — ١٨٩٧) :

تمثل حقبة الشيخ مزعل على فترة انتقالية فى تاريخ الإمارة — من الاستقلال الذاتى ، الذى حصله أبوه الحاج جابر ، إلى الاستقلال شبه التام الذى حققه

---

(١) عبد العزيز الرشيد — تاريخ الكويت : ١٠٩ .
(٢) فصيح الحيدرى — أحوال البصرة : ٣٠ .
(٣) عبد المسيح أنطاكى — الدرر الحسان : ١٥ .
(٤) محسن الأمين — أعيان الشيعة — ج ١٥ : ١٩٣ .
(٥) محمود على الداود — أحاديث عن الخليج العربى : ١٧ .

أخوه الشيخ خزعل بعدئذ — ، فقد تولى إمارة المحمرة إثر وفاة أبيه ، بعد أن نازعه عليها أخوه الشيخ محمد ، إلا أن شعب عربستان رجّحه على أخيه الأكبر ، الذى التجأ إلى طهران للحصول على اعتراف الشاه به ، فلم يفلح [١] ، فاضطر إلى السكنى فى البصرة ، إذ قضى بقية حياته فى السبيليات (إحدى مناطقها) [٢] .

واعترافاً بالأمر الواقع أرسل الشاه — باعتبار أن عربستان من مناطق نفوذه ، كما نصت معاهدة أرضروم الثانية — للشيخ مزعل مندوباً خاصاً لتقديم التهنئة ، ومعه خلعة الإمارة ومنحه ألقاب أبيه . [٣] وأضاف إليها اللقب العالى « معز السلطنة » [٤] . وصدر باسمه فرمان الحكومة ومنشور الولاية [٥] .

وقد عانى فى بدء إمارته من انشقاق القبائل عليه ، تلك التى شغلت أباه من قبله ، طمعاً بالرياسة والجاه ، فكثرت حروبه معهم [٦] . والملاحظ أن التفكك القبلى فى المنطقة وتعمق العصبية القبلية بين قبائل عربستان عمل على إضعاف الصمود العربى — الذى تبلور أيام الكعبيين — بوجه التيارات الأجنبية ، فارسية كانت أم أوربية . وقد استغله الإنكليز بوجه خاص فنفذوا للمنطقة من خلال ثغراته واستطاعوا أن يحققوا أغراضهم مستغلين تهديد معاهدة أرضروم الثانية للكيان العربى فى المنطقة .

إن أولى المشكلات الداخلية التى واجهت الشيخ مزعل إثر توليه ، هى :

---

(١) أحمد كسروى — تاريخ بانصد رسالة خوزستان : ٢١٣ .
(٢) محسن الأمين — أعيان الشيعة — ج ٤٨ : ٥٧ ، عباس العزاوى — عشائر العراق — ج ٤ : ١٨٢ .
(٣) جاسم حسن شبر — تاريخ المشعشعين : ٢٠٢ .
(٤) عبد المسيح أنطاكى — الدرر الحسان : ٢٣ .
(٥) جاسم حسن شبر — تاريخ المشعشعين : ٢٠٢ .
(٦) عبد المسيح أنطاكى — الدرر الحسان : ٢٥ .

انقسام أهل الفلاحية إلى فرقتين ، الأولى مع الشيخ رحمة الله — شيخ بنى كعب — ، والأخرى مؤيدة له ، فاستطاع أن يخضع الفرقة المناوئة ويرتب عاملا من قبله عليها، بعد أن عزل مشايخها [١] ، والتفت بعد ذلك إلى الحويزة — التى تمرد فيها المولى مطلب بن نصر الله آخر ولاة المشعشعين — فأرسل لهم الشيخ خزعل على رأس حملة كبيرة ، فتمكن منهم بعد أن خاض معهم عدة وقائع أشهرها وقعة العتابية [٢] فانطوت بذلك آخر صفحة من تاريخ المشعشعين ، وذلك سنة ١٨٨٢ .

وبالرغم من فترة القلق والفوضى النسبية التى مر بها الشيخ مزعل ، فإنه استطاع توسيع إمارته والسيطرة على قبائلها مستعملا اللين [٣] حيناً والشدة حيناً آخر . وقد عرف عن الشيخ مزعل ولعه بالصيد [٤] وعطفه على الفقراء ورجال الدين وتشجيعه الشعراء . وقد أحاط نفسه بكل مظاهر البذخ والاحترام .

أما علاقاته الخارجية ، فكانت متينة مع عرب المنتفك من آل السعدون فى العراق ، فنلاحظ أنهم التجئوا إليه عندما طاردتهم السلطات العثمانية ، وأحسوا بخطر محمد الرشيد — أمير حائل — عليهم. وقد ظلوا فى رعايته فى عربستان مدة تزيد على السنتين [٥] . وعلاقاته بشيوخ الكويت استمراراً للعلاقة الوطيدة بينهم وبين أبيه ، فكانوا يكسبون رضاه ، وكثيراً ما ترددوا عليه فى مقره بالمحمرة ، وعاونوه فى المحافظة على آل السعدون من خطر أمير حائل ، وإرجاعهم إلى ديارهم فى المنتفك [٦] . كما أن الشيخ مزعل حاول التدخل فى أزمة الصراع على الحكم

(١) جاسم حسن شبر — تاريخ المشعشعين : ٢٠٢ .
(٢) نسبة إلى نهر العتابى الواقع شمال مدينة الحويزة ، راجع : حمود الساعدى — تاريخ عشائر الفرات الأوسط — ج ٤ (مخطوط) ، عبد المسيح أنطاكى — الدرر الحسان : ٢٩.
(٣) مجلة صوت الإسلام — ع ٧ سنة ١٩٦٤ (عربستان) : ١٤.
(٤) عبد الواحد باش أعيان — زبدة التواريخ — ج ١٤ (مخطوط).
(٥) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ١ : ١٤٥.
(٦) المصدر السابق: ١٤٦.

بين الشيخ مبارك الصباح (١٨٩٦ — ١٩١٥) — الذى قتل أخاه الشيخ محمد الصباح (١٨٩١ — ١٨٩٦) — وبين يوسف الإبراهيم أحد المتنفذين فى الكويت والمطالب بدم الشيخ محمد ، إلا أن قتل الشيخ مزعل حال دون حل المعضلة [١] .

أما علاقته مع فارس ، فكانت رمزية إسمية لم يطرأ عليها أى تغيير عما كانت عليه زمن أبيه ، إلا أن عصر الشيخ مزعل امتاز بتغلغل النفوذ البريطانى فى المنطقة وتقويته [٢] ، فقد اتجهت بريطانيا إلى « إمارة المحمرة العربية لكى تتخذ منها قاعدة لمواجهة التقدم الروسى فى فارس » [٣] . فبذلت جهودها لإقناع الشيخ مزعل بأنها ليست لها أية أهداف عسكرية ، وأن مصالحها تعتمد على التطور السلمى للتجارة فى المناطق الواقعة على شواطئ شط العرب ، ومشاريعها تهدف إلى تحسين طرق المواصلات فى المنطقة ، ولكن المتتبع لمجريات الحوادث يلاحظ أن هدف التغلغل البريطانى كان من أجل تحقيق استثمارات المناطق الغنية الواقعة على جانبى حوض كارون فى مقاطعة عربستان [٤] .

وقد عملت بريطانيا جهدها لأن تبقى صاحبة النفوذ الأول فى عربستان ، فوقفت بحذر من تحصينات الأتراك ، أو فسرته بكونه عملاً موجهاً ضد المصالح البريطانية ، مستندة إلى أن معاهدة أرضروم الثانية منعت إقامة الاستحكامات على شط العرب . وقد أبدت حكومة الهند تخوفها من نوايا الأتراك التى اعتقدت أنها تهدف إلى السيطرة على الاحتكارات التجارية البريطانية فى المحمرة [٥] ،

(١) المصدر السابق — ج ٢ : ٢٢ ، عبد الله الحاتم — من هنا بدأت الكويت : ١٤١ .
(٢) مجلة المقتطف — ج ٢ ، مج ٨٢ سنة ١٩٣٣ — السياسة البريطانية الفارسية — يوسف رزق الله غنيمة : ٢٠١ .
(٣) جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٤٠٤ .
(٤) محمود على الداود — الخليج العربى والعلاقات الدولية : ٥٧ .
(٥) المصدر السابق : ٣٦ .

كما أن بريطانيا أصيبت بالقلق خلال أزمة التدخل الفرنسى فى المحمرة سنة ١٨٨٢ ، وصارت تفكر بالخطر التجارى والسياسى على نفوذها الذى تحدثه المشاريع الفرنسية فى المحمرة بوجه خاص ، وفى الخليج العربى بوجه عام [١] ، لا سيما أن الشيخ مزعل — شيخ المحمرة — يتمتع باستقلال ذاتى فى إمارته ، ومن السهل جداً على فرنسا والدول الأوربية الأخرى تكوين علاقات تجارية وسياسية معه بصورة مباشرة . فقد زار المحمرة جماعة من التجار الفرنسيين سنة ١٨٨٣ ونالوا مساعدات قيمة من القنصل الفرنسى فى البصرة ، كما زار حوض كارون المهندس الفرنسى ديولافوى Deiulafoy وذلك لإعداد تقرير عن الملاحة والرى فيه، واوضع دراسات لبناء خزان عند الأحواز [٢] .

لكن بريطانيا — برغم كل هذا — بذلت جهوداً مضنية للحصول على امتيازات خاصة بها ، وقد دفعها ذلك الوضع لإقناع الحكومة الفارسية — صاحبة النفوذ الأسمى فى المنطقة — لتفتح نهر كارون للملاحة والتجارة ، لكن فارس عارضت بادئ الأمر مثل هذه الامتيازات التى تتبعها عادة سيطرة سياسية وعسكرية . ومما زاد فى مخاوفها وقوع إمارة المحمرة العربية على مداخل النهر ، فيصبح من الميسور على شيخها الحصول على تأييد من بريطانيا للاستقلال التام [٣] . على أن الشيخ مزعل هو الآخر عارض مشروع الملاحة النهرية فى نهر كارون ، إلا أنه « أخفق فى إقناع بريطانيا بترك المشروع ، ولعله وجد فى تطور المنطقة اقتصادياً وربط المحمرة بتستر وطهران بسكك حديد تهديداً لنفوذه فى المنطقة ، ولكنه كان على أتم استعداد لمقاومة أية محاولة تأتى من طهران لاحتلال إمارته »[٤] . وأخيراً استقر الرأى سنة ١٨٨٨ على افتتاح نهر كارون الواقع جنوب الأحواز للملاحة التجارية الدولية ، وهكذا

---

(١) المصدر السابق : ٥٩ . (٢) المصدر السابق : ٥٩ .

(٣) صلاح العقاد — التيارات السياسية فى الخليج العربى : ١٧٧ .

(٤) جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٤٠٥ .

مخرت بواخر لنتش — صاحبة الملاحة فى الرافدين — فى نهر كارون [١] ، وبذلك دخلت إمارة المحمرة عهداً جديداً فى تاريخ العلاقات الدولية ووقعت تحت تأثيرات خارجية عجزت عن صدها — كما سنرى — . ويروى أن مرافق المحمرة أصبحت فى عهد الشيخ مزعل تحت إشراف بريطانى مباشر ، ووقعت مواردها تحت السيطرة البريطانية . وفى عام ١٨٩٠ أسّست لهذا الغرض قنصلية بريطانية فى المحمرة [٢] .

وقد دامت إمارة الشيخ مزعل ستة عشر عاماً ، نافسه فى أواخرها أخوه الأصغر الشيخ خزعل ، ويبدو أن حزمه وشدته كانا قد ضايقا أخاه ، لا سيما أنه كان يسىء العشرة معه ويقتر عليه فى معاشه [٣] ، لمحاولة سابقة جرت لاغتياله كان قد دبرها له الشيخ خزعل . ولكن ذلك لم يثن الشيخ خزعل عن عزمه ، وظل يتحين الفرص إلى أن واتته ذات يوم ، فأرداه قتيلا [٤] وهو ينزل إلى قصره فى الفيلة [٥] من قارب صغير بجانب القصر ، وقتل معه سبعة عشر رجلا من حاشيته [٦] — وكان ذلك فى سنة ١٨٩٧ — ليتبوأ الشيخ خزعل بدله إمارة المحمرة ، ففوض إليه مظفر الدين شاه — كما جرت التقاليد — الإمارة ومنحه جميع مناصب أخيه وألقابه [٧] .

---

(١) مجلة المقتطف — العدد نفسه : ٢٠١.

(٢) مجلة المقتطف — العدد نفسه : ٢٠٢ ، جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٤٠٥ .

(٣) أحمد كسروى — تاريخ بانصد ساله خوزستان : ٢١٣ ، عبد الله الحاتم — من هنا بدأت الكويت : ١٣٩ .

(٤) سنت جون فلبى — ترجمة جعفر خياط — أيام فى العراق : ٣٧ ؛

John Van Ess : Meet the Arab, - p. 201.

ويذكر الندوانى — تاريخ العمارة وعشائرها : ١٠٠ — ١٠١ أن الذى قام بقتله هو عبد الشيخ خزعل المدعو (سويد) . ومما يجدر ذكره أن الذى كان يؤيد الشيخ خزعل فى عمله هذا ابن عمه سلمان ، وهو برغم ذلك لم ينج من الموت لاتهام وجهه له الشيخ خزعل بسرقة عشرة أكياس من الليرات الذهبية ليلة مصرع الشيخ مزعل .

(٥) محسن الأمين — أعيان الشيعة — ج ٢٩ : ٢٣٠ ، ج ٤٨ : ٥٧ .

(٦) عبد الواحد باش أعيان — زبدة التواريخ — ج ١٤ (مخطوط) .

(٧) أحمد كسروى — المصدر نفسه : ٢٢٥ .

الفصل الثانى

الشيخ خزعل أميراً لعربستان

شخصية الشيخ خزعل وتوليه الإمارة :

يعدّ الشيخ خزعل من الشخصيات العربية البارزة فى تاريخ العرب الحديث، إذ أنه لعب دوراً رئيسيًّا فى أحداث الخليج العربى فى الربع الأول من القرن العشرين ، وساهم مساهمة فعالة فى أحداثه ، واحتل مكانة مرموقة بين أمراء الجزيرة العربية . وحرص الريحانى [1] على أن يؤكد لنا : « أنه أكبرهم — بعد الملك حسين — سنًّا وأسبقهم إلى الشهرة وقرين أعظمهم إلى الكرم » .

وهو لا يقل مكانة عن شخصية الشيخ سلمان بن سلطان الكعبى (١٧٣٧ — ١٧٦٧) — الشخصية البارزة التى حكمت الإمارة إبان القرن الثامن عشر [2] . وتأتى أهمية الشيخ خزعل من أن إمارته شهدت أيامه أحداثاً غاية فى الأهمية ، فقد شهد تفجر النفط وتبلور المصالح الأجنبية فى منطقته ، وشهد قيام الحرب العالمية الأولى، وعدّ موقع إمارته الاستراتيجى خطيراً إبانها، كما شهد انهيار الحكم القاجارى فى إيران وقيام الحكم البهلوى بدله ، ذلك الحكم الذى أطاح بحكمه .

ولد الشيخ خزعل سنة ١٨٦٢ ، وهو كعبى عامرى تجرى الدماء العربية فى عروقه ، أمه نورة بنت طلال شيخ قبيله الباوية — التى تنحدر من ربيعة — ، وكان قد تزوجها أبوه الحاج جابر بن مرداو زواجاً سياسيًّا ليكسب بها قبيلة أبيها المنشقة عليه . نشأ الشيخ خزعل فى المحمرة وتعلم على أيدى بعض من

---

(١) ملوك العرب — ج ٢ : ١٨٦ .

(٢) انظر الفصل الأول من الرسالة .

شيوخ النجف ، وتدرب على الفروسية [١] ، فكان عوناً لأبيه وأخيه — من بعده — فى حروبهم المستمرة مع عشائر المنطقة .

تولى الإمارة على إثر مقتل الشيخ مزعل سنة ١٨٩٧ ، ولهذا الاغتيال دلائله ، فبالإضافة إلى الدوافع الذاتية التى حدت بالشيخ خزعل إلى الإقدام على ذلك ، كانت هناك دوافع سياسية خفية تعد رئيسة فى تلك الأحداث . فالمعروف عن الشيخ مزعل أنه كان حذراً من المصالح البريطانية فى عربستان — لا سيما الملاحة فى نهر كارون — وقد عارض المشروع إلا أنه أخفق فى إقناع بريطانيا بتركه [٢] ، فظلت بريطانيا تنظر إليه بعين القلق والريبة ، وجاءت الفرصة عندما عرض الشيخ خزعل على بريطانيا ما ينوى الإقدام عليه ، وأكد لها التزامه لمصالحها فشجعته على ذلك. ويذكر تقرير بريطانى بهذا الشأن [٣] : « عندما نال الرئاسة ، حافظ على وعده بكل دقة وأمانة ، وقد أصبح من أوفى الأوفياء .... ومنذ أن تولى المشيخة لم تبد منه مخالفة لنا ، وإنما آمن بكل استشاراتنا ، وقبل جميع نصائحنا ، ونفذ جميع مطالبنا ، دون أن يسبب لنا إزعاجاً أو نكالا ، وقد نال اللقب السامى (K. C. S. I.) » [٤] .

وعلى إثر توليه الإمارة ، منحه مظفر الدين شاه (١٨٩٦ — ١٩٠٦) ألقاب أخيه ، وأضاف إليه لقب « سردار أرفع وسردار أقدس » ، كما نال وسام « أمير تومان وأمير نويان » [٥] وأرسل له من طهران هدايا البلاط ،

---

(١) عرف عن الشيخ ولعه بالصيد ، وكان يحتفظ لنفسه بمجموعة نادرة من الخيول العربية الأصيلة ، راجع : أنطاكى — الرياض المزهرة : ٤٥٧ .

(٢) جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٤٠٥ .

(٣) الدائرة البريطانية لشئون الشرق الأوسط — شخصيات عراقية : ٣٩ ، مصدره : مذكرات رضا شاه : ٢٢١ — ٢٢٤ .

(٤) هو وسام « نجمة الهند » .

(٥) الزركلى — الأعلام — ج ٢ : ٣٥٠ ، كسروى — تاريخ بانصد ساله خوزستان ٢٢٥ ، ومما تجدر الإشارة إليه أنه وسام من الدرجة الأولى تمنحه الحكومة الفارسية إلى الشخصيات الكبيرة أو الأمراء البارزين فى الدولة .

من بينها « وسام تمثال همايون » [١] ، كما جرت التقاليد على ذلك منذ حكم أبيه الحاج جابر .

لقد أطنب الذين كتبوا عن شخصية الشيخ خزعل ، فكانت نظراتهم إليه وإلى أعماله متباينة متضاربة ، فأصحاب الحركة الأدبية — ممن استفادوا منه — يضفون عليه من النعوت والألقاب ما سما به فوق مراتب العباقرة من الحكام ، فهو عند عبد المسيح أنطاكى [٢] : « بشوش الثغر ، طلق المحيا ، ذو نظر جذاب ، فصيح اللهجة [٣] ، وديع يؤانس ضيوفه ، شريف العواطف ذو سماحة وطلاقة ، حليم عند القدرة ، شفوق على اللائذين ، تقى ورع ، مسلم صادق بدينه يصلى الأوقات الخمسة ، بطل باسل عند اشتباك الحروب » [٤] .

ويصفه آخر [٥] : « عالم وهو النصير الأكبر للعلماء والشعراء، شاعر كبير له قصائد ومقطوعات من الشعر» . وقد وجده سليمان فيضى [٦] — معتمد الإمارة — : « طيباً كريماً ميالا إلى المرح والمزاح ، ينظر إلى الحياة نظرة متفائل ، وكان يعيش فى قصره الفخم محاطاً بكل مظاهر العز والسلطان ، غارقاً فى جو من الترف والبذخ . ومن الكتاب [٧] من حمله مسئولية ابتزاز الأموال دون وجه حق ،

---

(١) حسين خلف الشيخ خزعل — عربستان (مخطوط . وهو وسام شاهنشاهى (ملكى) تمنحه الحكومة الفارسية للأفراد تقديراً لخدماتهم .

(٢) صاحب ، جريدة العمران المصرية ، أديب مرتزق ، حلبى المنشأ ولد سنة ١٨٧٤ ، وقد عرف باتجاهه العربى ، رحل إلى جزيرة العرب وزار عربستان والكويت ، ونال من الشيخ خزعل كل حظوة ، وخصه بالقصائد والمؤلفات فبالغ الوصف ، وقد أعطانا من خلالها صورة تكاد تكون واضحة عن الوضع السياسى العام للإمارة . راجع عنه : سامى الكيالى — عبد المسيح أنطاكى — مجلة الأقلام العراقية — ج ٥ : ١٩٦٧ ، ١٥ — ٢٤ .

(٣) لكن الذى عرف عن الشيخ خزعل أنه أخنف .

(٤) أنطاكى — الدرر الحسان : ٢٩ — ٣٠ .

(٥) على محمد عامر — المحمرة والوحدة العثمانية : ٧١ — ٧٣ ، وقد نسب للشيخ خزعل أبياتاً من الشعر تفوق شعر عبد الله بن المعتز . راجع : الشبيبى — حياة الشيخ خزعل (مخطوط) .

(٦) فى غمرة النضال : ٢٩٤ .

(٧) محمد لطفى جمعة — حياة الشرق : ١١١ .

وأرهق شعبه وقسا عليه وابتذل اللهو وأفرط فيه وأضاع سلطان العرب فى عربستان.[١]
ويقف الريحانى — المؤرخ المعاصر — بين الطرفين ، فهو يقرر فضل الشيخ خزعل ، ثم ينحو عليه باللائمة فى الوقت نفسه . فيذكر [٢] : « أنه غنى حكيم كريم يساعد فى بناء كنيسة فى بلاده لمنكوبى الكلدان ، ويساعد فى تأسيس محفل للماسون [٣] ، ويفتح خزانته لراقصة أو مغنية كما يفتحها لأولى البر والإحسان من الطوائف كلها جمعاء [٤] . . . إذا ناوأه أحد مشايخ القبائل وهم بالخروج عليه ، وكانت له بنت صالحة للنكاح يزوره السردار أقدس ويشرفه بالمصاهرة فتخمد فى الحال جذوة التمرد والعصيان ، وهو لا يزال على سنه التى تجاوزت الستين أهلا لمثل هذه المهمات [٥] .أما محسن

---

(١) وصفه كاتب معاصر بقوله: « يحكم عربستان الشيخ خزعل الذى عمل فى أهلها كل ما يستطيع من وسائل الظلم والجور ، فقد كان هو سبب بلائها وانحطاطها وعلة اندكاكها وتدهورها » . راجع معن العجلى — فى البصرة : ٦٦ ، أما الكتاب الفرس فيظهر تحاملهم عليه واضحاً فى كتاباتهم ، راجع : مذكرات رضا شاه (الترجمة العربية) ، كسروى — تاريخ بانصد سالة خوزستان .

(٢) ملوك العرب — ج ٢ : ١٨٧.

(٣) انتمى الشيخ خزعل إلى المحافل الماسونية وساعد فى إنمائها فمنح أوسمة كثيرة واختير رئيساً فخرياً للمحفل المصرى ، وكانت له مع يوسف الحاج — لبنانى أسس المحفل الماسونى فى المحمرة، ومع الأمير محمد على الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى— مراسلات بهذا الشأن انظر الملحق رقم ٤ «وللاستزادة راجع :أبو صادق — الماسونية بلا قناع —٩٤، ١٠٤، ١١٠، ١٢٣.

(٤) من المعروف عن الشيخ خزعل أنه شيعى المذهب ، له عند علماء الدين فى النجف وكربلاء مقام كبير ،وقصره كان لا يخلو من وفودهم ، وكانت له مواقف مشرفة فى أعمال البر ، وهو برغم هذا لم يعرف عنه التعصب المذهبى الذى كان شديداً أيامه ، وهو لا يعادى أصحاب المذاهب الأخرى ، راجع : على محمد عامر — المحمرة والوحدة العثمانية : ٧١ ، جواد الشبيبى — حياة الشيخ خزعل خان (مخطوط) . ويروى سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٦ : « أن مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى زاره فى المحمرة للحصول على هبة لترميم المسجد الأقصى ، فأعطاه تسعة الآف روبية » .

(٥) يذكر عن الشيخ خزعل أنه كان مفرطاً فى الجنس حتى تجاوزت زوجاته الستين أو أكثر ، ويعلق عليه محمد لطفى جمعة — حياة الشرق : ١١٣ : « بأنه كان لا يخلو من الذكاء=

الأمين [١] فيذكر أنه «قد بلغت حال هذا الأمير زيادة عما كان عليه أبوه وأخوه ... فجمع الأموال وبنى القصور وأكثر من الحشم والخدم » . أما المؤرخون الإنجليز فينظرون إليه على أنه صديق حميم لهم ، فيذكر السير أرنولد ولسن — وكان ملازماً لفترة حكمه — : « فى أى مكان أقصد فى جنوب إيران أقابل كلمة الشيخ خزعل كنموذج رائع للرياسة القبلية التى ساهمت فى معاونة المشروع البريطانى وتسلم ثمار عمله » [٢] . ويبدو لنا من توافرنا على دراسة هذا الأمير أنه كان متمتعاً بقدر كبير من المزايا والصفات التى جعلت منه شخصية متنفذة وقد « تبوأ مكانة ممتازة طوال سنوات عديدة» [٣] طغت على الكثير من رجالات ساحل الخليج العربى ، فكان واحداً من أشهر الذين عرفهم الخليج فى تاريخه الحديث ، « وقد عرف بالقوة والصلابة ، كما عرف باطلاعه الواسع على شئون الخليج العربى وإيران والعراق ونجد » [٤] . وقد استطاع بقوة شخصيته أن يقضى على المقاومة التى تعرض لها إثر توليه الحكم من أفراد أسرته ومؤيديهم ، وكادوا يطيحون بحكمه أخذاً بالثأر وانتقاماً لاغتيال شيخهم السابق — مزعل — ، فاتفق سنة ١٩٠٠ كل من الشيخ عبود بن الشيخ عيسى — ابن أخيه وحاكم الأحواز فى عهد الشيخ مزعل — ، وغضبان بن الشيخ سلمان

=والإقدام وسعة الصدر .. ولكن أى نفع يعود على العرب من كثرة الزواج وتبذير المال فى مجالس المدح والشراب« . وعندما قابله رضا شاه ذكر فى مذكراته (١٨٦) : « أن تجعدات الإفراط الجنسى تظهر على جبهته » . ويذكر جون فانيس (Op., cit. P. 20) أنه عندما أقدم على اغتيال أخيه والتمثيل بحاشيته" « أتى على الزواج من نسائه » . ويبدو أن الجنرال زاهدى قد استغل هذه العقدة عنده عندما عزم على اعتقاله . وللوقوف على بعض تلك الجوانب ، راجع : الندوانى — تاريخ العمارة وعشائرها : ٧٥.

(١) أعيان الشيعة — ج ٢٩ : ٢٣١ .

(٢) Wilson : South-West Persia; p. 264 وعلى هذا المنوال نسج كل من: إيرلند (Ireland) وكيرزون (Curzon) وليدى بيل (Lady Bell) وكثيرون غيرهم .

(٣) Bullard : Britain and the Middle East, p. 165.

(٤) الداود — الخليج العربى : ٧١ .

ابن أخيه الآخر ، مع الشيخ وادى — رئيس قبيلة الدريس — ، والشيخ سلطان ، والشيخ داود — رئيس قبيلة مقدم من كعب — على مقتل الشيخ خزعل وانتزاع الحكم من يده ، وإسناده إلى الشيخ عبود ، ولكن الشيخ خزعل كشف مؤامراتهم وألقى القبض عليهم فمثل بهم أبشع تمثيل[1]. ثم التفت إلى قبائل عربستان فمد سلطانه على رقعة الإمارة كلها ، فاضطرت قبيلة النصار الساكنة فى القصبة إلى الجلاء عن أراضيها سنة ١٩٠٣ ، بعد تمردها عليه وامتناعها عن أداء الرسوم إليه — وكانت قد تمردت على أبيه وأخيه من قبل — والنزوح إلى الكويت — بشفاعة من صديقه الشيخ مبارك الصباح — فأناب عنه لإدارة شئون منطقتهم الحاج سلطان الحبشى [2] — أحد أتباعه — ثم اتجه إلى الحويزة فأخمد تمرد بنى طرف — التى استغلت مقتل الشيخ مزعل — وقضى على نفوذهم ، واستطاع أن يحقق نصراً حاسماً عليهم سنة ١٩٠٨ [3] ، بعد أن اعتقل زعماءهم ، كما أنهى حكم المشايخ من بنى كعب فى الفلاحية — كما سنرى — ، وهكذا « اعترفت جميع القبائل العربية الساكنة على ضفتى الكارون من تستر إلى مصبه قرب المحمرة ، بسيادته — بما فى ذلك المناطق الواقعة إلى الشرق من دجلة وشط العرب [4] كما أنه التفت إلى حدود إمارته من الشمال حيث قبائل البختارية — وكانوا نافذى الكلمة فى فارس بعد إعلان الدستور — ، وقد تعرضوا — فى أواخر سنة ١٩١٠ — لتستر — إحدى مدن الإمارة — ، فاستطاع أن يصدهم عنها واضطرهم إلى الانسحاب[5] .

---

(١) انظر التفاصيل فى : جعفر محمد الأعرجى — مناهل الضرب فى أنساب العرب (مخطوط) : ٤٧٦ ، حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٢ : ٢٤٦ .

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى : ج ٢ : ٢٤٩ .

(٣) ديوان الشيخ حمادى الحلى : ج ٢ (مخطوط) ، والأعرجى — مناهل الضرب (مخطوط) ٤٧٦ .

(٤) الداود — الخليج العربى : ٧١ .

(٥) على محمد عامر — المحمرة والوحدة العثمانية : ٦٢ ، وللتفاصيل راجع : عبد الواحد باش أعيان — زبدة التواريخ ج ١٦ (مخطوط) : ٥٥ — ٥٨ .

وقد عرف عن الشيخ خزعل علاقاته الوطيدة مع شيوخ العرب والمتنفذين من الشخصيات المجاورين لإمارته . كما أنه حسّن صلاته مع بلاد فارس « فكسب احترام وحب أكابر رجالها ، ونال بذلك أعظم أوسمتها وألقابها »[1] . وقد عرف كيف يحقق لعربستان استقلالها الداخلى والخارجى ، إذ يذكر رضا شاه أنه[2] : « كان أميراً مستقلاً داخل حدوده . . . ليس لحكومة طهران أى سلطان عليه . . . وقد مضت عليه أعوام دون أن يدفع أية ضريبة للدولة.. غير أنه كان أحياناً يرسل بعض الهدايا إلى شاه إيران شخصياً » ، باعتباره « يتبع طهران شكلاً » [3] . وهو من ناحية أخرى كان يرى « أن الوقت قد حان لزوال إمبراطورية آل قاجار ، والذلك حزم أمره على إعلان استقلاله للعالم الخارجى متى ما شعر بالخطر يحدق بإيران » [4] ، ومن أجل هذا فكر فى تقوية علاقاته مع الإنجليز ليضمنوا له الاستقلال المنشود ، ولذا فإن فترة حكمه تمثل تغييراً جذرياً فى سياسة المحمرة مع الموظفين الإنجليز فى الخليج العربى ، فقد زالت تلك المعارضة التى صرح بها أبوه وأخوه منذ فتح نهر كارون للملاحة النهرية ، ولقيت الشركة البريطانية مساعدات قيمة من حكومته[5] . وقد أخذت السفن البريطانية المارة فى شط العرب أمام قصره تطلق له مدافع التحية اعترافاً بالصلات الوطيدة معه[6] .

أما علاقاته مع الأتراك ، فقد اختلفت باختلاف الولاة فى العراق ، إلا أن الطابع الغالب عليها كان الشدة ، حتى تهيبه الولاة فمالئوه .

---

(١) أنطاكى — رحلة فى ودى النيل : ٢٠٧ .

(٢) مذكرات رضا شاه : ٣٨.

(٣) بيريى — الخليج العربى : ٧٢.

(٤) الداود — الخليج العربى : ٧٢.

(٥) المصدر السابق : ٧١ .

(٦) محسن الأمين — أعيان الشيعة — ج ٢٩ : ٢٣١ ، ويقال إن سبب ذلك يعود إلى مساعدته للإنجليز فى العثور على سرقة فى إحدى سفنهم فكافئوه ، إلا أنه أبى ، فأخذت مدافعهم تحييه عند مرور سفنهم به .

وهكذا حقق الشيخ خزعل — الذى امتدت إمارته أكثر من ربع قرن — لنفسه مكانة دولية مرموقة، وقد حصل على أوسمة كثيرة من ملك بريطانيا، وسلطان تركيا، وشاه فارس، والبابا فى روما وغيرهم، كان يحملها على صدره إذا لبس ثوبه الرسمى[١] .

السياسة الداخلية للإمارة

طبيعة الحكم :

يسير نظام الحكم فى عربستان على أساس وراثى—لاعلاقة له بالانتخاب—، وهو يستمد أصوله من العرف والتقاليد القبلية التى ترجع فى أصولها إلى أيام الكعبيين ، والتى تبلورت على يد الحاج جابر وابنه الشيخ مزعل . ويمثل شيخ المحمرة فى إمارته أعلى سلطة تنفيذية ، فهو الحاكم المطلق فيها — ولم يكن لأحد الحق فى معارضته أو الإشراف على شئون حكمه — ويطلق لقب « الشيخ» على « الأمير » ، باعتبار أن سلطته مزدوجة ، فيجب أن يكون شيخاً لقبائل الإمارة قبل أن يكون أميراً أو حاكماً عليها ، لأنه يستمد قوته من تلك العصبية القبلية لعشائر إمارته . وقد ازدهرت صفة الحكم فى عربستان أيام الشيخ خزعل ، وحاول منذ تسلمه مقاليد الحكم سنة ١٨٩٧ أن يضفى عليه نوعاً من الاستقرار والاستقلال ، فكان المسئول عن أمن الإمارة وإدارة شئونها الداخلية ، له جميع وارداتها وعليه جميع مصروفاتها[٢] ، وحاول التخلص من تلك التبعية الفارسية — التى فرضتها على إمارته معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧ — بالرغم من كونها إسمية ، والتى كانت تهدد استقلال إمارته الخارجى .

وكان يساعد الشيخ خزعل فى شئون إمارته الحاج رئيس التجار محمد على

(١) محمد لطفى جمعه — حياة الشرق : ١١١ ، الريحانى — ملوك العرب : ج ٢ : ١٨٧ .

(٢) سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٥ .

البهبهانى ، وهو شيخ التجار والشخصية القوية فى الإمارة[١] ، وهو بمثابة وزير الشيخ خزعل الخاص الذى يستشيره فى جميع أموره الخاصة والعامة ، وإلى جانبه كان هناك الكثير من الشخصيات المتنفذة فى الإمارة ، تساعد فى تسيير دفة الحكم ، منهم : الميرزا حمزة جواد الشريفى[٢] — مسئولا عن شئون عشائر الشيخ خزعل فى العراق (لا سيما فى البصرة) — ، وسليمان فيضى — معتمداً لمراسلات الشيوخ والملوك العرب — ، وأبو الحسن مشير تجار عربستان (وهو النجل الأكبر للحاج رئيس التجار) — للشئون الفارسية — ، وعبد الصمد حمزة — للشئون العشائرية فى المحمرة — وغيرهم .

واتجاه الحكم فى عربستان كانت تغلب عليه المركزية ، التى كان على رأسها الشيخ خزعل ، ويمثله فى جميع مقاطعات ومدن الإمارة ممثلون من قبله ، يمارسون الحكم باسمه لحفظ الأمن ، وإدارة شئون الأحكام وفصل القضايا والخصومات . وكان جل اعتماده على أنجاله الكثيرين ، فعهد إليهم فى إدارة شئون الأقاليم ، واختار ابنه الأكبر الشيخ حاسب وليًّا للعهد سنة ١٩٠٤ ، وعينه حاكماً للمحمرة سنة ١٩٠٦ وبقى فيها حتى سنة ١٩٢١ إذ نحاه عن ولاية العهد لخلاف وقع بينهما[٣] ، وعهد بها إلى ابنه الآخر الشيخ عبد الحميد — حاكم الأحواز — ، وقد بقى فيها حتى أسر أبوه ، وعين ابنه الشيخ عبد المجيد حاكماً على الفلاحية ، فالمحمرة ، ثم أبدله بابنه الآخر الشيخ

(١) Wilson: South-West Persia, p. 81 ويذكر عنه أنطاكى فى الرياض المزهرة : ٥٠٨ « هو أكبر تاجر فى المحمرة ، ومن أكابر أغنياء عربستان والعراق ، وهو فى الستين من عمره قصير القامة ، نحيف الجسم ، وهو محبوب من سمو الشيخ » .

(٢) وأبرز الذين خلفوه فى منصبه — بعد قيام الحرب العالمية الأولى — الحاج مصطفى فهمى ، والحاج حسين العطية ، والمحامى محمد أحمد خان بهادر .

(٣) وقد منحه الشاه مظفر الدين لقب « نصرة الملك » ،وكان قد زوجه أبوه من ابنة رئيس التجار (نورى جان هانم) ، ويقال إن سبب الخلاف بينهما هو مناوأته لحكم أبيه ، فأبعده إلى لندن ، وبقى فيها حتى وفاة أبيه .

عبد الله — حاكم الهديجان — وبقى فيها حتى نهاية حكم أبيه ، إذ خلفه فى الإمارة بعد أسره سنة ١٩٢٥ . أما ولده الشيخ عبد الكريم فقد كان مرافقاً لأبيه[١] .

أما الأحكام فى عربستان ، فكانت تجرى وفقاً للعرف والتقاليد[٢] ، وكان يمارسها الشيخ خزعل وممثلوه طبقاً لطريقة القبلية ، والقضايا الكبرى كان الشيخ وحده هو الذى يقضى بها . أما القضايا الصغرى[٣] فكان ينظر فيها حكام الأقاليم ، وكان الفصل فى القضايا الشرعية يعهد به إلى شيوخ من علماء النجف وكربلاء قدموا إلى عربستان لهذه الغاية .

والمعروف عن الشيخ خزعل أنه كان صلباً فى الأحكام الجنائية ، صارماً فى اتخاذ التدابير الرادعة[٤] « شديد المراس لا يجرؤ أحد أن يخالف أوامره »[٥]، وكان لأسلوبه هذا أثر كبير « فى إبعاد أى نوع من الفوضى والسرقة عن جنوب إيران ، والتى انتشرت فى كل مكان من البلاد »[٦] .

---

(١) ولم يعرف عن الشيخ خزعل أنه أبقى ابناً له حاكماً على منطقته إلى نهاية حكمه ، فكان يغيرهم باستمرار ، ولمعرفة التفاصيل عن أنجال الشيخ خزعل ، راجع : الغزالى — تاريخ البصرة : ٢٩٨ — ٣٠١ أنطاكى — رحلة إلى وادى النيل : ٢١٢ — ٢١٣ ، أمين لطفى — دليل البصرة : ١٩٨ —٢٠١ .

(٢) للاطلاع على نموذج من تلك الأحكام ، راجع :

Wilson : South-West Persia, p. 120-126.

(٣) وكانت أكثر هذه الأحكام تعهد إلى الشيخ جاسب فى المحمرة ، والشيخ يوسف — ابن عم الشيخ خزعل — فى الفيلية .

(٤) منها سمل العيون أو إرسال المتهم إلى الشلهة ، وهى جزيرة فى الخليج يموت فيها المرء جوعاً وعطشاً أو يضعه فى الجاروشة وهى ماكينة إذا التهمت الشخص جعلته مقطع الأوصال ، راجع : الندوانى — تاريخ العمارة وعشائرها : ١٠١ .

(٥) مذكرات رضا شاه : ١٤٢ .

(٦) Wilson : South-West Persia, p. 264.

الشئون الداخلية :

تمثل المحمرة « قاعدة الإمارة » ، وكانت مقسمة إلى ثلاثة أقسام هى : المحمرة والفيلية والخزعلية — وقد خصها الشيخ خزعل باهتمامه ، باعتبارها مقر حكمه — . فأما المحمرة فهى مركز دار الحكومة ، وسراى حاكم المدينة ، ودائرة الجمارك ، ودار المعتمد الفارسى — ووجوده فى عربستان بصفة قومسير فوق العادة للشئون التجارية ، ولا عمل له ، يقيم فى المحمرة ، والغرض من وجوده رمزى لإعلان السيادة الفارسية (كما قضى بذلك مرسوم سنة ١٨٥٧ الملكى) — ، وقد جدد الشيخ خزعل بناء المحمرة[١] ، وشيد فيها أسواقاً — كان يتقاضى أجوراً خاصة عنها — ، وشق فيها الشارع الخزعلى ، وكان فيها مجلس بلدى يتولى أمر العناية بنظافة المدينة وتنويرها ليلا[٢] ، وبعد الحرب العالمية الأولى ، تألفت دائرة للشرطة فى كل من المحمرة والأحواز يشرف عليها أحد الضباط الأتراك المتقاعدين ، ولهم بزة خاصة .

أما الفيلية ، فهى أصغر من المحمرة ، وهى مقر سكنى الشيخ خزعل وحاشيته ، حيث القصر الخزعلى (الكمالية) ، الذى شيد على ضفاف شط العرب الشرقية ، والذى شهد ندوات الأدب[٣] ، وفيها دار الضيافة التى شيدها الشيخ خزعل لضيوفه ، وقد كان الشيخ « معجباً بالمدنية الغربية

---

(١) الزركلى — الأعلام — ج ٢ : ٣٥٠.

(٢) أنطاكى — الدرر الحسان : ١٧ .

(٣) وقد شيد بطابقين، خصص الطابق الثانى للحريم . ويرى أنه قد فرش بالسجاد المزركش بالذهب وأثث أروع تأثيث، وهو اليوم أنقاض خربة يشاهده من يمر به على شط العرب . انظر بيربى — الخليج العربى : ١١١ ، وقد مر به سنة ١٩٤٦ عبد الرحمن البنا فقال فيه :

هذه الدار لنا كانت حمى — يوم كانت تتجلى عظما
قد نعمنا زمناً فى ظلها — نغرس الحمد ونجنى نعما
غير أن الدهر أفنى أهلها — واللذاذات استحالت حلما

وبرجالها »[١] ، فحاول أن يدخل بعض مظاهرها ، فأدخل النور الكهربى سنة ١٩١١ فى قصره — وكان قد ابتاع مولدة من الشيخ سالم المبارك[٢] ، وهناك ثكنات الحرس الخزعلى — وهم ثلة من العبيد كبيرهم عبود العبد الله — والغلمان — مهمتهم حراسة الشيخ خزعل والمحافظة على ممتلكاته . وإلى جانب ذلك هناك فرقة موسيقية لعزف النشيد الخزعلى كل مساء[٣] وفى المناسبات .

أما الخزعلية ، فقد شيدها الشيخ خزعل سنة ١٩٠٨ بين المحمرة والفيلية على ترعة تصل نهر كارون بشط العرب ، وقد بنى الشيخ خزعل قصراً له فيها ، كما شيد أعيان المدينة بيوتهم فيها .

أما عن نظام الجيش فى عربستان ، فالذى نستطيع أن نؤكده أنه لم يكن فى عربستان جيش نظامى مدرب ، وإنما كانت عدته تتكون من أفراد العشائر القادرين على حمل السلاح (بين مشاة وفرسان) — والذين كانوا يستنفرون فى حالات الحروب جرياً على عادة العرب — وكان رؤساء العشائر بمثابة القواد لهذا الجيش ، ويمثل الشيخ خزعل القائد العام لجيش الإمارة ، وأشهر من برز فى حروب الشيخ خزعل ، ابن أخيه الشيخ حنظل — حاكم الأحواز — ، وكانت إلى جانب أفراد العشائر فرقة المدفعية (الطوبجية) التى تشترك فى حروب الإمارة ، ويبلغ عدد العرب المسلمين فى عربستان ٤٠ ألفاً[٤]، كان جل

---

(١) الريحانى — ملوك العرب — ج ٢ : ١٧٤ .

(٢) وكان الشيخ سالم قد اشتراها من الهند ، ويروى أن الشيخ جاسب باعها لأحد الكويتيين بمبلغ ألفى ربية ، راجع : عبد الله الحاتم — من هنا بدأت الكويت : ١١١ ، ومن الطريف أن الشيخ خزعل أمر بإضاءة قوية على سطح قصره ليهتدى الناس إليه تشبهاً بحاتم الطائى ، أنطاكى — القصيدة العلوية : ١٦٩

(٣) أنطاكى — الدرر الحسان : ٥٦ .

(٤) عبد الواحد باش أعيان — زبدة التواريخ — ج ١٦ : ٥٩ ، الداود — الخليج العربى : ٧١ ، (وأقول بتحفظ) : إن الداود ذكر عن هذا الجيش مانصه « كان جيشاً مسلحاً تسليحاً حديثاً يفوق تسليح الجيش الإيرانى كما يفوقه من ناحية العدد » . وللاطلاع على تفصيلات وافية عن الجيش الإيرانى راجع : Wilson: Persian Gulf وللاطلاع «على» تركيب جيش عربستان راجع :=

اعتماد الشيخ خزعل عليهم فى بسط نفوذه وعلاقاته وقضائه على حركات التمرد بين الحين والآخر ، فعندما تتعرض الإمارة لاضطراب داخلى أو خطر خارجى ، كان الشيخ خزعل يطلب إلى شيوخ القبائل إمداده بما يلزم من القوات لصد ذلك الخطر ، فيجتمع أفرادها بالسلاح الذى تدربوا عليه[١] ، وقد أثبتت المعارك بأن قوات الشيخ خزعل كانت قادرة على أن تقوم بمهمتها خير قيام .

أما الواردات العامة للإمارة — وكانت بجملتها تحت تصرف الشيخ خزعل — فكانت مصادرها مختلفة ، وتشكل الموارد الزراعية مورداً ماليًّا رئيساً ، فالمعروف عن عربستان أنها بلد زراعى ، وتعد الزراعة فيها الحرفة الرئيسة الأولى لسكانها — وصار دخلهم يعتمد عليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة — نظراً لطبيعة تكوين أرضها الرسوبية الغنية بمواردها المائية ، إذ يمر فيها كل من نهرى كارون والكرخة ، وعديد من روافدهما[٢]، ومع هذا فإن مستوى إنتاج الغلة يعتبر واطئاً من حيث الكمية والنوعية ، ويرجع هذا الهبوط فى الإنتاج إلى تأخر أسلوب الزراعة . ولما كان الإقليم امتداداً طبيعيًّا لسهول وادى الرافدين ، فإن غلاته تشابهت معه ، وأشهرها النخيل — تتركز زراعته فى القسم الجنوبى من عربستان وبخاصة بين المحمرة وعبادان والفلاحية — ، والحبوب كالحنطة والشعير — تتركز زراعتهما على ضفاف نهر كارون — ، والرز — الذى اشتهرت عربستان به منذ القديم[٣] . وتنتشر زارعته فى أهوار الإقليم لا سيما جهاته الغربية فى الحويزة — والقطن وقد اهتم

=جبهة تحرير عربستان: إقليم عربستان : ١٧ حيث يعزى تقويض الحكم العربى فى الإمارة بسهولة؛ لعدم وجود جيش نظامى على استعداد للدفاع عن الوطن، ولم يكن فى عربستان من الجنود الدائدين سوى خدم القصر الذين يسمون الغلمان، وهم الذين هبوا لنجدة الشيخ خزعل عند أسره فى تحرك مسلح سمى (ثورة الغلمان) .

(١) عبد الواحد باش أعيان — زبدة التواريخ : ٥٥ — ٥٨

(٢) Wilson : South-West Persia, p. 97.

(٣) Longrigg: Op. cit., p. 5.

الشيخ خزعل بإدخال زراعته ، وأجريت تجارب على القطن المصرى ، فجاءت التجربة بنتيجة حسنة[١] ، وغير ذلك من المحاصيل الزراعية .

وكانت جباية الضرائب على الزراعة تختلف من منطقة لأخرى ، والرسوم تؤخذ إما نقداً أو عيناً بطريقة الالتزام[٢] من قبل ضامن للأرض أو الحاصل ، أو من قبل رؤساء العشائر كل فى منطقته ، أما ممتلكات الشيخ خزعل الخاصة — وله فى البصرة منها الكثير — من النخيل والأراضى التى لا يضاهيه أحد فيها ، فكانت مورداً غنياً ثابتاً له .

وإلى جانب الواردات الزراعية كانت هناك واردات الضرائب المفروضة على جميع المنافع العامة فى الإمارة ، فكانت هناك ضرائب على الأسواق والحوانيت وضرائب على البضائع والسلع والغلة ، وغيرها من الضرائب الأخرى الكثيرة — كضريبة الملح والقصابية والحمالية[٣] وغيرها — وكانت تعطى جبايتها ، كل على انفراد ، لأشخاص ضامنين بطريقة الالتزام .

وتشكل واردات الجمارك مورداً آخر من الواردات العامة للإمارة ، فالمعروف أن المحمرة ميناء تجارى مهم ، مكنها موقعها من السيطرة على منافذ شط العرب والخليج ، فكانت سبباً فى ازدهار التجارة فى عربستان ، والثابت عن الشيخ خزعل أنه ورث ثروة طائلة من عائلته هيأت له المساهمة فى مشاريع تجارية مربحة[٤] ، وقد كان يمتلك أكثر من ثلاث سفن تجارية[٥] كبيرة إلى جانب

(١) أنطاكى — القصيدة العلوية المباركة : ٣٩ .

(٢) للاطلاع على بعض شروط الالتزام ، راجع : ملحق رقم « ٥ » ، وطريقة الالتزام أن يلتزم أحد الأفراد بمبلغ معين ومساحة معينة ومحصول معين ، وكان من الطبيعى أن يشتط بعض الملتزمين فى جمع الأموال فينال الناس أذى من وراء ذلك .

(٣) راجع : الملحق رقم « ٦ » للاطلاع على نموذج من التزام أجور الحمالية فى الجمرك .

(٤) الداود — الخليج العربى : ٧١ .

(٥) أطلق على أحدها « يخت كارون » ، والثانية اسم « يخت إيران » ، والثالثة « يخت مظفرى » ، والرابعة اسم « يخت بهمشير » ، وإضافة إلى هذه كانت للشيخ خزعل بارجة حربية تدعى . (آى . فى) إلى جانب الباخرة مشرف التى أهداها إليه الشيخ سالم مبارك الصباح سنة ١٩٢٠ .

عدد كبير من الزوارق الصغيرة ، وكانت معظم السفن التجارية ترسو فى المحمرة لتفرغ حمولتها أو تشحن الصادرات ، وتفرض عادة عليها ضرائب ورسوم جمركية ، ويختلف تقدير هذه الضرائب والرسوم ، فتقدر بعض الرسوم على البالة وبعضها على الوزن أو الأطوال ، ولم تكن الضرائب ثابتة فى جميع الأصناف ؛ فهى تختلف من بضاعة لأخرى ، وقد كانت عائلة الشيخ خزعل مسئولة عن جمع الجمارك والضرائب من سكان المنطقة منذ سنة ١٨٣٠ ، وبلغ مجموع هذه الضرائب أكثر من ٤٠ ألف باون استرليني سنوياً فى أثناء حكم الشيخ خزعل[١] ، وكانت إدارة الجمارك تحت إشراف بلجيكى روسى منذ سنة ١٩٠٢[٢] . وقد قضى المرسوم الملكى لسنة ١٨٥٧ — الذى أصدره ناصر الدين شاه معترفاً بإمارة الحاج جابر — « أن تبقى الكمارك تحت إدارة الدولة الفارسية ويديرها أمير المحمرة نيابة عنها » ، لهذا فإن الشيخ خزعل كان هو الملتزم — كما جاء فى المرسوم — للجمارك (ويمثله فيها وزيره الحاج رئيس التجار) ، وكانت الواردات تجبى له[٣] ، إلا أنه قلما كان يؤدى

(١) الداود — الخليج العربى : ٧١ .

(٢) أنطاكى — الرياض المزهرة : ٤٣٧ ، كانت بلجيكا قد أخذت امتيازاً لإدارة الجمارك الإيرانية وضمنها المحمرة وذلك بمؤازرة من روسيا ، وعند ما قابل المقيم السياسى الروسى (فى بوشهر) الشيخ مبارك الصباح فى عام ١٩٠١ ليفاوضه أنبه الشيخ مبارك على ذلك وكتب للشيخ خزعل يعلمه « بأنه أتى إلى طرفنا قنصل المسقوف الذى ترتب الآن فى بوشهر فى مركب كبير . . وحكى عن بوشهر وبندر عباس قلنا هذه غير المحمرة هذه من قديم جارى عليها والمحمرة ما هى لإيران هى للترك وخذوها جعب وجعب عرب طوايف تحتوى على مائة وخمسين ألف شيخهم ابن مرداو ونحن وابن مرداو بيت واحد ماهو من اليوم بل من قديم والأسباب ألجئته الآن سوا صداقة معهم وإلا ما يقبل التبديل والتغيير بهذه التراتيب بلجيكة وغيرها ، وإذا تريدون صداقتنا أنا وأخوى خزعل حنا عدنا كاشفة نشوف كان صار الحاج طرف بلجيكا ذلك الوقت نحن نصادقكم ، ومن كلامى هذا تلطف وقال : حنا نساعد بعدم تمكن البلجيك » . انظر : نص الرسالة فى : حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٢ : ١٣٣ — ١٣٥ .

(٣) مذكرات رضا شاه : ١٤٢ .

إلى حكومة طهران حساباً[١] .

وإضافة إلى جميع هذه الواردات كانت هناك الواردات التى تجبى على المواصلات النهرية – ضريبة المرور – لا سيما على السفن التجارية فى نهر كارون .

وكان هناك ما يتقاضاه الشيخ خزعل من شركة النفط التى تدفع له سنوياً ٦٥٠ جنيهاً عن مرور أنابيب فى أراضيه ، ومعمل التكرير فى عبادان[٢] .

أما بشأن الحياة الثقافية فى الإمارة[٣] ، فالمعروف عن الشيخ خزعل رعايته للشعراء والأدباء الذين كانت تؤمه أفواجهم من كل حدب ، فكانت تعقد فى ديوانه ندواتهم ، يتغنون بكرمه ويبالغون فى مدحه فينالون هباته ، وقد خصص للكثيرين منهم رواتب خاصة[٤] ، ومن أبرز شعراء عصره الذين مدحوه ونالوا الحظوة عنده الشاعر العراقى معروف الرصافى[٥] ، والسيد جعفر الحلى[٦] ، والشيخ جواد الشبيبى[٧] ، والشيخ محمد رضا الشبيبى[٨] .

---

(١) الريحانى – ملوك العرب : ج ٢ : ١٩٢ .

(٢) هارفى أوكونور – الأزمة العالمية فى البترول : ٣٥٠ .

(٣) لقد عرفت عربستان منذ القديم بازدهارها العلمى ، فقد شهدت بغداد (فى عصر المنصور) أفضل من نبغ من أطبائها من مدينة جنديسابور الطبية فى عربستان التى أسسها بختشيوع ، راجع : أمين واصف – الفهرست : ٤٣ . Le Strange: Op. cit., 273.

(٤) على محمد عامر – المحمرة والوحدة العثمانية : ٧٣ .

(٥) ديوان الرصافى – شرح مصطفى السقا : ٤٧ – ٤٩ قصيدته (الدهر والحقيقة) نظمها مستجيراً بالشيخ خزعل منها :

أبا الأمراء والصيد جئتك شاكياً إليك جنايات الزمان المحاذق

(٦) جعفر الحلى آل كمال الدين – ديوانه سحر بابل وسجع البلابل – وقد نظم عند تبوأ الشيخ خزعل الحكم قصيدة منها :

ولذا باسمه دعاك ولكن رام خيراً فابدل الميم خاء

(٧) مؤلف مخطوطة « حياة الشيخ خزعل » وهى مجموعة من المنظومات الشعرية فى مدحه .

(٨) على الخاقانى – شعراء الغرى – ج ٩ : ٦١ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٩٢ ، يوسف عز الدين – فى الأدب العربى الحديث : ١٤٥

والشيخ عبد الكريم الجزائرى ، والأديب عبد المسيح أنطاكى[١] ، والشيخ عبد اللطيف الجزائرى[٢] ، وغيرهم كثيرون[٣] .

وقد شجع الشيخ خزعل التعليم فى عربستان ورعاه بنفسه[٤] ، فنشر الكتاتيب فى مختلف المدن وجاء بعلماء من النجف لهذا الغرض ، ويروى أنطاكى[٥] : أنه كان فى المحمرة وحدها عشرة كتاتيب كانت تدرس فيها مبادئ العلوم الأولية إلى جانب القرآن الكريم واللغة العربية ، ثم تطورت فأدخل عليها تدريس اللغات والعلوم الاجتماعية ، ومن مظاهر اهتمام الشيخ خزعل بالتعليم أنه أرسل أولاده إلى إحدى المدارس الأجنبية فى البصرة لتلقى الدروس الحديثة فيها[٦] .

القبائل العربية :

لقد كانت سهول عربستان – كسهول وادى الرافدين – محط أنظار القبائل العربية النازحة من شبه جزيرة العرب ، وتمثل قبيلة بنى حنظلة أقدم تلك

---

(١) نظم القصيدة العلوية المباركة ومجموع أبياتها ٥٥٩٥ بيتا .

(٢) وقد أرخ الشيخ خزعل للحكم بقوله :

ولكننى قد قلت فيك مؤرخاً كفيل البرايا خزعل بعد مزعل

(٣) راجع عنهم : الخاقانى – شعراء الغرى – ج ٦ : ١٨٥ ، ج ١١ : ٥٠٥ ، ومما هو جدير بالذكر أنه قد نسب للشيخ خزعل كثير من الشعر ، كما نسب إليه كتاب « الرياض الخزعلية فى السياسة الإنسانية » وأصله مخطوط بجزأين ألفه الشيخ محمد بن الشيخ عيسى النجفى وهو من ترتيب عبد المجيد البصرى البهبهانى ، راجع : أغابزرك الطهرانى – الذريعة إلى تصانيف الشيعة – ج ١١ : ٣٢٤ .

(٤) مما يؤثر عن الشيخ خزعل أن له مكتبة احتوت على أنفس المطبوعات وأندرها ، وكانت النجف مصدر كتبها .

(٥) الدرر الحسان : ٤٧ ، الرياض المزهرة : ٤٣٨ .

(٦) وهى مدرسة الرجاء العالى التبشيرية ، والتى أسسها المستشرق الأمريكى جون فانيس سنة ١٩١٠ ، راجع : John Van Ess,: Op. cit., 201 .

القبائل التى استقرت فى عربستان قبل الفتح الإسلامى ، ثم توالت عليها الهجرات بعد الفتح ، فاستقروا على ضفاف شط العرب ونهر كارون ، متخذين الزراعة مهنة لهم . ولكن هذا التحول من البداوة إلى الاستقرار لم يشمل القبائل كلها ، فقد بقيت بعضها محافظة على بداوتها التى كانت تحياها فى موطنها الأول ، لا سيما تلك التى استقرت على أطراف الإمارة . ولقد تعددت القبائل العربية المهاجرة إلى عربستان وكثرت أفخاذها حتى صار العرب يؤلفون الأكثرية الساحقة فى المنطقة ، إذ بلغوا ٩٥ ٪ من السكان إلى جانب أقلية فارسية ومندائية[١] وغيرهما . والظاهرة الاجتماعية التى تسترعى الانتباه فى عربستان هى : أنه ليس ثمة عشيرة فيها إلا ولها أصل فى العراق[٢] ، وأغلبهم على مذهب الشيعة . وتمثل قبائل كعب النازحة من العراق إلى قبان — ثم الفلاحية (الدورق) — أهم القبائل العربية فى عربستان على الإطلاق ، فقد انتشرت هذه القبيلة الضخمة فى الأطراف السفلى من مصب نهر كارون ، واستقرت فى القسم الجنوبى الغربى من المنطقة وتمسك بعضهم بطابعهم البدوى ، فى حين مال آخرون إلى الاستقرار ، وقد كان لهذه القبيلة — كما مر بنا — أثر كبير فى تطور الحياة السياسية لعربستان لا سيما فى القرن الثامن عشر .

وأهم تفرعاتها[٣] : البوغبيش ، الدريس ، الخنافرة ، النصار ، كعب الدبيس وغيرها . كما اتفقت بعض من أقسامها على أن تحقن الدماء ، وأن توحد الرياسة فى البركاسب فأطلق عليها اسم (المحيسن) ، والحقيقة أن دخول هذه القبائل فى قيادة موحدة كان من عوامل قوتها ، حتى استطاعت أن تحكم

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية — المجلد ٨ — العدد ٤ — ص ١٥٣ .

(٢) العزاوى — عشائر العراق — ج ٤ : ١٩٠ .

(٣) للاطلاع على تفرعات قبائل كعب وأفخاذها راجع : العزاوى — عشائر العراق — ج ٤ : ١٨١ وما بعدها حسين خلف الشيخ خزعل — بنوكعب (مخطوط) ، على نعمة الحلو — بلاد الأحواز : ٢٢١ وما بعدها ، رياض حمزة شير على — جولة صحفية فى إيران : ٣٥ وما بعدها ، على نعمة الحلو — تاريخ إمارة كعب العربية .

عربستان ردحاً من الزمن ، وقد بلغت أوج ازدهارها السياسى أيام حكم الشيخ خزعل — شيخها الأكبر — ، وأصبحت هذه العشائر المتكتلة تضم : الهلالات ، البوفرحان ، الدوالم ، البغلانية ، بيت غانم ، كنعان ، البومعرف ، العيدان ، الخواجة ، أهل العريض ، البجاجرة ، الزويدات ، بيت حاج فيصل ، العطب .

وبينما كان بنوكعب يسودون سق كارون ، كانت عشائر بنى طرف تسود أقصى الشرق ، إذ استقرت فى الخفاجية والحويزة ، على حدود لواء العمارة[١] ، وهم بطن من طى قدموا عربستان ، وسكنوا إلى جوار بنى سالة — إحدى قبائل المنطقة — ، ثم انتقلوا إلى الخفاجية ، وكانت لهم حروب مع جيرانهم من القبائل الأخرى . وصلاتهم متينة مع عشائر العمارة ، وقد انقسموا إلى بيتين ، وعلاقة الشيخ خزعل بشيوخهما كانت فى حدود مصلحته السياسية ، ونشب صراع عنيف بينه وبينهم كانت الغلبة فيه له واستطاع أن يخضعهم ، وأن يكون معهم علاقات حسنة[٢] .

ومن القبائل المهمة فى عربستان الباوية ، وأصلهم من ربيعة ، وهم يسكنون شرق نهر كارون ، وسبق أن عجزت فارس عن إخضاعها لسيطرتها ، ففوضت أمرها للحاج جابر ، الذى تزوج من ابنة شيخها طلال وأولدها الشيخ خزعل — كما مر بنا — ولهذه القبيلة فروع عديدة فى العراق .

وهناك فى عربستان قبائل أخرى كثيرة[٣] أهمها : بنو مالك ، المياح ، الكطارنة ، بنو تميم ، الموالى ، وهم المشعشعون .

---

(١) مهدى القزوينى — أنساب القبائل العراقية وغيرها : ١٢٠ ، ويذكر أن لهم فرعاً يقطن الهندية فى العراق يقال لهم الكراخة .

(٢) Wilson, :South-West Persia, p. 218.

(٣) للاطلاع على بعض تفاصيلها ، راجع : الندوانى — تاريخ العمارة وعشائرها : ٨٣ — ٩٠ .

الفصل الثالث

علاقات الشيخ خزعل العربية

١ – صلات الشيخ خزعل بالكويت ونجد :

إن تاريخ العلاقات بين عربستان والكويت لم يكن وليد عصر الشيخ خزعل والشيخ مبارك ، وإنما تمتد جذوره إلى أبعد من هذا التاريخ ، ويمكننا أن نقسم العلاقات الكويتية – العربستانية إلى قسمين رئيسين متباينين :

الأول : شهدت عربستان فيه صراعاً عنيفاً مع الكويت ، بدأت بوادره منذ وقعة الزبارة سنة ١٧٨٢ – والتي تكبدت فيها كعب بعض الخسائر [١] ، ثم تبلور هذا الصراع في موقعة الرقة سنة ١٧٨٣ – في وقت طمحت فيه أنظار كعب إلى الكويت ، وودوا امتلاكها قبل أن تبلغ أشدها [٢] . فقصدوها بأسطول ضخم ، إلا أن فاوله ردت على أعقابها إلى الفلاحية مندحرة .

وبقيت العلاقة متوترة بينهما ، وقد مر بنا كيف أن الشيخ جابر الصباح (١٨١٤ – ١٨٥٩) قد ساهم مساهمة فعالة في مساعدة متسلم البصرة عزيز أغا في حربه مع كعب سنة ١٨٢٧ ، وشن هجوماً عنيفاً بأسطوله البحري على البريم « عبادان » ، فاستطاع أن يوقع الهزيمة بهم ، ويخرج الجيش الكعبي منها مضطراً للالتحاق بأتباعه في المحمرة ، واستولى الكويتيون على

---

(١) أحمد أبو حاكمة – الكويت في سجلات شركة الهند الشرقية – مجلة العربي – العدد ٣٠ (مايو– ١٩٦١) ص : ٥٤ – ٥٥ .

(٢) عبد العزيز الرشيد – تاريخ الكويت : ٨٨ ، ويذكر أن السبب المباشر لهذه المعركة أن كعباً تظاهروا بخطبة مريم ابنة الشيخ عبد الله الصباح (ثاني أمراء الكويت) لأحد أبناء الشيخ بركات (١٧٧٠ – ١٧٨٢) شيخ بني كعب ، فرفض الطلب .

جميع تمور المنطقة [١]، ولم تخرج جيوشهم منها إلا بعد أن عقد صلح بين بنى كعب وداود باشا — باشا بغداد —، فرجع الشيخ جابر بسفنه إلى الكويت . ولكنها كانت هدنة لم يطل أمدها ، فقد عاد الشيخ جابر سنة ١٨٣٧ بسفنه ورجاله وأسلحته ، منتصراً لعلى رضا باشا اللاز ، واستطاع معه أن يدكا حصن المحمرة ويدمرا الفلاحية وينسحبا إلى الكويت [٢] .

وإلى هنا يسدل الستار على العلاقات المتأزمة بين الطرفين ، ليحل بدلها فصل جديد أكثر صفاء وتفاهماً ، وذلك على أثر ازدهار إمارة المحمرة ، وظهور كيانها السياسى ، وتمكن رئيسها الحاج جابر المرداو من بسط نفوذه على ربوعها . فنلاحظ أن الشيخ عبد الله الثانى الصباح (١٨٦٦ — ١٨٩٢) يقدم مساعداته الكاملة إلى الحاج جابر فى حروبه مع قبيلة النصار — من بنى كعب — سنة ١٨٦٨ ، إذ جهزه بعشرين سفينة شراعية مملوءة بالذخيرة والرجال ، فكافأه الحاج جابر على صنيعه هذا بسبعين كارة من التمر راتباً سنوياً [٣] . ولما عادت قبيلة النصار إلى التمرد على الحاج جابر فى السنة التالية (سنة ١٨٦٩)، أنزل بهم الشيخ عبد الله هزيمة نكراء ، واحتل حصونهم فى القصبة — المقابلة للفاو — بعد أن نكثوا وعداً للشيخ عبد الله كان قد قطعه على نفسه أمام الحاج جابر بتعهده له بدفع قبيلة النصار الرسوم ، وأداء الطاعة [٤] .

وقد نمت هذه العلاقة فى عهد الشيخ مزعل ، الذى جعل من نفسه وسيطاً لحسم النزاع بين الشيخ مبارك الصباح — الذى اغتال أخويه (محمداً

---

(١) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ١ : ٨٠ .

(٢) كانت حصيلة الشيخ جابر من تلك المساعدات ، أن كافأته الدولة العثمانية بمائة وخمسين كارة من التمر سنوياً ظلت تجرى على خلفائه من بعده إلى أن توترت العلاقات بين الدولة العثمانية والإمارة فى عهد الشيخ مبارك . انظر : جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٢١ .

(٣) عبد العزيز الرشيد — تاريخ الكويت : ١٠٩ .

(٤) المصدر السابق .

وجراحا) — ، ويوسف الإبراهيم — المطالب بثأرهما — وقد بذل الشيخ مزعل جهوداً كبيرة لتقريب وجهات النظر ووضع شروط الصلح على أن يتم اجتماع المتنازعين فى قصره بالفيلية — ولكن اغتياله حال دون ذلك .

والحقيقة أن الإقليمين لم يشهدا صلات أكثر متانة وعلاقات أوثق عرى ، مثل التى شهداها أيام حكم الشيخ خزعل والشيخ مبارك . ويرجع هذا التفاهم الكامل بينهما إلى أصول عديدة منها : الرابطة القومية والتفاعلات القبلية — من عرف وتقاليد وعادات — التى تربط سكان الإقليمين العربيين ، ومنها : التشابه المصيرى بينهما ، فكلا الإقليمين يعملان على الابتعاد عن التدخل العثمانى فى شئونهما طمعاً بالاستقلال ، ويلحان فى طلب الحماية البريطانية درءاً للتعديات الخارجية لا سيما أن الكويت مهددة من الوهابيين ، نفوذ ابن الرشيد — فى أكثر أوقاتها — ، والمحمرة مهددة باستمرار من الخطر الفارسى الجاثم على صدرها . ومنها : التقاء مصالح الكويت والمحمرة فى البصرة — حيث الممتلكات الواسعة والكثيرة لكلا الجانبين — والتى تحتم على الطرفين الاتفاق فيما بينهما لاتخاذ سياسة موحدة إزاء تجاوزات السلطات العثمانية ، والاتصال بالسيد طالب النقيب — الشخصية المتنفذة فى البصرة [١] — لتولى أمر حراستها والحفاظ عليها من عبث الشقاة ، ومصادرات الولاة المستمرة . ومنها : أواصر الصداقة الوثيقة بين الشيخ خزعل والشيخ مبارك ، والتى تمتد جذورها إلى الفترة ما بين (١٨٩٢—١٨٩٥) عندما كانا يلتقيان فى الفاو [٢]،

---

(١) جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٢٩١ . لقد خصص له شيخ الكويت ٧٠ ليرة عثمانية شهرياً ، وخصص له الشيخ خزعل ٥٠ ليرة شهرياً ، لقاء حمايته لمصالحهما الكثيرة وأملاكهما الواسعة فى البصرة .

(٢) تقع الفاو فى نهاية شط العرب ، مما جعل لها أهمية كبيرة . وأول من اهتم بها وجعلها — سنة ١٨٦٩ — مركز قضاء هو مدحت باشا ، وقد حاولت الدولة العثمانية بناء استحكامات حربية سنة ١٨٨٨ — خلافاً لنصوص معاهدة أرضروم الثانية — ولكن معارضة الإنكليز والفرس أوقفتها عن العمل . وترجع ملكية نخيل الفاو للكويت إلى عهد الشيخ جابر الصباح إذ أهداها له الشيخ راشد =

والقصبة — فى الجهة المقابلة — مرسلين من أخويهما ، لاستثمار موارد النخيل ، وكانا مضطهدين ، وقد اتفقا على الانتقام[١] ، وزادت الصلة متانة بينهما عند اعتلائهما كرسى الحكم ،على إثر اغتيالهما أخويهما فى أوقات متقاربة[٢] ، لا سيما أنهما يتشابهان فى المزاج ، فقد عرف عنهما ولعهما بالترف والمتع والعبث ، فكانت الزيارات بينهما لا تنقطع ، والمراسلات للتشاور فى أمورهما مستمرة . وقد بنى كل منهما للآخر قصراً فى بلاده[٣] ، والتزم كل منهما الآخر فى بعض أزماتهما . والثابت : أن الشيخ خزعل كان عوناً للشيخ مبارك فى صراعه مع يوسف الإبراهيم المناوئ لحكمه ، كما قدم له النصح والعون المادى فى حروبه المستمرة مع أتباع الأمير عبد العزيز الرشيد من قبائل شمر ، ولا سيما بعد موقعة الصريف (الرخيمة) فى ١٧ آذار (مارس) سنة ١٩٠٠ ، وكانت له معه مراسلات عديدة[٤] ، كما أنه ساعده فى محنته بعد موقعة هدية سنة ١٩١٠ — التى أخفق فيها مع سعدون باشا ، شيخ المنتفك — وخصص له تمر مقاطعة القصبة ، وبقيت له فترة طويلة[٥] .

= السعدون سنة ١٨٣٤ لمعروف أداه له عندما استجار به .

(١) عبد الله الحاتم — من هنا بدأت الكويت : ١٣٩ .

(٢) اعتلى الشيخ مبارك كرسى الحكم سنة ١٨٩٦ ، وجاء الشيخ خزعل للحكم سنة ١٨٩٧ .

(٣) الريحانى — ملوك العرب — ج ٢ : ١٨٩ ، كما أن الشيخ خزعل بنى قصراً آخر فى الكويت خارج أسوارها .

(٤) غرايبة — مقدمة تاريخ العرب الحديث : ٤٤ ، أما نصوص تلك المراسلات فتجدها فى : حسين الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٢ : ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢. ومما هو جدير بالذكر أن الشيخ مبارك طلب من العقيد كمبول Col. Kemball المقيم البريطانى فى الخليج فى المقابلة التى جرت بينهما فى بداية آب أغسطس ١٩٠١ ، أن يقوم الشيخ خزعل بدور الوسيط بينه وبين الأمير عبد العزيز الرشيد ، وقد عهد إلى القنصل البريطانى فى البصرة تسهيل هذه المهمة والاتصال بوكيل ابن الرشيد فهد باشا هناك ؛ إلا أن بعض العراقيل الدبلوماسية حالت دون ذلك .

(٥) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٢ : ٢٥٤ .

والواقع أن الكويتيين قد جنوا ثمار هذه الصداقة ، إذ أن الطرق التجارية إلى العراق وإيران كانت تحت رحمة قطاع الطرق ، فلم تكن هناك سلطة قوية يخشونها ، وكان التجار الكويتيون يئنون من نظائع هؤلاء وعبثهم . ويعد مدخل شط العرب — حيث منطقة نفوذ الشيخ خزعل — من أشد المناطق خطراً على تجارتهم ، ولكن كل هذه المخاوف قد تبددت وزالت الأخطار عنهم عندما توثقت الصداقة بين الشيخ خزعل والشيخ مبارك . وإضافة إلى ذلك أن الشيخ خزعل منع مدير كمرك المحمرة — البلجيكى — من التعرض للبضائع العائدة للتجار الكويتيين[١] ، كما تعهد بألا يأخذ من البضائع القادمة للشيخ مبارك إلى ميناء المحمرة ضرائب أو كمارك . وقد حاول الشيخ مبارك أن يرد للشيخ خزعل بعض جميله ، فلما قامت قبائل كعب على الشيخ خزعل — عند قيام الحرب العالمية الأولى — ثائرة مع قبائل المنطقة ، التى رأت فى زوال دولة الخلافة العثمانية تقويضاً « لأركان الدين الحنيف » ليحل محله نفوذ الأجنبى (الكافر) ، أراد الشيخ مبارك — الذى كان فى ضيافة الشيخ خزعل — أن يمد يد العون لصديقه ، فطلب النجدات من ابنه فى الكويت ، ويبدو أن الوازع الدينى منعهم تلبية الطلب ، فلم يحظ منهم بسوى ست سفن شراعية و ١٨٠ شخصاً مسلحاً ، بعد تهديد ووعيد[٢] .

وفى إبان الحرب العالمية الأولى ، كان هناك عامل مشترك فعال تحكم فى العلاقات بين المحمرة والكويت ، وهو موقف الأميرين المتشابه فى ممالأتهما للإنكليز ، ومناوأتهما للأتراك ، فقد شهدت إمارتاهما طغيان النفوذ الإنكليزى ، ومرابطة قواته البحرية على سواحلهما . واشترك الشيخ خزعل معهم فى قمع حركات القبائل الثائرة فى منطقته . واتخذت حكومة الكويت مخزناً للذخائر والسلاح ، لكن لم يقدر للشيخ مبارك أن يرى حصيلته فى هذه الحرب ،

---

(١) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٢ : ٢٥٢ — ٢٥٣ .

(٢) الشملان — من تاريخ الكويت : ١٧١ ، الرشيد — تاريخ الكويت : ١٧٤ .

إذ توفى فى ٢٩ تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩١٥ ليحل بدله ابنه الشيخ جابر ، فلم تستمر العلاقات بعدئذ بنفس درجات القوة التى كانت عليها أيام حكم الشيخ مبارك ، وامتازت علاقات الحرب وما بعدها بما كانت تمليه عليهما بريطانيا من وجهات النظر ، ولم يكن بوسعهما تعدى الحدود التى رسمت لهما .

وأميز ما حدث من اتصالات خلال فترة الحرب العالمية الأولى هو اجتماع الشيخ خزعل والشيخ جابر فى مؤتمر عقد فى الكويت فى تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩١٦ حضره معهما ابن سعود أمير نجد[١] ، وكثير من رؤساء العشائر الموالين للإنكليز ، وكان هذا المؤتمر بإيعاز من السير برسى كركس — كبير المقيمين السياسيين فى الخليج العربى آنذاك — وألقيت فى هذا المؤتمر خطب الثناء على البريطانيين ، والهجوم على الأتراك[٢] . وقد وصف بأنه مظاهرة سياسية كبرى[٣] كان الغرض من عقده تطمين المجتمعين بحماية بريطانيا لهم ، وتقريب وجهات النظر بينهم ، ولكى يؤمن الإنكليز بهم مؤخرة الجيش المقاتل فى بلاد الرافدين ، لا سيما أنه قد وصلت تقارير عن محاولات تركية للاتصال بابن سعود والشيخ خزعل ، مما زاد فى قلق الإنكليز وجعلهم شديدى الحذر[٤] ، فأسرعوا فى عقد المؤتمر . وبعد انفضاضه قصد الشيخ خزعل والأمير عبد العزيز السعود البصرة ، بدعوة رسمية من سلطات الاحتلال البريطانى

(١) كوكس — مذكرة — تكوين الحكم الوطنى فى العراق : ١١ .

(٢) المصدر السابق : كان من جملة المتكلمين فى المؤتمر الشيخ خزعل الذى هاجم الأتراك وأشاد بفضل الإنكليز وتأييدهم للأمم المستضعفة ، وذكر أنه كان من دعاة اتحاد العرب ، وختم قوله « بأننا — معشر العرب — معروفون بالوفاء والأمانة وحفظ العهود ، ونفتخر بصداقتنا للدولة الفخيمة الإنكليزية ، ونحن لها سيوف مشهورة على أعدائها » . انظر : حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٣ : ١٠٦ .

(٣) حافظ وهبة — جزيرة العرب فى القرن العشرين : ٢٥٨ — ٢٥٩ .

(٤) Foster: The Making of Modern Iraq, p. 67.

لزيارة مراكز قيادة الجيش البريطانى فى الشعبية ، ويبدو للباحث أن الإنكليز عمدوا إلى هذه الزيارة لاستئصال كل أثر للشك فى نفسية الأميرين ، وإظهار عظمة جيوش بريطانيا أمامهما ليكسبا كل ثقة واطمئنان بالقوات الجديدة .

ولدعم المؤتمرين برأى الشريف حسين — للمكانة التى كان يحتلها فى نفوس المسلمين — أبلغه ممثل بريطانيا فى القاهرة بوقائع المؤتمر ، فهنأهم على مقرراتهم ، وكان قد كتب له كل من الشيخ خزعل والشيخ جابر — بوساطة السير برسى كوكس — يوضحان له أن هدفهما من حضورهما المؤتمر : « تقوية الأمة العربية والملة الإسلامية ، والارتباط مع سيادته الطاهرة ، والدولة الفخيمة البريطانية »[١] .

ومن هذه الاتصالات : — حضور الشيخ خزعل إلى الكويت للتخفيف من حدة الخلاف الناشب بين الشيخ سالم الصباح (١٩١٧ — ١٩٢١) والمستر بيل — رئيس الخليج آنذاك — بسبب الحصار البريطانى الذى فرضه الإنكليز حول الكويت فى محاولة لمنع تسرب الغلال إلى الأتراك[٢] ، وقد عرف عن الشيخ سالم — منذ توليه الحكم — ولاءه للأتراك وعداءه للسعوديين — مما أدى إلى قيام هؤلاء بحملة ضخمة على الكويت — وكان غير ميال للإنكليز[٣] واستطاع الشيخ خزعل أن يهدئ من عنف الخلاف ، ويطلب إلى السير برسى كركس فى البصرة — فى طريق عودته إلى المحمرة — أن يحسن معاملة الشيخ سالم[٤] .

أما فترة ما بعد الحرب ، فمن أبرز الاتصالات فيها بين الشيخ خزعل والشيخ سالم الصباح حضور الشيخ خزعل إلى الكويت فى مارس سنة ١٩١٩

(١) انظر : نص الرسالة فى الملحق الثامن مع رسالة أخرى وجهت إلى السير برسى كوكس .
(٢) عبد الله فلبى — تاريخ نجد : ٣٢٠ وما بعدها .
(٣) العقاد — الاستعمار فى الخليج : ١٩٢ .
(٤) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٤ : ١٣٦ .

ليشارك فى حفل تقليد الشيخ سالم « وسام نجمة الهند » الذى منحته إياه بريطانيا — فى محاولة لكسب ولائه — ، وقلده له المستر بيل — رئيس الخليج — الذى أشاد — فى خطاب ألقاه بالمناسبة — بصداقة حاكم الكويت وشيخ المحمرة لحكومة صاحب الجلالة البريطانية ، وبارك علاقة الشيخ خزعل بالشيخ سالم — تلك العلاقة التى نمت على عهد الشيخ مبارك — ، وأظهر ارتياحه لحضور الشيخ خزعل حفل التقليد هذا الذى قال عنه : « إن الفرح يغمره عندما يرى سعادة نجل صديقه القديم مبتدئاً هكذا بنجاح فى نفس الطريقة الشريفة »[١] .

وكان موقف الشيخ خزعل فى حوادث الإخوان على الكويت فى حزيران (يونيه) سنة ١٩٢٠ موقفاً مؤيداً للشيخ سالم ، فقد أرسل له خمسمائة بندقية ، مع مقدار كبير من العتاد — بوساطة معتمده بالقصبة الحاج سلطان الحبشى — للاستعانة بها فى محنته[٢] ، كما أنه حاول استعمال حظوته عند ابن سعود — للتخفيف من حدة التوتر مع الشيخ سالم — وكانت تربطه به صلات طيبة وصداقة وطيدة[٣] ، يرجع عهدها إلى الأيام التى كان فيها الشيخ خزعل يتردد على الكويت التى يقيم فيها ابن السعود مع والده[٤] — ليهيئ استعادة حكم عائلته على الرياض .

وعندما تعرضت الكويت لزحف فيصل الدويش ، ألح الشيخ خزعل على الشيخ سالم تجنب القتال ، وكتب له[٥] : « إياك من سماع أقوال المغرضين ،

(١) المصدر السابق : ٦٥ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢٦ .

(٣) سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٤ .

(٤) عبد الله فلبى — تاريخ نجد : ٢٧٢ — ٢٧٣ .

(٥) طلب الشيخ خزعل من الشيخ إبراهيم العبد الله (شيخ الزبير) أن يرسل أحد سعاته لحمل الرسالة إلى الشيخ سالم فى الهجرة . انظر : نص الرسالة فى : حسين الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٤ : ٢٩٥ .

والوقوع فى شراكهم ، فابتعد عن القتال مع فيصل الدويش قبل مراجعة ابن سعود والسعى لمرضاته فإنه خير لك من سواه ، لأنه عربى مثلك ، دمه دمك ولحمه لحمك . . . » .

ثم إن الشيخ خزعل دخل فى مفاوضات مستمرة مع السير برسى كوكس لإنهاء الخلاف بين الكويت ونجد — الطامعة بالكويت لنشر المذهب الوهابى — ، ولكن السير برسى كوكس كانت تشغله قضايا ثورة العشرين فى العراق ، وتصفية آثارها والتمهيد لقيام النظام الملكى ، فخول الشيخ خزعل ليمثل دور الوسيط بين المتنازعين العربيين ، فزار الشيخ خزعل الكويت فى ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٠ للتداول فى أمر صلح الشيخ سالم مع ابن سعود ، وتم الاتفاق على إرسال وفد مفاوض يضم فى عضويته أحمد الجابر ، وجاسب الشيخ خزعل ، وعبد اللطيف المنديل[١] ، وعبد الله النفيسى ، وعبد العزيز السالم البدر . وقد وضع الشيخ خزعل يخته الخاص تحت تصرف الوفد الذى غادر الكويت محملا بالهدايا فى شباط سنة ١٩٢١ إلى البحرين ومنها إلى نجد . ولكن قبل أن تنتهى المفاوضات بنتيجة تذكر ، نعت الأنباء وفاة الشيخ سالم ، فتحولت الأنظار إلى الشيخ أحمد — الأمير الجديد — الذى توصل مع ابن سعود إلى صلح مباشر بين البلدين[٢] ، وهكذا انتهت الأزمة .

أما علاقات الشيخ أحمد الصباح (١٩٢١ — ١٩٥٠) — المعروف بميله للإنكليز — بالشيخ خزعل فكانت يشوبها بعض الحذر ، لا سيما فى السنة الأخيرة من تقويض الحكم العربى فى عربستان ، فلم يلب له طلباً بالسلاح

(١) اختير بعدئذ وزيراً للتجارة فى العراق فى الحكومة المؤقتة برياسة عبد الرحمن النقيب .

(٢) يذكر حسين الشيخ خزعل فى تاريخ الكويت السياسى — ج ٤ : ٣١٠ أن هذه الوساطة كلفت الشيخ خزعل من المصاريف والهدايا مبلغاً ينوف على عشرة آلاف ليرة ذهباً أنفقها من كيسه الخاص ، ويذكر : أن الأمير عبد العزيز السعود أهدى إلى جاسب الشيخ خزعل فى هذه المناسبة فرسين من أجود الخيول العربية ، انظر : بعض الرسائل الخطية عن موضوع الوساطة فى الملحق التاسع .

ليستعين به على مضايقات رضا خان ، فاعتذر متذرعاً بوجوب مراجعة الإنكليز فى الأمر[١] ، وكان الشيخ خزعل آنئذ فى أمس الحاجة إلى مبارك جديد يلتزمه ويسانده فى محنته ، ولكن الشيخ أحمد يختلف عن جده ، ولم يكن يجمعه بالشيخ خزعل سوى إعجابهما بالمدنية الغربية ورجالاتها[٢] .

٢ ـ الشيخ خزعل والعراق

ارتباط الشيخ خزعل بالبصرة والسيد طالب النقيب :

لقد خضعت البصرة للسيطرة العثمانية منذ سنة ١٥٤٦ ، وكان غرض العثمانيين من فتحها ، مقاومة البرتغاليين فى الخليج ومياه الهند ، وظلت البصرة ولاية عثمانية يحكمها متسلم باسم باشا بغداد حيناً ومستقلا عنه أحياناً كثيرة . وكان ذلك المتسلم لا يستطيع الدفاع عن ولايته وتثبيت حكمه ونشر الأمن دون أن يستمد العون بانتظام من القبائل المحيطة بالبصرة[٣] ، وقد استمر هذا الوضع ــ لا سيما مع القبائل العربية فى عربستان ــ حتى بعد عقد معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧ ، وقد كانت بنودها أضعف من أن تحدد صلات البصرة بعربستان التى فرضتها عوامل طبيعية وتاريخية أثرت تأثيراً كبيراً على متانة العلاقات بينهما ، فقد خضعتا إلى تأثيرات خارجية متشابهة لفترات تاريخية طويلة يكفى لأن تخلق علاقات اجتماعية وطيدة بين سكانها من الصعب تحديدها أو التخفيف منها . وقد حرص والى البصرة دائماً على كسب صداقة شيخ المحمرة ، غير أنه لم يكن دائم التوفيق ، لا سيما فى عهد الشيخ خزعل ، الذى كان له

---

(١) انظر بعض الرسائل الخطية بهذا الخصوص فى الملحق العاشر .

(٢) الريحانى ــ ملوك العرب ــ ج ٢ : ١٧٤ .

(٣) أحمد مصطفى أبو حاكمة ــ محاضرات فى تاريخ شرقى الجزيرة العربية : ٤٤ .

نفوذ عظيم فى البصرة ، لسكنى قسم غير قليل من أفخاذ عشائر المحيسن على طوال شواطئ شط العرب الغربية . وكانت له صلات طيبة مع أهلها ، إذ ارتبط مع بعض الأسر البصرية بالمصاهرة ، لتقوية هذه الصلة[١] ، إضافة إلى أملاكه الواسعة ــ التى قدرت بنحو نصف مليون ليرة عثمانية[٢] ــ وقد كان جميع كبار الملاكين يعتمدون عليه ، ويحتمون به[٣] . وهكذا لعبت عشائر الشيخ خزعل دوراً تقليدياً فى حياة الولاية السياسية ، وبقيت مصدر إزعاج مستمر لحكامها . أما سلطة الوالى فلا تكاد تخرج عن نطاق أسوار المدينة نفسها .

ويمكننا تقسيم العلاقة بين الشيخ خزعل وولاة البصرة ومتسلميها إلى فترتين متميزتين :

الأولى : قبل إعلان الدستور فى الدولة العثمانية سنة ١٩٠٨ ، وقد امتازت العلاقات بنفوذ كبير للشيخ خزعل فى البصرة على الولاة وتسلط لا حدود له مستعيناً ــ فى كثير من الأحيان ــ بالسيد طالب النقيب[٤] ــ

---

(١) عبد القادر باش أعيان ــ تاريخ البصرة الكبير ــ ج ٦ (مخطوط) .

(٢) على محمد عامر ــ المحمرة والوحدة العثمانية : ٤٣ .

(٣) الدائرة البريطانية لشئون الشرق ــ شخصيات عراقية : ٣٩ ، مصدره : مذكرات رضا شاه : ٢٢٣ .

(٤) هو السيد طالب بن السيد رجب الرفاعى نقيب الأشراف فى البصرة ، ولد سنة ١٨٧٠ عارض الحكم التركى ، ووقف بوجه الاحتلال الإنكليزى ، ثم غادر البصرة إلى ابن سعود ، ونفى إلى الهند ومنها إلى مصر ، ثم عاد إلى العراق حيث جاهر بمعارضة ثورة العشرين . رشح نفسه لعرش العراق ، ونادى بالجمهورية وسانده فيها المستر فلبى ، وكان وزيراً للداخلية ، ولما اتضحت مخالفته لمقتضى السياسة البريطانية فى هذا الشأن قبض عليه بغتة وأبعد إلى سيلان . وبعد أربع سنوات عاد إلى البصرة ليعيش فيها منزوياً . وفى ١٦ حزيران يونيه سنة ١٩٢٩ توفى إثر عملية جراحية فى ألمانيا فراح ضحية « المكر الإنكليزى » بعد أن خدم القضية العربية وطمع بالاستقلال .

ومما يلفت النظر أن صلاح العقاد ــ فى التيارات السياسية : ١٩٩ أطلق عليه اسم « الشيخ طالب النقيب » ، وهذا غير وارد مطلقاً . فالمشيخة نظام لها أصولها وأتباعها ، والسيد طالب لا يمت لهذا النظام بصلة ، راجع عنه : Wilson: Loyalties Mesopotamia, Vol. 1.

Ireland: Iraq; A Study in Political Development.

الشخصية القوية — الذى دخل فى صراع مع الأتراك ، وقام ببطولات أعطته اسما أسطوريًّا فى جنوب العراق ، فكان مرهوب الجانب ، صعب القيادة[1] ، يستمد نفوذه فى هذه الفترة من أبى الهدى الصيادى الرفاعى — قريبه فى النسب — (ذى النفوذ الواسع عند الباب العالى) ، وكان يبطش بخصومه دون رحمة ، ويحمى أتباعه . وقد جمع بسخائه وبطشه أعواناً كثيرين استغلهم لمصلحته ومضايقة ولاة البصرة الذين تعاقبوا على متسلميها ، فخشى الولاة بأسه ، ولبوا طلباته ، وقد استفاد الشيخ خزعل من نفوذه كثيراً ، وكانت تغلب على علاقتهما فى هذه الفترة المصلحة الشخصية المتمثلة فى المنافع المتبادلة — التى تكونت بفعل الجوار — والمصالح الذاتية . فللشيخ خزعل فى البصرة أملاك واسعة وأتباع كثيرون ، والإدارة العثمانية أضعف من أن تحمى تلك الممتلكات ، فكان لا بد له أن يبحث عن شخصية متنفذة قوية ليستعين بها لحماية مصالحه ، فوجد فى شخص السيد طالب النقيب ضالته المنشودة ، فكسبه إليه وأغدق عليه وشمله بكرمه ، وخصص له راتباً شهريًّا بلغ خمسين ليرة عثمانية[2] .

أما الفترة الثانية من العلاقات ، فهى التى بدأت بعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ، وقد امتازت بتوتر واضح وصراع لم يهدأ بين الشيخ خزعل ومؤيده السيد طالب النقيب ، وبين ولاة البصرة الذين توالوا على الحكم فى هذه الفترة ، وسببه جنوح حزب الاتحاد والترقى الحاكم إلى السيطرة الفعلية على ولايات الإمبراطورية فى الخليج ، والقضاء على كل نفوذ محلى للعناصر غير التركية من شأنه أن يحدد سلطة الولاة فى ولاياتهم . ولما كان نفوذ الشيخ خزعل والسيد طالب النقيب كبيراً فى البصرة ، فمن الطبيعى أن تدور رحى صراع لا يمكن أن يخمد أواره مع سلطة الوالى العثمانى ، كان من بعض نتائجه تعرض الشيخ

(١) أنيس صائغ — الهاشميون والثورة العربية الكبرى : ٢٠٤ .

(٢) خيرى أمين العمرى — شخصيات عراقية — ج ١ : ٢٦ .

خزعل إلى حملات صحفية عنيفة فى جريدة طنين الاتحادية ، كتب مقالاتها إسماعيل حقى — ناظر المعارف ومبعوث الدولة العثمانية المعروف بشدة عدائه للعرب — بعد زيارة له للعراق[1] ، ووقوفه على ذلك الصراع المستمر ، فكان يرى وجوب اتخاذ القوة الصارمة ضد القبائل العربية فى الخليج ، وإرغام شيوخها بالقوة على إعلان ولائهم للدولة[2] .

ومما زاد فى توتر العلاقات فى هذه الفترة ، أن السيد طالب النقيب تقلد زعامة المعارضة للاتحاديين فى العراق بعد ثورة ١٠ تموز (يوليو) ١٩٠٨ — وكان قد أيدها بادئ الأمر باعتباره عضواً فى جمعية الاتحاد والترقى[3] — وأخذ على عاتقه مناهضتهم والعمل على طردهم من ولاية البصرة وبالتالى المطالبة باستقلالها ، فقد كان يمنى نفسه بإمارة عربية تشمل البصرة وما جاورها على غرار إمارة الشيخ خزعل فى عربستان[4] . وقد تبلورت علاقة الشيخ خزعل معه الآن ، ولم تبق مجرد أطماع شخصية ، بل تعدتها إلى الصلات القومية والأمانى العربية التى أخذ يفكر بها أمراء العرب فى تلك الربوع ، بعد سياسة التتريك التى ضاقوا بها ذرعاً ، وعملوا متحدين للتخلص من كابوسها ، وكان لهم فضل تقدم الحركة العربية فى المنطقة . وقد شهدت كل من البصرة والمحمرة والكويت اجتماعات متوالية بين أمير المحمرة الشيخ خزعل — وتعد إمارته امتداداً طبيعيًّا للبصرة — وأمير الكويت الشيخ مبارك — وهو رسميًّا قائمقام للبصرة — ، وزعيم البصرة السيد طالب النقيب — المطالب بحكمها الذاتى — ، وغيرهم .

(١) على محمد عامر — المحمرة والوحدة العثمانية : ٦٨ .

(٢) جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٣٢٤ .

(٣) المس بيل — فصول من تاريخ العراق القريب : ٣ . وللتفاصيل عن فترة إعلان الدستور ، راجع : ساطع الحصرى — البلاد العربية والدولة العثمانية : ١٠٨ وما بعدها .

(٤) عبد الرحمن البزاز — العراق من الاحتلال حتى الاستقلال : ١٢١ ، جلال يحيى — العالم العربى الحديث : ١٠٩ .

ومن أبرز هذه اللقاءات : الاجتماع الذى تم فى أوائل مارس سنة ١٩٠٩ فى قصر الشيخ خزعل بالفيلية ، والذى حضره الشيخ مبارك وسعدون باشا ، وجملة من رؤساء عشائر العمارة والقرنة ، كما حضره عبد الوهاب القرطاس — عضو مجلس إدارة لواء البصرة — ، والسيد يوسف النقيب . وكان الغرض من ذلك الاجتماع التعاضد والتآزر فيما بين هؤلاء الزعماء ، وجمع كلمتهم للمطالبة بحقوقهم فى ولاية البصرة . وقد اهتمت الدولة العثمانية بالأمر ، وعينت على الأثر فى تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩٠٩ سليمان نظيف والياً على البصرة (١٩٠٩ — ١٩١٠)[1] ، وامتاز هذا الوالى بالجرأة والشدة ولقب بـ (مدحت باشا الثانى) ، وأراد أن يضع — وهو الصلب — حداً لنفوذ كل من السيد طالب النقيب والشيخ خزعل فى البصرة . ولكن الشيخ خزعل — بأساليبه المعروفة — عرف كيف يكسبه إلى جانبه — أول الأمر — ، فاطمأن له الوالى الجديد وأخذ يتردد عليه فى قصره بالفيلية ، وانتمى الشيخ خزعل ومعه الشيخ مبارك — مرضاة له — إلى جمعية الاتحاد والترقى [2] . ولكن لم يقدر لإجراءات الشيخ خزعل أن تدوم طويلا ، فسرعان ما شعر الوالى أن المهمة التى جاء من أجلها كادت تتلاشى ، فعقد العزم على مناهضة نفوذ الشيخ خزعل فى البصرة ، واتهم كلا من الميرزا حمزة — وكيل الشيخ خزعل بالبصرة — ، والشيخ محمد الكنعان — صهر الشيخ خزعل وممثله فى قرية كوت الزين — بالعبث الأمور وإسنادهما أعمال الشقاة مستغلا انشغال الشيخ خزعل بالحد من تعديات قبيلة البختيارية على حدوده الشمالية فى أواخر سنة ١٩١٠ ، فاتصل بناظر الداخلية طلعت باك للاستئذان بإزالة كل أثر للقلاقل والاضطرابات فى البصرة ، وأرسل تهديداً للشيخ خزعل لتسليمه أشخاصاً نسب إليهم الفرضى ،

(١) مما يلفت النظر أن جمال زكريا قاسم فى أطروحته — الخليج العربى : ٣٤٧ يجعل سنوات حكمه بين (١٩١١ — ١٩١٣) .

(٢) حسين الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٢ : ٨٠ — ٨١ .

منهم وكيلاه . فرد عليه الشيخ خزعل « إن ما سميتم من الأشقياء ليس عندى منهم سوى أربعة ، وهؤلاء شملهم العفو السلطانى العام . . . ومع ذلك فأنا أسلمهم رعاية للمودة الشخصية التى بينى وبينك . أما الميرزا حمزة فهو وإن يكن عثمانياً إلا أنه مقيد بخدمة بيتنا منذ ثلاثين عاماً وأكثر ، وفوق ذلك فهو وكيلنا فى البصرة . . . وعلى هذا أرسلوا لنا ما تتهمونه به للنظر فى أمره . أما الشيخ محمد الكنعان فهو من مشايخ قبائلنا ومحاكمته عندنا . . . » . وجرت مراسلات مملة بينهما ، وقد رفض الوالى طلباً للشيخ خزعل للحضور على ظهر سفينته بهمشير للتفاوض بالأمر . ثم استغل سفره إلى الأحواز ، فقامت الباخرة العثمانية (مرمريس) بضرب قرية كرت الزين[1] ، وهدد بضرب الفيلية والمحمرة ، ولكن سليمان نظيف لم تكن له الإمكانات التى يستطيع بها إتمام ما بدأه ، وسرعان ما وجد نفسه محاطاً بثلاث قوى جعلته لا يستطيع أن يحرك ساكناً بعدئذ ، الأولى : تهديدات الشيخ خزعل ، الذى أثار أتباعه فى البصرة فأحدثوا تمرداً ضد الوالى[2] ، والثانية : مضايقات السيد طالب مبعوث البصرة الذى كان يساند الشيخ خزعل فى تهديداته ، والثالثة : تدخلات القنصل البريطانى فى المحمرة ، الذى أرسل للوالى العثمانى بأنه شريك فى أملاك الشيخ خزعل فى البصرة ، وأن أى اعتداء عليها اعتداء على شخصه[3] . وأمام هذه

(١) للتفاصيل راجع : Wilson: South - West Persia, p. 118.
ومما يسترعى الانتباه أن جمال زكريا ذكر فى أطروحته — الخليج العربى : ٣٤٧ أن سليمان نظيف قام بضرب المحمرة . ولكن الصحيح أنه قام بضرب قرية كوت الزين فى البصرة — لاحظ الخارطة — التابعة لشيخ المحمرة وهدد بضرب المحمرة .

(٢) Wilson: op. cit., p. 118.

(٣) على محمد عامر — المحمرة والوحدة العثمانية : ٥٤ Wilson: op. cit., pp. 118-119.
والسير أرنولدولسن عاش الأحداث هذه كلها إذ كان عضواً فى لجنة الحدود التركية الفارسية التى أنجزت أعمالها قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى — ويذكر فى مذكراته : أنه كان ميالا للشيخ خزعل فى نزاعه مع الوالى العثمانى ، وقد طلب إلى حكومته منح الشيخ خزعل وسام نجمة الهند ذا السلسلة المرصعة ، فأرسلت إلى إحدى بوارجها الحربية — لورنس لتقليده إياه ، وقد كان ذلك مبعث زهو فى نفسه ، باعتبار أنه أصبح ضابطاً فى الإمبراطورية البريطانية . انظر : ص ١٢٧ من المصدر نفسه .

القوى خارت عزيمة الوالى فترك البصرة إلى العمارة ومنها إلى بغداد لمقابلة واليها ناظم باشا ، بعد أن أسند الولاية وكالة إلى سعاد باك متصرف نجلد ، ومن هناك استجاب طلعت بك ناظر الداخلية للأمر الواقع ، ونحى سليمان نظيف عن ولاية البصرة[١] الملتهبة بالفتن فى أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١٠ ، والذى لم ينجح فى إحراز أى تقدم يذكر لصالح الأتراك بعد ولاية لم تزد على أربعة أشهر[٢] .

أما علاقة الشيخ خزعل بالولاة الذين خلفوه ، فلم تكن على ما يرام ، واستمرت أعمال الفوضى ضاربة أطنابها فى الولاية ، وقد حاول الولاة مراراً توطيد علاقتهم بالشيخ خزعل فلم يوفقوا التوفيق كله .

ومما يلفت النظر آنئذ أن الحركة العربية فى المنطقة كانت تسير بقوة ونشاط ، وكان الاتحاديون أعجز من مقاومة تأججها فى النفوس والقضاء على نفوذ أصحابها ، لا سيما أن السيد طالب النقيب قد أسس فى ١٦ آب (أغسطس) سنة ١٩١١ فرعاً لحزب الحرية والائتلاف لمناوأة الاتحاديين يعضده فيه كل من الشيخ خزعل والشيخ مبارك[٣] . وقد انتخب عضواً فى مجلس المبعوثان فى الآستانة سنة ١٩١١ ، وبعد حل حزب الحرية والائتلاف أسس فى ٢٨ شباط (فبراير) سنة ١٩١٣ جمعية البصرة الإصلاحية ، التى طالبت بالحكم الذاتى ، وروجت فكرة الإصلاح اللامركزى ، وذلك بتأليف مجالس محلية للولايات العربية — ومنها البصرة — ، لتعالج مشاكلها وشئونها بنفسها[٤] . ومن أهم ما تمخضت عنه هذه الحركة فى تلك المنطقة العربية هو اجتماع مؤتمر الفيلية الذى عقد

---

(١) جريدة الزوراء — العدد ٢٢٧٢ فى ١٣ رمضان سنة ١٣٢٨ ﻫ (١٩١٠) .

(٢) عبد الكريم غرايبة — مقدمة فى تاريخ العرب الحديث : ٢٣٤ — ٢٣٥ .

(٣) أمين السامرائى — شخصيات بصرية — فى جريدة الخليج العربى — العدد ٤٠٨ (١٥ كانون الأول ١٩٦٦) ، حسين الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٢ : ٢٢٨ .

(٤) أمين السامرائى— شخصيات بصرية — فى جريدة الخليج العربى — العدد ٤٠٧ (١٤ كانون الأول ١٩٦٦) .

فى مارس سنة ١٩١٣[١] بين زعماء فم الخليج العربى الثلاثة — خزعل ومبارك وطالب — للتخطيط فى مستقبل السياسة العربية فى المنطقة بعد أن ترددت العلاقات العربية — التركية وأنذرت بانفجار شديد ، وقرر المؤتمرون الاتفاق على التحالف فيما بينهم ، وتنسيق سياستهم[٢] . ويمكننا أن نعتبر تلك الاجتماعات برغم أنها لم تكن لها صبغة رسمية[٣] — ، وهذا الاتفاق العربى ، محاولة أولى من نوعها للتجمع على أساس لا مركزى — فكر بها فى تاريخ العرب الحديث . فلو قدر لهذا الاتحاد العربى أن يقف على قدميه لولدت إمارة فى رأس الخليج العربى[٤] من أغنى دول الوطن العربى — بلا منازع — ولما خسر العرب بعدها عربستان . وقد أحيط القوميون العرب — فى بغداد وأستانبول وسورية ومصر — علماً بقرارات المؤتمر[٥] ، وتعرضت الصحافة العثمانية لهذه الاجتماعات ، واتهمت المؤتمرين بإضعاف نفوذ الدولة العثمانية فى المنطقة ، وقد طلب السيد طالب النقيب من والى بغداد محمد زكى وقف الحملات الصحفية هذه ومنعها من التعرض له وللشيخ خزعل بالسوء[٦] . إلا أن الحقيقة التى يجب ألا تغرب عن البال أن الحركة بقيت متجهة نحو الانقسام الذى كانت تحدده آفاق المصالح المحلية ، برغم وحدة الأهداف السياسية والآراء القومية والاتصالات المستمرة .

وقد تعرضت المنطقة إلى مضايقات الاتحاديين ، إزاء تلك السياسة القومية

---

(١) Longrigg: Iraq (1900-1950), p. 45; Ireland: Op. cit., p. 178.

(٢) حسين الشيخ خزعل — نظرات فى تاريخ البصرة السياسى (مخطوط) : ٢٧ — ٢٨ Kirk: Op. cit., p. 187-88.

(٣) محمد مهدى البصير — تاريخ القضية العراقية — ج ١ : ٤٥ .

(٤) كانت على هيئة حدوة حصان ، أطرافها إمارتا عربستان والكويت ، ووسطها ولاية البصرة .

(٥) عبدالكريم غرايبه—مقدمة فى تاريخ العرب الحديث؛ ٢٣٥ Ireland: Op. cit., p. 178.

(٦) انظر نص الرسالة فى الملحق الحادى عشر .

التى نهجها زعماء الإمارات فيها ، ومناهضتهم لسياسة التتريك . والتزم كل من الشيخ خزعل والشيخ مبارك السيد طالب النقيب فى درء الخطر الذى أخذ يهدد المنطقة ، وقدما له العون المادى والأدبى ، وكانا من أهم المؤازرين له[١] ، ومده الشيخ خزعل بالسلاح[٢] ، فأوعز السيد طالب — بما عرف عنه من الجرأة وحب المغامرة — إلى رجاله أن يقدموا فى ٢٠ حزيران (يونية) سنة ١٩١٣ على اغتيال فريد بك[٣] — قائد الجيش النظامى — ، وبديع نورى الحصرى[٤] — متصرف المنتفك — اللذين أرسلا من قبل الاتحاديين للقضاء على نفوذه ، وكان رد الفعل لذلك الحادث : أن أرسل الفريق سليمان شفيق الكمالى والياً على البصرة للإيقاع بالسيد طالب النقيب ، وزود ببعض القوات لهذا الغرض ، ولكن عرف الشيخ خزعل والسيد طالب والشيخ مبارك كيف يستميلونه لجانبهم ، وأظهروا له من الكرم والسخاء واللهو ما أذهله وأنساه مهمته ، فكان رهناً لإشاراتهم فى اليوم الثانى من وصوله إلى البصرة[٥] .

ولما كانت الأحوال فى تردّ مستمر ، والعلاقات بين العرب والاتحاديين تزداد نفوراً يوماً بعد آخر ، اقترح — فى منتصف تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩١٣ — عقد مؤتمر آخر فى الكويت فى بداية عام ١٩١٤ للنظر فى مستقبل الإنسان العربى ، وحل مشاكله الناجمة عن مضايقات الأتراك ،

---

(١) الدائرة البريطانية لشئون الشرق — شخصيات عراقية : ٣٩ ، مصدره — مذكرات رضا شاه : ٢٢٣ .

(٢) توفيق على برو — العرب والترك : ٤٩٧ .

(٣) Ireland: op. cit., p. 180.

(٤) شقيق ساطع الحصرى ، وللاطلاع على تفاصيل الحادث راجع : عبد القادر باش أعيان — البصرة فى أدوارها التاريخية : ٦٠ .

(٥) المصدر السابق ، ومن طريف ما يروى أن الوالى سليمان شفيق عندما قدم البصرة جرى له استقبال فخم عند مروره بالفيلية ، وأنزله الشيخ خزعل ليلتها فى قصره ، وقد وجد أغلب الحاضرين يرتدون العباءة فأظهر إعجابه الشديد بها ، فقدم الشيخ خزعل واحدة هدية له لبسها فوق بزته الرسمية فأخذ الناس يطلقون عليه (الوالى أبو العباية) .

وفى إمكانية قيام ثورة عربية ضدهم ، وإزاحة النير التركى عنهم . وقد وجهت الدعوات إلى الشريف حسين ، والأمير عبد العزيز السعود ، والأمير سعود الرشيد ، والشيخ عجمى السعدون ، والشيخ مبارك الصباح ، والشيخ خزعل ، والسيد طالب النقيب . ولكن لم يكتب لهذا المؤتمر النجاح ، فقد وئد فى المهد واعتذر بن سعود عن حضوره بحجة عدم تأهبه للنهوض آنئذ ، وكان يرى أنه سينهض حينما يحين الوقت ، وعلى هذا تأجل انعقاده[١] .

وبالنسبة للعلاقات بين الشيخ خزعل والوالى سليمان شفيق الكمالى ، فقد امتازت بالهدوء النسبى برغم أن الوالى هذا لا يقل جرأة وصلابة عن الوالى سليمان نظيف ، ولكنه أخذ بسياسة الأمر الواقع ، وغض الطرف عن النشاط العربى فى ولايته — الذى وجد تياره أقوى من أن يقف بوجهه . وقد حضر اجتماعاً مع الشيخ خزعل والسيد طالب فى البصرة ، للتداول فى مقررات مؤتمر الصبحية المعقود فى الكويت — فى مايو ١٩١٤ — بين ابن سعود أمير نجد ، وبين الوفد التركى برياسة السيد طالب النقيب حول موقف ابن سعود من الدولة العثمانية بعد احتلاله الإحساء ، والذى حال نشوب الحرب العالمية الأولى دون تنفيذه[٢] .

ولكن علاقة الملاينة سرعان ما انقلبت عندما تسلم صبحى بك متسلمية البصرة[٣] خلفاً للوالى سليمان شفيق ، فاستغلها عجمى باشا السعدون — شيخ المنتفك — لعداوة قديمة[٤] بينه وبين السيد طالب ، فأرسل قواته بقيادة أخيه حمد للقضاء على نفوذ السيد طالب — الذى كان يوم ذاك فى الكويت — ، ما أن سمع

---

(١) حسين الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى — ج ٢ : ٧٥—٧٦ .

(٢) الخاتم — من هنا بدأت الكويت : ١٧٨ — ١٨٤ .

(٣) وهو آخر وكيل تركى يصل إلى البصرة ، وقد أخذ أسيراً بعد الاحتلال الانكليزى للبصرة .

(٤) سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ١٠٥ .

النبأ حتى أسرع إلى الشيخ خزعل وهدد من هناك وكيل الوالى صبحى بلك بثورة لا تحمد عقباها إذا لم يوعز لقرات حمد بالرحيل عن أطراف البصرة ؛ فاضطر الوالى أن يستجيب لطلبه . وآخر صفحة تذكر للعلاقة بين الشيخ خزعل والسيد طالب النقيب كانت عند نشوب الحرب العالمية الأولى ، وتهيؤ الإنكليز لإنزال قواتهم فى البصرة ، التى غادرها القنصل البريطانى إلى المحمرة ، ومن هناك بعث برسالة سرية للسيد طالب يدعوه فيها لمقابلته والمفاوضة معه فى أمور ذات بال تخص العراق ، فسار إليه ليلا وقابله برفقة الشيخ خزعل — الذى وضع نفسه وسيطاً بينهما — فى المحمرة — وكان القنصل قد اتخذ دار الحاج رئيس التجار مقراً له — ، وقد أبدى القنصل الإنكليزى استعداد حكومته للاعتراف بالسيد طالب النقيب أميراً على ولاية البصرة[1] — على أن يكون تحت حمايتهم — مقابل قيامه بثورة ضد الأتراك[2] . وبعد يومين عاد السيد طالب سراً إلى المحمرة مشترطاً أن تقتصر مساعدة الإنكليز له على مده بالسلاح فقط دون دخول قواتهم إلى البصرة، فرفض طلبه[3]. ولما كان موقف الاتحاديين منه غير محمود — إذ عثر على كتاب سرى بعث به جاويد باشا قائد الجيش التركى فى بغداد إلى آمرية حامية البصرة يطلب إلقاء القبض عليه — رأى من مصلحته ترك البصرة إلى نجد[4] عن طريق الكويت . وقبيل تحركه وصل إليه معتمد الشيخ خزعل — الحاج مصطفى فهمى — حاملا اقتراحاً من القنصل الإنكليزى إليه « ليلتزم الحياد فى أثناء الحرب مقابل جعله حاكماً عاماً مدى الحياة على العراق من الفاو إلى آخر نقطة يصل إليها الاحتلال

(١) ذلك أن بريطانيا لم تكن تقصد عند بداية الحملة أن تتقدم شمالا إلى ماوراء البصرة . انظر : زكى صالح — مقدمة فى دراسة العراق المعاصر : ١٠ .

(٢) المس بيل — فصول من تاريخ العراق القريب ٣ ، خيرى العمرى — شخصيات عراقية ج ١ : ٣٢ ، وللاطلاع على نص الوعد البريطانى للسيد طالب النقيب ، راجع : الملحق الثانى عشر .

(٣) للاطلاع على نص مقترحات السيد طالب النقيب للحكومة البريطانية ، راجع الملحق الثانى عشر أيضاً .

(٤) Wilson: Loyalties, p. 18.

البريطانى » ، ولكنه رفض الاقتراح وكتب للشيخ خزعل يشكره على ما بذله من جهود من أجله[1] .

ويبدو لنا أن مفاوضة الإنكليز للسيد طالب النقيب[2] هذه على ولاية البصرة ، كانت جزءاً من مخطط إنكليزى وضع قبل الحرب للسيطرة الكاملة على ضفتى شط العرب — على الأقل — وجعلها منطقة مغلقة للمصالح البريطانية وإبعاد أى أثر للنفوذ الألمانى — الذى كاد أن يدخلها — عنها[3] ، وذلك بوساطة أمراء العرب تحت حمايتهم . وكان هذا قبل التفكير بالتقدم شمالا إلى ما وراء البصرة . ولما كانت عربستان — متمثلة بالشيخ خزعل — قد وضعت تحت حمايتهم ، طمعوا بالسيد طالب أن يوافق على مخططهم . وقد يتضح من مجريات الأمور أن الشيخ خزعل كان يختلف فى نظرته للإنكليز عن السيد طالب النقيب ، فقد التزمهم الأول وعارضهم الثانى ، وبدأت من هنا تتسع الفجوة بينهما ليصبحا بعد حين متنافسين شديدين فى ترشيحهما لعرش العراق ، ولم يلتقيا إلا فى نظرتهما السلبية المتشابهة من ثورة العشرين فى العراق ، تلك الثورة التى وقف إزاءها الشيخ خزعل مكتوف اليدين — برغم الروابط المذهبية التى تربطه بعلماء الدين المساهمين بها — ووقف السيد طالب فى بغداد بوجهها وجاهر بمعارضتها .

موقف الشيخ خزعل من الاحتلال الإنكليزى للعراق :

لما قررت بريطانيا غزو العراق — إبان الحرب العالمية الأولى — رأت أن تستميل إلى جانبها شيوخ الإمارات المحلية القائمة على ضفاف الخليج العربى ، لتؤمن مواصلاتها عبر الخليج إلى الهند . فأصدرت لهم تعهدات فى المحافظة

(١) ملحق جريدة العهد الجديد — الفلقة — العدد ١١ (٢٩ نيسان — ١٩٦١) .

(٢) وهو جزء من المفاوضات التى أجرتها بريطانيا مع زعماء العرب كشريف مكة وأمير نجد لتسهيل أمر إمداد الجيش الإنكليزى بمساعدات عربية وتأمين مؤخراته .

(٣) Foster: The Making of Modern Iraq, p. 60.

على أوضاعهم الراهنة وضمان حريتهم وعقائدهم وإعلانهم شيرخاً مستقلين تحت الحماية البريطانية . واستكمالا لذلك كان يرى السير برسى كوكس — فى مذكرة له [١] « وجوب الإسراع فى اتخاذ الإجراءات اللازمة التى تطمئنهم بأننا قادرون على درء الخطر الذى سيجابهونه — بصفتهم أصدقاءنا — وأننا عازمون على حماية مصالحهم كحمايتنا لمصالحنا . . . فرضى أمراء العرب بهذه التعهدات ، وربحنا — بنتيجة تلك السياسة الحسنة المتبعة معهم من قبلنا لمدة سنين عديدة — . . . وكانت صداقتهم ذات قيمة كبيرة لنا طيلة مدة الحرب » .

وتذكر جروترود بيل — فيما يخص العلاقات الدبلوماسية بهؤلاء — أنه « لم يصدر منهم خلال مدة الحرب كلها مايدل على وقوفهم موقفاً معادياً بالنسبة إلينا ، وأثبتت الصداقة الراسخة بيننا وبين البارزين من الأمراء — كشيخ المحمرة وشيخ الكويت — أنها شيء لا يثمن » [٢] .

ولما اندلعت الحرب — وأصبحت الدولة العثمانية فى الجانب المضاد لبريطانيا — صدرت الأوامر بإرسال قوات بريطانية إلى عبادان ، وقد أعطيت فى حينه مسوغات لتلك الحملة ، منها : صيانة النفط فى عربستان من أجل الاستهلاك البريطانى .

وقد خشيت بريطانيا — بنوع خاص — من أن تعمل القوات العثمانية فى منطقة عربستان ، وتحرم بريطانيا موارد النفط ، وبالتالى تقضى على النفوذ البريطانى [٣] ، فكان لزاماً على الإنكليز أن يعملوا كل ما فى وسعهم لاستمرار تسيير أعمال شركة النفط الإنكليزية — الفارسية ، التى كان خط أنابيبها يصل إلى جزيرة عبادان الواقعة فى رأس الخليج ، وكانت آبارها تقع إلى الجهة

(١) السير برسى كولس — مذكرة تكوين الحكم الوطنى فى العراق : ٦—٧ .

(٢) المس بيل — فصول من تاريخ العراق القريب — مذكرات — : ٢ .

(٣) Foster, : op. cit., p. 137.

الشرقية الشمالية من عربستان ، وقد ضوعف — فى النصف الأول من سنة ١٩١٤ — خط الأنابيب وتوسعت معامل التصفية توسعاً كبيراً .

ولكن وزارة الهند كانت ترى أن يكون الدفاع عن منشآت النفط هو السبب الرئيس ، فقد كتب وزير الهند إلى نائب الملك — بعد أن صدرت الأوامر إلى الحملة : « إن أهم ما نستهدفه من إرسال الحملة هو التأثير المعنوى على الشيوخ العرب ، أما حماية منابع النفط فقد كان شيئاً ثانويا من بين الاعتبارات الأخرى » [١] .

وقد أوضح هذا الرأى السير أرثر هرتزل (السكرتير السياسى لوزير الهند) فى مذكرة مؤرخة فى ١٢ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١٤ جاء فيها : « إن التأثير السياسى على الخليج والهند — الذى سيحدثه ترك الخليج مهملا من غير عناية — سيكون شيئاً خطيراً ، ولذا لا يمكننا أن نقف مكتوفى الأيدى فى هذا الشأن » [٢] .
وقد علق الجنرال بارو على هذه المذكرة بأنه : « فى حالة إعلان الحرب ستزول المصالح البريطانية فى العراق ، وسيهدد مركز حليفينا : شيخ المحمرة وشيخ الكويت ، وقد يهاجمان أو يضربان ، وفى تلك الحالة سيتبدد جميع نفوذنا ، وأتعابنا التى بذلت على مر السنين فى الهواء ، كما أن مكانتنا فى الخليج نفسها ستصبح قلقة ، فهل فى وسعنا أن نحول دون ذلك ؟ » [٣] .

وما إن أعلنت الدولة العثمانية الحرب فى الخامس من تشرين الثانى (نوفمبر) حتى نشر على الأهالى فى منطقة الخليج بلاغ ذكر فيه أن بريطانيا لا تضمر أى عداء للعرب ما داموا يظهرون صداقتهم لها ، وأن القوات البريطانية لم تحضر إلا لتواجه الاعتداء التركى ، وتدافع عن أصدقائها العرب ، وفى الوقت نفسه طلب ممثل بريطانيا العام فى الخليج إلى الشيخ خزعل : « أن تحاولوا مع

(١) Ireland : op. cit., p. 4.

(٢) Ilrid, p. 5.

(٣) Ibid, p. 6.

صديقينا السير مبارك الصباح حاكم الكويت والأمير عبد العزيز بن سعود أمير نجد الهجوم على البصرة ، وتحريرها من العثمانيين ، فإذا ما كانت هذه المهمة فوق طاقتكم ، فعليكم أن تجروا الترتيبات للحيلولة دون وصول الإمدادات التركية إلى البصرة أو حتى القرنة ، إلى أن يصل الجند البريطانيون الذين سنرسلهم فى أقرب وقت بإذن الله . وإنى لأرجو كذلك أن تصل سفينتان [١] من سفننا الحربية إلى البصرة قبل وصول جنودكم إليها ، ومع أن هدفكم الأول سيكون تحرير البصرة ، إلا أننا نرجو أن تبذلوا كل ما لديكم من جهد لمنع الجنود وغيرهم من سلب بضائع التجار البريطانيين فى البصرة وتوابعها ، وأن تحموا الأوربيين المقيمين فى البصرة وتؤمنوهم ضد أى خسارة أو اضطهاد »[٢] .

بعدئذ تحركت الباخرة البريطانية سبيكل من المحمرة إلى شط العرب ، وقطعت خط البرق التركى بين الفاو والبصرة ، فى الوقت الذى نزلت فيه القوات البريطانية — القادمة من البحرين [٣] — إلى الفاو ، وكان رد الفعل العثمانى إرسال فرقة ضخمة لإخراجهم منها . ولكن الشيخ خزعل أشعر البريطانيين بها [٤] ، فاستعدوا لها وتمكنوا من صدها بعد (معركة السنية) ، وقرر القائد البريطانى الجنرال باريت فى ١٦ تشرين الثانى (نوفمبر) الحركة شمالا أن يعسكر فى مقابل المحمرة على الضفة اليمنى من شط العرب ، نظراً لقلق الشيخ خزعل

(١) وهما الباخرتان « لورنس ولودن » كما أن سفينة أخرى كانت فى المحمرة لحماية المنشآت النفطية هى الباخرة سبيكل .

(٢) انظر النص الكامل فى « الملحق الرابع عشر » . ومما يجدر ذكره أن كتاباً مطابقاً لهذا النص أرسل إلى الشيخ مبارك الصباح. راجع بعض نصوصه فى : محمود بهجت سنان — الكويت زهرة الخليج العربى : ٣٩ —٤١ ، و : سليم طه التكريتى — الصراع على الخليج العربى : ١٤٢ وما بعدها .

(٣) لقد أقلعت القوات البريطانية فى ١٦ تشرين الأول أكتوبر من الهند ووصلت بعد أسبوع إلى البحرين وكان السير برسى كوكس هو الضابط السياسى المرافق لهذه الحملة — انظر : Foster Op. cit., p. 138.

(٤) شكرى محمود نديم — حرب العراق : ٢١ .

من قيام الأتراك بهجوم عليه [١] ، فاستطاع القائد أن ينجح فى خطته — بعد معركة كوت الزين — وبذلك توفر الأمان لحماية المحمرة ، والتحقت السفن الموجودة فى نهر كارون — بالحملة البريطانية وتم تأمين الاتصال بالمحمرة . ولقد علم الإنكليز بعدئذ — بوساطة الشيخ خزعل — أن الأتراك قرروا الانسحاب من البصرة إلى القرنة ، فتقدمت القوات البريطانية واحتلت البصرة بعد ستة عشر يوماً من دخولها الفاو [٢] .

وكان الشيخ خزعل — فى جميع مراحل الاحتلال — عوناً للإنكليز فى حربهم فى المنطقة ، متجاهلا الرأى العام فى إمارته ، فوضع جميع ممتلكاته [٣] وأتباعه بإمرة جيوش الاحتلال ، واشترك فى القضاء على كل حركة تمرد — فى منطقته — مناوئة لأصدقائه الإنكليز ، وقام بذلك لقاء تأكيد بريطانى وجهه له — فى ٢١ تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩١٤ — ممثل بريطانيا فى الخليج جاء فيه : « لقد أمرتنى حكومة صاحب الجلالة أن أقدم لسعادتكم — مقابل هذه المساعدة القيمة — وعداً بأننا إذا ما نجحنا — وسننجح بإذن الله — فإننا لن نعيد البصرة إلى الدولة العثمانية ، ولن نسلمها لهم أبداً ، وفوض إلىّ أن أؤكد لكم بصورة شخصية — وفى هذا الكتاب — بأن حكومة صاحب الجلالة مهما طرأ من التبدل على شكل الحكومة الإيرانية ، وسواء أكانت هذه الحكومة ملكية مستبدة أم دستورية ، مستعدة لأن تمدكم بالمساعدات اللازمة للحصول على حل يرضيكم ويرضينا معاً إذا تجاوزت الحكومة الفارسية على حدود اختصاصكم وحقوقكم المعترف بها ، أو على أموالكم الموجودة فى فارس ، كذلك فستبذل أقصى جهدها فى الدفاع عنكم تجاه أى اعتداء أو تجاوز يأتى إليكم من دولة أجنبية على دائرة اختصاصكم وحقوقكم المعترف بها

(١) المصدر السابق .

(٢) زكى صالح — مقدمة فى دراسة العراق المعاصر : ١٠ .

(٣) انظر : الملحق الثالث عشر — للاطلاع على رسالة خطية من عبد المسيح أنطاكى إلى الشيخ خزعل بهذا الصدد .

أو على سلامة أموالكم الموجودة فى إيران ، هذه التأكيدات معطاة لكم ولخلفائكم من الذكور من صلبكم ، وتبقى أبداً معمولاً بها ما دمتم أنتم وخلفاؤكم قائمين بواجباتكم نحو الحكومة الإيرانية ، على ألا يرشح أحد من خلفائكم الذكور إلى الحكم إلا بعد اقتراح رأى حكومة صاحب الجلالة البريطانية بصورة سرية وموافقتها على ذلك ، وأن تستمروا وخلفاؤكم تابعين إلى مشورة حكومة صاحب الجلالة ، وتتخذوا موقفاً مرضياً إزاءها .

وفضلا عن ذلك ، فستبقى بساتين النخيل العائدة لكم فى الجانب التركى من شط العرب كلها تحت حيازتكم وحيازة ورثتكم معفاة من الرسوم . . . »[١].

ولقد ظهر فى عربستان — والحرب قائمة — اتجاه نحو العطف على دولة الخلافة الإسلامية ، وقد رفعت أصوات فى النجف وكربلاء بوجوب الجهاد والوقوف بوجه « الأجنبى الكافر » ، وتأثرت قبائل المنطقة بتلك الدعوة ، لارتباطهم المذهبى مع مجتهدى الشيعة هناك ، واستغل الأتراك — أعداء الأمس — هذا الشعور فيهم فأججوا نيران عواطف العشائر واجتذبوهم نحوهم ، وتمكنوا من التأثير عليهم ، والمعروف أنه كان يصحب القوات العثمانية التى احتلت الحويزة — بقيادة محمد فاضل باشا الداغستانى — كثير من رؤساء العشائر فى المنطقة ، منهم الشيخ عناية بن ماجد — رئيس قبيلة ربيعة — ، والشيخ قاسم بن على — رئيس عشيرة الزركان — ، والشيخان عرفى بن مهاوى وعاصى ابن شرهان [٢] — رئيسا قبيلة بنى طرف — والشيخ غضبان البنيان رئيس قبيلة بنى لام — [٣] . إضافة إلى نفر من علماء الدين ، من أبرزهم نجل السيد

---

(١) انظر نص التعهد كاملا فى « الملحق الرابع عشر » أيضاً ، وانظر أيضاً : المس بيل — فصول من تاريخ العراق القريب ٢ .

(٢) وكانا معتقلين عند الشيخ خزعل فى الأحواز على أثر ثورة بنى طرف عليه سنة ١٩٠٨ ، ويصف ولسون (Loyalties, p. 45) الشيخ عاصى بأنه قوى العضلات حاد الطبع لا يقهر ، تعبده قبيلته . وهو عدو للشيخ خزعل والفرس .

(٣) هو الشيخ غضبان البنيان (البنية) شيخ بنى لام ، وكان له فى الحويزة : والعمارة =

كاظم اليزدى — المرجع الأعلى للطائفة الشيعية يومئذ — وقد انتشر هؤلاء وغيرهم من المجاهدين فى أطراف الحويزة ، وعزموا على احتلال الأحواز ، وأعلنوا الثورة « ضد الإنكليز وحليفهم الشيخ خزعل »[١] .

وفى ٢٦ كانون الثانى (يناير) سنة ١٩١٥ أخبر الجنرال باريت حكومة الهند بتقدم قوة تركية مع متطوعين من بنى لام وبنى طرف نحو الأحواز[٢] ، وهى تستهدف حقول النفط فى عبادان ، وطلب الجنرال باريت نجدات لتلافى هذا الخطر ، وأرسل فى ٢٩ كانون الثانى (يناير) ثلة من قواته لحماية الأحواز بالتعاون مع الشيخ خزعل وأتباعه[٣] ، ولكن المتطوعين — يساندهم الأتراك تمكنوا فى ١٨ شباط (فبراير) من إنزال خسائر[٤] لم تتوقع بالقوات البريطانية[٥] إذ كبدوها خسائر فى الأرواح تقدر بثلثمائة قتيل ، إضافة إلى عدد كبير من الأسرى . واستولوا على قسم من المعدات[٦] ، واستطاع فريق من الثوار

= شأن كبير . وقد جرت له مع الشيخ خزعل وقائع كثيرة ، أشهرها معركة جحيف فى حزيران (يونية) سنة ١٩١٣ انتهت بانتصار الشيخ خزعل ومصالحته إياه . وقد وقف إلى جانب الأتراك عند قيام الحرب العالمية الأولى ، واشترك فى الحملة التى قادها توفيق بك ، ومحمد فاضل الداغستانى لطرد القوات البريطانية المرابطة فى الأحواز والتى منيت بالهزيمة ، وعندما قررت بريطانيا إبعاده عن العمارة سنة ١٩١٧ التزمه الشيخ خزعل وبقى عنده حتى سنة ١٩٢٠ إذ أصرت بريطانيا على إبعاده لاتهامه بالتحريض على الثورة ضدها ، فنقل إلى الكويت ومنها إلى جزيرة هنكام . ومكث فيها حتى رجع مرة أخرى إلى العراق فى بداية الحكم الوطنى بتأثير من الشيخ خزعل ، وانتخب عضواً فى المجلس التأسيسى العراقى الأول .

(١) محمد على كمال الدين — فى مقدمة ذكرى السيد عيسى آل كمال الدين : ١٣ .

(٢) كانت هذه القوة مؤلفة من فوجين من المشاة وسرية خيالة ونصف بطرية مدفعية وفرقة عشائرية تنيف على ثلاثة آلاف مجاهد . انظر : تحسين العسكرى — مذكراتى عن الثورة العربية الكبرى — ج ١ : ٥٨ .

(٣) يقدرهم ولسون (Loyalties, p. 27) ما بين ١٠٠٠ و ١٩٠٠ من العرب .

(٤) للاطلاع على نماذج من هذه الخسائر ، راجع : Ibid, p. 26.

(٥) عباس العزاوى — تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ : ٢٧٨ ، عبد الهادى العصامى فى ذكرى السيد عيسى كمال الدين : ٤٣ .

(٦) تحسين العسكرى — مذكراتى عن الثورة العربية الكبرى — ج ١ : ٥٨ ، ويذكر أن =

نسف أنابيب النفط فى مسجد سليمان وأشعلوا فيها النيران ، الأمر الذى أوقف ضخ النفط إلى عبادان[١] ، ولكنهم أخفقوا فى الوصول إلى مصافى عبادان — حيث كانت الحماية عليها محكمة .

بعد هذه الخسائر لم تحاول القوات المندحرة التصادم بالقوات المناوئة إلا بعد أن ربحت معركة الشعيبة فى البصرة . وقد عين الجنرال غورنبج لهذا الغرض ، وكانت قبيلتا الباوية وكعب قد أعلنتا العصيان المسلح ، فجرت معركة حاسمة فى الخفاجية[٢] ، أظهرت فيها العشائر العربية من ضروب الشجاعة والبسالة ما نال الإعجاب من الأتراك والتنكيل والتأديب العنيف من الإنكليز والشيخ خزعل طيلة أيام ثلاثة فى منتصف مارس سنة ١٩١٥ ، قضى فيها على الأتراك بصورة نهائية بعد أن أرسلت قوة بريطانية كبيرة بوساطة نهر كارون لهذا الغرض[٣] ، وبذلك تراجع محمد فاضل الداغستانى مع فلول قواته المنهزمة إلى العمارة وهو فى حالة يرثى لها[٤] . واتخذت فى الحال التدابير اللازمة لصيانة أنابيب النفط وإصلاحها ، واستؤنف تدفقه إلى عبادان فى ١٣ حزيران يونيو سنة ١٩١٥[٥] .

= خسائر الثوار كانت ٥٠ قتيلا و ٣٠٠ جريح . أما خسائر الجيش التركى فكانت قتيلا واحداً وثلاثة جرحى .

(١) المس بيل — فصول من تاريخ العراق القريب : ١٠ Foster: Op. cit., p. 139,
ومن أبرز الذين اشتركوا فى قطع أنابيب النفط فى مسجد سليمان السيد عيسى آل كمال الدين — من علماء النجف مع — عشائر المنطقة ، وقد وقف مناوئا للإنكليز فى الأحواز ، وأجبر فى أواخر سنة ١٩١٦ على الإقامة عند الشيخ خزعل فى الفيلية ثم انتقل إلى الكويت ولم يرجع إلى الأحواز إلا بعد أسر الشيخ خزعل ، وقد اتهم بعدئذ بالتواطؤ مع الشيخ جاسب ضد السلطات الإيرانية ، فأخرج للعراق سنة ١٩٤٣ .

(٢) عبد الواحد باش أعيان — تحفة النصرة فى تاريخ البصرة (مخطوط) ج ٢ : ١٥٩
Wilson : Loyalties, p. 27.

(٣) عبد الواحد باش أعيان — تحفة فى تاريخ البصرة — (مخطوط) ج ٢ : ١٥٩ .

(٤) تحسين العسكرى — مذكراتى عن الثورة العربية الكبرى — ج ١ : ٥٨ .

(٥) شكرى محمود نديم — حرب العراق : ٣٧ من بعضهم .

أما الشيخ خزعل فهيأ جيشاً ليصدّ به تلك القوى المعادية من عشائر منطقته التى خرجت عليه وعلى حلفائه الإنكليز . ومن المؤكد أن الشيخ خزعل لم يتأثر بفتوى الجهاد ، التى نادى بها علماء الشيعة — وقد ألحوا عليه أن يستجيب لهم[١] ، كما أن ثورة الحسين فى الحجاز لم تحدث لديه أى تأثير يذكر[٢] . وإضافة إلى ذلك أنه لم يستجب لاتصالات العثمانيين معه لزعزعة ولائه للإنكليز ، فقد صم أذنيه عندما اتصل به والى البصرة فى العشرين من تشرين الأول أكتوبر سنة ١٩١٤ ، وطلب إليه السماح لقوات تركية كبيرة ، وهى فى حالة تنكر — فى الاختفاء على سطوح المنازل المطلة على جانبى نهر كارون[٣] ، كما سبق أن رفض طلباً لوالى بغداد وقائد عموم العراق محمد حسين جاويد بالتعاون معه[٤] .

وتعلق المس بيل — بعد كل هذا — فتقول . « لقد ضمن موقف صديقنا الحميم الشيخ المحمرة بالنسبة إلينا ذلك الموقف الذى كان يدعو إلى مالا يستهان به من القلق »[٥] . وتأكيداً لموقفه من الإنكليز ضد الأتراك ، أصدر بيانات متلاحقة إلى العشائر العربية فى العراق والمحمرة يدعوهم فيها للانضمام إلى « بريطانيا الدولة الوحيدة المحبة لرقى البشر على اختلاف أجناسهم

---

(١) انظر نموذجين من صور التلغراف الوارد إليه فى (الملحق الخامس عشر) ولكن المعروف عن الشيخ خزعل أنه بذل وساطات كثيرة من أجل بعضهم ، نذكر منها : أن الشيخ مهدى آل مظفر أحد علماء الدين فى البصرة — عندما تعرض لمضايقات الإنكليز لمساندته الأتراك التزمه الشيخ خزعل وعمل على إطلاق سراحه وأخذه فى ضيافته فى المحمرة حتى هدأت الأحوال . راجع : عبد المجيد الغزالى — تاريخ البصرة : ٢١٤ .

(٢) المس بيل — فصول من تاريخ العراق القريب : ٢ ، وتذكر أن موقف شيخ الكويت كان شبيهاً له فى ذلك . انظر الملحق — السادس عشر — للاطلاع على نص رسالة خطية بعثها الشيخ خزعل إلى الميجر مور يدفع عنه الشبهات التى اتهمته بالدعوة ل (الإمام) ابن سعود .

(٣) Wilson : Loyalties, pp. 7-8.

(٤) انظر نص الطلب فى —الملحق السابع عشر — .

(٥) المس بيل — فصول من تاريخ العراق القريب : ٤ .

ومذاهبهم »[١]، وأوعز لقواته بعدئذ أن تسحق المعارضة . فوجه ابن أخيه الشيخ حنظل لقبيلة الباوية — شرقى الأحواز — فقضى على مقاومتها ، ثم اتجه نحو بنى كعب فى الفلاحية فسير لهم ابنه الشيخ جاسب بعشرين ألفاً من عشائر المحيسن فألحق بهم هزيمة نكراء ، بعد معركة ضارية طلب لها شيخ الكويت — وكان بضيافة الشيخ خزعل — الإمدادات من ابنه الشيخ جابر فى الكويت . وبذلك أزال إمارتهم وجعل (عبود بن ذياب) رئيساً لهم من قبله[٢] . وهكذا تم للشيخ خزعل إخماد تلك الثورات وتغلب عليها ، فهدأت الأحوال فى إمارته واستتب الأمن ، وقدم إليه رؤساء العشائر المناهضة يطلبون العفو . ويثنى تقرير بريطانى على ما قام به الشيخ خزعل من مواقف إبان الحرب ، فيذكر أن : « الشيخ تمكن من القضاء على فتنتهم وأراحنا منهم ، وقد خدمنا آنذاك خدمة كبرى لا تنسى ، كما أنه ساعدنا كثيراً فى حروبنا مع الأتراك فى الشعيبة . . وقد ساعدنا أيضاً فى الأمور السوقية فى عربستان ، وساعدنا أيضاً على اجتياز نهر الكرخة »[٣] . أما شأن الإدارة البريطانية فى عربستان — بعدئذ — فقد أفصحت عنها برقية من وزير الهند إلى سكرتير الشئون الخارجية فى ٢٩ مارس سنة ١٩١٧ على أثر احتلال بغداد ، جاء فيها : « أن تكون إيران الجنوبية بما فيها عربستان منطقة نفوذ لحكومة الهند فى حين تخضع الأراضى المحتلة

---

(١) انظر قسما من نصوص هذه البيانات فى الملحق — الثامن عشر — ، ولكن الغريب أن : صلاح العقاد — التيارات السياسية : ٢٣٦ يذكر أن الشيخ خزعل حاكم المحمرة استسلم للمعارضة بخلاف الشيخ مبارك الذى تمكن من التغلب على ميل غالبية السكان إلى الدولة العثمانية .

(٢) عبد الواحد باش أعيان — تحفة النصرة فى تاريخ البصرة (مخطوط) ج ٢ : ١٦١ . ويذكر : الحاتم — من هنا بدأت الكويت : ١٥٥ — ١٥٦ أن أهل الكويت رفضوا طلب الشيخ مبارك وامتنعوا عن الاشتراك فى الحرب وقالوا : نموت على الإسلام خير من أن نموت على الكفر .

(٣) الدائرة البريطانية لشئون الشرق — شخصيات عراقية : ٣٩ مصدره : مذكرات رضا شاه : ٢٢٣ وما بعدها .

الأخرى إلى إدارة حكومة صاحب الجلالة»[١] .

ويبدو أن سلطات الاحتلال البريطانى فى العراق ، أرادت إخضاع العراق لنفس الإدارة التى خضعت لها عربستان ، فقد كانت هناك وجهتا نظر بريطانيتان فيما يتعلق بالسياسة الخاصة بالعراق : — إحداها صادرة عن الهند ، والأخرى مستمدة من لندن أو من السلطات البريطانية فى مصر .

أما مجمل الخلافات بينهما ، فهو أن المسئولين البريطانيين فى الهند كانوا يريدون استعمار العراق دون إعطاء أهله صلاحيات جوهرية فى ميدان السياسة والإدارة ، كما أنهم كانوا يرغبون فى ضمه إدارياً إلى الهند — كما هى الحالة مع عربستان ، هذا فى حين السلطات البريطانية فى مصر ترى فائدة فى الاعتراف بحركة القومية العربية وإنشاء حكومة عربية تضطلع بأعباء الإدارة[٢] . وقد بذلت الإدارة البريطانية فى العراق — بادئ الأمر — جهوداً جبارة فى التمهيد لحكم العراق حكماً مباشراً ، فأثر ذلك تأثيراً بليغاً فى تقدم العراق نحو الثورة . فقد ظلت الإدارة عسكرية برجالها وسلطتها سواء أكانت تسميتها قبل هذا التاريخ مدنية أم عسكرية[٣] . كما أنها لم تعلن عن عزمها على إنهاء الاحتلال العسكرى وإقامة نوع من الحكم الوطنى ، لخفيف وطأة الخلاف بينها وبين أهل البلاد . وقد كان مطلب الاستقلال متأصلا فى العراق ، فلما انتهت الحرب وطال الانتظار ، واستفحلت الشكوك فى وعود بريطانيا ونواياها ، اشتدت العزيمة على مقاومة الإدارة البريطانية ، والتخلص من قبضتها ، فكانت ثورة العشرين[٤] التى تفاقم أمرها ، ومما زاد فى عنفها

---

(١) Ireland: op. cit., p. 64.

(٢) زكى صالح — مقدمة فى دراسة العراق المعاصر : ١٦ .

(٣) Ireland: op. cit., pp. 75, 80.

(٤) الحسينى — الثورة العراقية الكبرى (راجع فيه التفاصيل) .

أنها اتخذت صبغة دينية ، ولكنها — على ما يبدو لم تؤثر فى موقف الشيخ خزعل ، فلم يعرف عنه تأييده للثورة أو اتصاله بالثوار ، وإنما كان ولاؤه للإنكليز يحتم عليه الوقوف بعيداً عن أحداثها ، برغم الأواصر المذهبية التى تشده بقادة الثورة من مجتهدى الشيعة . والحقيقة أن الإنكليز تفهموا جيداً مسألة تصادم الولاء الذى كان عليه الشيخ خزعل — ولائه للإنكليز وولائه لعلماء الشيعة — ، فبادر السير برسى كوكس[1] — الذى استدعى من طهران — إلى الاتصال به، إذ زاره فى ٣٠ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٠ فى المحمرة[2] . وضمن موقفه إليه . ولكن برغم هذا لم يستطع الشيخ خزعل إلا أن يعضد من شردتهم الثورة ونكلت بهم ، فتدخل — بما لديه من حظوة عند الإنكليز — فى أمرهم بعد أن أثيرت عواطفه بالعديد من الرسائل من علماء الدين فى النجف — الذين تربطهم به (رابطة المذهب والوطن واللسان)[3] —

(١) قضت السياسة البريطانية — فى أواخر سنة ١٩٢٠ — أن يستبدل الحاكم الملكى — فى العراق السير أرنولد ولسن الذى عين بمنصب مدير شركة النفط الإنكليزية — الفارسية فى عبادان بالممثل الإنكليزى فى طهران السير برسى كوكس — وقد أمضى فى منصب السفارة فى طهران مدة عشرين شهراً — وقد وصل كوكس بصفة أول مندوب سام للعراق إلى البصرة فى أول تشرين الأول أكتوبر سنة ١٩٢٠ بعد أن قابل كلا من الشيخ خزعل وابن سعود — وهما الأميران العربيان اللذان يحادان العراق — وكان على رأس المستقبلين له « الشيخ خزعل أمير المحمرة الذى تعهد له كوكس أيام الحرب باعتراف بريطانيا به حاكماً على عربستان والذى أصبح من المرشحين لعرش العراق ، والسيد طالب النقيب الذى ساعد بريطانيا أخيراً فى تهدئة الثورة فى بغداد » . انظر : خيرى حماد — عبد الله فلبى : ٨٦ ، وللاطلاع على تفاصيل وافية عن السير برسى كوكس ، راجع :
Graves : Life of Sir Percy Cox (1941).

ومن طريف ما يروى لنا : (سنت جون فلبى — أيام فى العراق : ٣٧) فى الحفلة التى أقيمت على شرف كوكس ما نصه « اقترفت غلطة بسهو منى ، إذ فى الوقت الذى كنا نبحث فى شئون الكويت افتقدت الأسرة المالكة فيها على أساس أن اثنين من حكامها الآخرين تسلما الحكم بعد مقتل أخويهما . . ولم أكن أعلم يومذاك أن الشيخ خزعل — الذى كان حاضراً — قد قتل أخاه الأكبر ليغتصب عرشه » .

(٢) البزاز — العراق من الاحتلال حتى الاستقلال : ١١٦ .

(٣) انظر نماذج للردود فى الملحق — التاسع عشر — من الشيخ خزعل إلى قسم من علماء الدين فى النجف يعدهم فيها ببذل مساعيه لدى « فخامة المندوب السامى » .

يحثه فيها مرسلوها للتدخل فى الأمر واستعمال مكانته عند « أرباب الدولة المعظمة البريطانية » ، لإصدار العفو العام عن المنفيين والمحتجزين[1] . فتدخل فى أمر « الشيخ محمد جواد الجزائرى ، والسيد محمد على بحر العلوم ، اللذين تزعما ثورة النجف ضد الإنكليز ، فأعفيا وأقاما فى المحمرة برعايته »[2]. كما أنه تدخل فى أمر السيد صالح الحلى ، وقد قبضت عليه سلطات الاحتلال فى بعقوبة يستنهض أهلها ، وأبعدته إلى البصرة فى طريقه إلى الهند — ، عندما استجار به فأغاثه ومكث عنده أكثر من ثمانية أشهر[3] . ويروى لنا عبد الواحد سكر — وهو أحد أبطال ثورة العشرين — أن الشيخ خزعل كان كثير التردد عليه فى معتقله بالبصرة وقد شمله برعايته ودعاه لزيارة المحمرة ، ويذكر : « بينما كنت عنده ، وبدون أن أعلم ، فاوض المندوب السامى ببغداد عن طريق البرق بأن يدفع عنى مائة ألف ربية هندية كغرامة على أن تطلق الحكومة سراحى »[4] .

الشيخ خزعل مرشحاً لعرش العراق :

لقد كانت مشكلة اختيار ملك على العراق فى مقدمة المشاكل التى ظهرت — منذ نهاية الحرب العالمية الأولى — فى العراق[5] . فلما تطورت الظروف بعد ثورة العشرين ، أصبح تحقيق الفكرة أمراً لا بد منه . وكان طبيعياً أن تختلف

(١) انظر نماذج من هذه الرسائل فى الملحق — التاسع عشر — أيضاً .

(٢) وكانا قد حكم عليهما بالنفى إلى الهند ، وبعد أن التزمهما مكثا عنده ما ينيف على السنة . راجع : المس بيل — فصول من تاريخ العراق القريب : ٥٢ ، وانظر أيضاً : على الخاقانى — شعراء الغرى — ج ٧ : ٣٨٠ .

(٣) يذكر على الخاقانى — شعراء الحلة — ج ٣ : ١٦٣ « عند مرور السيد صالح الحلى على قصر الشيخ خزعل بالفيلية نادى : واخزعلاه ! ولا خزعل لى اليوم » فأغاثه وأخذه من سلطات الاحتلال .

(٤) فريق مزهر آل فرعون — الحقائق الناصعة فى الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها : ٤٤٧ .

(٥) Foster: Op. cit., p. 94. ، زكى صالح — مقدمة فى دراسة العراق المعاصر : ٦٠ .

وجهات النظر فيمن عسى أن يكون ملكاً . وقد كان هناك عدد كبير من المرشحين ، وكان لكل مرشح أتباع ودعاة يتفاوتون بتفاوت مراكزهم وإمكانياتهم ونظر الحكومة البريطانية إليهم ، فمن المرشحين العراقيين كان نقيب البصرة السيد طالب النقيب — وزير الداخلية فى الحكومة المؤقتة — ، والسيد عبد الرحمن النقيب — رئيس مجلس الدولة — ، وعبد الهادى العمرى — من الأسر المشهورة فى الموصل — . ومن المرشحين من غير العراقيين : الأمير برهان الدين — نجل السلطان عبد الحميد — ، وأغاخان — زعيم الطائفة الإسماعيلية فى الهند — ، وغلام رضاخان — والى بشتكوه الإيرانى — . ومن جملة المرشحين العرب[1] كانا : الأمير فيصل والشيخ خزعل . فأما فيصل — حليف حرب البريطانيين — فإنه ما لبث أن أصبح المرشح المفضل للعرش الجديد . وقد استقر عليه الاختيار فى مؤتمر القاهرة — الذى عقد برياسة وزير المستعمرات المستر تشرشل فى آذار سنة ١٩٢١ — . وأما الشيخ خزعل فإن إمكانياته وسخاءه وصلته المذهبية بجنوب العراق خاصة ، وثقته بالإنكليز[2] كان ما يجعل أمر نجاحه فى الحصول على العرش أكثر احتمالا[3] ، فقد كتب إلى المعتمد السامى البريطانى فى العراق فى الخامس من نيسان سنة ١٩٢١ يطالب معاضدته فى هذا الشأن[4] ، وكان قد تلقى طلبات عديدة من علماء الدين فى النجف وغيرها يلحون عليه بترشيح نفسه لعرش العراق باعتباره « أولى الجميع بمداخلة الأمور العامة للعراقيين عموماً والنجف خصوصاً » ويطالبونه « بألا يحوج العراقيين للالتجاء إلى غيره فى تولى أمورهم »[5] بعد أن شاع « أن الدولة البريطانية

(١) من المرشحين الآخرين ابن سعود والشريف الهاشمى على حيدر .

(٢) يعلق السيد عبد الرازق الحسنى — تاريخ العراق السياسى الحديث — ج ١ : ١٦٩ عن ترشيح الشيخ خزعل للعرش : « إنه كان يصرف آلافا من الخيال الإنكليزى للفوز بهذه الرئاسة » .

(٣) عبد الرحمن البزاز — العراق من الاحتلال حتى الاستقلال : ١٢٣ .

(٤) الحسينى — تاريخ العراق السياسى الحديث — ج ١ : ١٦٩ .

(٥) فقرات من نص الرسالة الخطية التى أرسلها له الشيخ جعفر كاشف الغطاء، انظر :=

قد أعطت الحرية للعراقيين بانتخاب من يشاؤون لأمورهم العامة . . . فإقباله يكون سبباً لإطلاق مسجونهم ، وإرجاع شاردهم ، وتأمين خائفهم وحفظ كافة شئونهم ، وحفظ صداقتهم ، وصداقة العرب مع الدولة المعظمة البريطانية، فيحوز فخر الدنيا والآخرة »[1] . والحقيقة أن إبعاد السيد طالب النقيب — منافسه القوى فى جنوب العراق — عن مسرح السياسة زاده اندفاعاً ليلعب دوره — وقد غاب عنه أن إزاحة النقيب جاء تمهيداً لترشيح فيصل للعرش —[2]، فبذل أموالا طائلة[3] ، وانتدب مزاحم الأمين الباجه جى معتمداً له ، ليقوم بمهمة الاتصال — لحسابه — مع قسم من ساسة العراق فى بغداد[4] . فكانت اتصالات الباجه جى مخيبة للآمال ، فقد أحجم عنه الكثيرون ، ولم يحظ باهتمام من كلفه الشيخ خزعل الاتصال بهم ، فرجع للبصرة وكتب للشيخ خزعل : « ذهبت إلى بغداد وحكيت مع المعلومين فوجدتهم كما سبق لى التنبؤ بحقهم ، ورأيت الأحوال متغيرة للغاية وإقناع أحد من أصعب

= النص الكامل فى — الملحق العشرين — .

(١) فقرات من نص الرسالة الخطية التى أرسلها له الشيخ عبد الكريم الجزائرى ، انظر النص الكامل فى — الملحق العشرين — .

(٢) لقد كتب مراسل التايمز فى طهران فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢١ « بعد ما حصل للسيد طالب فإن الزعيم الذى يعارض فيصلا يكون مجنوناً » . انظر : أنيس صايغ — الهاشميون والثورة العربية الكبرى : ٢٠٧ .

(٣) الزركلى — الأعلام — ج ٢ : ٣٥٠ .

(٤) ترجع صلة الشيخ خزعل بمزاحم منذ التجائه للبصرة على أثر غلق السلطات العثمانية النادى الوطنى الذى كان رئيسه وتعطيل جريدته النهضة . فتولى السيد طالب والشيخ خزعل حمايته من بطش الاتحاديين . وكان من الذين التجؤوا إلى البصرة يومذاك نورى السعيد وعبد الله الدملوجى وكانا ضابطين فى الجيش التركى . ويذكر على البزركان — الوقائع الحقيقية فى الثورة العراقية : ١٠٨ أن مزاحماً شغل عند الاحتلال منصب معاون حاكم الحلة السياسى ثم أرسل بعد ستة أشهر للبصرة وأودع إليه النظر فى كافة الدعاوى التى يقيمها الأهالى . وفى هذه الأثناء انتدبه الشيخ خزعل ليروج له فكرة اعتلائه عرش العراق .

الأمور ، بل تكاد تكون من المستحيلات »[1] . ويبدو أن الشيخ خزعل قد كلفه الاتصال بنورى السعيد وقريبه جعفر العسكرى ، ليتبنيا فكرة ترشيحه لعرش العراق . ويظهر لنا من رسالتيهما –المؤرختين فى ٢٧ نيسان سنة ١٩٢١[2]– للشيخ خزعل – واللتين نقلهما إليه مزاحم الباجه جى – أنهما اعتذرا من الخوض فى مثل هذه الأمور – وكانا معروفين بولائهما لفيصل – متذرعين بأنهما من الضباط العسكريين ولا يمكنهما الاشتغال بالأمور السياسية[3] . وقد نصح الباجه جى الشيخ خزعل بأن يكف عن هذه الأمانى ويخلصه من هذا المأذق الذى وقع فيه ، فكتب له : « إن المسألة أصبحت منتهية ، والسعى[4] لا أرى فيه أقل نفع إذا لم يكن فيه بعض الضرر ، ولا يبعد أن يكون هذا الضرر على مثلى إذا حاولت تبديل ما وقع عليه الاتفاق وفاه به أهل الحل والعقد »[5] .

وإلى جانب هذا وجد الشيخ خزعل أن الدبلوماسية الإنكليزية غير متحمسة لترشيحه ، وقد لزمت الصمت بادئ الأمر ، ثم طلبت منه المس بيل – سكرتيرة الشؤن الشرقية فى دار الاعتماد البريطانية فى بغداد – الكف عن الخوض فى مثل هذا الأمر ، ليفسح المجال أمام فيصل للفوز بالعرش . وكان مؤتمر القاهرة قد تدارس « المؤهلات المتوفرة فى كل من الذوات الذين

---

(١) رسالة خطية من مزاحم الباجه جى إلى الشيخ خزعل ، تجد نصها الكامل فى الملحق الواحد والعشرين .

(٢) انظر نص رسالتيهما فى – الملحق الثانى والعشرين – .

(٣) شغل نورى السعيد لأول مرة منصب وزير الدفاع فى الوزارة السعدونية الأولى فى ١٨ تشرين الثانى سنة ١٩٢١ وتولى رياسة الوزارة لأول مرة فى٢٣ آذارسنة ١٩٣٠ . أما جعفرالعسكرى فشغل منصب وزير الدفاع الوطنى فى الوزارة النقيبية الأولى فى ٢٥ تشرين الأول سنة ١٩٢٠ وشغل منصب رياسة الوزارة لأول مرة فى ٢٦ تشرين الثانى سنة ١٩٢٣ ،وكان يردد دائما أنه لم يدخل إلى مجلس الوزراء إلا ليقف بوجه مطامع السيد طالب النقيب ، راجع : خيرى العمرى – المرشحون للعرش – جريدة البلد – العدد ٨٤٨ فى ١١ آذارسنة ١٩٦٧ .

(٤) يشير إلى ما اتفق عليه فى مؤتمر القاهرة فى آذارسنة ١٩٢١ .

(٥) يقصد بهم الإنكليز .

يمكن ترشيحهم لعرش العراق . . وكان من السهل الوصول إلى نتيجة فى ذلك بإسقاط غير اللائقين من قائمة المرشحين »[1] ، فأسقط اسم الشيخ خزعل بتبريرات متعددة ، منها : أنه « إيرانى الجنسية ، والعرب فى العراق لا يقبلون بملك غير عربى »[2] ، ومنها : أن « الأوساط الوطنية لا تميل إليه فضلا عن أن نفوذه منحصر فى جنوب العراق »[3] . وفى تقديرنا أن التزامه من قبل علماء الدين فى العراق واتباعهم – الذين وقفوا بوجه الاحتلال الإنكليزى وشاركوا فى إضرام نيران ثورة العشرين – جعل بريطانيا لا تطمئن إلى مواقفه ومواقف أتباعه فى المستقبل ، كما أنها لم تكن تريد أن تثير مشكلات دينية وطائفية ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن فوز الشيخ خزعل بعرش العراق معناه : قيام وحدة طبيعية بين عربستان والعراق ، وقد يترتب عليها – بالنسبة لبريطانيا – مشاكل سياسية معقدة . وقد ألقى ونستون تشرشل – وزير المستعمرات – بياناً فى مجلس العموم فى الرابع عشر من حزيران يونيو سنة ١٩٢١ ترجمته السلطات فى العراق ونشرته على نطاق واسع ، جاء فيه : « إن حكومة صاحب الجلالة تعتبر الأمير فيصل مرشحاً مناسباً ، بل المرشح الأنسب ، فى الميدان وتأمل أن يحصل على تأييد غالبية الشعب العراقى »[4] .

ومع كل هذا فإن الشيخ خزعل بقى فى الميدان وعز عليه أن يسحب ترشيح نفسه أو يعلن معاضدته لفيصل ، إلا بعد أن أبحر فيصل متجهاً إلى العراق[5] ، وهنا وجد ألا مناص من أن يعلن تنازله عن الترشيح ، وكان

---

(١) كوكس – مذكرة – تكوين الحكم الوطنى فى العراق : ٤٨ – ٤٩ .

(٢) أنيس صايغ – الهاشميون والثورة العربية الكبرى : ٢٠٤ .

(٣) خيرى العمرى–المرشحون للعرش–جريدة البلد – العدد ٨٤٩فى (١٢/٣/١٩٦٧).

(٤) أنيس صايغ – الهاشميون والثورة العربية الكبرى – ٢٠٧ .

(٥) Ireland, : op. cit., p. 249.

ذلك فى مجلس له بالبصرة – قبيل وصول فيصل بتسعة أيام – ضم كلا من أحمد الصانع – أول متصرف للبصرة بعد الحرب – ، وعبد اللطيف المنديل – أول وزير تجارة فى الحكومة المؤقتة – ومزاحم الباجه جى – داعيته فى الترشيح –، وعبد الكريم السعدون . وقد تناولت تصريحه هذا جريدة العراق فى ١٤ حزيران سنة ١٩٢١ ، جاء فيه : « إننى عندما طرحت مسألة عرش العراق على بساط البحث ورأيت أن الذين رشحوا أنفسهم لذلك العرش هم أناس دونى فى المنزلة والكفاءة والمقدرة وفى جميع المزايا والصفات التى يجب أن يتصف بها ملك أو أمير ، كنت رشحت نفسى لذلك العرش لأننى رأيت أننى أحق وأجدر من جميع الذين رشحوا أنفسهم له . أما الآن وقد بلغنى ترشيح سمو الأمير فيصل لهذا العرش فإننى أتنازل عن ترشيح نفسى لأننى أرى فى شخص الأمير فيصل جميع الصفات والمواهب التى تؤهله لأن يتولى ذلك العرش ، وإننى أقابل ترشيح سمو الأمير فيصل بكل ابتهاج ، وأؤيده كل التأييد وأرجو من جميع أصدقائى ومواطنى أن يؤازروه بكل قواهم »[1] .

ومن المؤكد أن تنازله هذا جاء برغم إرادته ، وترك فى نفسه آثاراً لا يمكن نسيانها فكان يردد دائماً بعدئذ : « لو لم يكن المرشح لعرش العراق الأمير فيصل لكنت أحق الناس به »[2] .

وفى الثالث والعشرين من حزيران (يونيو) سنة ١٩٢١ وصل الطراد البريطانى (Northbrook) . إلى البصرة مقلا الأمير فيصل وحاشيته ، ولم يكن الشيخ خزعل فى استقباله – كما كان متوقعاً – فأرسل له فيصل من يبلغه : « إنى أراه بمقام الوالد لى ، وحتى جلالة والدى أمرنى أن أبلغ سلامه الخصوصى إلى سمو السردار . . . وإنى أود لو ما كان هذا المانع وأراه وأعيد الزيارة له فى قصره

(١) جريدة العراق البغدادية – العدد ٣١٧ فى (١٤ حزيران سنة ١٩٢١) .

(٢) من تصريح الشيخ خزعل ، وكان قد اجتمع به السيد عبد الرزاق الحسنى فى أوائل سنة ١٩٢٥ فى قصره بالفيلية ، راجع : الحسنى – تاريخ العراق السياسى الحديث – ج ١ : ١٦٩ .

حتى لو تكون المسافة ليالى وأياماً . . . »[1] .

وعندما جرى الاستفتاء فى مختلف أنحاء العراق لإقرار فيصل ملكاً « قاوم أهالى عربستان – الساكنين فى البصرة – فكرة انتخابه ولاء منهم للأمير خزعل »[2] . وقد كانت للشيخ خزعل عشائر كبيرة فى البصرة ، وامتناعهم عن التصويت يؤثر تأثيراً واضحاً على سير الاستفتاء . وهنا تدخل صديقه السير أرنولد ولسن فى الأمر طالباً إليه بذل جهوده من أجل إنجاح انتخاب الأمير فيصل . وبين يدينا رسالة مؤرخة فى ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٣٩ ﻫ كان قد أرسلها الشيخ خزعل إلى ولى عهده الشيخ جاسب – وكان وقتئذ فى البصرة – توضح الخطوط العامة لمعارضته انتخاب فيصل ، وحاول التخفيف من الأزمة ، وقدم اقتراحه إلى ولسون ليقتنع به ، جاء فيه : « من جهة الانتخاب نحن ليس ما نعين طوايفنا أفلا ينتخبون الأمير فيصل لكن هذا صاير سوء تفاهم لأن : أولا – الأمير فيصل صديق حكومة الإنكليز وتابع إلى سياستهم . ثانياً – إنى لى سوابق مع حضرة الشريف وخصوصيات ، فكيف أقول إلى طوايفى لا ينتخبون الأمير فيصل ؟ ولكن قصدنا فرد شى أنه إذا طوايفنا ينتخبون يذكرون فى أوراق الانتخاب بأن : نحن يا طوايف الشيخ خزعل الساكنين بالبصرة منتخبين الأمير فيصل ، لأن هذه العبارة نريدها للمستقبل حتى لا يصير اعتراض فى مسألة طوايفنا » . وقد طلب – بعدئذ – من ابنه أن يرسل «على رؤساء الطوايف الذين بذاك الطرف وقول لهم يعبرون»[3] والواقع أن الشيخ خزعل – بعد أن يئس من عرش العراق – أراد أن يضمن نفوذه على الأقل فى البصرة – كما كان عليه أيام الحكم العثمانى ، فحاول

(١) فقرات من رسالة خطية أرسلها متصرف البصرة أحمد الصانع إلى الشيخ خزعل ، إثر وصول الأمير فيصل للبصرة . انظر نص الرسالة فى الملحق – الثالث والعشرين – .

(٢) أنيس صايغ – الهاشميون والثورة العربية الكبرى : ٢٠٩ .

(٣) انظر النص الكامل للرسالة فى الملحق – الرابع والعشرين – .

أن يرغم العهد الجديد على قبول سلطته التقليدية فيها — غير مبال بتغير الزمن والظروف — ، إلا أن الدهاء الإنكليزى كان يعرف جيداً كيف يعامله ويجتذبه إليه ، وقد أخذ من قضية تهديد فارس لسيادته ذريعة كافية للنيل منه . وكان الشيخ خزعل قد تلقى رسالة من متصرف البصرة أحمد الصانع ينبئه عن فيصل : « فهو لا محالة ملك للعراق . .وفى هذه الأيام ابتدينا بانتخابه ملكاً علينا »[1] . وهكذا زالت معارضة الشيخ خزعل ، وجرى الاستفتاء وصوتت معظم عشائره إلى جانب فيصل ، فكان موقفاً للشيخ خزعل استحق عليه الشكر من بريطانيا ، وكتب له السير أرنولد واسن فى ٧ آب سنة ١٩٢١ ليعبر له عن امتنانه وشكره : «للمساعدة الكلية التى أبديتموها بخصوص انتخاب سمو الأمير فيصل ملكاً على العراق »[2] . وبعد إقامة حفلة تتويج فيصل ملكاً على العراق — فى اليوم الثالث والعشرين من آب أغسطس سنة ١٩٢١ — بارك الشيخ خزعل ذلك وأرسل إلى متصرف البصرة : « أتوسل إلى الله أن يؤيده ويديم سلطنته بالتوفيق ودوام الارتباط مع الدولة العادلة بريطانيه العظمى . . »[3] .

ومما لا يقبل الشك أن علاقة الشيخ خزعل بالملك فيصل فى الفترة (١٩٢١ — ١٩٢٥) كانت قد فرضتها عليهما سياسة الأمر الواقع ، وهى علاقة يشوبها الغموض والحذر ، فلم يرو عنهما تبادل الزيارات فى عاصمتيهما سوى زيارة قصيرة قام بها الملك فيصل للبصرة إثر توليه العرش ، فزاره الشيخ خزعل إليها وقابله فى دار أحمد الصانع متصرفها ، وقد رد الملك فيصل الزيارة للشيخ خزعل فى يخته (الخزعلى)[4] الراسى فى مياه شط العرب مقابل البصرة .

---

(١) انظر النص الكامل للرسالة فى الملحق — الخامس والعشرين — .

(٢) انظر النص الكامل للرسالة فى الملحق — السادس والعشرين — .

(٣) انظر النص الكامل للرسالة فى الملحق — السادس والعشرين — .

(٤) وهى باخرة أهدتها له الحكومة البريطانية .

ولم تشهد العلاقات بين عربستان والعراق تطوراً يذكر ، ولم تفكر حكومة فيصل بعدئذ فى الاعتراف بإمارة المحمرة وحاكمها الشيخ خزعل — وهى أضعف من أن تنتهج سياسة عربية مستقلة عن دائرة النفوذ البريطانية . ومن أبرز ما شهدته تلك العلاقات : انعقاد مؤتمر للحدود العراقية النجدية فى قصر الشيخ خزعل بالفيلية فى أوائل أيار (مايو) سنة ١٩٢٢ للنظر فى مشاكل الحدود بين القطرين ، فتوصل المؤتمر إلى وضع معاهدة المحمرة « بين العراق ونجد »[1] التى قبلها فيصل ورفضها ابن السعود[2] .

ويروى لنا معتمد الشيخ خزعل فى المحمرة سليمان فيضى ، عند مقابلته الملك فيصل فى بغداد صيف سنة ١٩٢٣ : « أن فيصل ذكر لى أن بعضاً من عشائر البصرة التابعة للشيخ خزعل كانت قد امتنعت عن الاشتراك فى انتخاب الملك ، وأبدى رغبته فى حث هذه العشائر على المساهمة فى الانتخابات المقبلة للمجلس التأسيسى »[3] . فيظهر أن الحيطة والشك كانا يلازمان الملك فيصل من الشيخ خزعل — وهو الذى لا يزال يشاركه نفوذه فى البصرة — ، فبالرغم من أن الشيخ خزعل استجاب لطلب الملك وأرسل رسله إلى عشائره «يحثها على الاشتراك فى الانتخابات وعدم مخالفة حكومة العراق »[4] . فإن الملك فيصل لم يستجب لطلب الشيخ خزعل عندما رجاه استضافة الشيخ مهدى الخالص ، الذى أصدرت الحكومة العراقية فى أواخر حزيران (يونيو)

---

(١) البصير — تاريخ القضية العراقية — ج ١ : ٣٩٩ .

(٢) غرايبة — مقدمة فى تاريخ العرب الحديث : ٤١٩ ، الحسنى — العراق فى دورى الاحتلال والانتداب — ج ١ : ٢٣٥ ، وكان يمثل الحكومة العراقية صبيح نشأت وزير الأشغال والمواصلات ، ويمثل حكومة نجد أحمد الثنيان آل السعود ، ويمثل بريطانيا الميجر بوريللون منابأ عن المندوب السامى فى بغداد — انظر نص الرسالة التى حملها صبيح نشأت من الملك فيصل إلى الشيخ خزعل بهذا الشأن فى الملحق الثامن والعشرين .

(٣) سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٥ .

(٤) سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٥ .

سنة ١٩٢٣ أمراً بإبعاده عن العراق ، للموقف السلبي الذى أثاره ضد إجراء الانتخابات لتكوين المجلس التأسيسى فى البلاد[١] . وأظهر الملك فيصل أسفه على عدم تلبية الطلب فى رسالة بعثها للشيخ خزعل فى ٨ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٣ يعلمه فيها أن الشيخ خزعل الخالصى قد غادر العراق إلى منفاه فى جدة[٢] .

أما فيما يخص ممتلكات الشيخ خزعل بالبصرة ، والتى أصدرت بريطانيا بشأنها — فى تشرين الثانى سنة ١٩١٤ — أمراً لإعفائها من الضرائب ، فقد نص القانون الأساسى العراقى على ضرورة مراعاة شرعية البيانات والقوانين التى أصدرتها بريطانيا ، لذا فقد حافظ الملك فيصل على إعفائها من الرسوم طيلة حكم الشيخ خزعل للمحمرة ، ولكن نلاحظ — بعد تقويض حكمه — أن حكومة الملك فيصل بادرت فى عهد الوزارة العسكرية الثانية إلى مفاتحة المعتمد السامى البريطانى فى ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٦ لإلغاء هذا الامتياز « بعد أن تمتع به الشيخ خزعل زمناً كافياً مكافأة له على ما قام به من الخدمات فى بداية الحرب ، كما أن الحكومة العراقية تشعر أن الظروف السياسية والاقتصادية الحاضرة تجعلها غير واثقة من إمكان إمرار لائحة قانونية كهذه من المجلس النيابى ، ولذلك يرى مجلس الوزراء أن تفاتح الحكومة البريطانية بشأن هذه المسألة »[٣] .

---

(١) هنرى دوبس — تكوين الحكم الوطنى فى العراق : ٧١ — ٧٢ .

(٢) الحسنى — تاريخ الوزارات العراقية — ج ١ : ١٣٥ ، سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٥ .

(٣) انظر تفاصيل تلك المراسلات فى : الحسنى — تاريخ الوزارات العراقية — ج ٢ : ١٠٨ .

الفصل الرابع

تطور النفوذ الأجنبي فى عربستان

المنافسة الدولية فى الخليج العربى وأثرها على عربستان :

شهد القرن السادس عشر سيادة البرتغاليين على مياه الخليج العربى ، تلك السيادة التى كان من نتائجها ضرب التجارة العربية فى مياهه ، كما شهد تحالفاً بينهم وبين الفرس — الشاه إسماعيل — للقضاء على النفوذ العربى فى المنطقة . ولقد نظم الفونسو البوكيرك حملات القرصنة البرتغالية[١] لمعاكسة الملاحة التجارية التى كان يمارسها العرب ، فكان رد الفعل العربى — على تلك الأعمال — الاتفاق على القيام بحركة تحرير عامة لمناطق نفوذهم .

وفى هذه الفترة شهدت المنطقة الزحف العثمانى ، مبتدئاً بالبصرة سنة ١٥٤٦ — التى كانت تتمتع باستقلال تام فى حكم شط العرب[٢] — . وقد نفذ العثمانيون من ذلك الثغر إلى الخليج فأصبحوا وجهاً لوجه أمام البرتغاليين ، لذا يمكن القول أن النصف الثانى من القرن السادس عشر : هو فترة صراع بين هاتين القوتين فى الخليج العربى . وقد رحب العرب بمساعدة العثمانيين لهم لمكافحة التوسع البرتغالى ، وغدت البصرة قاعدة للعمليات البحرية العثمانية ضد البرتغاليين . أما إمارة عربستان فقد كانت تحت حكم أمراء الحويزة ، بعيدة عن تلك العمليات ، لا سيما أنها لم تتعرض للاحتلال العثمانى المباشر كالبصرة — . والحقيقة أن قوة البرتغاليين ما لبثت أن وهنت فى الخليج بعد أن

---

(١) محمود على الداود — العلاقات البرتغالية مع الخليج العربى — مجلة كلية الآداب — بغداد ١٩٦٠ ، ١ — ٣٠ .

(٢) صلاح العقاد — التيارات السياسية فى الخليج العربى : ١٩ .

ضمت بلادهم إلى أسبانيا (١٥٨٠ — ١٦٤٠) ، مما أضعف المدد لوحداتهم فى الشرق[١] ، لتدخل ميدان النزاع بدلها قوتان أوربيتان جديدتان هما : إنكلترا وهولندا.

وترجع علاقة إنكلترا السياسية والتجارية بالخليج منذ أوائل القرن السابع عشر ، عندما أرسلت شركة الهند الشرقية — وكانت قد أسست فى ٣١ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٦٠٠ ، واتخذت مدينة سوارت (Surat) إحدى موانئ الهند مركزاً لها — سفنها إلى سواحل الخليج فى العقد الثانى من ذلك القرن. ومن الثابت أن بريطانيا اتجهت إلى الخليج لأنه يحتل خطاً دفاعياً أمامياً عن مستعمرة الهند ، ويكون طريقاً من طرق مواصلاتها الإمبراطورية ، فكان فى نظر « صانعى الإمبراطورية » وسيلة لا غاية[٢] . وقد وجد الإنكليز من الفرس حلفاء طبيعيين لهم فى حربهم مع البرتغاليين حلفاء الفرس بالأمس ، إذ جرى أول اصطدام مسلح بينهما قرب ميناء جسك[٣] — الواقع على خليج عمان — حقق فيه الإنكليز انتصاراً ملحوظاً ثم أعقبه حرب بحرية عنيفة تعرضت خلالها سواحل فارس لهجمات عديدة كان النصر فيها للإنكليز ، الذين جعلوا من بندر عباس مركزاً رئيساً لأعمالهم فى منطقة الخليج سنة ١٦٢٢ ، وأخذت السفن البريطانية تتاجر مع البصرة منذ سنة ١٦٣٥ ، برغم منافسة الهولنديين لها .

والواقع أن القرن السابع عشر شهد تغييراً عاماً فى منطقة الخليج ، فقد وجد أمير البصرة نفسه مضطراً إلى محالفة البرتغاليين ضد الشاه الذى حارب العثمانيين ، واستولى على بغداد سنة ١٦٢٣ فظهرت خمس سفن برتغالية فى شط العرب ، لتساهم فى الدفاع عن البصرة . وفى مقابل ذلك حصل البرتغاليون على امتيازات اقتصادية وسياسية فى جنوب العراق ، وبقيت سفنهم

---

(١) زكى صالح — مجمل تاريخ العراق الدولى فى العهد العثمانى : ١٧ .

(٢) صالح العقاد — الاستعمار والبترول فى الخليج العربى — مجلة السياسة الدولية (تصدر عن مؤسسة الأهرام بالقاهرة) — العدد ٨ (إبريل — نيسان ١٩٦٧) : ٣٢ .

(٣) Curzon : op. cit., Vol. II, p. 548.

تتردد على شط العرب حتى سنة ١٦٤٠[١] .

أما العلاقات العامة بين الشاه والإنكليز ، فقد أخذت بالتطور . فقد أصدر الشاه عباس (١٥٨٧ — ١٦٢٩) فرماناً أوصى به جميع موظفى الموانئ الفارسية بمساعدة التجار الإنكليز[٢] ، ذلك لأن الإنكليز سلكوا سياسة على النقيض من سياسة البرتغاليين ، فقد كانوا يحسنون المعاملة ويتقربون إلى الأمراء ، فاستمالوا أهل البلاد إليهم . ويذكر الجنرال موبرلى (Moberly) « أن العلاقات السياسية البريطانية فى الخليج ترجع إلى سنة ١٦٢٢ ، عندما أخذت شركة الهند الشرقية على عاتقها — بالاتفاق مع شاه فارس — تخصيص سفينتين حربيتين بصورة مستمرة للدفاع عن الخليج »[٣] .

والحقيقة أن النفوذ البرتغالى بقى فى الخليج بشكل واه حتى سنة ١٦٥٢ ، ثم زال نهائياً ليبدأ الصراع بين الإنكليز والهولنديين[٤] ، فقد ظهر للإنكليز أن الهولنديين استطاعوا الحصول على الأفضلية فى منطقة الخليج منذ سنة ١٦٤٠[٥] وقد أذعن الشاه لسيطرتهم على الشطر الشرقى من الخليج ، وصاروا يضايقون السفن الإنكليزية ، تتبعوها من ثغر إلى آخر حتى دخلوا شط العرب ، ووصلوا إلى البصرة ، وأرسلوا إليها ثمانية من سفنهم سنة ١٦٤٩ أنزلت بضائعها فى (مناوى الباشا)[٦] وكادت تقضى على التجارة الإنكليزية فيها .

---

(١) صالح العقاد — التيارات السياسية فى الخليج العربى : ٢٦ .

(٢) Curzon : op. cit., Vol. II, p. 536.

(٣) Longrigg : Four centuries of Modern Iraq, p. 101.
Zaki Saleh : Mesopotamia, 38.

(٤) لقد كان هدف البرتغاليين فى الخليج العربى هو القهر العسكرى ، أما الإنكليز والهولنديون فكانوا يبغون التوسع فى الأعمال التجارية ، ثم السياسية .

(٥) محمود على الداود — العلاقات الهولندية مع الخليج العربى — مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد) كانون الثانى - ١٩٦١ : ١ - ١٨ .

(٦) وهى إحدى ضواحى البصرة ، تقع على شط العرب : سليم طه التكريتى — الصراع على الخليج العربى : ٥٦ .

واشتدت المنافسة فكانت من العوامل فى نشوب الحرب بين الدولتين (١٦٥٢ — ١٦٦٧) ، وأصبحت شركة الهند الشرقية تفكر بالانسحاب من الميدان[١] لولا أن أنزل لويس الرابع عشر — ملك فرنسا — بهولندا ضربة قاضية (١٦٧٢ — ١٦٧٨) ، كان من نتائجها أن فقدت هولندا القدرة على حماية نفسها فى الخليج العربى ، فانسحبت من البصرة إلى بوشهر ، وأغلقت وكالتها فى بندر عباس ، وكان الشاه يقف من تلك الأحداث إلى جانب إنكلترا حليفاً لهم ، ولكن سوء الأحوال السياسية فى فارس وهزائم البحرية البريطانية فى عهد حكومة كرومويل (Cromwell) بإنكلترا ، دفع شركة الهند الشرقية بعدئذ إلى نقل مركزها من بندر عباس إلى البصرة سنة ١٧٦٣ ، وكان قد طرأ تغيير جوهرى على طبيعة الشركة فى الهند ، فقد أصبحت — بالرغم من احتفاظها بطابعها التجارى — مؤسسة سياسية[٢] ، استطاعت أن تجعل وكيلها فى البصرة سنة ١٧٦٤ قنصلا إنكليزيًا بالإضافة إلى وظيفته — ممثلا للشركة — .

ولعل أهم ما يمكن ملاحظته فى تلك الفترة ، هو ضعف الأتراك فى البصرة وحاجتهم المستمرة للعون الإنكليزى ، بعد أن أخذت قوة قبيلة كعب — تحت قيادة شيخها سلمان بن سلطان (١٧٣٧ — ١٧٦٧) — بتهديد البصرة ، والواقع أن الأتراك بين (١٧٦٣ — ١٧٧٣) كانوا معتمدين اعتماداً كليًا على أسطول شركة الهند الشرقية فى الدفاع عن البصرة فى وجه الأسطول الكعبى ، فعمل هذا على ازدياد النفوذ البريطانى بشكل ظاهر فى المنطقة ، وقد كان الإنكليز يسيرون على قاعدة التدرج الطبيعى آنذاك[٣] .

---

(١) Curzon : op. cit., Vol. II, p. 533.

(٢) عبد الأمير محمد أمين — التناقض بين الشركات الإنكليزية فى منطقة الخليج العربى (مجلة كلية الآداب — جامعة بغداد) العدد ٦ — ١٩٦٣ : ٢٠٩ — ٢٢٥ .

(٣) أمين سعيد — الخليج العربى : ٧٧ .

لقد اشترك الإنكليز مع الأتراك فى محاولات القضاء على قوة بنى كعب — ويعتبر اشتراكهم هذا بمثابة أول محاولة لهم للتدخل فى شئون عربستان — بعد أن أخذ شيخهما يهدد الملاحة فى شط العرب . وتحدثنا سجلات شركة الهند الشرقية : « بأن الشيخ سلمان قام بأول تهديد للسفن القادمة إلى البصرة عام ١٧٤٧ ، إذ استطاع أن يوقف الملاحة فى النهر بعدئذ . وحين زار على باشا الوالى العثمانى على العراق ، — مدينة البصرة سنة ١٧٦٣ كانت غارات بنى كعب عليها لا تنقطع ، فكان رد الفعل لذلك العمل أن هيأ وكيل شركة الهند الشرقية فى البصرة بيتر رينتش (Peter Wrench) حملة خاصة للإيقاع بأسطول الكعبيين[١] ، والواقع أن النشاط البريطانى فى الخليج قد تطور فى خلال هذه الفترة ، فبعد أن كان الإنكليز يكتفون بحماية سفنهم من هجمات القوى العشائرية العربية الملاحية ، أصبحوا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر — ليستخدموا قوتهم البحرية ضد تلك القوى[٢] ، وقرر الشيخ سلمان توجيه ضربة مباغتة لهم ، فقد هاجمت قطع أسطوله فى صيف سنة ١٧٦٥ سفينة لشركة الهند الشرقية (Saly) فى شط العرب ، وكانت قادمة من الهند إلى البصرة ، واستولى رجال كعب عليها وأسروا بحارتها . وفى اليوم التالى هاجم أسطول كعب يخت الشركة ، مع الباخرة (فورت وليم Fort William) وهما فى طريقهما من بوشهر إلى البصرة ، واستولوا عليهما . وأما الإجراء الإنكليزى لذلك العمل المعادى لهم فكان إرسال ست سفن حربية أخرى سنة ١٧٦٥ من بمباى للمساهمة فى القضاء على قوة بنى كعب . وقبل البدء فى العمليات العسكرية ، فاوضت الشركة الشيخ سلمان فى تسليم السفن الإنكليزية الثلاث المحتجزة مع حمولتها ، وعدم التعرض لأسطول شركة الهند الشرقية الراسى فى شط العرب بالمستقبل . إلا أنه رفض مشاركة أحد له فى

---

(١) Lorimer: op. cit., Vol. 1, pp. 1219-20.

(٢) عبد العزيز نوار — المصالح البريطانية فى أنهار العراق : ٢٨

السيادة على مياه منطقته ، فكانت الحرب سجالا بين الطرفين استمرت أكثر من ستة أشهر ، اشترك فيها مع الإنكليز لمقاومة التحدى العربى كل من الأسطول العثمانى والأسطول الفارسى . وقد أخفقت كل المحاولات للقضاء على قوة الكعبيين الذين استطاعوا أن يحرقوا سفينتين من سفن الشركة[1] وتسع سفن عثمانية[2] . وفرض الإنكليز بعدئذ حصاراً على المنطقة استمر أكثر من سنتين لم يحققوا فيه أى نصر يذكر ، فاضطروا إلى رفعه سنة ١٧٦٨ بعد وفاة الشيخ سلمان ، وقدرت الخسائر الإنكليزية فى الحرب مع كعب بما يفوق منافعهم التجارية التى جنوها فى المنطقة[3] .

وهكذا بددت عربستان القوى المعادية التى حاولت احتلال أراضيها وتحطيم أسطولها ، واستمرت محافظة على عروبتها ، وظل أمراؤها يسيطرون على مناطق نفوذهم ، يفرضون الرسوم ويستوفون الضرائب من السفن التجارية الأوربية والفارسية والعثمانية الماخرة فى مياههم الإقليمية ، أو الراسية فى موانئهم والواقع أن هذا النزاع أسفر عن توثيق العلاقة بين ولاة العراق من الأتراك من جهة وشركة الهند الشرقية من جهة أخرى . وتراجع كريم خان الزندى — ذو الأطماع التوسعية — وإقراره بالأمر الواقع لقوة الكعبيين ، فدخل معهم فى حلف ، للهجوم على البصرة ، وقد حاولت شركة الهند الشرقية — التى وقفت إلى جانب الباشا العثمانى — منع هذا التحالف ولكن دون جدوى . فتمكن المتحالفون من إخضاع البصرة (١٧٦٦ — ١٧٦٩) — كما مر بنا — وقد لعب فى خلال هذا الهجوم الوكيل الإنكليزى هنرى مور (Henry Moore) دوراً كبيراً فى منازلة القوى إلا أنه وجد — بعدئذ — أن من الحكمة تغيير

(١) Wilson : The Persian Gulf, pp. 186-87.

(٢) عبد الفتاح إبراهيم — على طريق الهند : ٢٥ .

(٣) انظر عن احصاء تلك الخسائر : Lorimer: op. cit., Vol. 1, Part II, p. 1631

(٤) Letter from Henry Moore to London, dated April9,1767: نقلا عن عبد الأمير محمد أمين — القوى البحرية : ٥٥ .

سياسته بعد أن تلقى أوامر مشددة من بومباى بالكف عن التدخل فى النزاع ، حفظاً للمصالح البريطانية ، وبعد أن تعهد كريم خان الزندى بحماية مصالح شركة الهند الشرقية فى البصرة فى حالة احتلاله لها[1] .

والحقيقة أن رد الفعل للاحتلال الأجنبى لمناطق الخليج العربى لم تقتصر على سواحله الشمالية ، وإنما شهدت تلك المنطقة كلها مقاومة مسلحة لمناطق النفوذ العربية ، وذلك أن العرب منذ سنة ١٦٩٥ شرعوا بمهاجمة السفن الفارسية والهولندية والإنكليزية بلا انقطاع . فقبضوا على عدة منها ، وراحوا ينزلون الخسائر الكبيرة بأرباحهم التجارية .

وقد أعقبت المنافسة الإنكليزية — الهولندية فى الخليج منافسة جديدة ، هى : المنافسة البريطانية — الفرنسية . ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأدوار لم تكن متمايزة بحيث يبتدئ أحدها لينتهى الآخر ، بل إنها كانت متداخلة . والواقع أن المنافسة الفرنسية للتجارة الإنكليزية قد بدأت بشكل ملحوظ سنة ١٧٥٥ عندما أسس الفرنسيون وكالة لهم فى البصرة — تحولت سنة ١٧٦٥ إلى قنصلية ، إلا أن المنافسة الحقيقية بين هاتين الدولتين بلغت أشدها عند ظهور نابليون[2] على مسرح الشرق (١٧٩٨ — ١٨٠١) ، فمنذ ذلك الوقت اعتبرت بريطانيا الخليج العربى أحد الخطوط الأمامية للدفاع عن الهند .

ومن المؤكد أن الصراع الإنكليزى الفرنسى فى الفترة (١٧٩٣ — ١٨٠٩) يعد فترة هامة فى تاريخ الخليج ، ذلك لأن الإجراءات التى اتخذتها بريطانيا فيه كانت شديدة ، بعد أن تشككت فى احتمال غزو نابليون للهند ، فأوفدت فى الحال بعثتها الأولى إلى الشاه فتح على سنة ١٧٩٨ — على أساس أن بلاده تحتل مكاناً مرموقاً كحلقة هامة إلى الهند — لتقنعه بأن الفرنسيين يعملون ضد

(١) أبو حاكمة — محاضرات فى تاريخ شرق الجزيرة : ١٧٩ ، عبد الأمير محمد أمين — القوى البحرية فى الخليج العربى : ٧١ .

(٢) مجيد خدورى — البحرين وإيران : ٤٤ .

نظام الحكم الملكى ، ويبدو أن ذلك صادف نجاحاً كبيراً لدى الشاه ، فأصدر فرماناً شاهنشاهياً بإرسال ألفى جندى لحراسة سواحل الخليج[١] . كما أرسلت سنة ١٨٠٠ بعثة أخرى إلى فارس بقيادة الكابتن جون مالكولم (John Malcolm) للتفاوض مع الشاه ، ووضع العراقيل فى طريق المحادثات التى أخذ الفرنسيون يمهدون لها ، وقد أسفرت بعثته عن إبرام معاهدة سياسية مع فارس سنة ١٨٠١[٢] . ولكن برغم جهود بريطانيا هذه ، نجحت فرنسا بعقد اتفاق مع فتح على شاه سنة ١٨٠٧ ، فأصبح الشاه حليفاً لنابليون ، الذى أعقب مفاوضاته ببعثة عسكرية برياسة القائد جاردان (Gardone) لتدريب الجيش الفارسى[٣] ، ومع ذلك فإن النفوذ الفرنسى — وهو يبلغ ذروته عام ١٨٠٨ — لم يستطع النفاذ إلى منطقة الخليج العربى ، إذ كانت المنطقة الساحلية من فارس يحكمها رؤساء قبائل عربية مستقلون — بالنسبة للسلطة المركزية فى طهران — وكان هؤلاء المشايخ يستفيدون من حركة التجارة النشيطة بين الهند وفارس[٤] ، والتى كان من نتائجها تشييد ميناء المحمرة سنة ١٨١٢ على يد الحاج يوسف بن مرداو ، وقد مر بنا كيف أن المحمرة أصبحت بعد حين نواة لإمارة عربية لعبت دورها فى تلك الأحداث .

أما موقف بريطانيا أمام التحديات الفرنسية — التى هددت مكانتها فى المنطقة — فكان عقد اتفاق مع الشاه لأن تدفع له مائة وسبعين ألف تومان[٥] سنوياً (حوالى ثمانية آلاف وخمسمائة دينار) لقاء بعض الامتيازات السياسية التى استطاعت الحصول عليها ، كما أنها نجحت فى التأثير على الشاه لإخراج المدربين الفرنسيين وإحلال المدربين الإنكليز بدلهم ، ثم إنها[٦]

(١) العقاد — التيارات السياسية فى الخليج العربى : ٧٥ .
(٢) Sykes: op. cit., Vol. II, pp. 398-99.
(٣) للاطلاع على تفاصيل وافية ، راجع : Zaki Saleh: op. cit., p. 91-93.
(٤) العقاد — الاستعمار فى الخليج : ٦١ .
(٥) عملة فارسية تستعمل حتى الآن .
(٦) Sykes: op cit., Vol. II, pp. 404-5.

استطاعت فى منتصف مارس سنة ١٨٠٩ عقد اتفاق آخر ، بعد أن ضاعفت المنحة للشاه إلى مئتى ألف تومان (حوالى عشرة آلاف دينار) ، يكفى أن نشير إلى مادته الأولى التى نصت على : إلغاء جميع المعاهدات المضرة بالمصالح البريطانية ، والمعقودة مع الدول الأوربية الأخرى[١] .

والواضح أن السياسة البريطانية فى الخليج لم تتبلور وتتخذ طابعاً إيجابياً إلا فى الفترة النابليونية ، فقد اتجهت بريطانيا — منذئذ — اتجاهاً جديداً فى الخليج ، إذ شرعت فى تغيير تشكيلاتها السابقة تبعاً للظروف الجديدة ، فاستبدلت وكالاتها التجارية بوكالات سياسية تحولت فيما بعد إلى قنصليات وسفارات ، وأخذت تمد هذه الوكالات بالمحنكين من الساسة[٢] ، وقد خدمها — فى ذلك — أنها فى خلال العقدين الثانى والثالث من القرن التاسع عشر (١٨١٠ — ١٨٣٠) لم تجابه أية منافسة تذكر فى الخليج . على أن أهم ما قام به الإنكليز فى هذه الفترة هو عقد معاهدة عامة سنة ١٨٢٠ مع مجموعة الإمارات العربية فى الخليج[٣] ، مستهدفين فيها القضاء على القلاقل المزمنة فى مختلف أنحاء الخليج ، وتوطيد الأمن فيه لحرية تجارتهم ، وقد ألزموا موقعيها على ألا يدخلوا بأى اتفاق مع أية حكومة عدا الحكومة البريطانية ، وألا يسمحوا بإقامة ممثل دولة أجنبية فى بلادهم عدا ممثل بريطانيا ، وألا يقوموا بأى توسع إقليمى فى بلادهم . والمعاهدة فيما يبدو كانت سجلا مفتوحاً لانضمام من أراد منهم أن يصبح فى زمرة « العرب الأصدقاء المسالمين »[٤] ، وقد بلغ

(١) Ibid. p. 408.
(٢) Curzon: op. cit., Vol. II, p. 553.
(٣) Bullard: op. cit., p. 54.
(٤) زكى صالح — مجمل تاريخ العراق الدولى : ٣٥ ، انظر أيضاً شرحاً موجزاً للسياسة البريطانية فى الخليج وإشارات واضحة للمعاهدات فى : Wilson :The Persian Gulf, pp. 231-246. والواقع أن هذه المعاهدات قد عالجت قضايا غير سياسية ، ولكن بريطانيا ، عدتها معاهدات قانونية حددت مفهوم السيادة والحماية على تلك المناطق العربية ، وقد استمرت بريطانيا فى تفسيرها تلك المعاهدات تفسيراً لا يتفق مع واقع العصر .

مجموع الموقعين عليها عشرة من أكابر الشيوخ ، وعلى ذلك كله تم تأسيس النفوذ البريطانى فى حوض الخليج ، وأخذ بعدئذ بالقوة والاتساع .

إلا أن السيادة البريطانية على مياه الخليج لم تتحقق — بشكلها الكامل — إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ذلك لأن بريطانيا كانت فى أوائله قد ركزت اهتمامها على قهر نابليون والقضاء على آماله فى تكوين علاقات مع إيران ، وبلدان الشرق الأخرى .

أما بالنسبة لبلدان الخليج فإنه فى الوقت الذى تبلور فيه النفوذ الإنكليزى ، كانت قد تسلمت أمور الحكم والإدارة العصبيات المحلية[١] ، وهى على أسوأ ما يكون من التنافر والتناحر فلم يكتب لها تحقيق شىء من التماسك والتجمع ، لكى تخرج بتحالف عربى شامل ، كما كان متوقعاً لها ، فلم يحدث شىء من هذا . ويرى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم[٢] — يشاركه الرأى الدكتور جمال زكريا قاسم[٣] — : أن أمر عدم قيامه يرجع إلى انهماك الوحدات العربية فيه بمنازعات البحر ، ومنازعات الصحراء ، وظهور الاستعمار البريطانى — منذ القرن الثامن عشر — الهادف إلى الحيلولة دون تكوين وحدة سياسية كبيرة للبلدان العربية فى الخليج ، وأن تحتفظ بحالة التفكك التى وجدتها عند وصولها إلى تلك الأنحاء ، ووسيلتها فى ذلك سلسلة المعاهدات المشار إليها ، واستخدام القوة البحرية إن احتاج الأمر .

على أن فترة استئثار بريطانيا بمياه الخليج لم تدم طويلا ، فقد حاولت روسيا عرقلة الموقف الممتاز لبريطانيا ، وقد استفحل أمر منافستها لبريطانيا فى خلال العقود الستة التالية[٤] ، بعد أن يئست من التغلغل فى موانئ المضايق

(١) عبد العزيز نوار — المصالح البريطانية فى أنهار العراق : ١٣ .
(٢) مقدمة أحمد عزت عبد الكريم لصلاح العقاد — الاستعمار فى الخليج الفارسى : ٨ — ٩ .
(٣) جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٦ — ٧ .
(٤) بشأن المنافسة البريطانية الروسية فى هذه الفترة وضع رولنسن السفير البريطانى فى طهران مؤلفاً هاما بعنوان : Rawlinson, H.C.: England and Russia in the East (London,1875)

التركية فى الأناضول[١] . وقد أوجست بريطانيا من منافستها الجديدة خطورة بالغة ، وكان فى ذهنها ما أوصى به بطرس الأكبر خلفاءه حين ذكر : « إذا ما سرى الانحلال فى فارس ، توغلوا فيها حتى تبلغوا سواحل الخليج ، فتعيدوا الحياة إلى الطرق التجارية القديمة مع الشرق الأدنى إن استطعتم ، ثم واصلوا السير إلى الهند ، فهى محط كنوز العالم »[٢] . لذا فإن اهتمام بريطانيا قد تحول من الحفاظ على طريق الهند إلى المحافظة على الهند ذاتها ، ومنع أية دولة من التطلع إليها ، وقد وجدت — عند ذلك — أن حماية الهند من روسيا ، يتطلب منها السيطرة على سواحل فارس ، لتمنع الروس من الوصول إلى البحار الدافئة ، فشرعت — بعدئذ — تنفذ خطتها بكل حزم وقلق .

ومن جراء ذلك التنافس تعرضت المنطقة إلى حملتين عسكريتين بريطانيتين ؛ الأولى : سنة ١٨٣٨ ، عندما قام محمد شاه بتحريض من السفير الروسى فى طهران سيمونوفيتش بحملة على هرات — وهى منفذ هام فى الطريق إلى الهند — ، فرأت بريطانيا أن ضمها لفارس يعد امتداداً للنفوذ الروسى نحو مستعمراتها الآسيوية الكبرى . فأرسلت حملة بحرية كبرى — إلى الخليج — فى نيسان سنة ١٨٣٨ واحتلت جزيرة خاراج فى ١٩ حزيران من تلك السنة ، فاضطر الشاه إلى رفع الحصار فى أيلول سنة ١٨٣٨ ، وأعقبه انسحاب بريطانيا من خاراج ، بعد توقيع معاهدة تجارية بين الطرفين فى تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٤١ منحت فيها بريطانيا بعض الامتيازات الاقتصادية[٣] .

أما الثانية : فكانت سنة ١٨٥٦ فى أعقاب طلب حاكم هرات الانضمام إلى فارس ، وقد استعملت بريطانيا وسائل ضغط متعددة للحيلولة دون تنفيذ هذا الانضمام . ولكن فارس ، التى منعتها بريطانيا من الانضمام إلى حرب

(١) الداود — الخليج العربى والعلاقات الدولية : ١٥٥ .
(٢) Sykes: op. cit., Vol. II, p. 254.
(٣) صلاح العقاد — الأستعمار فى الخليج : ١٠٦ — ١٠٧ .

القرم – كما كانت تود حكومة ناصر الدين شاه – أبت الاستجابة وأرسلت جندها إلى هرات ، فردت عليها بريطانيا بإعلان الحرب ، بقصد إرجاعها عن تعاونها مع روسيا فيما صممت عليه ، فخرجت حملة كبيرة بلغ تعدادها ستة آلاف جندى من بومباى على ثمانى بواخر حربية واتجهت نحو الخليج العربى ، حيث استولت على ميناء بوشهر ، وبالتالى على المحمرة إذ فتحتها فى مارس (آذار) ١٨٥٧ بقيادة جيمس أوترام (Outram)[١] الذى قام باتصالات واسعة مع زعماء الإمارة هناك ، من أجل الحصول على امتيازات للملاحة فى نهر كارون ، كان نصيبها الرفض من الحاج جابر – أمير المحمرة آنذاك – ، الذى وقف بوجه الحملة الإنكليزية بادئ الأمر ، إذ كان يرمى من وراء تلك المعارضة الاحتفاظ باستقلاله الذاتى عن الحكومة الفارسية ، وعدم إفساح المجال للشركات الأجنبية للتدخل فى شئون إمارته ، لم تكن إمارة المحمرة آنذاك قد مضى على إخضاعها لفارس – بموجب معاهدة أرضروم الثانية – سوى عشر سنوات ، وكانت كل من بريطانيا وروسيا قد تدخلتا فى مسألة التوسع الفارسى فى عربستان ، فالتزمت بريطانيا وجهة النظر التركية – لما لها من امتيازات فى وادى الرافدين – ، أما روسيا فكانت منحازة إلى فارس ، وقد سعت بريطانيا للقضاء على أسباب الاضطراب فى الشرق الأوسط بتثبيتها الحدود بين فارس والدولة العثمانية ، منعاً للتعقيدات السياسية فى المنطقة ، مما قد يسبب تدخلات أجنبية تخل من توازن النفوذ البريطانى ، فسعت جاهدة لتأليف لجنة مشتركة تكفلت بنفقاتها مع روسيا[٢] ، وقد مر بنا كيف أن أوترام قد دخل فى محادثات مع السلطات التركية التى

(١) للاطلاع على وقائع الهجوم الإنكليزى على بوشهر والمحمرة ، راجع :
Outram, Sir James: "The Persian Campaign" ,(London,1860).
إذ يحتوى على مراسلات ووثائق ومذكرات منذ اليوم الأول لنزول الحملة فى بوشهر حتى عقد معاهدة الصلح فى باريس بين الطرفين فى ١٤ آذار سنة ١٨٥٧ .

(٢) Bullard: op. cit., p. 42.

قدمت له يد المساعدة فى حملته ، لإمكان إعادة المحمرة إلى ولاية بغداد . ولكن قبل أن يتم أى اتفاق سياسى ، كانت معاهدة باريس قد أبرمت فى مارس سنة ١٨٥٧ ، ومن شروطها انسحاب الإنكليز من المناطق التى احتلوها بعد خروج الفرس من هرات .

وقد شرعت بريطانيا – فى الفترة التالية من تلك الأحداث – إلى تثبيت نفوذها فى السواحل الشرقية للخليج ، المحاذية لإمارة المحمرة وبلاد فارس . وقد كان لها فى بوشهر مقيم سياسى يدير شئونها فى المنطقة ، وعلى اتصال تام مع البحرية الهندية لمجابهة المواقف الطارئة . أما فى المحمرة فكان هناك مساعد وكيل سياسى برتبة نائب قنصل[١] .

وقد زادت أهمية هذه المنطقة بمناسبة إنشاء خط البرق الذى يصل أوربا بالهند سنة ١٨٦٢ ، وكان هذا الخط يمر بميناء بوشهر .

والثابت أن السلطات البريطانية فى الخليج كانت تؤيد معظم الأمراء المستقلين الذين يمتنعون عن الخضوع لحكومة الشاه المركزية ، وبصورة خاصة شيخ المحمرة الذى اتجهت السياسة البريطانية إلى إمارته ، لتتخذها قاعدة لمواجهة التقدم الروسى فى الخليج . وقد وجدت من أميرها الشيخ مزعل (١٨٨١ – ١٨٩٧) كل ممانعة ومعارضة ، إلا أن تأثيراتها الخارجية كانت أقوى من أن يردها ، فأصبحت مرافق المحمرة أيامه تحت إشراف بريطانى مباشر ، وفتح نهر كارون سنة ١٨٨٨ للملاحة الدولية .

وقد ركز النفوذ الإنكليزى – فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر – دعائمه قوية فى عربستان ، للآمال التى كان يبنيها فى تطوير المصالح الملاحية فى نهر كارون ، والسعى للحصول على امتيازات لمد سكة حديد بين طهران والأحواز ، وتوسيع نطاق التجارة البريطانية مع إيران لمنافسة الاحتكارات الروسية ، وعدم السماح لأية قوة أجنبية لمنافسة الأفضلية البريطانية فى المناطق

(١) محمود على الداود – الخليج العربى والعلاقات الدولية : ٢٤ .

الساحلية للخليج ، لا سيما أن وكلاء الروس أخذوا يترددون على جنوب فارس وموانيها المتاخمة للخليج[١] ، وقد عبر عن تلك المخاوف اللورد « كيرزن »[٢] فى كتاب مطول أرسله للوزارة البريطانية فى أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٩٩ ، أظهر فيه الحاجة إلى سلوك سياسة جديدة فى الخليج تكون أكثر حزماً وإقداماً ، نظراً لوجود أطماع دولية متعددة تهدد النفوذ البريطانى ، وجاء فى جواب اللورد هملتون — وزير الهند — فى تموز (يوليو) سنة ١٩٠٠ ما يؤيد رأى حكومة الهند ، وقد طلب مضاعفة الجهود فى مراقبة مصالح الإمبراطورية فى هذه الأماكن ، واتخاذ التدابير اللازمة لما سيأتى به المستقبل[٣] .

وكان الإنكليز يؤمنون بأن الخطر الروسى المباشر على منطقة الخليج العربى سيمتد إلى بوشهر والمحمره والفاو . وقد توارد الأخبار فى خلال سنة ١٩٠٠ عن وجود وكلاء روس فى الكويت ، وبعثة روسية فى مقاطعة سستان[٤] . والواقع أن اللورد كيرزن (Curzon) قد اهتم بقضية الخليج العربى أكثر من أية شخصية بريطانية أخرى ، ويوضح لنا ما كتبه فى كتابه الشهير : فارس والمشكلة الفارسية (Persia and the Persian Question) المنشور عام ١٨٩٢ عن قلقه إزاء سعى روسيا لإيجاد منفذ لها على الخليج ، فقد كتب : « إن إنشاء ميناء روسى على الخليج هو حلم الوطنيين المتحمسين من أهل الفولجا ، ولكن مثل هذا الميناء سيكون عنصر

---

(١) صلاح العقاد — التيارات السياسية فى الخليج العربى : ٢٢٣.

(٢) أصبح وكيلا لوزارة الهند (١٨٩١ — ١٨٩٢) ووزيراً للخارجية فى وزارة اللورد سوليسبرى Lord Salisbury (١٨٩٢ — ١٨٩٨) ثم نائبا للملك فى الهند (١٨٩٩ — ١٩٠٥) . وللاطلاع على تفاصيل وافية عن حياته راجع :
Earl of Rolandshay : The Life of Lord Curzon., 3 vols.

(٣) عبد الفتاح إبراهيم — على طريق الهند : ٤٥ ، جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٣٩٨ .

(٤) محمود على الداود — الخليج العربى والعلاقات الدولية : ٢٧ — ٢٨.

اضطراب فى الخليج حتى فى وقت السلم ، وسيفسد توازن القوى الذى وضعته بريطانيا بعد مجهود شاق »[١] .

وفى رأى مشابه أكد اللورد لانسداون (Lord Landsdowne) وزير خارجية بريطانيا فى تصريح له أمام مجلس اللوردات فى مارس سنة ١٩٠٣ بقوله : « يجب أن يعتبر تأسيس أية قاعدة بحرية وأى مركز محصن فى الخليج من قبل أية دولة من الدول تهديداً خطيراً لمصالحنا »[٢] .

وفى حومة من هذا الصراع الحاد بين بريطانيا وروسيا على الخليج ، كانت عربستان — التى يهمنا أمر الإشارة إليها فى تلك المنافسة — قد وقعت تحت تأثير النفوذ الإنكليزى الفعال ، إذ استطاعوا أن يحققوا لهم فيها نصراً سياسيًّا واقتصاديًّا غير محدود ، وأصبحت أراضيها منطقة مغلقة للمصالح الإنكليزية ولم يكن فيها أى أثر للنفوذ الروسى .

الصراع الروسى — البريطانى فى فارس وأثره على عربستان :

اتضحت أهمية موقع إيران الجغرافى ، فى السياسة الدولية ، فى الصراع الذى دارت رحاه بين كل من بريطانيا وروسيا ، فقد كانت سياسة بريطانيا التقليدية تنحصر فى سلامة مستعمراتها فى الهند ، ثم سلامة مواصلاتها البرية والبحرية إليها ، لذلك قاومت بريطانيا ظهور كل قوة دولية يمكنها مزاحمتها فى هذه المنطقة ، لتضمن لسياستها الاستمرار والبقاء . وكان همها فى إيران إبعاد الخطر الروسى عن المقاطعات الجنوبية المتاخمة لسواحل الخليج[٣] ، كى تؤمن قواعدها التى تحمى طريق الهند .

أما سياسة روسيا فكانت تنحصر فى شعورها بالاختناق لبعدها عن البحار

---

(١) Curzon: op. cit., Vol. II, p. 405.

(٢) انظر نص التصريح فى : Kirk: op. cit., p. 83; Bullard : op. cit.,p. 63.
وقد شبهته جريدة التايمس اللندنية فى ٧ مارس سنة ١٩٠٣ بمبدأ مونرو فى الخليج .

(٣) Heruwitz: op. cit., Vol. 1, pp. 319-320.

الدافئة المفتوحة التى يمكن عن طريقها الخروج إلى مناطق العالم الأخرى بحثاً وراء التوسع والتجارة ، فبذلت محاولات عديدة لإيجاد منفذ لها على الخليج وفاوضت الحكومة الفارسية لكى تتنازل لها عن أحد موانئها .

ومن تضارب هذه المصالح نشأ الصراع بين إنكلترا وروسيا للتدخل فى شئون فارس ، وكانت أولى بوادر هذا الصراع تدخل كل من الدولتين فى قضية الحدود بين فارس وبين الدولة العثمانية ، فقد تشكلت لجنة مختلطة من الإنكليز والروس سنة ١٨٢٣ لحل هذه المعضلة المعقدة ، فأفضت أعمال اللجنة إلى معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧ التى اشترطت الرجوع إلى تحكيم إنكلترا وروسيا فى كل خلاف يقع على الحدود .

كما استغلت الدولتان مشكلة هرات فى (١٨٣٧ — ١٨٣٨) و (١٨٥٦ — ١٨٥٧) للتدخل فى أمر فارس ، فكانت روسيا تحمل فارس على الاستيلاء على هرات ، أما بريطانيا فكانت تقنع الفرس أن يرفعوا الحصار عنها ، فتضاربت المصالح الروسية البريطانية واشتد النضال السياسى بينهما ، وأخيراً استطاعت بريطانيا أن تحقق كسباً سياسيّاً لها فى هذه الأزمة ، فقد تمخضت الأحداث سنة ١٨٥٧ عن معاهدة باريس التى جاء فى مادتها السادسة : « فى حالة حدوث اختلاف بين فارس وهرات تتعهد فارس بإحالة القضية إلى بريطانيا لتحلها بالتوسط الودى » ، وهى عبارة صريحة على اطراد النفوذ البريطانى فى فارس ، الذى كان من أبرز نتائجه بعدئذ مد خطوط البرق ، الإنكليزية فى الفترة (١٨٦٨ — ١٨٧٠) .

وقد أخذ التنافس الروسى البريطانى يحتدم فى فارس بعدئذ للحصول على مكاسب سياسية وامتيازات اقتصادية ، حتى إذا ما حصلت إحدى الدولتين على امتياز سعت الأخرى للحصول على امتياز مماثل ، أو قامت بالضغط على حكومة الشاه لإلغاء الامتياز الأول .

والواقع أن سنة ١٨٧٢ تمثل ذروة اعتماد فارس على بريطانيا ، ففى هذه السنة منح الشاه ناصر الدين أحد الرعايا البريطانيين البارون رويتر (Julius Baron de Reuter) — الذى أصبح فيما بعد مؤسس وكالة الأنباء البريطانية — حق احتكار مد الخطوط الحديدية بين بحر قزوين والخليج العربى ، وخطوط الترام ، وحق البحث فى المناجم — عدا مناجم الذهب والفضة والأحجار الكريمة — ، وحق إقامة مشاريع الرى ، وحق جمع العوائد الكمركية ، فى امتياز تقع تفصيلاته . فى أكثر من عشرين مادة[1] . ولكن أمام معارضة روسيا — التى كانت لا تريد الاعتراف لبريطانيا بالأفضلية — ألغى الامتياز[2] لتعقد سنة ١٨٨٩ معاهدة روسية فارسية ، تعهدت فارس بموجبها بعدم السماح لمد خطوط حديد خلال عشر سنوات — مدت بعد حين إلى سنة ١٩١٠[3] — أما رويتر فقد منحه الشاه سنة ١٨٨٩ امتياز إنشاء البنك الشاهنشاهى الفارسى (Imperial Bank of Persia) برأسمال بريطانى كتعويض له ، كما منحه حق إنشاء شركة للدخان . وإرضاء لروسيا فقد سمح لها الشاه بإنشاء بنك للقرض والتسليف ، ولكن لم يهدأ لها بال إلا حينما أجبرت الشاه على إلغاء اتفاقية الدخان ، التى كلفت الخزينة الفارسية تعويضاً قدره نصف مليون جنيه تسلمه رويتر صاحب الامتياز[4] ، كما استطاعت روسيا أن تحصل — إضافة إلى ذلك — سنة ١٨٩٣ على امتياز للكشف عن المعادن والنفط فى المناطق الشمالية . وفى حومة هذه المنافسة اتجهت بريطانيا إلى نهر كارون لتعمل على فتحه للملاحة والتجارة ، وقد تحقق لها غرضها فمخرت

---

(١) Bullard: op. cit., p. 43.

(٢) بروكلمان — تاريخ الشعوب الإسلامية — ج ٤ : ١٧٠ .

(٣) يوسف رزق الله غنيمة — السياسة البريطانية الفارسية — مجلة المقتطف — المجلد ٨٢ : ٢٠١ .

(٤) Lenczowski: The Middle East in World Affairs, p. 32.

بواخر لنش فى مياهه سنة ١٨٨٨ ، على أن أهم كسب استطاعت بريطانيا الحصول عليه فى المنطقة هو منح الشاه أحد المواطنين الإنكليز المستر دارسى (D'Arcy) عام ١٩٠١ امتياز التحرى عن النفط لقاء مبلغ عشرين ألفاً من الجنيهات . وبعد جهد سبع سنوات تكللت أعماله باكتشاف منابع النفط .

ولكن برغم المكاسب التى حققتها بريطانيا فى عربستان ، فإنها جابهت منافسة قوية ، لا من روسيا — عدوتها التقليدية فى المنطقة — فحسب ، بل من حليفة أخرى لروسيا هى فرنسا التى — فيما يبدو — كانت تبغى تثبيت أقدامها فى المحمرة لمناوأة النفوذ الإنكليزى فى تلك الإمارة . أما أوجه التعاون الروسى — الفرنسى ؛ فقد تمثل فى اشتراكهما بالعمل على إنشاء خط للملاحة التجارية فى نهر كارون . فقد زار المهندس الفرنسى ديولافوى (Deiulafoy) المنطقة لإعداد تقرير عن الملاحة والرى ، ووضع دراسات لبناء خزان عند الأحواز ، كما قام المسيو بروى (Broyei) نائب القنصل الفرنسى فى بوشهر بزيارة حوض كارون حيث كانت تقوم بعثة علمية فرنسية برياسة المسيو دى موركان بأبحاث ودراسات جيولوجية فى منطقة عربستان[١] ، وقد خشيت بريطانيا من ذلك النشاط أن يؤدى إلى فتح خط ملاحى ينافس الخط البريطانى ، الأمر الذى يؤول إلى إضعاف مركزها فى المنطقة ، فعملت جاهدة للحيلولة دون تنفيذ ذلك .

وقد شتدت المنافسة والمزاحمة بين : يطانيا وروسيا فى هذه الحقبة ، وأخذت خطورتها تعظم سنة بعد أخرى ، ونشطت كل منهما لترويج منافعها ولكن المتتبع يلاحظ أن النشاط الروسى آنئذ كان يفوق النشاط الإنكليزى، فقد اندفعت روسيا بصورة غير طبيعية للفوز بقاعدة بحرية فى الخليج[٢]

(١) جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٤٠٠ .

(٢) Wilson : The Persian Gulf, p. 209.

وحاولت — رداً على الاتفاقية البريطانية الموقعة مع شيخ الكويت سنة ١٨٩٩ — الاستيلاء على ميناء بندر عباس على أساس أن تجعل منه نهاية لسكة حديد كان من المؤمل أن تنشأها عبر فارس إلى المحمرة وبوشهر وبندر عباس . وكانت السلطات البريطانية تعتبر أية سكة حديد تمتد إلى الجنوب هى سكة حديد استراتيجية ذات أهداف خطيرة تهدد القواعد العسكرية والبحرية البريطانية فى الخليج العربى . ولكن روسيا استغلت انشغال بريطانيا فى حرب البوير جنوب أفريقيا للقيام بإنشاء عدة قنصليات لها فى بندر عباس . والبصرة وبوشهر ، وقامت بتظاهرات بحرية متتابعة ، وأرسلت بعثة الطاعون إلى بوشهر — عند ظهور ذلك الوباء فى الهند — وأنشأت البيوت التجارية فى الخليج . وقد بلغت المصالح الروسية فى فارس ذروتها فى هذه الفترة لا سيما أنه قد اعتلى العرش آنئذ الشاه مظفر الدين الذى كان كثير التبذير ، ضعيف الإرادة ووقع تحت تأثير الروس الكامل .

فى كانون الثانى سنة ١٩٠٠ منحت روسيا الشاه قرضاً بمبلغ ٢٢,٥ مليون روبل — ما يعادل ٢,٤٠٠,٠٠٠ جنيه استرلينى — بفائدة ٥ ٪[١] ، بعد أن امتنعت بريطانيا من تقديم أى قرض له . وكانت ضمانته أن أصبحت الكمارك الفارسية — عدا كمارك الخليج — تحت الإدارة الروسية — وقد صرفت مبالغ طائلة من القرض لتغطية نفقات رحلة الشاه إلى أوربا — . ومن الواضح أن ذلك جعل فارس تحت حماية روسيا المادية والأدبية[٢] . كما قدمت روسيا فى آذار سنة ١٩٠٢ قرضاً آخر بمبلغ مائة مليون روبل مقابل تعديل المعاهدة الروسية الفارسية ، ووضع اتفاقية كمركية جديدة ، وبعد مفاوضات توصل الطرفان إلى اتفاق تجارى عام ١٩٠١ أقر سنة ١٩٠٢ ، وبقى أمره سراً حتى شباط سنة ١٩٠٣ ، وكان يتضمن تخفيض الرسوم الكمركية على صادرات

(١) Wilber : op. cit., p. 102.

(٢) Browne : Persian Revolution, pp. 102-103.

روسيا إلى فارس .

ونتيجة انهيار فارس الاقتصادى ارتمى الشاه فى أحضان روسيا كليّا ، ويبدو أن الحكومة البريطانية تقدر خطورة نشاط روسيا ، وكانت تربط بين محاولتها الحصول على ميناء فى الخليج ورغبتها فى التسلط إلى الجنوب ، وما يحتمل أن يؤدى إليه ذلك من تعريض التجارة والمصالح البريطانية لخطر داهم . وقد زاد من ارتباك السياسة البريطانية سيطرة روسيا على الإقتصاد الفارسى ، وتدخلها فى الشئون المالية لحكومة الشاه . وكانت بريطانيا قد أعدت العدة — فى حالة نشوب حرب مع روسيا — ، فتشير وثائق وزارة الحرب البريطانية للفترة (١٨٩٠ — ١٩١٤) : « إن الأسطول البريطانى كان على أهبة الاستعداد للتوجه إلى بندر عباس وبوشهر ، وعليه أن ينزل قوات عسكرية لاحتلال فارس — إذا تطلب الأمر — عن طريق الاستيلاء على المحمرة وعربستان أولا ، لأهميتها الاقتصادية »(١) . وتوضح لنا مذكرة اللورد كيرزن — وزير الخارجية البريطانية — السرية التى أرسلها إلى مورتيمر دوراند (Sir Mortimer Durand) السفير البريطانى فى طهران ، المؤرخة فى ١٢ نيسان سنة ١٨٩٦ حول الوضع فى فارس ، هذا المفهوم : فقد أشار إلى احتمال قيام روسيا بالسيطرة على شمال إيران ثم الاتجاه نحو الجنوب صوب الخليج العربى . فذكر أن أى هجوم عسكرى روسى من هذا النوع يجب أن يتبعه هجوم بريطانى على عربستان ، وذلك لإغلاق أى طريق يوصل الروس إلى المحيط الهندى أو الخليج العربى (٢) . وقد وضع اللورد سولزبرى فى حسابه الاستفادة من الشجاعة التى يشتهر بها عرب المحمرة وعربستان وقبائل البختيارية ، وكذلك الاستفادة من سهول كارون الخصبة للمجهود

(١) الداود — الخليج العربى والعلاقات الدولية : ١٥٥ .

(٢) Memorandum on the Persian Situation by Lord Curzon confidential. No. 6765. 12 April 1896, p. 3. F.O. 60— 581 (Public Record Office).
نقلا عن الداود — الخليج العربى والعلاقات الدولية : ٦٩.

الحربى — وكانت بريطانيا قد اتجهت إلى قبائل البختيارية لأجل تدريب جيش منهم يكون على أهبة الاستعداد للدخول فى الحرب ضد روسيا(١) — وإزاء تلك الصدمات التى انتابت النفوذ البريطانى فى الخليج وتقهقر المشاريع البريطانية فى فارس أمام الزخم الاقتصادى الروسى الذى رسمه الكونت دى ويت ، والذى كان يعتقد أن أحسن وسيلة للقضاء على النفوذ البريطانى فى فارس هو التغلغل الاقتصادى وبخاصة عن طريق تنفيذ مشاريع ضخمة مثل بناء سكة حديد أو طرق أو أنابيب نفط ، حاول الإنكليز فك الحصار الذى أعلنه الروس على المشاريع الاقتصادية البريطانية ، وقد قام نقاش محتدم فى مجلس العموم البريطانى لاتخاذ موقف حازم لحماية المصالح التجارية والسياسة البريطانية فى فارس(٢) . والحقيقة أن الموقف الذى اتخذ بعدئذ كان موقفاً صارماً ، ولكنه كان مقروناً بالندم بعد أن أصبحت روسيا سيدة الموقف فى فارس(٣) . وكان قد تولى منصب نائب الملك فى الهند فى أثناء تلك الفترة (١٨٩٩ — ١٩٠٥) اللورد كيرزن ، الذى قام فى تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩٠٣ بزيارة الإمارات العربية فى الخليج لتأكيد النفوذ البريطانى فيها ، وفتح عدد من القنصليات البريطانية هناك . أما إجراءات رد الاعتبار البريطانى فى فارس فكان إرسال بعثتين تجاريتين ، الأولى برياسة ماكليان ، والأخرى برياسة نيوكمن فأخذتا على عاتقهما العمل على تنشيط التجارة البريطانية

(١) Sir Mortimer Durand to Lord Kimberley, No. 22. 11 February 1894. F.O. 248 588 (Public Record Office).
نقلا عن الداود — الخليج العربى : ٦٩ .

(٢) جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٤٠٧ .

(٣) الواقع أن المسئولية فى ارتباك السياسة البريطانية فى فارس تقع على عاتق الدبلوماسية البريطانية التى كانت تعتمد على آراء جهات مختلفة ، فقد نشب خلاف بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند بشأن أى الحكومتين تتولى مسئولية العلاقات الدبلوماسية مع فارس ، وقد اتفق أخيراً أن تكون العلاقات الدبلوماسية من اختصاص وزارة الخارجية البريطانية وأن حكومة الهند تتعهد بتكاليف مقتضيات البعثة الدبلوماسية فى فارس .

هناك . وجاءت الحرب الروسية اليابانية ونتائجها المؤلمة لروسيا ، نصراً للسياسة البريطانية فى فارس . فقد وجدت روسيا نفسها مضطرة إلى التفاهم مع بريطانيا وتغيير سياستها فى فارس[١] ، كما أن فارس هى الأخرى انحازت إلى إنكلترا ، والواقع أن إنكلترا كانت تحبذ الوصول إلى تفاهم مع روسيا ، وهى ترى أن سيطرة روسيا فى الشمال ينبغى أن توازن بسيطرة بريطانيا فى الجنوب ، لا سيما بعد أن ظهر فى ميدان السياسة الفارسية — الأوربية ، فى أوائل القرن العشرين ، الخطر الألمانى ، صاحب امتياز خط حديد بغداد — الذى اعتبرت بريطانيا ظهوره تعقيداً للمشكلة الفارسية — ، والمعروف أن ألمانيا بدأت — منذ سنة ١٩٠٠ — تعتنق فكرة التوسع نحو الشرق ، فعملت على تغلغل نفوذها السياسى والاقتصادى فى فارس ، وفتحت شعباً لتجارتها فى كل من البصرة وبوشهر والمحمرة والأحواز[٢] ، والملاحظ أن التجارة الألمانية فى البصرة وفى غيرها من موانئ الخليج التابعة للدولة العثمانية نشطت نشاطاً ملحوظاً[٣] ، وكانت ألمانيا تسعى للحصول على امتيازات تجارية ، وكان يخشى أن ترتبط النشاطات الألمانية بمالها من مصالح فى مد خط سكة حديد بغداد ، وقد أبدى اللورد كيرزن تخوفه من إنشاء قنصلية ألمانية فى البصرة فى تشرين الثانى سنة ١٨٩٧ .

وفى سبيل القضاء على هذه القوة الجديدة الخطرة ، اضطرت بريطانيا وروسيا إلى التخلى — مؤقتاً — عن صراعها فى فارس ، فكان الوفاق الإنكليزى الروسى سنة ١٩٠٧ ، الذى سوى الخلافات الناشبة بين الدولتين وقسم فارس[٤] إلى منطقتى نفوذ سياسى : شمالية من نصيب روسيا ، وجنوبية من نصيب بريطانيا ، كما اتفق على جعل المنطقة الوسطى منطقة

---

(١) Kirk: op. cit., p. 142.

(٢) يوسف رزق الله غنيمة — تجارة العراق قديماً وحديثاً : ١١٩ .

(٣) Sykes: op., cit., Vol. II, p. 432.

(٤) لم يكن اللورد كيرزن موافقاً على فكرة تقسيم فارس ، وقد عارض هذه السياسة معارضة شديدة ، انظر :
Curzon: Russia in Central Asia, p. 378.

حياد[١] . وقد جعلت منطقة عربستان ضمن منطقة الحياد هذه . وبالنسبة لبريطانيا فإن ما شملها من هذا الاتفاق لم يكن يتعدى مثلثاً صغيراً لمساحة يقع على الخليج العربى ، الذى كانت سواحله تقع بموجب الاتفاق — فى منطقة النفوذ البريطانى ومنطقة الحياد . وعلى الرغم من تعرض الاتفاق لعاصفة شديدة من النقد — روسية وإنكليزية — فتصدى له اللورد كيرزن بالهجوم الشديد[٢] ، فإنه ضمن للإنكليز مصالحهم فى رأس الخليج الذى تشرف عليه إمارة المحمرة ، وكان من نتائجه أن أقرت روسيا امتياز دارسى للنفط فى عربستان[٣] ، وكفت عن تطلعاتها المستمرة لإنشاء مناطق نفوذ لها فى حوض نهر كارون ، فتخلصت عربستان من محاولات الضغط الروسية التى لم يبق لها أى طريق للوصول إليها . وقد كان الروس سنة ١٩٠٢ يؤكدون أنهم لا يعترفون بالأفضلية الإنكليزية فى جنوب فارس والخليج ، ولكنهم — بموجب هذا الاتفاق — اعترفوا بأفضلية الإنكليز فى جنوب فارس ولم يتطرقوا إلى الخليج العربى الذى عدوا موقعه ضمن مناطق النفوذ البريطانى بصورة فعلية[٤] . وهم بهذا يعدون أول دولة أوربية تعترف لبريطانيا بهذا الحق[٥] .

أما وجهة النظر الفارسية فى هذا الاتفاق فقد عدته مخيباً للآمال فى الاستقلال ومحاولة غير كريمة من روسيا وبريطانيا لتسوية خلافاتهما على حساب فارس والتغلغل فى شئونها والسيطرة عليها[٦] .

---

(١) الحقيقة أن هذه المنطقة الوسطى كانت حقلا للنشاط البريطانى ، انظر :
Wilber : op. cit., p. 104.

(٢) Browne : op. cit., pp. 172-173.

(٣) Bullard : op. cit., p. 70.

(٤) من مقدمة الداود — الخليج العربى : ١٤ .

(٥) Graves : op. cit., p. 130.

(٦) لم تتخلص فارس من هذا الاتفاق إلا فى عام (١٩١٨) عند ما أعلنت حكومة السوفييت نقضها لجميع الاتفاقات والمعاهدات التى عقدتها روسيا القيصرية مع فارس .

وبعد عقد الاتفاق الروسى البريطانى ، تكتلت الدولتان لمعارضة المشروع الألمانى فى سكة حديد بغداد[1] ، ورأت الحكومة الألمانية أن تساوم روسيا على انفراد ، فتوصلت معها إلى اتفاق سنة ١٩١١ تنازلت بمقتضاه عن الفرع المتجه شرق خانقين إلى فارس . أما بالنسبة لبريطانيا فقد تمت تسوية الخلاف معها نتيجة الاتفاق البريطانى العثمانى لسنة ١٩١٣ .

أما ما أصاب عربستان فى تلك الأحداث ، فمن المؤكد أن الشيخ خزعل قد تقوت معنويته بعد اتفاق سنة ١٩٠٧ حول تقسيم فارس ، وظل مستقلا عن الإدارة الفارسية . والواقع أن بريطانيا قد اتجهت إلى إمارة المحمرة منذ بدء الصراع الروسى معها ، لتتخذها قاعدة لمواجهة التقدم الروسى فى فارس ، ولتستغل موقع الإمارة الذى جعلها تتحكم فى سير الاتصالات فى شط العرب . وقد أسست فيها عام ١٨٩٠ قنصلية بريطانية لإدارة مصالحها ، إذ أن موارد المحمرة كانت قد وقعت تحت السيطرة البريطانية ، وعندما تولى الشيخ خزعل الإمارة سنة ١٨٩٧ كان قد مهد لتغلغل النفوذ البريطانى وفتح إمارته على مصراعيها للمصالح الإنكليزية ، بعد أن كان أخوه الشيخ مزعل حذراً من ذلك التغلغل . ولكن عندما زار السير مورتيمر دوراند السفير البريطانى فى طهران حوض نهر كارون — فى تشرين الثانى سنة ١٨٩٨ لدراسة الأوضاع فى المنطقة — رفض الشيخ خزعل مقابلته فى الأحواز ، وقد أرسل الشيخ خزعل عن طريق العقيد ميد (Col. Meade) المقيم البريطانى فى الخليج اعتذاره للسفير عن عدم مقابلته ووضع اللوم فى ذلك على سياسة الشاه . وعندئذ

(١) يعد كتاب لؤى بحرى — سكة حديد بغداد (بغداد — ١٩٦٧) من أحدث الدراسات الخاصة بهذا الموضوع .

Meade, Earle Edward : Turkey, The Great Powers and the Baghdad Railway, "A study in Imperialism (New York, 1924). Lynch, H.F.B. :"The Baghdad Railway", Fortnightly Review, Vol. 89 (March, 1911), pp. 375-386 and (May, 1911) pp. 771-780).

طلب من المقيم البريطانى أن ينقل إلى دوراند رغبته فى الحصول على ضمان رسمى من الحكومة البريطانية للاعتراف باستقلاله — ولم يكن يرتبط ، حتى ذلك الوقت ، بمعاهدة مع الإنكليز — ، وقد كان ينوى إعلان الاستقلال ، حتى إذا أدى الأمر إلى صدام مسلح مع الجيش الفارسى[1] ، فكان رد السفير له — بوساطة المقيم ميد — عدم موافقة حكومة الهند على طلبه ، وأوضح أن الحكومة البريطانية لا تستطيع أن تقدم له ضمانات رسمية للدفاع عنه ضد الشاه ، كما لا يمكنها أن تضمن له استقلاله فى حالة انهيار الإمبراطورية الفارسية . وكل ما تستطيع أن تفعله هو الاعتراف بنفوذه على أساس أنه أقوى شخصية فى الإمارة[2] . والواقع أن موقف بريطانيا من الشيخ خزعل كان مشابهاً لموقفها من الشيخ مبارك ، فقد طالب الأميران بالحماية البريطانية مراراً عديدة ، إلا أن طلباتهما قد ردت باعتبار أن الشيخ خزعل تحت سيادة الشاه الاسمية ، والشيخ مبارك تحت سيادة السلطات العثمانية الاسمية ، ولكن بريطانيا أعطت الشيخ مبارك الحماية الكاملة عندما ظهر الزحف الألمانى على إمارته ، وأصبح من المقرر انتهاء خط سكة حديد بغداد فى إمارته ، فكانت معاهدة سنة ١٨٩٩ التى بخلت بمثلها على الشيخ خزعل . ولكن الشيخ خزعل — الذى كان يطمع فى المزيد من الحماية — استأنف الطلب من جديد سنة ١٩٠٢ وطالب أن تعامله الحكومة البريطانية على النسق الذى تعامل به شيخ الكويت ، وكان فى هذه الأثناء قد أدخل — بناء على إدخال اللورد كيرزن — فى دائرة التفاهم الممتازة مع الحكومة البريطانية « على أساس أن فى يده قوة عظمى يمارسها فى الجهتين التركية والفارسية لشط العرب ، ويملك

(١) محمود على الداود — الخليج العربى والعلاقات الدولية : ٧٢.

(٢) Durand to Salisbury. No. 2 Confidential, 6 January 1898 F.O. 248/672 (Public Record Office).

نقلا عن : الداود — الخليج العربى : ٧٣ .

بموجبها السلطة الفعلية »[١] . كما أن امتياز دارسى واحتمال ظهور النفط فى إمارته ، كان له أثر فى ذلك ، فوافقت الحكومة البريطانية على تقديم بعض الضمانات له، ولكنها ضمانات مشروطة أقل من تلك التى أعطتها الشيخ مبارك من قبل . ولم تعقد معه معاهدة كتلك التى عقدت مع الكويت فى ٢٣ كانون الثانى (يناير) سنة ١٨٩٩ تجنباً من وقوع فارس فى أحضان روسيا ، ومن المؤكد أن مطامع روسيا فى فارس وأمانيها السياسية فى المحمرة ، هى التى دفعت السير أرثرهاردنج السفير البريطانى فى طهران، أن يطلب إلى حكومته إعطاء الشيخ خزعل بعض التأكيدات الرسمية التى تضمنتها رسالة بعث بها إلى الشيخ خزعل فى ٧ كانون الأول سنة ١٩٠٢ جاء فيها : « نحمى المحمرة من كل هجوم بحرى تقوم به دولة أجنبية مهما كانت حجة التدخل الذى تدعيه ، وما زلتم مخلصين للشاه وتعملون بمشورتنا فنحن أيضاً نستمر على معاونتكم ومعاضدتكم »[٢] ، كما أكد السفير ضمان توارث الحكم فى أسرة الشيخ خزعل ، وسيادته على عربستان ، والعمل على عدم إحداث أى تغيير فى المنطقة مهما كانت الوسائل . والمتفحص لهذا الوعد يلاحظ أن بريطانيا أعطت إمارة المحمرة الحماية ، ولكنها حماية مشروطة بالإخلاص للشاه ، وتعهدت للشيخ خزعل بالتأييد والسيادة ، ولكنها اشترطت عليه أن يتصرف طبقاً لتعليماتها . وعندما ضمنت بريطانيا موقف الشيخ خزعل ، وتسرب نفوذها إلى جميع مرافق إمارته ، لم يقلقها بعدئذ أن تبقى عربستان — التى تحتل القسم الشمالى من الخليج — ضمن منطقة الحياد فى اتفاق سنة ١٩٠٧ ، فقد كانت فى الحقيقة حقلا متمماً لمنطقة النفوذ البريطانى الجنوبية — المثلثة — من الناحية الواقعية .

---

(١) Ireland : op., cit., p. 16.

(٢) F.O. Handbook No. 67, pp. 56-57.

يوسف غنيمة — مجلة المقتطف — العدد السابق : ٢٠٢ .

ويبدو أن الشيخ خزعل كان يعتقد أن باستطاعته المحافظة على التوازن بالنسبة إلى الساحل الشمالى للخليج ، فلما قسمت فارس سنة ١٩٠٧ إلى مناطق نفوذ ، رأى أن يفصم كافة ارتباطاته بالحكومة الفارسية ، وإعلان استقلال بلاده استقلالاً تاماً . وكانت بريطانيا ترقب الوضع بكل حذر ، وتحاول تجنب وقوع أى اشتباك مسلح بين الشيخ خزعل والشاه ، لما سيترتب عليه من نتائج خطيرة تمس اتفاق سنة ١٩٠٧ إضافة إلى ما كان يتوقع له من تدخل العثمانيين — الذين ما انفكوا يتطلعون إلى المحمرة منذ أن اقتطعت من العراق سنة ١٨٤٧ — والقبائل العربية فى العراق وشبه الجزيرة العربية باعتبارها مرتبطة معه بعلاقات قبلية وقومية[١] ، وكان العقيد ميد المقيم البريطانى فى الخليج قد حذر — منذ توليه منصبه — فى تقرير سرى له وضعه عن المحمرة ، وأرسله إلى السفير البريطانى فى طهران « أنه فى حالة حدوث حرب بين الشيخ خزعل والشاه ، فإن الشيخ سينال مساعدات من جميع العرب الذين يسكنون فى القسم الجنوبى من دجلة ، وحتى من قبائل المنتفك وسكان البصرة ، نظراً لنفوذه الواسع فى العراق الجنوبى »[٢] .

والواقع أن علاقات الشيخ خزعل ببريطانيا قد سارت بعدئذ باطراد ملموس ، فقد وقع فى ٢٩ (تموز) سنة ١٩١١ على اتفاق مع الحكومة البريطانية يقضى بألا يمنح امتيازات باستخراج اللؤلؤ أو الإسفنج إلا برخصة من بريطانيا . وفى أواخر السنة نفسها وقع كل من شيخ البحرين وشيوخ الساحل المهادن على اتفاقيات مماثلة[٣] .

والحقيقة أن نشوب الحرب العالمية الأولى قد غير ميزان القوى فى المنطقة ،

---

(١) قدرى قلعجى — الخليج العربى : ٦١١ .

(٢) From Col. Meade to the British Embassy in Tehran No. 65 Telegraphic 14 March 1900. F.O. 298/715 (Public Record Office)

نقلا عن الداود — الخليج العربى : ٧٤ .

(٣) Ireland : op. cit., p. 17.

فقد وقفت فارس على الحياد فى أثنائها ، إلا أن القوى المتصارعة فيها لم تحترم حيادها ، فنزلت الجيوش البريطانية ثغر بوشهر فى ٨ آب (أغسطس) سنة ١٩١٥ ، وعينت فيه مندوباً سامياً مؤقتاً ووضعت يدها على البريد[١] ، وأرسلت قوة للمحافظة على ينابيع النفط فى عربستان . ومصافى النفط الحديثة فيها ، ذلك لأنها خشيت أن يقع الشيخ خزعل — حليفهم — تحت رحمة الأعداء[٢] . أما الجيوش الروسية — حليفة الإنكليز — فقد تقدمت من الشمال حتى بلغت حدود العراق ، بل دخلت خانقين[٣] . وفى أثناء الحرب واجهت المنطقة تحديات ألمانية — عثمانية ، فقد أرسلت ألمانيا بعثاتها المستمرة ، التى نجحت فى كسب الحزب الديموقراطى أقوى الأحزاب السياسية فى فارس ، والذى ظفر بأغلبية المقاعد فى انتخابات المجلس التى جرت عام ١٩١٥[٤] ، وكان قصد الألمان من هذا عرقلة المجهود الحربى للحلفاء فى فارس ، كما نجحت فى إثارة بعض القوات التى يدعمها الدرك الفارسى بقيادة ضباط سويديين ، وقد جاهدت تلك القوات من أجل القضاء على النفوذ البريطانى فى جنوب إيران ، فأرسلت رسلها بقيادة راسموس لينظم حرباً غير رسمية ضد الإنكليز فى مناطق النفط وعلى سواحل الخليج[٥] ، وللوقوف إزاء هذا الخطر انتدبت حكومة الهند السير برسى سايكس[٦] (Sir Percy Sykes)

---

(١) لقد استعملت الطوابع الفارسية بإضافة عبارة (Bushire under British Occupation) أى « بوشهر تحت الاحتلال البريطانى » .

(٢) Bullard: op. cit., p. 97.

(٣) للاطلاع على تفاصيل الحملة ، راجع : شكرى محمود نديم — الجيش الروسى فى حرب العراق : ١٩١٤ — ١٧ .

(٤) النجار — السياسة والاستراتيجية : ٣٨٩ .

(٥) Marlowe: op. cit, Chapter 4.

(٦) الذى اشتهر بكتابه (History of Persia) والذى سبق أن وضع عن عربستان مذكرة فى ١١ تشرين الثانى سنة ١٨٩٨ تضمنت رأيه فى إمكان استغلال حوض نهر كارون وشطا العرب لهجرة الألوف من الهنود ، وكان يعتقد أن السيطرة البريطانية على بوشهر والمحمرة=

من الهند إلى بندر عباس ، ليقوم بجمع قوة من المتطوعين بقيادة ضباط بريطانيين تدعمها قوة بريطانية وهندية يعهد إليها أمر توطيد الأمن فى جنوب إيران . وقد عرفت هذه القوة — التى كان قوامها خمسة آلاف مسلح — باسم فرقة بنادق جنوب إيران (South Persia Rifles) التى اتحدت مع الروس فى تشكيل سلسلة تخترق إيران للحيلولة دون تسرب الألمان من الناحية الشرقية إلى فارس[١] . ومن ناحية أخرى كان الأتراك قد عقدوا العزم على تهديد آبار النفط فى عربستان ، فنفذوا إلى المنطقة ، واشتركوا فى تحريض قبائلها للثورة بوجه الإنكليز ، ونجحوا فى قطع أنابيب النفط ، مما اضطر الحكومة البريطانية إلى إرسال قوة إلى الأحواز عملت — بالتعاون مع الشيخ خزعل — على إخراجهم .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها ، كانت السيطرة البريطانية فى الخليج قد تدعمت بصورة تفوق كثيراً ما كانت عليه قبل الحرب ، فاختفت الدول الكبرى التى تطلعت إلى الخليج ، فقد هزمت ألمانيا ، وقام نظام جديد فى روسيا ، واختفت من الوجود الدولة العثمانية ، وحق لبعض الكتاب الإنكليز — عندئذ — أن يصفوا الخليج بأنه بحيرة بريطانية .

أما فيما يتعلق بفارس ، فإن بريطانيا قد أثرت على الحلفاء ليرفضوا الجلوس مع الوفد الإيرانى الذى حضر إلى مؤتمر الصلح فى باريس[٢] . وخرجت روسيا من جميع الاتفاقيات والمعاهدات التى عقدها العهد القديم مع فارس ، وقد عقدت كل من بريطانيا وروسيا معاهدتين على طرفى نقيض مع فارس ، فعقد السير برسى كوكس — بإيعاز من اللورد كيرزن

=والأحواز وتستر وديزفول سيضمن لها مراكز استراتيجية مهمة فى جنوب إيران ، وبذلك تصبح منطقة حوض نهر كارون الزراعية الغنية بيد الإنكليز .

(١) Bullard: op. cit., p. 100.

(٢) Lenczowski: Russia and the War in Iran, 1918-1938, p. 228.

وزير الخارجية البريطانية[١] فى ٩ آب (أغسطس) سنة ١٩١٩ — معاهدة مع فارس كانت بمثابة فرض الحماية عليها[٢] . أما البلاشفة فقد توصلوا إلى عقد معاهدة سنة ١٩٢١[٣] تنازلوا بمقتضاها عن كل امتيازاتهم فى فارس بشرط عدم التنازل عنها لأية دولة أجنبية . وكانت النتيجة أن أصبحت فارس، منطقة نفوذ بريطانية بلا منافس . وقد زاد بريطانيا تمسكاً بها وجود شركة النفط الفارسية الإنكليزية فى عربستان ، حيث مصفاة النفط فى عبادان — التى لعبت دوراً مهماً إبان الحرب .

والواقع أن السياسة البريطانية فى فارس كانت تتبع نظاماً دبلوماسياً مزدوجاً ، فقد كانت من جهة تتعامل مع الحكومة المركزية فى طهران — عن طريق سفاراتها هناك — ، وهى فى الوقت نفسه تتعامل من جهة أخرى مع أمير المحمرة الشيخ خزعل عن طريق القنصل المحلى والوكلاء فيها .

---

(١) كان استعماريا ينتمى إلى مدرسة القرن التاسع عشر الهندية ، وهو يقلل كثيراً فى تقديره من شأن الوطنية الآسيوية التى ظهرت بعد الحرب .

(٢) هيأت لها بريطانيا فأبدلت سفيرها فى طهران السيرجارلس مارينج بالسير برسى كوكس ليبت فى أمر إبرامها ، الذى استطاع كسب الشاه ورئيس الحكومة له عن طريق تقديم الإعانات المالية لهما . انظر : هارفى — الأزمة العالمية للبترول — ٣٤٧ ، وكان من بين نصوصها تقديم المساعدات البريطانية لإيران عن طريق البعثات العسكرية والمالية ، على أن استنكاراً واسع النطاق قد نشأ بين الوطنيين الإيرانيين ، وقد رفض المجلس الإيرانى التصديق عليها .

Lenczowski: The Middle East, p. 228.

(٣) Lenczowski: Russia and the War, p. 318.

الشيخ خزعل ونمو المصالح البريطانية فى إمارة المحمرة

كانت السياسة البريطانية تستهدف الاستغلال الاقتصادى لمناطق واسعة فى منطقة الشرق الأوسط ، لا سيما تلك التى عرفت بخصوبتها وباحتمال جعلها مناطق زراعية مهمة . وكان الرأسماليون الإنكليز — أمثال ستيفن لنتش — يؤمنون بأن الطريق الأساسى فى تطوير هذه البلاد اقتصادياً هو ربطها بشبكة من السكك الحديد أو الملاحة النهرية التجارية . وقد اهتم الإنكليز بفكرة فتح أنهار العراق ونهر كارون فى عربستان للملاحة التى اعتبرها أساساً لمشاريع سكة الحديد[١] ، لذا فإن الإنكليز وجهوا اهتماماً خاصاً لمنطقة شط العرب فى أخريات القرن التاسع عشر ، وأخذوا يرقبون تحركات العثمانيين فيها بشىء من الحيطة والحذر ، فعندما شعرت بريطانيا ببناء العثمانيين استحكامات عسكرية لهم عند الفاو ، قدم السفير البريطانى فى الآستانة فى ٢١ آب (أغسطس) سنة ١٨٨٧ احتجاجاً شديد اللهجة إلى وزير الخارجية التركية سعيد باشا مطالباً إياه بالكف عن بناء هذه الاستحكامات باعتبارها مخالفة لبنود اتفاقية أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧ ، أما روسيا فقد رفضت التدخل فى هذا الموضوع . وكانت بريطانيا تخشى على مصب حوض نهر كارون فى المحمرة ومصالحها فى المنطقة ، من مسألة تسليح مركز الفاو — الذى اعتبرته تهديداً لاحتكاراتها التجارية البريطانية فى المحمرة والعراق ، وقد دعت هذه العوامل بريطانيا إلى تغيير سياستها إزاء تركيا ، فبعد أن كانت تشد أزرها ضد فارس — كما مر بنا — فى اللجنة الرباعية المؤلفة لتخطيط الحدود ، أصبحت تحتج باسم فارس على مخالفة تركيا لمعاهدة سنة ١٨٤٧ . ويجدر بنا أن نتذكر أن أعمال بريطانيا

---

(١) محمود على الداود — الخليج العربى : ٣١ .

فى المسح والاستطلاع لربوع عربستان كانت تقترب بنجاح من نهايتها ، وكانت شركة الملاحة البخارية فى نهر كارون تستقبل أوائل عهدها ، فإذا ما أصبحت السيطرة فى عربستان أمراً محبذاً للبريطانيين ، فإن احتلالهم فيها مركزاً يدرأ التقدم المناوئ فى هذه الجهات ، كان فى نظرهم أمراً لا بد منه . ذلك لما كان لهم من مصالح فى الخليج العربى ، بل إن إمبراطوريتهم فى الهند كانت تصبح فى خطر لو أن المجال أصبح مفتوحاً لاستقرار القوى المناهضة لهم على ضفاف نهر كارون وشط العرب . وكان نتيجة لذلك كله أن أصبحت ربوع عربستان منطقة نفوذ بريطانية يصدق عليها المفهوم المعروف لمنطقة النفوذ ، فكانت هناك مصالح وامتيازات وأرجحية تتمتع بها دولة أجنبية فى قطر متأخر فى مضمار المدينة .

وكان الإنكليز يأملون أن تكون ضفتا شط العرب — وهما أخطر مركز حساس على الخليج — فى أيديهم ، ليتحكموا بهذا الطريق الاستراتيجى ، ويطمئنوا إلى مستقبلهم[1] . وإلى ذلك يرجع موقف الإنكليز المؤيد للشيخ خزعل فى صراعه مع الوالى العثمانى سليمان نظيف (١٩٠٩ — ١٩١٠) الذى هدد بضرب المحمرة ، إلا أنه لم ينجح فى تحقيق هدفه ، نظراً لمساندة السلطات البريطانية أمير المحمرة واحتجاجها لدى الدولة العثمانية على مضايقات الوالى هذه . وكان موقع المحمرة المحاذى لشط العرب قد أثر فى دفع الإنكليز للشيخ خزعل إلى مناوأة العثمانيين[2] ، ويعتبر ذلك من جملة العوامل التى جعلت الشيخ خزعل غير ميال إلى ولاة الأتراك .

---

(١) هذا ما دفعهم عند قيام الحرب العالمية الأولى إلى مفاوضة السيد طالب النقيب لكى يجعلوه أميراً مستقلا على البصرة، ليضمنوا به مصالحهم فى الولاية قبل التفكير بالتقدم شمالا ، وليجعلوا من شط العرب شطا إنكليزيا ، غير أن الأحداث التالية بددت ذلك المفهوم فضمت إمارة المحمرة إلى إيران بقوة السلاح وأصبحت البصرة جزءاً من الدولة العراقية المستقلة .

(٢) صلاح العقاد — التيارات السياسية فى الخليج العربى : ٢١٠ — ٢١١ .

والرسالة التى سلمها اللورد سولزبرى فى لندن إلى السفير العثمانى رستم باشا تفصح لنا عن مبلغ القلق الذى كان يخامر بريطانيا من اعتقادها أن هدف الأتراك هو التفكير فى السيطرة على مصالحها الاقتصادية فى المنطقة . فقد جاء فيها : « ليست لبريطانيا العظمى أية أهداف عسكرية ، وإن مصالحها تعتمد على التطور السلمى للتجارة مع المناطق الواقعة على شواطئ شط العرب ، وإن أكثرية السفن المتاجرة بين البصرة والمحمرة هى سفن تحمل العلم البريطانى ، وإن بريطانيا تنظر إلى مثل هذه التحصينات كتهديد مباشر لمصالحها الاقتصادية فى العراق وحوض نهر كارون معاً »[1] . وقد هدد بالإيعاز للأسطول البريطانى لهدم تلك التحصينات .

ولكن الأزمة هذه انفرجت حينما وقع السير إدوارد غراى عن بريطانيا ، وحقى باشا عن الدولة العثمانية فى ٢٩ تموز سنة ١٩١٣ اتفاقية شط العرب التى أقرت مبدأ حرية الملاحة الدولية فى هذا الممر المائى ، والتى تضمنت بأن يمارس شيخ المحمرة حقوقه كالمعتاد فى الأراضى الواقعة ضمن الممتلكات العثمانية ، على أن تحفظ حقوق الشيخ خزعل على المحمرة وتنظم وراثة العرش فى أسرته[2] . والواقع أن اتفاقية سنة ١٩١٣ تعد مظهراً من مظاهر عجز الدولة العثمانية عن الدفاع عن الولايات العربية ، بالرغم من أن العثمانيين اعتقدوا أنهم قد أحرزوا تقدماً فى إمارة المحمرة حينما شملت الاتفاقية بنداً خاصاً بتنظيم الوراثة فى الإمارة مع التسليم باستقلالها الذاتى .

والواقع أن السياسة البريطانية كانت تؤمن بضرورة إبقاء المحمرة مستقلة استقلالا سياسيّاً بدرجة تكفى لأن تسير المصالح البريطانية فيها سيراً طبيعيّاً

---

(١) محمود على الداود — الخليج العربى : ٣٦ .

(٢) المنار : ج ١٦ ص ٤٧٤ لسنة ١٣٣١ « اتفاقية شط العرب » — مصدرها : جمال زكريا قاسم — الخليج العربى : ٣٤٨ — ٣٤٩ ، وللاطلاع على أهم نصوص الاتفاقية راجع : ساطع الحصرى — البلاد العربية والدولة العثمانية : ٢٠٦ وما بعدها .

دون تعثر وبدون منافسة أجنبية لها . وقد أفادت بريطانيا من الشيخ خزعل شيخ المحمرة كثيراً من أجل توطيد نفوذها وسيطرتها على المنطقة ، وكان الميجر سايكس[١] يؤمن بضرورة الاعتماد عليه فى السيطرة على جنوب إيران ، فساعدها على اتخاذ عربستان قاعدة لصد التقدم الروسى من الشمال والزحف الألمانى من الجنوب والغرب ، وأمن لها مصالحها النهرية فى مياه كارون وتعهد لها بالقضاء على أسباب الفوضى فى المنطقة من أجل استغلال نفط عربستان . لذا فإنه حظى بتأييد السفير الإنكليزى فى طهران[٢] ، فصار يتصرف بكيفية جعلته مستقلا عن فارس — برغم ما نصت عليه معاهدة سنة ١٨٤٧ — وقد شجعه اضمحلال سلطة آل قاجار على أن ينتهز الفرصة لإعلان استقلاله .

وقد بذلت بريطانيا محاولات عديدة لترويج تجارتها ومصالحها فى إمارة المحمرة عن طريق تأسيس شركة تتولى مد الخطوط الحديد ، واستغلال المناجم الطبيعية[٣] ، على أن أهم ما شهدته المحمرة من تلك المصالح تمثل فى امتياز الملاحة فى نهر كارون وامتياز حقول النفط .

١ — منشأ الملاحة البريطانية فى مياه كارون :

إن الميزة الطبيعية المهمة لعربستان هى نهر كارون وروافده الذى يعتبر من أهم الممرات المائية فى رأس الخليج بعد شط العرب وهو أطول منه — إذ يبلغ طوله زهاء ١٣٠٠ كم — وفيضانه قبله[٤] ، وعمقه كعمق نهرى دجلة

---

(١) Major P. Sykes to Salisbury No. 429 June 1900. F.O. 60/621 (Public Record Office).

نقلا عن الداود -- الخليج العربى : ٦٢ — ١٦٣ .

(٢) F.O. Handbook No. 67 Persian Gulf, pp. 56-57.

(٣) Marlowe : The Persian Gulf, p. 30.

(٤) هستد — الأسس الطبيعية لجغرافية العراق : ١٦٣ .

والفرات[١]، ينبع من قلب جبال البختيارية[٢]، وبعد أن يشق ودياناً ضيقة ملتوية يخرق جبالا شاهقة وقد يضيق واديه فى بعض الأمكنة وقبل أن يدخل سهول عربستان فى شمال تستر يقطع مسافة (٦٠٠) كيلو متر فى المنطقة الجبلية[٣] ، وبعد ذلك ينفذ فى سلسلة التلال الحجرية الرملية قرب الأحواز فى سلسلة من الشلالات ويجرى متعرجاً فى السهول الرسوبية فيصب فى شط العرب قرب المحمرة[٤] ، ويحمل نهر كارون فى أثناء الفيضان كميات كبيرة من الغرين الأحمر تقدر بزهاء مليون ياردة مكعبة ، وقد قدر المستر مورتون (Major W. Morton) . فى تقريره عن رى كارون كمية مواد الطمى المعلقة فى كل قدم مكعب من مئة بنسبة ١٫٧٦٠ بالنسبة للحجم[٥] . وهذا ما جعل النهر يكوّن عند مصبه سد المحمرة ، والمعروف عن كارون أنه سريع الجريان نظراً لشدة انحدار مجراه ووفرة مياهه ، إذ يبلغ معدل تصريفه أكثر من معدل تصريف نهر الفرات[٦] . والنهر صالح للملاحة شمال الأحواز إلى حوالى عشرة أميال جنوب تستر ، أما جنوب الأحواز فهو صالح على طول الطريق المؤدى إلى ميناء المحمرة حوالى ١١٠ أميال حيث مصبه فى شط العرب[٧] ، وذلك بالبواخر النهرية ذات غطس قدمين

---

(١) مجلة لغة العرب — العدد (٢) السنة (٣) — آب ١٩١٣ .

(٢) لنهر كارون عدة منابع ، أهمها : المنبع الأصلى من مرتفعات كوهى كاريوش ، والمنبع الثانى يعرف باسم خرسان ، وهو ينبع من مرتفعات ديزى سكوره ، والمنبع الثالث يعرف باسم إيبى — ديز ، وهو ينبع من سفوح مرتفعات تختى شاه .

(٣) طه الهاشمى — جغرافية العراق : ٥٥ .

(٤) الدركزلى — جغرافية العراق : ١٢٧ ، وهناك إشارات إلى نهر كارون وتكويناته مع بعض الخرائط فى مقال ليس وفالكون المنشور فى : مجلة الجمعية الجغرافية العراقية — التاريخ الجغرافى لسهول ما بين النهرين : ١٩١ — ٢١٧ .

(٥) أحمد سوسه — وادى الفرات : ١٧٥ .

(٦) جاسم محمد الخلف—محاضرات فى جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية : ١٨١.

(٧) Binnie: Some Notes on the Karun River and the Shatt Al-Arab, p. 207.

فى جميع المواسم ، وخمسة أقدام فى موسم الفيضان . ومعنى هذا أن القسم الذى يتضمن سهول عربستان من نهر كارون تكون جوانبه مسالك جيدة لسير الملاحة ، سوى بعض الصعوبات التى تعترضها عند الأحواز لتضمن مجراه بعض المساقط المائية(١) .

والواقع أن نهر كارون ، برغم الميزات الطبيعية التى منحها لعربستان ، فإنه أصبح مصدر قلق لها عندما اتجهت الأنظار إليه لجعله طريقاً ملاحياً دولياً ، وكان قبلا من أهم مناطق التجارة الداخلية العربية فى الإقليم ، إضافة إلى ربط المدن الكبرى فى عربستان ومراكز الزراعة فيها بموانئ الخليج العربى ؛ فقد كانت البواخر العربية الشراعية تعمل باستمرار بين المحمرة والبصرة ، لنقل الحاصلات الزراعية ولا سيما التمور منها — فى موسم جنيها — إلى موانئ الخليج العربى وإلى الهند . وقد كانت المحمرة — التى تسيطر على القسم الصالح للملاحة فى نهر كارون — تمسك فى قبضتها على مفترق طرق هامة جعلتها مركزاً تجارياً يلفت الأنظار ، ومستودعاً رئيساً لتهريب البضائع إلى فارس والعراق دون أن تدفع عنها رسوماً كمركية . وقد حدثنا رولنسون عن زيارة له للمحمرة فى كانون الثانى سنة ١٨٤٨ ، فيذكر أنه شاهد فى المحمرة خمساً وعشرين سفينة من عابرات المحيط ، على حين لم يجد فى البصرة منها سوى ست سفن فقط(٢) .

ولقد اتجهت بريطانيا إلى التفكير فى استغلال نهر كارون للملاحة ، عندما واجهت نقل البضائع التجارية عبر جنوب فارس ، فقد كانت الأسواق الداخلية الفارسية تقع على مسافات بعيدة من موانئ الخليج العربى ، وكانت التجارة الإنكليزية فى فارس فى ازدياد مستمر . وقد فكرت بريطانيا فى تعبيد

(١) Admiralty War-staff, A Handbook of Arabia, Vol. II, pp. 61-62.
وانظر أيضا : عبد المطلب الأمين — مبادئ السوق وجغرافية العراق العسكرية : ١٤٦ — ١٤٨ .
(٢) عبد العزيز نوار — المصالح البريطانية فى أنهار العراق : هامش الصفحة ٩٢ .

الطرق جنوبى فارس ، إلا أنها اصطدمت بعقبتين : عدم استتباب الأمن من جهة ، والتقلبات الجوية من جهة أخرى ، إذ أن هذه الطرق كانت تمر بمسالك جبلية فتتعرض لتراكم الثلوج مدة أربعة أشهر فى العام ، لذلك اتجهت الأنظار منذ سنة ١٨٤٨ إلى نهر كارون كوسيلة من أحسن الوسائل لنقل البضائع الإنكليزية إلى أقرب نقطة للأسواق الداخلية الكبيرة ، فقد وجدت البيوت التجارية البريطانية أن استخدام البواخر النهرية بدل السفن الشراعية كفيل بمواجهة ذلك التزايد فى حجم البضائع ، كما أنه كفيل بتخفيض نفقات الشحن ، وفى ذلك العام قام سلبى (Selpy) ولايارد (Layard) — اللذان كانا يعملان فى خط ملاحة الفرات — بدراسة الملاحة فى نهر كارون ، وأثبتا صلاحيتها لمسافة مئة ميل(١) ، إلا أن حكومة طهران — صاحبة السيادة الاسمية على المنطقة — لم تكن تتساهل مثل القسطنطينية فى فتح الأنهار التى تمر داخل أراضيها للملاحة الأجنبية . ومن المؤكد أن الشاه ناصر الدين (١٨٤٨ — ١٨٩٦) كان يخشى إغضاب روسيا ، التى كانت مستعدة لأن تطالب بامتيازات مماثلة فى الشمال ، كما أن وقوع إمارة المحمرة — التى تتمتع باستقلال ذاتى من الناحية السياسية — على مداخل النهر يجعل من السهل على أية دولة أوربية تكوين علاقات تجارية وسياسية مع شيخها ، وتأييده فى نزعته الاستقلالية الكاملة . إلا أن الشخصية الفارسية الوحيدة التى كانت متحمسة للمشروع هو الأمير ظل السلطان — شقيق الشاه الموالى للإنكليز — الذى ساند الإنكليز فى أثناء أزمة التدخل الفرنسى فى المحمرة سنة ١٨٨٢ .

ومن الأمور التى تسترعى الانتباه أن شيخ المحمرة الحاج جابر وابنه الشيخ مزعل من بعده عارضا المشروع ووقفا بوجهه خوفاً من ضياع استقلالهما ، والتدخل فى شؤونهما الداخلية .

(١) صلاح العقاد — الاستعمار فى الخليج : ١٦٢ — ١٦٣ .
Wilson: The Persian Gulf, p. 265.

وكان المشروع يهدف — بلا شك — إلى سيطرة بريطانيا السياسية والاقتصادية على عربستان ، كما يهدف — من الناحية العسكرية — إلى سهولة إرسال قوات عسكرية فى نهر كارون إذا ما قامت حرب مع روسيا . أما من الناحية التجارية ، فهو يهدف — بلا ريب — إلى تخفيف سيطرة روسيا على التجارة الفارسية ، وإفساح المجال أمام التجارة الإنكليزية للحصول على بعض الامتيازات الخاصة .

والحقيقة أن البواخر الإنكليزية كانت تصعد نهر كارون وتهبط فيه من وقت لآخر منذ سنة ١٨٣٧ ، ويذكر الدكتور نوار أنه : « ليس من قبيل المصادفة أن تقوم تلك البواخر المسلحة برحلاتها فى تلك الجهات ، وإنما من قبيل الضغط على إيران حتى تقبل الشروط الإنكليزية »[١] ، وقد استمرت محاولات الإقناع الإنكليزية لفتح كارون حتى سنة ١٨٨٨ ، فقد لاحظنا كيف أرسل جيمس أوترام قائد الحملة البريطانية على المحمرة سنة ١٨٥٦ طلائعه إلى الأحواز ، وأخذ يتفاوض مع الحاج جابر شيخ المحمرة للحصول على امتيازات للملاحة فى النهر .

وقد استمرت الاتصالات بعدئذ بين لندن وطهران والمحمرة إلى ما يقرب من ١٧ سنة أسفرت عن صدور الفرمان الشاهنشاهى الذى بموجبه افتتح نهر كارون الأسفل لغاية الأحواز للبواخر العالمية[٢] . فى تشرين الأول سنة ١٨٨٨ أعلن الشاه ناصر الدين فتح نهر كارون للملاحة النهرية والتجارة الدولية ، ولكى يتجنب الشاه التعقيدات ، أطلق على المشروع كله (Regulations) أى لوائح تنظيمية بدل كلمة امتيـــاز (Concession) . وتم فتح نهر كارون لمسافة ١١٧ ميلا من مصبه ، ولكن على شرط أن تستمر الامتيازات

---

(١) المصالح البريطانية فى أنهار العراق : ٥١ .

(٢) Wilson : op. cit., p. 265.

العثمانية السابقة الخاصة بالسماح للسفن العثمانية بملاحة هذا النهر من المحمرة إلى تستر[١] .

على أن أهم ما جاء فى ذلك القرار ما نصه : « إن الحكومة الفارسية — وهى تعتزم النهضة بالتجارة والثروة فى أقاليمها وتطوير الزراعة فى "عربستان" والأحواز — قد أبلغت السفن التجارية لكل الدول — دون استثناء — أن تتعهد بنقل تجارتها فى نهر كارون من المحمرة إلى سد الأحواز ، هذا إلى جانب السفن الشراعية التى كانت تتخذ من نهر كارون ممرًا لها ، بشرط أن لا تتعدى هذه السفن سدّ الأحواز ، ذلك لأن المنطقة التالية للسد من حق الحكومة الفارسية وحدها ، ورعاياها . أما رسوم المرور فسوف تدفع فى المحمرة تحت إشراف الحكومة الفارسية . وعلى السفن ألا تحمل أية بضائع محرم دخولها إلى البلاد ، وألا تبقى فترة أطول مما هو ضرورى لتفريغ حمولتها من البضائع التجارية[٢] .

أما الفقرات الأخرى من محتويات النظام ، فقد ناقشت قضية استغلال المناطق المحيطة بالنهر وبناء المخازن ، وقد احتكر أحد أمراء آل قاجار — المعروف بنظام السلطنة — بناء هذه المخازن ، ودرت عليه أموالا طائلة[٣] .

وعندما افتتح نهر كارون للملاحة النهرية[٤] ، أسست شركة ستيفن لنتش للملاحة فى العراق[٥] مصلحة نقل نهرية بين المحمرة والأحواز ،

---

(١) الداود — الخليج العربى : ٦١ .

(٢) انظر نص القرار — باللغة الإنجليزية — فى (الملحق التاسع والعشرين) .

(٣) الداود — الخليج العربى : ٦١ .

(٤) كانت البواخر تستخدم فحما — آنذاك — فى تسيير آلاتها .

(٥) كان أول بدء تأسيس شركة لنتش للملاحة فى نهرى دجلة والفرات بالبواخر فى لندن عام ١٨٦٠ باسم : Messrs. Lynch of the Euphrates and Tigris Seam Navigation Co. وكان ممثلها فى العراق هو بيت لنتش ، راجع : عنها للتفصيل أحدث دراسة وثائقية : نوار — المصالح البريطانية فى أنهار العراق — القاهرة ١٩٦٨ .

ثم عقب ذلك قيام هذه الشركة بمد طريق معبد بين الأحواز وأصفهان مخترقاً مناطق البختيارية(١) .

والواقع أن قرار الملاحة ، برغم عدم اقتصاره على دولة واحدة — كما هو الحال فى الملاحة النهرية لأنهار العراق — ، وصراحة القرار بفتح النهر للملاحة الدولية دون احتكار شركة من الشركات ، فإنه اتضح بعدئذ أن الإنكليز وحدهم هم الذين استفادوا من ذلك القرار . والواقع أن تحقيق تلك المكاسب بجوانبها السياسية والتجارية كانت موضع إعجاب اللورد كيزن(٢) ، الذى اعتبرها نصراً بريطانياً ساحقاً .

وهكذا شرعت شركة لنتش فى إرسال سفنها من شط العرب إلى أعالى نهر كارون ، وقد ساندتها حكومة الهند من الناحية المالية ، وقدمت لها مبلغ ألفى باون إسترليني سنوياً لجعل المشروع يقاوم الصعوبات التى تعترضه(٣) ، ولو أن الأخيرة صرحت بأن مصالحها فى نهر دجلة هى أوسع من مصالحها فى نهر كارون . وفى الوقت الذى تعهدت فيه الحكومة البريطانية بالإشراف على الملاحة فى نهر كارون وتقديم المساعدات التى تتطلب زيادة التجارة فى ذلك النهر ، كانت حكومة الهند قد تعهدت بالإشراف على الملاحة البريطانية فى العراق(٤) .

أما القسم الواقع شمال الأحواز من نهر كارون ، فقد حصل على امتياز الملاحة النهرية فيه الحاج رئيس التجار — وزير الشيخ خزعل — حتى نشوء

---

(١) Bullard: op. cit., p. 67.

(٢) Wilson: op. cit., p. 266. وراجع أيضاً :
Curzon: "The Karun River and the Commercial Geography of South-West Persia" Proceedings of the Royal Geographical Society, Vol. 12, pp. 505-532.

(٣) هناك تفاصيل وافية فى :
Ainsworth, W.F.: The River Karun and its opening to British Commerce.

(٤) الداود — الخليج العربى : ٦٢ .

الشركة الناصرية للملاحة ، التى اعتبرتها شركة لنتش تشكل عراقيل فى وجهها .

وبعد قيام شركة لنتش بتسيير بواخرها فى نهر كارون ، تغيرت سياسة المحمرة وزالت المعارضة التى صرح بها شيوخ المحمرة ضد الملاحة النهرية ، ولقيت الشركة مساعدات قيمة من الشيخ خزعل — الذى تبوأ الحكم سنة ١٨٩٧ — وتعهدت له بأن : موافقته على اتفاق حرية الملاحة لشركة لنتش فى كارون — الذى عقد سنة ١٨٨٨ — سوف لا يؤثر على مركزه كأمير مستقل استقلالاً ذاتياً فى عربستان(١) .

وقد شمل تعاون الشيخ خزعل مع الشركة جميع رعاياه فى عربستان ، وقد سمح لتجار المحمرة بنقل بضائعهم على بواخر شركة لنتش ، بعد أن احتكرت بواخر شيوخ المحمرة الخاصة التجارة ردحاً من الزمن، كما رضى بأن تكون أجور النقل على بواخره موازية لأجور شركة لنتش .

ولكن لو التفتنا جانباً إلى الأثر الذى خلفته الملاحة الإنكليزية التجارية فى نهر كارون على المصالح العربية فى تلك المياه لوجدنا أنها أضرت بها، واستطاعت أن تحل محل الملاحة العربية الشراعية التى توقفت عن العمل ، فأصيب التجار العرب بخسائر مادية فادحة ، إذ أبعدهم ذلك الاحتكار عن مجالات المشاركة فى التجارة الخارجية التى هى من مقومات حياتهم الرئيسة فى المنطقة ، على حين ربحت شركة لنتش أرباحاً طائلة . وهكذا بدأت الاحتكارات البريطانية للتجارة فى عربستان — التى أعقبها نفوذ سياسى وعسكرى واسع النطاق .

ومن أجل إدارة تلك المصالح ، أسس الإنكليز لهم فى المحمرة سنة ١٨٩٠ وكالة قنصلية ، كما أنشؤوا دائرة بريد سنة ١٨٩٢ ، ثم أبدلت وكالة القنصلية فى المحمرة إلى قنصلية ، وأسسوا وكالة أخرى فى الأحواز سنة ١٩٠٤(٢) .

---

(١) الداود — أحاديث عن الخليج العربى : ١٧ .

(٢) Wilson: The Persian Gulf, p. 266.
وقد غيروا هذا الوضع سنة ١٩٢٧ فجعلت القنصلية فى الأحواز والوكالة فى المحمرة .

٢ – امتياز حقول النفط :

لم تكن المصالح البريطانية فى عربستان مقصورة على الملاحة فى مياه كارون فحسب ، وإنما كان لهم فيها امتياز آخر أكثر أهمية ، ذلك هو : امتياز حقول النفط . ففى ٢٨ مارس سنة ١٩٠١ منح الشاه مظفر الدين امتيازاً للتنقيب عن النفط فى أراضى عربستان – وهو أول امتياز من نوعه فى الشرق الأوسط – مدته ستون سنة إلى مستر وليام نوكس دارسى (D'Arcy)[١] بعد أن حصل الشاه فيه على أسهم قيمتها ثلاثون ألف جنيه ، فى حين ذهب مبلغ عشرين ألف جنيه أخرى فى صورة أسهم إلى رئيس الوزراء واثنين آخرين من الموظفين قاما بالمفاوضات الخاصة بشروط الامتياز[٢] . وكانت شركة دارسى ملزمة بالبدء فى العمل فى خلال عامين ، وبأن تدفع ١٦٪ من أية أرباح تحققها . وتحاشياً لاعتراضات روسيا استبعدت المقاطعات الخمس الشمالية (أذربيجان ، جيلان ، مازندران ، جرجان ، خراسان) المتاخمة لبحر قزوين من الامتياز .

وقد نجح دارسى فى تأسيس شركة برأسمال قدره سمائة ألف جنيه إسترلينى ، وقد استنزفت أبحاثه عن النفط ثروته التى كان قد جمعها من مناجم الذهب فى نيوزلندا ، حتى اضطر إلى مفاوضة شركة ستاندرد أويل الأمريكية ، إلا أنه قبل أن تتم هذه المفاوضات تدخلت الحكومة البريطانية معترضة على إدخال شركة أمريكية فى منطقة نفوذها ، وأوعزت إلى شركة بورما –

---

(١) دارسى : هو ابن لأحد المحامين الإنكليز ، ارتحل إلى أستراليا حيث استطاع أن يجمع ثروة من شركة مونت مورجان للذهب Mt. Morgan Gold Co. فى سنة ١٨٨٢ ، وعاد إلى وطنه فى نهاية القرن ومعه ثروة كبيرة يسعى وراء امتياز يستثمر فيه ملايينه . ومن المفارقات الغريبة أن دارسى مات سنة ١٩١٧ دون أن يقع بصره على مناطق امتياز حقول النفط فى عربستان .

(٢) هارفى – الأزمة العالمية فى البترول : ٣٤١ . Wilson : op. cit., p. 258.

وهى شركة إنكليزية – أن تتقدم لإنقاذ دارسى الذى استمر فى أبحاثه[١] . وبعد مرور سبع سنوات على منح الامتياز تم العثور سنة ١٩٠٨ على النفط فى مسجد سليمان – إحدى مدن الإقليم الشرقية على بعد ١٥٠ كم من رأس الخليج – على عمق ١١٨٠ قدماً ، واتضح أن تفجره قد تمّ فى عربستان قبل غيرها من الإمارات العربية على الخليج .

وفى السنة التالية من العثور على النفط دخلت الحكومة البريطانية إلى الميدان وأسست سنة ١٩٠٩ شركة النفط الإنكليزية – الفارسية (A.P.O.C.)[١] برأسمال قدره مليونا جنيه من الأسهم العادية – أى ما يعادل أكثر من نصف رأسمال الشركة ، وأخذت على عاتقها مهمة تنفيذ الامتياز ، وحصل دارسى على مائتى ألف وثلاثة آلاف جنيه تعويضاً له ، إضافة إلى عدد من الأسهم التى بلغت قيمتها ٩٠٠ ألف جنيه .

ونتج عن ذلك أن أصبح امتياز دارسى التجارى احتكاراً حكومياً بحكم الواقع ، وأصبح أى خلاف معه يبدو نزاعاً مع الحكومة البريطانية[٣] .

ونلاحظ أن الإنكليز – الذين فاوضوا الشاه فى أمر التنقيب عن النفط فى عربستان ، باعتبار أن تلك الأراضى تقع تحت حمايته الاسمية ، ولأن تفجّر النفط كان على أطراف إمارة عربستان – اضطروا أخيراً إلى فتح باب المفاوضات مع الشيخ خزعل – صاحب السيادة الفعلية فى الإمارة – برغم احتجاجات الشاه عليهم . والواقع أن لهذه المفاوضات مدلولها ، فإن بريطانيا – الدولة العظمى – لم تكن بدرجة من السذاجة لأن تتعامل مع الشيخ خزعل وهو لا يملك ناصية الأمر فى إمارته ، وتترك الشاه جانباً ، فلو كانت

---

(١) إبراهيم شريف – الشرق الأوسط : ٩٨ – ٩٩ .

(٢) مما يلفت النظر أن بروكلمان – تاريخ الشعوب الإسلامية – ج ٥ – : ١٣٥ يذكر أن بريطانيا وضعت يدها على آبار البترول فى عربستان سنة ١٩٠٥ ، عن طريق معاهدة عقدتها مع الشيخ خزعل ، والصحيح أن ذلك تم سنة ١٩٠٩ لأن النفط لم يتفجر إلا سنة ١٩٠٨ .

(٣) النجار : السياسة والأستراتيجية فى الشرق الأوسط : ١٠٢ . Kirk: op. cit., p. 143. التاريخ السياسى.

تعلم أن الشاه يسيطر سيطرة كاملة على إمارة عربستان ، والشيخ خزعل تابع من أتباعه يأتمر بأمره ، لما توانت عن مفاوضته وكسب رضاه ، ولكن الدلائل كلها تشير إلى أن الشيخ خزعل استطاع أن يحقق زيادة عما كان عليه أبوه وأخوه من الاستقلال التام عن طهران . ومن ذلك ، أن السير برسى كوكس — الوكيل البريطانى فى بخارى والمتولى شئون المناطق المحيطة بالخليج ، الذى حضر إلى المحمرة — أجرى مفاوضاته معه ، ويحدثنا السير أرنولد ولسن — وهو سكرتير الوفد المفاوض للشيخ خزعل — : « بالرغم من نفوذ كوكس وسلطاته الواسعة، فإنه كان حريصاً على ألا يضغط على الشيخ خزعل كثيراً فى أثناء المفاوضات، تجنباً لحدوث خلافات فى الرأى ، وكان كوكس يستعمل أحياناً بعض الجمل الفارسية والعربية فى خلال المفاوضات التى استمرت أربعة أيام ، وكانت هذه المناسبة ذات أهمية كبرى بالنسبة للشيخ خزعل ،لاعتقاده بأنه ساهم فى تأسيس شركة كانت تهيمن على كل المصالح والمشروعات التجارية »[١] . وكان هدف المفاوضات التوصل لعقد اتفاقية بشأن جزيرة عبادان للبدء فى إنشاء معمل للتكرير فيها ، كما اتصل بالشيخ خزعل السير أرنولد ولسن والقنصل البريطانى فى الأحواز للاتفاق معه على ربط خط للأنابيب طوله ١٣٠ ميلا بين الحقول ومرفأ النفط فى عبادان[٢] .

فتوصل الطرفان فى السادس من مايو سنة ١٩٠٩ إلى اتفاق يقضى بدفع ٦٥٠ جنيهاً سنوياً إلى الشيخ خزعل كإيجار لموقع معمل التكرير ومرور أنابيب النفط عبر أراضيه[٣] ، إلى جانب تأييد استقلاله ضد ادعاء الحكومة المركزية[٤] . ووعد بمساعدة عسكرية إذا ما تعرض لأى اعتداء[٥] ، ويذكر السير أرنولد ولسن : « بدون إعطاء تلك الوعود وضمان الحماية له

(١) Wilson: South-West Persia, pp. 92-93.
(٢) Ibid, 81.
(٣) هارفى — الأزمة العالمية : ٣٤٣ ، ٣٥٠ .
(٤) Lenczowski: Oil and State in the Middle East, p. 147.
(٥) بروكلمان — تاريخ الشعوب الإسلامية — ج ٥ : ١٣٦ .

لبسط نفوذه على المنطقة لم يكن هناك أى أمل فى الوصول معه إلى اتفاق حول مد الأنابيب ، وقد تم ذلك فعلا وباعهم الشيخ الأرض اللازمة على أن ترد إليه بانتهاء مدة العقد»[١] . والواقع أن الشيخ خزعل كان على علم بالرابطة الوثيقة بين الشركة والحكومة البريطانية، وعرف أن قبوله لعروض الشركة يعطيه ضمانة لحريته من سيطرة السلطات الفارسية . وهكذا بدأ تبنى الإنكليز العملى للأحوال القائمة فى إمارته ، وأنشئ تمثيل متبادل بينهما مبنى على واقع الحياة[٢] ، واستمرت الشركة تتعامل معه حتى تقويض حكمه سنة ١٩٢٥ . وفى سنة ١٩١٢ أكمل مد الأنابيب لتنقل ٤٠٠ ألف طن سنوياً من الزيت الخام إلى عبادان، حيث أعد سنة ١٩١٣ رصيف لشحن الزيت الخام فى الناقلات لغرض تصديره ، كما أكمل إنشاء مصفى للتكرير[٣] .

وعندما قررت وزارة الحربية البريطانية ، التى كان يرأسها ونستون تشرشل سنة ١٩١٣، أن تعدل عن استعمال الفحم إلى استعمال النفط كوقود للبحرية، أرسلت بعثة لدرس ميادين النفط فى عربستان وتقديم تقرير عن إمكانية اعتماد الأسطول البريطانى عليها ، فجاء فى تقرير اللجنة ما أرضى الوزارة البريطانية ، وأعلم المستر تشرشل مجلس العموم فى تموز سنة ١٩١٣، أن وزارة البحرية تحاول أن تسيطر على بعض ميادين النفط ، لتؤمن ما يحتاج إليه الأسطول من هذه المادة[٤] ، فأقر البرلمان عشية الحرب العالمية الأولى بأغلبية ٢٥٤ صوتاً ضد ١٨ شراء الحكومة حصة الأغلبية فى الشركة الإنكليزية — الفارسية ، فدفعت الحكومة فى مارس ١٩١٤ مبلغاً قدره ٥,٢٠٠,٠٠٠ جنيه للشركة . وهكذا اكتسبت حقول النفط العربستانية اهتماماً خاصاً كمصدر

(١) Wilson : South West Persia, pp. 93-96.
(٢) Lenczowski : op. cit, p. 147.
(٣) Wilson : Loyalties, p. 9.
Earle : Turkey, The Great Powers and the Baghdad Railway, p. 267.
(٤) عبد الفتاح إبراهيم — على طريق الهند : ١٢٣ .

رئيس لتموين الإمبراطورية البريطانية بالنفط الذى بلغ إنتاجه فى تلك الحقول عام ١٩١٤ نحو ٢٧٠ ألف طن ، صعد فى نهاية الحرب إلى ٩٠٠ ألف طن فى العام[١] . وكان أغزر الآبار فى عربستان على الإطلاق البئر (ف٧) أعظم الآبار شهرة ، والذى لا ينافسه غير بعض الآبار المكسيكية الكبرى ، فقد ارتفع الإنتاج فجأة فيه من ٣٣ ألفاً إلى ٦٠٠ ألف غالون يومياً[٢] ، وكان إنتاجه وحده يرهق إمكانيات معمل تكرير عبادان وعند بدء الحرب العالمية الأولى كانت الشركة قد أنجزت حفر مائتى بئر[٣] ، وقد أعطيت الشيخ خزعل المواثيق بتأييد بريطانيا سلطته ضد أى اعتداء[٤]. وفى هذا المجال يتحدث السير برسى كوكس فيقول : « لقد ربطتنا معه مسئوليات لا يمكننا — مهما كلفنا الأمر — التخلى عنها، فقد تعهدنا له بأننا مستمدون لتأييده فى كل ما يؤمن حقوقه فى علاقاته مع حكومتى الفرس وتركيا، وكانت لنا معه صلات تجارية قوية»[٥]، وقد تناولت جريدة التايمس اللندنية فى مقالها الافتتاحى الصادر فى ٢٠ كانون الثانى تلك العلاقة فذكرت : « أن بريطانيا قد قدمت له الوعود بالحماية على شرط أن يظل كأحد الرعايا الفرس ، وأن يتصرف على هذا الأساس مدركاً أن الحكومة المركزية فى طهران لا تحاول المساس بحقوقه المشروعة والمكتسبة أو أن تجرده من ممتلكاته »[٦] . وأمام ذلك التأييد احتجت طهران لهذا « التطاول» على سيادتها ، وارتفعت فى مجلس العموم البريطانى أصوات ضد

(١) Bullard: op. cit., p. 98.

(٢) هارفى — الأزمة العالمية : ٣٤٤ .

(٣) إن أهم المناطق النفطية فى عربستان هى : نفطون — بهبهان — المنصورة — هفت كل — نفت سفيد — لالى — الأحواز وضواحيها — مسجد سليمان وضواحيها — ضواحى مدينة سوس — أغاجارى — بازان .

(٤) Kirk : op. cit., p. 147.

(٥) برسى كوكس — تكوين الحكم الوطنى فى العراق : ٦ .

(٦) Wilson : South West Persia, p. 136.

تصرفات شركة النفط الإنكليزية — الفارسية[١] ، إلا أن قيام الحرب العالمية الأولى جعل الإنكليز يضعون المنطقة تحت إشرافهم العسكرى المباشر وتجاهلوا حكومة طهران ، وتعاملوا مباشرة مع الشيخ خزعل[٢] .

وبعد الحرب العالمية — على الرغم من نشوء سلطة إيرانية حاكمة قوية فى شخص رضاخان — استمرت شركة النفط فى التعامل المباشر مع الشيخ خزعل ، فاتهمت الحكومة الفارسية المسئولين الإداريين عن الشركة بتشجيعه على الاستقلال[٣] ، إلا أن الحكومة البريطانية أنكرت أنها تعمل على إخضاع الإمارة للحماية والانفصال ، وإن كان ذلك لا ينفى أن لها علاقات خاصة مع شيخها .

ويعلق جورج لنكزوفسكى على السياسة التى اتبعتها بريطانيا بعدئذ مع رضاخان ، فيقول : « مع أن الحكومة البريطانية وافقت واقعياً على السياسة الجديدة متخلية عن الشيخ خزعل لرحمة الحاكم الجديد فى إيران ، فإن الشركة قد خسرت كثيراً بسبب سياستها القصيرة المدى »[٤] .

أما بيربى ، فإنه يلقى اللوم على تلك السياسة فيقول : « من أجل اللعب بورقة الأمير خزعل ضد سلطة بعيدة ، كأن يفترض أن تكون هذه السلطة ضعيفة ، والأمر الذى لم يكن كذلك بالنسبة لإيران بعد اعتلاء رضا شاه بهلوى »[٥] . والواقع أن مركز الشيخ خزعل الدولى قد تعزز كثيراً عما كان عليه قبل تفجر النفط فى إمارته والتزامه المصالح البريطانية ، وإلى ذلك يشير السير أرنولد ولسن فى مذكراته : « إن مركز الشيخ خزعل اليوم — إذا ما قورن

(١) جان جاك بيربى — الخليج العربى : ١٠٩ .

(٢) هارفى — الأزمة العالمية فى البترول : ٣٤٧ .

(٣) المصدر السابق : ١١٠ .

(٤) Lenczowski ; Oil and the State, p. 147.

(٥) جان جاك بيربى — الخليج العربى : ١١٠ .

به منذ عشرين عاماً عندما اعتلى عرش الإمارة — يعتبر تبريراً كافياً لسياسة تشجيعه الفعال للمشروع البريطانى . . إننا نعتز به وهو يثق بحمايتنا له من أعدائه ومن خانات البختارية »[١] .

وكان هم الإنكليز المحافظة على العلاقة بينه وبين زعماء البختارية ، حفظاً لسير العمل فى شركة النفط[٢] . والمعروف عن قبيلة البختارية — التى تحادد مناطق النفط فى الأطراف الشمالية من عربستان — أنها كانت على خلاف مستديم مع الشركة والشيخ ، ولم تتوان فى انتهاز الفرص لخلق المشاكل ضد الشركة والشيخ خزعل معاً[٣] ، هذا فى الوقت الذى كان معظم أفرادها يعملون فى حقول الشركة ، فقد بلغ عدد العمال فى الشركة عام ١٩٢٣ ما يقرب من عشرين ألف عامل من البختارية وعشائر الشيخ خزعل العربية[٤] .

ويذكر السير أرنولد ولسن — مدير شركة النفط الإنكليزية — الفارسية ما بعد الحرب — أن أعمال الشركة كانت تسير سيراً طبيعياً فى عربستان بفضل نفوذ الشيخ خزعل ، فى الوقت الذى لم يكن هذا العمل ممكناً فى أية منطقة أخرى من بلاد فارس[٥] .

---

(١) Wilson : South West Persia, p. 258.

(٢) Wilson : South West Persia, p. 86.

(٣) قلعجى — الخليج العربى : ٤٨٦ .

(٤) النجار — السياسة والإستراتيجية : ٤٨٠ .

(٥) Wilson : op. cit. p, 226.

الفصل الخامس

الشيخ خزعل ومقاومة التدخل الفارسى

التيارات الداخلية فى فارس وأثرها على عربستان :

لا شك أن ما أصاب فارس فى تاريخها العام من أحداث داخلية وتدخلات خارجية قد أثر تأثيراً واضحاً على الوضع السياسى لمنطقة عربستان ، ولما كنا قد تطرقنا فى فصل سابق إلى التأثيرات الخارجية ، فسنولى الوضع الداخلى اهتمامنا بالقدر الذى أثر فيه على خط سير الإمارة .

والواقع أن ذلك التأثير يأتى من جوانب متعددة ، منها : مجاورة الإمارة لفارس ، وأطماع فارس بذلك الإقليم ومحاولتها المستمرة لضمه إليها ، ووقوعه وسطاً بينها وبين عدوتها التقليدية — الدولة العثمانية — ، فراحت تسعى لكسب ولائه وجعله منطقة حاجزة (Buffer State) لصد تعديات الأتراك .

ويمثل حكم آل قاجار فى تاريخ فارس الحديث الفترة البارزة التى لعبت فيها الفوضى والانحلال دوراً كبيراً ظاهراً ، مما أفسح المجال أمام القوى الأجنبية للتدخل فى الشئون الداخلية للبلاد ، فكانت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية متأخرة جداً والوحدة الوطنية مفككة إلى أبعد حد ، والوضع السياسى متهرئ ، والشاه يعيش بمعزل عن جماهير شعبه ، وقد أرهقهم بالضرائب والغرامات والمصادرات من أجل بذخه ورحلاته المستمرة إلى أوربا ، وارتمى فى أحضان روسيا حيناً وإنكلترا حيناً آخر للفوز منهما بقروض تخفف عنه الضائقة المالية .

ويعتبر فتح على شاه (١٧٩٧—١٨٣٤) — الذى خلف عمه أغا محمد ، أول ملوك الدولة القاجارية — أقوى شخصية ثبتت أقدام أسرة آل قاجار فى

فارس . وقد بدأ فى عهده الاتصال المباشر بالدول الأوروبية ، فأصبحت فارس – منذ ذلك الحين حتى القرن العشرين – موزعة بين المصالح المتعارضة لروسيا وبريطانيا . وكانت سياسة الشاه ترمى إلى معالجة العسر المالى الذى ألم به من جراء إسرافه [1] ونفقات حربه مع روسيا ، تلك الحرب التى أرهقت فارس وحملتها فوق ما تطيق وأكرهتها فى ٢١ شباط سنة ١٨٢٨ على عقد معاهدة تركمانجى التى تنازلت بموجبها عن مقاطعتى روان ونخشبان الشماليتين ، وكانت المحمرة فى عهده قد أخذت بالازدهار لتحل محل إمارة بنى كعب فى الفلاحية وذلك على يد الحاج جابر الذى بدأ حياته السياسية بتكوين إمارة مستقلة فيها ؛ وهذه الربوع بصورة عامة كانت آنذاك تتمتع بمزيج من الهدوء والسلام النسبيين ، لا سيا بعد عقد معاهدة أرضروم الأولى سنة ١٨٢٣ .

وقد خلف على شاه حفيده محمد شاه (١٨٣٤–١٨٤٨) فى الحكم ، فبذل جهده لتحسين الحالة الداخلية للبلاد وإلغاء التعذيب ومنع استيراد العبيد [2] وقام بمحاولات غير موفقة لإعادة فتح هرات (١٨٣٧–١٨٣٨) وكانت نتيجة إخفاقه فيها أن منح الروس أعظم نفوذ فى بلاده – رداً لما لاقاه من معارضة بريطانيا الشديدة له فاستطاع أن يحقق بوساطتهم كسباً سياسياً فريداً من نوعه وذلك بضمه إمارة المحمرة المستقلة إلى ممتلكاته باتفاق مع الدولة العثمانية فى أرضروم سنة ١٨٤٧ ، ولم يكن ذلك الضم فى الواقع إلا اسمياً إذ أنه لم يؤثر على استقلال الإمارة الحقيقى ، فالولايات الفارسية نفسها كانت مفككة الأجزاء لاتخضع لسلطة الشاه المركزية الذى كان من عادته أن يبيع الولاية للرجل الذى يمهرها بالثمن الأعلى [3] فكيف الحال

---

(١) بركلمان – تاريخ الشعوب الإسلامية – ج ٤ : ١٥٦ ، وفيه تفاصيل عن حياة بلاط فتح على شاه وحريمه ونفقاته .

(٢) Wilber: op. cit., p. 98. (٣) بركلمان – تاريخ الشعوب الإسلامية – ج ٤ : ١٥٩ .

بالنسبة لإمارة المحمرة العربية ؟ وهى حديثة العهد بتبعيتها للقافلة الفارسية ، ولم يكن يربطها بفارس إلا حبر على ورق ، فإنها بقيت من الناحية الواقعية خاضعة لسلطة حاكمها الشرعى الحاج جابر فقط .

وعندما توفى محمد شاه فى ٤ أيلول سنة ١٨٤٨ ، ارتقى العرش أكبر أولاده ناصر الدين شاه (١٨٤٨ – ١٨٩٦) وهو فى السادسة عشرة من عمره، ليواجه صراعاً حاداً مع حركة «الباب» الدينية وهى من الحركات الخطيرة فى تاريخ فارس الحديث ، التى رحب بتعاليمها عدد كبير من الفرس الذين أطلقوا على صاحبها لقب (الباب) ، وقد حدث صراع عنيف دام بين الشاه وأتباع الدعوة الجديدة التى عمت معظم أرجاء فارس ، قتل على أثرها (الباب) بأمر من حكومة فارس فى ٨ تموز سنة ١٨٥٠ ، وبعد سنتين تقريباً قتل حوالى أربعين ألفاً من أتباعه ، لتحل محلهم حركة مماثلة أخرى ، تلك هى حركة البهائية .

والواقع أن السنوات الأولى من حكم ناصر الدين شاه شهدت أزمات سياسية خانقة ، فى صعيد السياسة الخارجية حدث الصدام مع بريطانيا حول هرات ، وكان من نتائجه تعرض إمارة المحمرة العربية إلى الاحتلال وإنزال القوات البريطانية فى عربستان التى لم تجلُ عنها إلا بعد إبرام معاهدة باريس سنة ١٨٥٧ .

أما بالنسبة للسياسة الداخلية ، فقد اتخذ نظام الملك صدراً أعظم ، فأراد هذا الوزير تثبت سلطة الحكومة المركزية على امتداد الخليج ، فعمد إلى القضاء على الأمراء الذين كانوا يعتمدون على عصبياتهم ، ويكتفون بالاعتراف بسيادة الشاه الاسمية . واستكمالاً لهذه السياسة فكر فى شراء بعض السفن من بريطانيا ، وكتب إلى بالمرستون يرغبه فى هذا المشروع [1] ،

---

(١) صلاح العقاد – الاستعمار فى الخليج : ١٥٨ – ١٥٩ .

ولما وجد منه تلكؤاً ، عقد صفقته مع شركة ألمانية ، لبناء سفينتين : كبيرة أطلق عليها اسم برسوبولس — تزن ٦٠٠ طن وتحمل أربعة مدافع — وصلت إلى بوشهر سنة ١٨٨٥ واستخدمت فى الخليج ، وصغيرة باسم سوس ، وضعت فى نهر كارون شمال الأحواز كزورق اتصال تحت أوامر حاكم عربستان[١] . ولكن الحرب الإنكليزية الفارسية كانت قد قضت على مقدرة فارس العسكرية لتحقيق أهدافها ، مما جعلها عاجزة عن إخضاع تلك الأقسام المطلة على الخليج ، لا سيما المحمرة ، فاضطره ذلك أخيراً إلى التسليم بالأمر الواقع ، فأصدر مرسوماً ملكيّاً يتضمن الاستقلال الذاتى لها[٢] ، ولم يكن قد مضى على توقيع معاهدة أرضروم الثانية سوى عشر سنوات .

كما أنه اتجه إلى إدخال مظاهر الحضارة الغربية إلى بلاده بالقدر الذى يساعده على توطيد سلطته ، فأنشأ عام ١٨٧٩ لوءاً من القوازق الفرس على النمط الروسى ، وجعل مدربيه وضباطه من الروس ، وحاول زيادة موارده فشجع رؤوس الأموال الأجنبية على التدفق لبلاده ، فقد أسس البنك الشاهنشاهى برأسمال بريطانى سنة ١٨٨٩ ، وأنشئ بنك الخصم الروسى للقرض والتسليف سنة ١٨٩٠ ، كما منح امتيازات لمد خطوط تلغرافية وأخرى حديدية . وكان جوليوس رويتر (Julius De Reuter) قد حصل منذ سنة ١٨٧٢ على حصة الأسد من هذه الامتيازت ، حتى إذا ماقام الشاه فى السنة التالية برحلة إلى أوربا — بغية الاطلاع على ما بلغته الحضارة هناك — قوبل فى بطرسبرك بالنفور الشديد مما دفعه إلى إلغاء الامتياز عقب رجوعه . وقد قام بعد ذلك برحلتين أخريين إلى أوربا فى سنة ١٨٨٧ وسنة ١٨٨٩ وتطلب منه الأمر عقد قروض لتغطية نفقات أسفاره — المتسمية بالإسراف — ، فوقعت فارس فى ضائقة مالية — لم تسلم منها حتى زوال الحكم القاجارى — سلبتها استقلالها وقوّت فيها النفوذ الأجنبى .

(١) Wilson : The Persian Gulf, p. 259.

(٢) راجع الفصل الأول ففيه التفاصيل .

والواقع أن فارس قد أصيبت فى عهد هذا الشاه بانهيار كبير فى نظامها الاقتصادى وشئونها الإدارية ، وفى عهده تغلغل الإنكليز فى حوض نهر كارون ، وحصلت شركة لنتش التجارية على امتيازات الملاحة فيه . وكانت السفارة البريطانية تعتبر نفسها أيامه صاحبة النفوذ على جنوب غربى إيران بما فى ذلك قاعدة فارس وميناء بندر عباس ، يساعدهم فى بسط نفوذهم حلفاؤهم العرب ، الذين يشكلون قوة عسكرية كبيرة[١] ، برغم أن حاكمهم الشيخ مزعل قد أبدى معارضة شديدة أول الأمر لذلك النفوذ ، ولكنه سلم أخيراً بالأمر الواقع وغدت إمارته تحت الإشراف البريطانى .

ومن أبرز ما وقع للشاه ناصر الدين فى أواخر سنى حكمه أنه التقى — فى رحلته الأخيرة إلى أوربا — بجمال الدين الأفغانى فى ميونخ فاصطحبه إلى طهران ، فكان ذلك مدعاة لتعقيد الأمور على الشاه ، إذ أن المصلح الأفغانى أخذ يبث دعوته الإصلاحية فى طول البلاد وعرضها داعياً إلى الاستقلال فى سياسة فارس الخارجية وإبعاد الاقتصاد الفارسى عن الاحتكار ، فاستطاع مريدوه أن يبثوا تعاليمه ، مما أثار الشاه فأخرجه عن فارس إلى العراق . إلا أن حركة قومية مصبوغة بالصبغة الدينية كانت قد تبلورت فى فارس ضد الاستغلال الاقتصادى الأجنبى ، وقد وصلت هذه الحركة إلى أوجها فى خلال الثورة التى قام بها الشعب الفارسى ضد امتياز احتكار تجارة التبغ الذى عرف باسم (Tobacco Regie Concession) الممنوح إلى أحد الرأسماليين الأوربيين الميجر تالبوت (Maj. Talbot) فى ٨ آذار ١٨٩٠ لقاء مبلغ سنوى قدره خمسة عشر ألف جنيه استرلينى ولمدة خمسين سنة .

وقد ساهم رجال الحكم فى فارس بالامتياز ، فاشترى رئيس الوزراء أمين السلطنة (٥٠٠) سهم إلا أن المشروع نال معارضة السفارة الروسية

(١) الداود — أحاديث عن الخليج العربى : ١١ .

منذ ولادته ، كما حمل أتباع الأفغانى — يساندهم علماء النجف وكربلاء — لواء المعارضة ، مما أثار عاصفة من الاستياء ، فأقلع الرعية عن التدخين ونشبت الاضطرابات فى البلاد ، واضطر الشاه نتيجتها إلى إلغاء الامتياز ليدفع للشركة تعويضاً قدره نصف مليون باون ، ولكن ذلك لم يخمد نار الاستياء الشعبى إلا بعد أن خر ناصر الدين شاه قتيلا سنة ١٨٩٦ بيد أحد أتباع جمال الدين المدعو ميرزه مهدى [١] ، بعد حكم دام قرابة نصف قرن كانت فى خلاله فارس دولة منهارة سياسيًّا وإداريًّا ، والولايات فيها لا تخضع لسيطرة الحكومة المركزية ، وكان ظل السلطان — من أمراء آل قاجار الذى يعتمد بصورة كلية على صداقة بريطانيا — قد نصب نفسه والياً على أكثرية المقاطعات الفارسية ، وهو من أكثر الأمراء حسداً لمنافسه القوى شيخ المحمرة ، لأن عربستان هى المنطقة الوحيدة التى كانت تتمتع برخاء اقتصادى نسبى [٢] . وقد طالب ، فى رسالة خاصة بعثها إلى المقيم البريطانى فى الخليج العربى ، مساعدته فى احتلال المحمرة متذرعاً برحلة مهندس فرنسى للمنطقة ، تلك الرحلة التى وصفها بكونها مؤامرة روسية — فرنسية لإزالة النفوذ البريطانى من جنوب فارس والخليج العربى [٣] .

وفى عهد مظفر الدين شاه (١٨٩٦ — ١٩٠٧)— الذى تبوأ العرش إثر مصرع والده ناصر الدين — لم تحظ فارس منه بأى اهتمام فى شئونها ،

(١) قيل إن قاتله صاح به وهو يضربه : « خذها من جمال الدين » . انظر : عباس العقاد — الإسلام فى القرن العشرين : ٦١ .

(٢) الداود — أحاديث عن الخليج العربى : ١٨ .

(٣) Sir Robert Moreir to the Marquis of Salisbury No. 2 Confidential. 2 January 1890. Russian proceedings in central Asia, F.O. 65/1392 (Public Record Office).

نقلا عن الداود — الخليج العربى : ٦٥ .

وكلفت رحلاته إلى أوربا [١] الخزانة مبالغ طائلة تركتها خاوية على الدوام ، وأخذ الأمراء ورجال البلاط يكدسون الثروات فى وقت لم يستطع فيه الموظفون الآخرون الحصول على مرتباتهم ، وقد تدهورت أحوال البلاد الاقتصادية وعاشت طبقة الفلاحين فى حرمان مريع ، إذ تهدمت سدود الرى نتيجة إهمالها وزحف الجدب إلى البلاد ، فأصاب الحقول والقرى . مما دفعت تلك الحالة المزرية الشاه إلى عقد قرض مع روسيا سنة ١٩٠٠ أتبعه بقرض آخر فى السنة التالية ، وجعلت كمارك فارس ضمانة لتلك الديون .

والواقع أن مسألة تنظيم إدارة الكمارك خلقت مشكلة مستعصية بين الشاه والشيخ خزعل ، ومن المعروف أن الاثنين جاءا إلى الحكم فى وقت متقارب ، فكانت علاقتهما بادئ الأمر وطيدة ، وعندما تبوأ الشيخ كرسى الحكم منحه مظفر الدين ألقاب أبيه وأخيه ، وأضاف إليه لقب سردار أرفع وسردار أقدس وأهداه الأوسمة . وكان الشيخ خزعل يسيطر على كمارك عربستان ؛ ولكن حدث أن انتقلت إدرة الكمارك الفارسية إلى إدارة بلجيكية ، وذلك لأن الوطنيين أجبروا الشاه على استخدام فنيين من دولة بعيدة عن الصراع الدولى فى فارس ، وليس لها نفوذ فى الخليج العربى ، فاتجه إلى بلجيكا . وقد تمكن سفير فارس فى بروكسيل من التعاقد مع الحكومة البلجيكية لتزويد بلاده بخبراء ماليين ، فوقع الاختيار على المستر نوس (Nous) مدير الضرائب والكمارك لمقاطعة برابانت (Brabant) لتنظيم كمارك الموانئ على الخليج العربى .

وقد أثار الشاه قضية السيطرة على ميناء المحمرة الذى كان تحت سيطرة الشيخ خزعل ، إلا أن الشيخ خزعل — الذى ورث عن أسرته سياسة الشك والريبة بالعلاقات والوعود الفارسية — رفض مسئولية أية مشاريع أجنبية

(١) سافر إلى أوربا للمرة الأولى سنة ١٩٠١ وللمرة الثانية سنة ١٩٠٢ وللمرة الثالثة سنة ١٩٠٥ .

من شأنها تحويل المحمرة إلى ميناء دولى خشية السيطرة عليه ، ولذلك دأب على سياسة الانعزال عن فارس . لذا فإن الشاه أخذ يحاول الحد من سلطته ، وقام بمحاولات عديدة لتصديع مركزه ، فدعا الروس لبناء ميناء على ساحل عربستان ليهدد الأفضلية البريطانية فى عربستان ، التى تلتزم الشيخ خزعل ، كما حاول الوزير الأمريكى فى طهران كريسكوم (Mr. Crescom) بأهمية قيام أمريكا بدور تجارى فى عربستان[1] .

ومن هنا بدأ الشيخ خزعل يفكر بصورة جدية لأجل وضع أسس مستقبل المحمرة السياسى والاقتصادى ، وكان يؤمن بأن الوقت قد حان لزوال آل قاجار ، ولذلك حزم أمره على إعلان استقلاله للعالم الخارجى متى ما شعر بالخطر يحدق بفارس ، ولكنه رأى قبل ذلك تقوية علاقاته مع بريطانيا ، لتضمن له المساندة فى الاحتفاظ بمركز المحمرة ، فطلب الحماية منها ، وقد أعلن عن مخاوفه الأخيرة للقنصل البريطانى فى بغداد — الذى زاره فى المحمرة فى حزيران سنة ١٨٩٨[2] ، ومع هذا فإن الشيخ خزعل أخبر المقيم البريطانى فى الخليج العقيد ميد (Col. Meade) : بأنه لا يود قطع علاقاته مع الشاه ، ولكنه سيقاوم محاولاته لإرسال الخبير البلجيكى نوس إلى المحمرة ، وأعلن عن تذمره من سياسة الشاه الذى أخذ يتآمر مع ابن أخيه الشيخ عبود ابن الشيخ عيسى من أجل تأسيس مركز عربى سياسى موالٍ لفارس ، وطلب من المقيم أن يحضر إلى عربستان ليجد بنفسه مدى قوة الشيخ ومركزه ، وذكر أنه سيتصل بالأتراك والعرب فى العراق ، لأجل الحصول على مساندتهم فى صراعه مع الشاه .

---

(١) الداود — الخليج العربى : ٨٠ .

(٢) Consul General of Baghdad to Sir Prili Currie 6 June, 1898. F.O. 195/2. 020 (Public Record Office).

نقلا عن : الداود — الخليج العربى : ٧٢ .

ولكن موقف العقيد ميد كان مائعاً ، فقد أخبره بأن حكومته لا تشجعه على الثورة ضد الشاه ، كما لا تريد تشجيع الشاه على ترك المحمرة ، وذلك لحاجة خزينة الدولة إلى المال . وفى الوقت نفسه أخبر القائم بالأعمال البريطانى سبرنك رايس (Spring Rice) وزير الخارجية الفارسية بأنه فى الوقت الذى لا يريد التدخل فى الشئون الداخلية الفارسية ، إلا أن علاقات بريطانيا القوية مع الشيخ خزعل وخدماته للتجارة البريطانية فى نهر كارون يجعل من الصعب على بريطانيا ممارسة أى ضغط على الشيخ لتحقيق أهداف الشاه ، وأصبح الشاه يحقد على الشيخ خزعل ، ويغار من مركزه العسكرى ونفوذه العظيم فى عربستان ، وقد أخبر الخبير البلجيكى نوس بأنه سوف لا يتردد فى إرسال قواته المسلحة إلى المحمرة، ولو أن هذا الجيش سينال الهزيمة ، ولكن على الأقل سيطلق بعض قذائف مدفعية على قصر الشيخ خزعل[1] .

أما الشيخ خزعل فقد حذر الإنكليز بأن إلحاق المحمرة بالنظام الكمركى الفارسى معناه سيطرة روسيا على عربستان ، وتهديدها المباشر لمركز الإنكليز فى الخليج العربى ، وإلى ذلك أيضاً ذهب اللورد لاندسداون وزير الخارجية البريطانية[2] ، فقد ذكر فى الخامس من مارس سنة ١٩٠١ : « سوف أعارض أية حيلة يتبعها الشاه فى المحمرة لأجل السيطرة عليها أو السماح للروس بذلك »[3] ، وقد أخذت المصالح البريطانية فى المنطقة تزداد تبلوراً ،

---

(١) Pro-Memoria on Muhammerah submitted to the Mushirud-Dawleh, Enclosure 1 in No. 2. Spring Rice to Salisbury. No. 17. Confidential 27 March 1900. F.O. 60/617 (Public Record Office).

نقلا عن : الداود — الخليج العربى : ٧٧ .

(٢) يجعله : الداود فى الخليج العربى : ٧٩ رئيس الوزارة البريطانية ، والصحيح أنه كان آنذاك وزيراً للخارجية .

(٣) الداود — الخليج العربى : ٧٩ .

لا سيما بعد حصول دارسى على امتياز استغلال النفط فى عربستان سنة ١٩٠١ .

ولهذا فإن الشاه — عندما زار إنكلترا سنة ١٩٠٢ — كان متوقعاً أن ينال من حكومتها وسام ربطة الساق الذى كان يحمله والده ، ولكنه منح وساماً آخر، فغادر إنكلترا مستاء ، مما حدا بحكومة لندن أن تبعث وفداً فى السنة التالية يحمل للشاه الوسام المرغوب فيه (١) .

ويمتاز عهد مظفر الدين شاه بصورة عامة بازدياد حدة الصراع بين إنكلترا وروسيا ، وقد ظلت روسيا حتى سنة ١٩٠٧ صاحبة الكلمة العليا فى فارس ، وذلك بعد أن قدمت قروضها للميزانية الفارسية ، كما امتاز عهد الشاه بعنف الحركة الدستورية ، فقد قامت فى البلاد ثورة سنة ١٩٠٦ — تعضدها وتدعمها بريطانيا — تطالب بنشر الدستور والدعوة إلى انتخاب برلمان . واعتصم ما يقرب من ١٣ ألف ثائر فارسى فى المفوضية البريطانية — بضعة أسابيع — يطالبون بتنفيذ مقرراتهم (٢) ، فأكره الشاه على منح الدستور فى آب (أغسطس) سنة ١٩٠٦ ، وافتتح أول مجلس تمثيلى للبلاد (٣) . على أن الشاه قد توفى فى تشرين الأول (أكتوبر) بعد بضعة أيام من افتتاحه ليخلفه ابنه محمد على شاه (١٩٠٧ — ١٩٠٩) ، وقد حاول أن يعارض المجلس — رغم أنه يتكون من كبار الملاكين والرأسماليين — الذى أبى عقد قروض جديدة ، وفى هذه الأثناء أعلن نبأ عقد الاتفاق الروسى البريطانى سنة ١٩٠٧ ، فكان مخيباً لآمال القوميين الفرس الذين كانوا يتوقعون من بريطانيا التزامها لهم فى حركتها ، وقد اعترف بهذا الاتفاق الشاه برغم المعارضة الشديدة له (٤) . ولما تمادى المجلس فى مخالفته للشاه ، وأخفقت جميع المحاولات

(١) يوسف غنيمة — السياسة البريطانية الفارسية : مجلة المقتطف — العدد نفسه : ٢٠٤ .
(٢) الداود — الخليج العربى : ١٧٦ .
(٣) من أفضل المراجع عن الحركة الدستورية هذه : Browne : The Persian Revolution.
(٤) حسين فوزى النجار — السياسة والاستراتيجية : ١٧٥ .

للوصول إلى تسوية ، حاول الشاه العصف بالحياة النيابية وسحق الحركة الدستورية ، فأمر فرقته القوزاقية — بقيادة العقيد لياكهوف (Liakhoff) — بضرب مبنى البرلمان بالقنابل ، وأعلن حله للمجلس فى حزيران سنة ١٩٠٨ ، واعتقل أعضاءه وعطل الدستور ، فكان الزخم الشعبى لتلك الإجراءات أن قامت فى البلاد ثورة اكتسحت القطر كله ، وكان القائمون بها يحدوهم نجاح الثورة التى كانت قد اندلعت — قبل ذلك بقليل — ضد السلطان عبد الحميد فى تركيا ، وقد اكتسبت الحركة الوطنية نصيراً جديداً فى قبيلة البختيارية — إحدى قبائل الفرس المجاورة لعربستان — ، فقد قاد زعيمها سردار أسعد خمسة آلاف بختيارى من قبيلته إلى طهران — رغم إنذار السفيرين الروسى والبريطانى له ، فوفق الوطنيون إلى الاستيلاء على العاصمة بعد قتال دارت رحاه فى الشوارع ثلاثة أيام متوالية ، انتهى بخلع الشاه الذى التجأ إلى السفارة الروسية ، وذلك فى ١٦ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٩ ، ومنها نقل إلى روسيا .

وكان موقف الشيخ خزعل من تلك الأحداث مؤيداً للثورة ضد الشاه ، برغم أن الشاه — عند توليه الحكم — أهدى الشيخ خزعل وسام همايون — مجدداً — ووسام آل قاجار (١) — يعلق فى العنق وفى وسطه صورة الأسد والشمس — ، إلا أن الذى عرف عن الشيخ خزعل بغضه لحكم الشاه ، فكان يؤوى الهاربين من نقمته ، وينعم عليهم بالهبات الوفيرة (٢) . وعندنا أن ما تحمله من حكومة طهران من مضايقاتها المستمرة هو الذى دفعه إلى موقفه هذا ، وكان قد أيد قبيلة البختيارية فى ضربها لحكومة الشاه ، تلك القبيلة التى كانت معروفة بالقوة والبسالة ، إلا أنها فقيرة فى المال ، وعندما طلبت منه عضدها بالمال والرجال أحجم عن إرسال أتباعه . ويرى صاحب كتاب المحمرة والوحدة العثمانية (٣) : أن سبب امتناعه كى لا يفسر

(١) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ عربستان (مخطوط) .
(٢) على محمد عامر — المحمرة والوحدة العثمانية : ٦٣ ، ويذكر أن ذلك أعلنته جريدة الشمس الفارسية الحرة التى تصدر بالآستانة .
(٣) المصدر السابق : ٦٤ .

هدف حملته تحويل الدولة الفارسية إلى عربية ، لذا فإنه اكتفى بأن أنعم على هذه القبيلة بخمسة آلاف ليرة عثمانية . وعندما وصلت حملتها إلى طهران أبرق إلى محمد على شاه مهدداً باجتياح العرب طهران لنصرة البختيارية والدستوريين[1] .

وقد استغل الشيخ خزعل الصراع هذا بين أنصار الدستور وخصومهم ، فامتنع عن دفع المال لحكومة طهران الذى أقره مرسوم سنة ١٨٥٧ ، وأصبح منذ ذلك الحين لا يدفع شيئاً لفارس[2] . والواقع أن تأثير الشيخ خزعل كان كبيراً فى إبعاد أى نوع من الاضطربات عن منطقته ، ولم تؤثر الفوضى التى انتشرت فى فارس على عربستان ، فقد ظلت تعيش فى هدوء واستقرار[3] . وفى طهران — على أثر تلك الأحداث — أعيد البرلمان من جديد ليعين أحمد شاه — ابن الشاه السابق — ملكاً على فارس ، ولم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره ، فوضع تحت وصاية أكبر أمراء آل قاجار البارزين سناً ، وذلك حتى تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ . والواقع أن فارس قد شهدت خلال الفترة ١٩٠٦ — ١٩١٠ فوضى سياسية عامة ، وأصبحت لا تملك ناصية الأمر على معظم ولاياتها ، ولم يبق للعاهل القاجارى فى طهران من السلطة إلا اسمها .

أما جذور الأحوال السيئة التى سادتها ، فترجع — بالدرجة الأولى — إلى الفوضى التى تسيطر على مالية الدولة . وفى عهد أحمد شاه وقع الاختيار على المستر موركان شستر[4] (W. Morgan Shustre) الأمريكى الجنسية ليشغل منصب المدير العام للشئون المالية ، فوصل فارس فى مايو

(١) المصدر السابق : ٦٥ .
(٢) الزركلى — الأعلام — ج ٢ : ٣٥٠ .
(٣) Wilson: South West Persia, p. 264.
(٤) لقد ترك كتاب « خنق فارس » ، وفيه يصف الأحوال التسعة التى شهدها فى البلاد خلال مدة عمله ، فكان وصفا دقيقاً قيماً .
Shuster, W. Morgan : The Stranglingj of Persia (London, 1912).

سنة ١٩١١ مع مساعديه الأربعة ليعالج تنظيم الخزينة ، ولكن ذلك لم يرق لبريطانيا وروسيا — صاحبتى الحل والعقد فى البلاد — فطلبتا إقصاءه بعد ثمانية أشهر من وصوله ، ولما رفض المجلس طلبهما كان مصيره الحل اعتماداً على فتوى أصدرها الشيخ فضل الله أحد علماء الدين ، جاء فيها : إن تأسيس برلمان وسن دستور للبلاد يغاير الشرع الإسلامى[1] . ولم يستأنف المجلس اجتماعاته إلا فى تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ بعد تتويج الشاه وقد بلغ سن الرشد ، فأعلن فيه الشاه حياد فارس فى الحرب العالمية القائمة[2] ، ولكنها رغم ذلك ظلت ميدانا حربياً طوال سنى الحرب — مع أنها لم تنضم إلى أحد الطرفين المتحاربين .

النزاع بين الشيخ خزعل ورضا خان وتقويض الحكم العربى فى عربستان :

بعد أن حطت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، كانت الفوضى تسيطر على بلاد فارس كلها تقريباً ، وكانت روسيا قد أقامت نظاماً جديداً للحكم إثر ثورة سنة ١٩١٧ ، قطعت بموجبه أية صلة لها بالعهد القيصرى ، وسلكت سياسة جديدة إزاء الدول . وكان نصيب فارس من هذه السياسة أن تخلت لها روسيا عن جميع مكاسبها وتنازلت عن امتيازاتها ، فاحتل البريطانيون فى الحال المناطق التى أجلت عنها القوات الروسية ، وتوصل السير برسى كوكس فى ٩ آب سنة ١٩١٩ إلى عقد معاهدة مع وثوق الدولة رئيس الحكومة الفارسية ، وضعت فارس بموجبها تحت السيطرة البريطانية التامة فى الإدارة والجيش ، وأظهر الشاه والحكومة استعدادهما لقبولها . ولكن الشعور العام المضاد لها جعل المجلس يرفضها — برغم الضغط الإنكليزى الشديد — ، فسقطت

(١) مذكرات رضا شاه : ١٥ .
(٢) بروكلمان — تاريخ الشعوب الإسلامية — ج ٤ : ١٨٢ . ومن الغريب أن الشاه أعلن ذلك ، برغم أن فارس لم يكن بإمكانها أن تكون محايدة بسبب احتلالها .

وزارة وثوق الدولة ، وعجزت الوزارات المتعددة التى تلتها عن قبولها . وكانت بريطانيا قد مهدت لها بعقد قرض لفارس قيمته مليونا جنيه يسدد فى عشرين سنة بفائدة ٧ ٪ ، وجعلت حصيلة الكمارك ضماناً له [١] .

لقد صادف إبرام هذه المعاهدة قيام حركات وطنية مناوئة للاستعمار شملت شعوب الشرق معظمها ، فى مصر وتركيا والهند وبلاد الشام وغيرها . فكان لهذا التأثير البين على هياج الرأى العام الفارسى ضد المعاهدة ، وكانت موسكو قد أخذت ترى فى احتياج بريطانيا المناطق الشمالية التى انسحبت منها ، تهديداً خطيراً لممتلكاتها . فتوغلت قواتها شمالى فارس . وفى كل هذا كانت حكومة طهران — وعلى رأسها الشاه — عاجزة عن رسم خطة سياسية واضحة تسير عليها البلاد ، وتصد عنها التدخل الأجنبى . فمن أجل ذلك قام رضاخان (رئيس فرقة الحرس القوزاق) ، وفى مخيلته خواطر عن ماضى فارس الزاهر ، وهو من الحالمين بأمجاد الأكاسرة الأول ، بانقلاب فى الثانى من شباط (فبراير) سنة ١٩٢١ أطاح فيه بالحكومة دون أية مقاومة ، وفرض على الشاه حكومة السيد ضياء الدين الطباطبائى — وهو من الصحفيين الأحرار — ، فلم يكن أمام الشاه إلا أن وافق من غير معارضة على تشكيل الحكومة الجديدة [٢] .

والواقع أن حركة رضاخان هى جزء من الحركات القومية التى أخذت تجتاح بلدان الشرق بعيد انقضاء الحرب العالمية الأولى ، ذلك لعدم حصول شعوبها على ما كانوا يتوقعون من استقلال وحق تقرير المصير . ورضا خان يمثل تيار القومية الفارسية الحديثة التى ظهرت لتقضى على تفكك أواصر الأمة، وتردى أوضاعها ، ولتحد من سيطرة الأجنبى على مرافقها الاقتصادية العامة .

ولد رضاخان فى سوادكوه بمقاطعة مازندران فى آذار (مارس) سنة ١٨٧٨ ،

(١) أمين سعيد — الخليج العربى : ٩٥ .
(٢) الساداتى — رضا شاه : ٥٤ .

وكان والده عباس على خان ضابطاً فى الجيش الفارسى ، وقد توفى بعد ولادة ابنه بثمانية أشهر . وقد شب الابن على حب سيرة أبيه ، فالتحق جندياً بفرقة القوازق الفارسية ، واستطاع أن يتدرج فى مناصبها ليصبح ضابطاً فقائداً للفرقة فى ظرف كان فيه الضباط الروس هم الذين يشغلون المراكز الهامة فى هذه الوحدة . وقد استغل القائد الطموح ضعف روسيا الوقتى بعد ثورة أكتوبر ، فتخلص من الضباط الروس فى الفرقة ليحل محلهم آخرين من الإنكليز يقودهم العقيد سمث [١] ، فاتفقت آراؤه مع الإنكليز الذين كانوا يأملون من عقد معاهدة سنة ١٩١٩ ، السيطرة على الجيش الفارسى. وقد كان الضباط الإنكليز يقدمون له المشورة الفنية فى أثناء زحفه على طهران ، ومن أجل هذا اتهمه خصومه بتواطئه مع الإنكليز . ولكن الحقيقة أن رضاخان كان قومياً فعارض التدخل الأجنبى — مهما كان نوعه — فى شئون بلاده ، لذا فقد طرأ على رأى الإنكليز والسوفيت فيه تغييرات كثيرة منذ أن ظهر على المسرح السياسى . ففى بادئ الأمر رحب به كل منهما بحماسة على أساس أنه بطل قومى يمكن كسبه، إلا أنه سرعان ما شاب تلك الحماسة برودة ظاهرة ، بعد أن وجدوا أن مبدأه الأعلى هو « إيران للإيرانيين » ، فأصبح موقفهما منه سلبياً أولا ، ثم عدائياً بعدئذ .

شغل رضاخان منصب وزير الدفاع فى وزارة السيد ضياء الدين ، كما أصبح قائداً عاماً للقوات المسلحة ، فاتجه إلى تحويل قطعات الجيش الفارسى المتفرقة إلى جيش حديث ، وفى ذلك كتب فى مذكراته : « رأيت من الحكمة أن أسعى لتكوين جيش وطنى قومى حتى ولوكان قوامه من الأفراد التابعين لى ، وقد وجهت جل اهتمامى لهذه الناحية معتقداً الاعتقاد الجازم بأن الجيش المرفه يخلص لبلاده ، خاصة فى هذا العصر الذى صارت القوة فيه فوق الحق »[٢] ، كما أصدر فى الحال أوامر بالقبض على المشتركين فى

(١) Lenczowski : The Middle East, p. 233.
(٢) مذكرات رضا شاه : ١٨ .

التوقيع على معاهدة سنة ١٩١٩ ، وأرسلهم إلى المنفى[1] . وبعد مرور ثلاثة أشهر على الانقلاب دب الخلاف بينه وبين رئيس الوزراء الذى أجبره على ترك البلاد[2] فى نيسان (أبريل) سنة ١٩٢١ ليرأس الوزراء قوام السلطنة أحد حكام الولايات المعتقلين . وقد بقى رضاخان وزيراً للدفاع فى عدة وزارات متتالية حتى عام ١٩٢٣ . وفى هذه الأثناء تحسنت العلاقات بين موسكو وطهران ، ذلك لأن السوفييت فوجئوا مفاجأة سارة عندما تولى رضاخان الحكم ، نظراً للاعتقاد السائد بأنه يرأس حركة وطنية ثورية ، وعلى اعتبار أن انقلابه «حدث تاريخى» يدشن بداية عهد جديد . وخيل إليهم أن الدكتاتورية العسكرية ستكون مرحلة انتقالية نحو نظام جمهورى قومى[3] . وهكذا تمخضت العلاقات الحسنة إلى إبرام معاهدة سنة ١٩٢١ التى اعترفت باستقلال فارس التام ، وتنازلت عن كل ما بأيديها من المقاطعات الفارسية ، كما تنازلت عن جميع الديون التى كانت لها على فارس ، واشترطت لتنفيذ أكثر بنود هذه المعاهدة أن يبتعد كل نفوذ أجنبى آخر عن فارس . وقد صودق على هذه المعاهدة بعد خمسة أيام من الانقلاب بعد أن رفضت الحكومة الفارسية المعاهدة الإنكليزية الفارسية نهائياً[4] . أما ما أصاب عربستان من تحسن العلاقة هذه ، فقد فتحت فى الأحواز قنصلية روسية ، بعد إذن من الشيخ خزعل ، وكان الإنكليز يرقبون ذلك بحذر ، وقد طلبوا من الشيخ خزعل الامتناع عن الاتصال بالقنصل الروسى .

وقد انشغل رضا خان خلال سنتى ١٩٢١ — ١٩٢٢ فى إخضاع الأجزاء

---

(١) المصدر السابق : ٢٩ .

(٢) مما يذكر أن الشيخ خزعل أظهر امتعاضه من خروج السيد ضياء الدين من فارس ، وأبدى لولى عهد فارس محمد حسن ميرزا — الذى زار المحمرة فى طريقه إلى أوربا — تشككه من رضاخان .

(٣) ولتر لاكور — الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط : ٦٤ .

(٤) عبد الفتاح إبراهيم — على طريق الهند : ١٤٤ .

الشمالية من فارس ، وبعد أن استتب له الأمر تدخل — منذ سنة ١٩٢٣ — فى أمور حيث كان البريطانيون قد قضوا على هيبة الحكومة المركزية قضاء كاملا ، فحل فرقة « بنادق جنوب فارس » ، وكان رضا خان — فى سبيل تحقيق الوحدة الوطنية وإقامة دولة فارس العظمى — لا يأبه — وهو فى ميدان القتال — بما كان يدبر فى طهران من مؤامرات أدت ثلاث مرات إلى تبديل رئيس الحكومة ، حتى إذا ما اكتشف فى تشرين الأول مؤامرة كان قوام السلطنة يدبرها للقضاء عليه ، تولى رياسة الوزارة إضافة إلى وزارة الدفاع[1] . أما الشاه فقد وجد أن من الأفضل له الانسحاب من الميدان ليقوم برحلة إلى باريس لفترة غير محدودة[2] .

والواقع أن رضاخان كان يشبه مصطفى كمال أتاتورك فى نواحى متعددة ، وكان متأثراً بشخصيته إلى حد بعيد ، فكانت أقصى أمنية تراوده أن يباريه فى أعماله[3] ، وهو من الحصافة بمحل جعله أول ما يفكر بالتآم أجزاء بلاده المتفرقة بوحدة وطنية قبل إقدامه على أية عملية أخرى . وفى سبيل ذلك أفرغ همه لتعزيز الجيش وتزويده بالأسلحة الحديثة التى عقد صفقتها مع فرنسا ، كما أرسل خمسين ضابطاً للتعلم فى مدارس فرنسا العسكرية . ويبدو أنه كان يمهد لاستلام المسئولية كاملة ، فقد خطب فيهم قائلا : « إنكم ستذهبون إلى فرنسا موفدين من قبل هذه الأمة المنكودة الحظ . . وإن الغاية المقصودة من إيفادكم عظيمة ، والمهمة التى ستلقى على عاتقكم أعظم . إن البلاد بحاجة ماسة إلى رجال أقوياء من أبنائها يتولون أمرها ويقضون على هذه الفئة الأجنبية العابثة بمقدراتها ، ونحن إنما أرسلناكم لتقوموا بهذه العملية التطهيرية فى المستقبل القريب إن شاء الله[4] .

---

(١) أمين محمد سعيد — ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم : ٢٤٨ .

(٢) بقى فى باريس حتى وفاته سنة ١٩٣٠

(٣) Lenczowski : The Middle East, p. 234.

(٤) محمد الهاشمى — الأبطال الثلاثة (البهلوى رضا شاه): ٧٨ — ٧٩ .

كما قرر معالجة تنظيم شئون المالية العامة فى فارس ، فدعا فى مطلع سنة ١٩٢٢ الدكتور أرثرتشيستر ميلسبوف الخبير الأمريكى لهذا الغرض الذى بقى فى فارس حتى سنة ١٩٢٧ — فتمكن بإدارته أن يهيئ للحكومة دخلا مطرداً (١) .

وقد جرت فى آذار سنة ١٩٢٤ — حول مسألة الدستور — مناظرات عنيفة فى المجلس ترددت أصداؤها فى الشارع ، وكان رضاخان قد التزم جانب الحذر عند ما انتشرت الدعوة إلى إعلان الجمهورية ووقوف رجال الدين بوجهها ، وقد أصدر بياناً إلى شعبه — لم يلق أذناً صاغية — جاء فيه : « نظراً إلى أن فكرة قلب صورة الحكم فى الوقت الحاضر قد أقلقت الأمة ، الأمر الذى يحول دون إكمال المشاريع العمرانية ويؤدى بالبلاد حتما إلى الدمار ويفسح المجال لدخول الأجانب فيها ، لذا أنصح مواطنى الكرام بالكف عن هذه الفكرة فى الوقت الحاضر راجياً منهم أن يوجهوا العناية لخدمة المملكة ، ويعاضدونى على إكمال النواقص الجوهرية فيها »(٢). وأعلن بعد ذلك استقالته ، وكان نتيجتها أن هدد قواده بالزحف على طهران ، وفى الحال وجد المجلس نفسه مضطراً إلى إعلان ثقته به . فتقلد زمام الحكم من جديد ، واعتلج فى ذهنه فكرة بعث الإمبراطورية الفارسية فى كل أرض وطئتها جيوش فارس . فراحت عربستان ضحية الأفكار القومية المتطرفة ، وهو الذى فطن أكثر من غيره من مواطنيه إلى الفرق الشاسع بين ماضى فارس المجيد وحاضرها المنهار ، فصمم أن يوقظها من سباتها ويغذى فيها الشعور بالعزة القومية ، لذا فقد أصر على ضم عربستان إلى فارس ، ويبدو لنا أن دوافعه فى ذلك كثيرة ، فإلى جانب وازعه القومى المتطرف هناك ازدهار المحمرة

(١) Lenczowski : op. cit., p. 234.

(٢) محمد الهاشمى — المصدر السابق : ٨٢ — ٨٣ .

وثروتها النفطية التى عبر عنها بقوله : « إن معادن نفط الجنوب استولى عليها الأجانب ، وحرموا الفرس الانتفاع به فى المستقبل »(١) ، إضافة إلى أن ضم عربستان إليه يهيئ له المجال للمطالبة بمزيد من المكاسب الإقليمية . فنجده بعد حين يطالب بشط العرب لما له من قيمة اقتصادية واستراتيجية خطيرة(٢) . كما أن ضم المنطقة إليه معناه تهديد النفوذ البريطانى المسيطر على معظم اقتصاديات فارس فى أعظم معقل له ، ليستطيع بالتالى أن يملى عليه شروطه(٣) .

ولا ننسى شخصية الشيخ خزعل التى انضوت تحت سلطتها قوة العرب فى المنطقة ، تلك القوة التى تمثل تيار القومية العربية التى تعاديها القومية الفارسية — منذ ازدهار الدولة العربية فى الإسلام — ، لاسيما أن الشيخ خزعل قد بدأ شأنه فى الصعود بعد ترشيحه لعرش العراق ، ودخوله فى معاهدات مع بريطانيا ، فتبوأ بذلك مكانة مرموقة فى العلاقات الدولية فى المنطقة .

وهكذا نلاحظه يدون فى مذكراته : « لقد فكرت كثيراً قبل إقدامى على اقتحام أكبر معقل يفصل بين فارس والعراق ، ووضعت أمام ناظرى ما يقوم به الأجانب من عرقلة أعمالى . ولكنى وجدت أنه من الضرورى القضاء على أمير عربستان الذى مضت عليه أعوام طويلة دون أن يدفع أية ضريبة للدولة ، والذى كان يعيش كأمير مستقل داخل حدوده ويساند الأجانب مساندة تامة فى أعماله ، وليس لحكومة طهران أى سلطان عليه ، غير أنه يرسل أحياناً بعض الهدايا إلى

(١) مذكرات رضا شاه : ٤١ — ٤٢ .

(٢) لقد حصل على جانب منه بعدئذ عام ١٩٣٧ مستغلا ضعف الحكم فى العراق فى إثر انقلاب بكر صدقى .
راجع التفاصيل ونصوص الاتفاقية فى: الحسنى — تاريخ الوزارات العراقية — ج ٤: ٣١٤ — ٣٣٠ .

(٣) عندما لم تستجب شركة النفط الانكليزية الفارسية لمطالبه ألغى امتياز دارسى سنة ١٩٣٢ ليحل بدله اتفاق جديد حصلت فيه فارس على مكاسب أكثر . راجع : إبراهيم شريف — الشرق الأوسط : ١٤٣ .

شاه فارس شخصياً »(١) .

فبدأ بدعوته إلى أداء الضرائب المتأخرة، وأصدر أمره إلى موظفى المالية للقيام بإحصاء الأملاك الأميرية وتسجيل الواردات(٢)، وقد انتدب ماك كورماك «D. W. Mac Cormaok» رئيس تحصيلات المالية الداخلية العام للقيام بتلك الإجراءات ، فقدم إلى الأحواز للنظر فى ذلك ، وأجرى مفاوضاته فى الحال مع الشيخ خزعل ، وتوصل معه إلى تصفية الحساب الذى ادعته حكومة طهران عليه طيلة سنوات حكمه التى كان لايدفع فيها لخزينة طهران شيئاً ، فحسمت الديون التى قدرت بمبلغ «خمسمائة ألف تومان ،دفع الشيخ خزعل منها مائة ألف تومان والباقى يسدد بعشرين قسطاً سنوياً ،كل قسط عشرون ألف تومان يدفع فى أول برج القوس من بداية سنة ١٣٠٣ بوساطة المصرف الشاهنشاهى فى المحمرة »(٣).

أما جباية الواردات بعد سنة ١٩٢٢ (١٣٠٢) ، فقد حددتها الاتفاقية التالية : « يدفع الشيخ خزعل فى بداية كل عام شمسى — منذ عام ١٣٠٣ — مبلغ مائة وخمسين ألف تومان بأربعة أقساط سنوية متساوية . . وذلك عن جميع الأملاك التى يملكها بموجب الفرامين التى بيده » . وقد أخذ منه استحصال الماليات غير الثابتة فى كل من المحمرة وعبادان ، أما فى الأحواز فقد عهد إليه أن يقوم باستحصالها نيابة عن الحكومة الفارسية . وقد اتفق أن يحسم من المبلغ الذى فرض عليه مبلغ عشرين ألف تومان كمصروفات لديوانه الرسمى ولحرسه الخاص ، على أن لاتحسم أية زيادة أخرى . كما نص الاتفاق على أن يدفع الشيخ خزعل إضافة سنوية قدرها ألف تومان ما دامت هذه الاتفاقية سارية المفعول(٤).

(١) مذكرات رضا شاه : ٣٨ .
(٢) أحمد كسروى — تاريخ بانصد سالة خوزستان : ٢٥٧ — ٢٥٨ .
(٣) راجع نص الاتفاقية الكامل فى (الملحق الثانى والثلاثين)
(٤) راجع نص الاتفاقية الكامل فى (الملحق الثانى والثلاثين)

وبعد حسم الخلاف والتوصل إلى هذه الاتفاقية أبرق ماك كورماك إلى طهران يبلغهم بنصوصها »(١)، كما أن الشيخ خزعل كتب إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح يعلمه بأنه: « أثناء هذه المدة كنا للغاية مشغولين بواسطة مجىء مستشار المالية لطرفنا لأجل تصفية مسائل المالية التى فى حوزتنا »(٢).

ونلاحظ أن الشيخ خزعل قد اتفق أول الأمر مع الحكومة الفارسية بشأن القضايا المتعلقة بالضرائب ظناً منه بأن الذى يرمى إليه رضاخان فى دعوته هو الحصول على الأموال فقط ، ولكن الإجراءات التى اتخذت مع الأقاليم المجاورة لإمارته أثارت فيه المخاوف ودفعته إلى عدم الاعتراف بتلك الإجراءات(٣). لذلك اعترض على تلك التدابير واعتبرها تدخلا فى شئونه الداخلية ، ومناقضة للفرمان الشاهنشاهى الذى منح لأبيه سنة ١٨٥٧ ، وسندات الطابو الخاقانية التى منحها الشاه له بملكيته الولاية كاملة ملكاً صرفاً(٤).

ولما شعر أن رضاخان مصمم على مناهضة حكمه ، أخذ يعد العدة للوقوف بوجه ذلك الخطر الداهم . ولما لم يجد أملا فى الحصول على مساندة الملك فيصل الأول له، وتلكؤ الشيخ أحمد الجابر فى الاستجابة لطلبه بمده بالسلاح ، اضطر أن يولى وجهه شطر القبائل العربية المجاورة لإمارته — وقد حرم من السند العربى — فاتصل بيوسف خان زعيم البختيارية ، وغلام رضاخان والى بشتكوه ، وأمير مجاهد خان لرستان وغيرهم ، ليشكل معهم اتحاد حلف السعادة لمناهضة تعديات رضاخان المحتملة للمنطقة ، وانتخب الشيخ خزعل رئيساً لذلك الحلف الذى جعل مركزه فى عربستان، وقد استطاع المتحالفون أن يحصلوا على شرعية حزبهم من الشاه وهو فى باريس(٥). إلا أن ذلك قد زاد رضا خان تصميماً لاختراقه المقاومة

(١) راجع نص البرقية الكامل فى (الملحق الثانى والثلاثين)
(٢) ملحق خطى من الشيخ خزعل إلى الشيخ أحمد الجابر ، مصدر الشيخ حسين الشيخ خزعل .
(٣) Bullard : op. cit., p. 164. (٤) مذكرات رضا شاه : ١٤١ .
(٥) المصدر السابق : ٣٨ — ٤١ .

الجديدة والنفاذ إلى عربستان التى وصفها بأنها: « معقل الأشرار ومنبع الخطر على جميع فارس »[1]. والذى أخرج رضاخان عن صوابه ورود برقية من الشيخ خزعل بوساطة السفارة التركية فى طهران إلى رياسة المجلس تصف رضاخان بكونه « عدو الإسلام ومغتصب الحكم فى فارس ، ومتجاوزاً على حقوق الأمة »[2]. كما أنه تعرض لحملات صحفية شائنة فى العراق ومصر أخذت تنادى باستقلال عربستان وتطالب بانفصالها عن فارس . وكان صداها عظيماً آنذاك فى المنطقة ، وهى — فى سبيل التأثير على معنويات رضاخان ، وتهويل الأمور عليه وتعقيدها ، للكف عن مطالبته بعربستان — كانت تنشر أخباراً مفادها تعاون الشيخ خزعل وأحمد شاه — وهو فى منفاه — للقضاء على حركة رضاخان ، فقد كتبت جريدة العراق البغدادية[3] مانصه : « علمنا مؤخراً أن عظمة الشيخ خزعل عرض على جلالة شاه إيران ، الشاه أحمد قاجار ، المقيم إجبارياً فى أوربا ، بأنه على أتم الاستعداد لمعونة جلالته مالياً للسعى إلى العودة إلى الوطن ، وأنه سيضع كل ما يملك تحت تصرف جلالته لهذا الغرض » . أما جريدة الأوقات البصرية[4] فقد نشرت مانصه: « وصل إلى البصرة فى ٣ تشرين أول الجارى حضرة صاحب السمو الملكى الأمير سالار الدولة عم جلالة شاه إيران ، وقد ترك البصرة فوراً إلى الأحواز لمقابلة عظمة الشيخ خزعل للمذاكرة معه بخصوص عودة الشاه أحمد قاجار من أوربا ». هذا، وقد أشيع أن الشاه و اشيته سيعودون من أوربا إلى البصرة والدخول إلى فارس عن طريق عربستان .

فأمام ذلك كله زحف رضاخان بقواته العسكرية من طهران نحو المنطقة

(١) المصدر السابق : ٤١.
(٢) انظر نص البرقية فى (الملحق الثالث والثلاثين)
(٣) العدد ١٣٢٤ (١٤ صفر سنة ١٣٤٣) ١٩٢٤.
(٤) العدد ٢٣٥ (٦ تشرين الأول ١٩٢٤) .

عن طريق أصفهان — شيراز ، ومن هناك بذلت بريطانيا مساعيها لإيقاف رئيس الوزراء عما صمم عليه ، وأوعزت إلى قنصلها فى شيراز لمقابلته وإبلاغه رسمياً بأن الشيخ خزعل تحت الحماية البريطانية ولايمكن التعرض له ، ومما ذكره القنصل البريطانى له : « إن لبريطانيا — علاوة على الموقع السياسى والاستراتيجى — موقعاً خاصاً ذا أهمية كبرى بالنسبة للشعب البريطانى والإمبراطورية البريطانية بسبب أنابيب النفط ولايخفاكم أن هذه الأنابيب ممتدة على طول نهر كارون ومن المحتمل جداً أن تقع الأضرار المادية الكبرى على هذه الأنابيب بسبب حركات الجيوش والصدام الذى سوف يقع بينكم وبين الشيخ خزعل وعشائر الجنوب ، ولهذا فإن أى ضرر يقع على الأنابيب فى المستقبل تكون الدولة الفارسية مسئولة عن نتائجه ، وعلى الأخص تكونون أنتم شخصيا مسئولين عن ذلك وسنكون مضطرين شديد الاضطرار إلى المباشرة حالا فى الدفاع عن مصالحنا ومصالح شركة النفط »[1].

إلا أن كل المحاولات البريطانية باءت بالفشل ولم تثن رضاخان عما صمم عليه ، وقبل أن يتحرك من بوشهر — التى وصلها من شيراز — وصلت برقية إلى مقر قيادته من السير برسى لورين الوزير المفوض البريطانى فى طهران جاء فيها : « إنى علمت عند رجوعى إلى فارس — من بغداد — أن الوضع قد تغير كثيراً وإذا دام على ما هو عليه فتكون النتائج مجهولة ، لأن تقدم فخامة رئيس الوزراء بجيوشه هو خلاف لتعهدات فخامته السابقة ، وأن تقدم القوات النظامية فى خط بهبهان وزيدون وميناء ديلم ، هذه الأماكن التى تعهد فخامته بعدم تجاوزها أوخرقها حالياً قد تسبب مشكلة كبرى ، وإن كان قصد فخامته القيام بعمليات سلمية ومناورات شكلية . ولكن مما يؤسف له أن وقع صدام عنيف بين الجيوش النظامية وجماعات من العرب لاسيما فى (لويرة) و(جيرى) ، وكان

(١) مذكرات رضا شاه : ٨٣ .

يساعد الجيش النظامى عشائر (إيلجارى) وقد نهبوا القرى العربية واعتدوا على الآمنين ، كما هاجموا العشائر البختيارية ، وحدثت خسائر عظيمة فى الأرواح بين الطرفين . وبما أن الأماكن المذكورة تبعد عن (آيلش) أربعة فراسخ (اثنى عشر ميلا) فى الطرف الغربى من الخط المذكور ، فليس من المعقول اتهام العرب والبختيارية بالمهاجمة والتجاوز — وأعتقد أن هذه الأعمال حدثت دون علم من فخامة القائد العام أو مستشاريه — ولهذا أرجو من صميم قلبى من فخامة الرئيس أن يصدر أوامره المشددة الأكيدة إلى قواته والأمراء المحليين أن يرابطوا فى خطى بهبهان والديلم ، وفى أى وقت تجتاز القوات هذين الخطين وتتقدم أكثر من ذلك فإن العواقب مع الأسف ستكون وخيمة جداً ، لاسيما إذا وقعت مصادمات دموية ، ولاشك عندئذ فى حدوث نزاع شديد ومؤسف وإنى أنتهز هذه الفرصة لتقديم احتراماتى »[1]. كما أنه تسلم وهو فى بوشهر بوساطة وزارة الخارجية مذكرتين[2] من سفارة بريطانيا فى طهران بهذا المعنى وقد تضمنتا توسط حكومة صاحب الجلالة فى الأمر دون الحاجة إلى إراقة الدماء التى ربما أثرت على أرواح الرعايا البريطانيين فى المنطقة ، وتذكره بأن بريطانيا سبق وإن أعطت الشيخ خزعل عام ١٩١٤ وعداً بحمايته من أى هجوم يقع عليه وبناء على هذه التعهدات فإنها مضطرة لحفظ أموال الشيخ وأرواحه وأتباعه وأولاده . وقد كلف المستر تشمبرلين السير برسى لورين السفير فى طهران أن يطلب من القنصل البريطانى فى بوشهر والقنصل البريطانى فى شيراز أن يبلغا رئيس الوزراء رسمياً هذه التعليمات .

ولكن رضاخان رفض المذكرتين ، وطلب من وزير خارجيته إعلام بريطانيا بوجوب سحبهما على الفور باعتبارهما مخالفة لحق السيادة والاستقلال وتدخلا

(١) مذكرات رضا شاه : ١٠٣ — ١٠٤ .

(٢) انظر نص المذكرتين فى الملحق (الرابع والثلاثين)

فى شئون فارس الداخلية .

والواقع أن موقف بريطانيا لم يرض كلا من رضاخان والشيخ خزعل معاً ، فيظهر لنا من مذكرات رضاخان أنه كان يلقى اللوم فى إطالة العمليات الحربية على عاتق الممثل البريطانى السير برسى لورين ، الذى استمر يحذره ويلح عليه بعدم التقدم نحو المحمرة[1] ، وقد كتب : « إن عملاء بريطانيا السياسيين يجولون ويصولون فى الجنوب ، ويعملون المستحيلات لإقناعى وحملى على ترك الشيخ وشأنه »[2] ، كما يذكر : « كنت على علم تام بحركات الممثلين البريطانيين فى إيران ، إذ كان جل قصدهم وهدفهم الحقيقى منعى من الوصول إلى عربستان بأية وسيلة كانت ، وكانوا يضعون العراقيل فى طريقى ويهيئون الشباك ، وهم الذين أشاعوا بين الناس أننى سأجتمع بهم فى بوشهر وأنهى معهم قضية عربستان بالطرق الودية بوساطتهم »[3] .

أما بالنسبة للشيخ خزعل فقد كان يطمع من الإنكليز بالإيفاء بتعهداتهم له ، وتقديم المساعدات العسكرية اللازمة ، إلا أن معاونتهم له اقتصرت على العمل السياسى فقط ، ولم تشأ الحكومة البريطانية أن تأخذ على عاتقها علناً الدفاع عن الشيخ خزعل ضد فارس بعد ما أصاب سياستها فى فارس من الإخفاق لئلا تخسر بقية نفوذها ، لاسيما أن لها مع فارس مصالح اقتصادية واسعة النطاق ، كما أنها كانت حذرة جداً من وقوفها بوجه رضاخان ، كى لايؤدى تماديها فى مضايقته إلى الارتماء فى أحضان السوفييت فى وقت لم تظهر فيه هويته الحقيقية بعد ، وخاصة أن السوفييت أظهروا له من نكران الذات والتسامح — فى عقد معاهدة ١٩٢١ — ما قوى نفوذهم فى البلاد ، وقلص نفوذ الإنكليز[4] ، ولذلك كان

(١) مذكرات رضا شاه : ٦٦ — ٧٨ .

(٢) المصدر السابق : ٧٤ .

(٣) المصدر السابق : ٩٣ .

(٤) عبد الفتاح إبراهيم — على طريق الهند : ١٤٥ .

هم بريطانيا الوحيد رتق الفتق الذى أحدثه رضاخان وعرض وساطتها لحل المعضلة بالطرق السلمية .

إلا أن رضاخان تقدم بجيشه نحو بهبهان — من مدن جنوب عربستان — وجرت هناك مناوشات بين جنوده وعرب الشيخ خزعل يساعدهم فرسان البختيارية ، كما خرجت جيوش أخرى من خرم أباد لتدخل شمال عربستان ، ومن هناك نشر رضاخان بلاغاً رسمياً[1] لأهالى عربستان وزع بين الأهالى جاء فيه : « إن سبب مجيئ إلى خوزستان ماهو إلا لرؤية جماعة من إخوانى وأولادى سكان هذه المنطقة وأن أوفر لهم الراحة والأمان والاطمئنان ، وأرفع عن كواهلهم الظلم والإرهاق والعبودية التى يفرضها عليكم الشيخ خزعل وجماعته من الغلمان ، وعن قريب سينال هؤلاء الخارجون على النظام جزاءهم وستصادر أملاكهم ، ويلقى عليهم القبض لمحاكمتهم ، كما سيقبض على كل مناصر للشيخ ».

وكان موقف الشيخ خزعل من ذلك أن بث رسله فى جميع أرجاء الإمارة يدعو العرب إلى الجهاد دفاعاً عن عروبة عربستان ، وأعلن الانفصال عن فارس نهائياً . واتجه إلى تشكيل فرق عسكرية هى نواة جيش عربستان ، سميت باسم « شباب حزب السعادة » ، وتمكن من طرد باقرخان قائد حامية تستر[2] ، وقام بسفرات متوالية إلى أطراف القبائل ووسطها إياهم للثورة بوجه رضا خان الذى ينوى طرد العرب من أراضيهم وإحلال الفرس بدلهم وسلب ثروة الإمارة ومصادرة أموال العرب ، وقد كتب إلى الشيخ أحمد الجابر أمير الكويت بهذا الشأن مانصه : « إن أهالى عربستان كافة .. كلهم متفقون على القول والعمل ، وجميعهم متعاهدون ومتحالفون بالقرآن المجيد أن يدافعوا عن حقوقهم إلى آخر نقطة من حياتهم ، ولو أنهم ما لهم قدرة على المقاومة مع الدولة العليا لكنهم حاضرون ومستعدون أن

(١) راجع نص البلاغ فى الملحق (الخامس والثلاثين) .

(٢) مجلة صوت الإسلام — العدد ٨ : ١٤ .

يحافظوا على حقوقهم ويدافعوا عن وطنهم . . . والآن جميع الرؤساء عندنا فى الناصرية : من كعب ومحيسن وباويه وإمارة بنى طرف وبنى سالة والشرفاء والحويزة وخوانين وشستر ودزفول وأهل المينا وأنا ياعماك لما شفتهم على هذا الاتفاق انجبرت أن أرافقهم وأساعدهم على مقاصدهم . . ومقصودنا فى الوقت الحاضر أن ترجع الأمور على ما كانت عليه قبل ثلاث سنين وأن يرفعوا العسكر من منطقة عربستان ، وإن شاء الله بسلامتك نحصل على مقاصدنا لأن اتفاق أهالى عربستان هيج الغير أيضاً . . »[1] . كما كتب رسالة ثانية سرية له فى ٢٧ صفر سنة ١٣٤٣ / ١٩٢٤ جاء فيها : « بسلامتك عمك ما عليه عايز من جميع الوجوه لكن يعوز علينا شىء واحد هو السلاح لأن معلوم عند جنابك رفاقتك كثيرون من فضل الله ، والموجود عندنا ما يكفى الحاجة »[2] .

كما أنه أرسل الرسل إلى العلماء الأعلام فى فارس والعراق يوضح لهم نوايا رضاخان فى إذلال العرب ومحوهم من الوجود . وقدم شكوى رفعها عن أكثر من خمسة عشر ألف عربى إلى عصبة الأمم[3] يدعوها للوقوف بوجه رئيس وزراء فارس المعتدى على إمارته ، كما عمل على الاتصال بالعناصر المعادية لسياسة رضاخان فى طهران للوقوف بوجه تعدياته ، وقدم طلباً إلى بريطانيا يدعوها إلى الإيفاء بتعهداتها له ، وإبلاغها — عن طريق الممثلين السياسيين — بنوايا رضاخان ، وطلب أن تؤمن له :

١ — جلاء آخر جندى فارسى من عربستان ، لأن بقاء الجنود فى هذه البلاد يساعد على الثورات والاضطرابات .

٢ — يجب تأييد جميع الفرمانات التى أحملها رسمياً دون نكوص فيما بعد .

٣ — إبقاء الواردات التى كنت أتقاضاها كما هى فى السابق وبنفس

(١) راجع النص فى الملحق السادس والثلاثين .

(٢) انظر نص الرسالة فى الملحق العاشر .

(٣) مذكرات رضاشاه : ١٤٧ .

المقدار على أن يعتبر الاتفاق الذى كنت قد عقدته مع المستر (مكرمك) لاغياً، لأن الحكومة الفارسية أهملت تعهداتها .

٤ ـ يجب أن يؤمن حلفائى وأصدقائى ، وأن يصدر بحقهم جميعاً عفو عام شامل ، وإنى سأجاهد ما استطعت لحفظ أنا بيب النفط ، ولكن لا يغرب عن بالكم أن فارس ـ عدوتى ـ سوف تجتهد لإيقاع الضرر بالأنابيب جهد استطاعتها لإيجاد التنافر بينى وبين الإنكليز ، وإنى سأتخذ أشد التدابير التدميرية بحق من تحدثه نفسه بإيقاع الضرر بالأنابيب ، وعساى أوفق لذلك ، كما أرجو أن تتنبه بريطانيا لمكايد الأعداء نحو أنابيب النفط .

وإنى أكرر من جديد تعهدى لحفظ مصالح بريطانيا ، وإن خدماتى غير مخفية ولا مستورة وإنى أنتظر عدالة بريطانيا ومساعدتها لى لإنجاز تعهداتى على الوجه الأكمل . وقد كانت عربستان آمنة مطمئنة طوال هذه السنين وهذه حقيقة يعترف بها الجميع ، وإن الحكومة الإيرانية تميل لبث الشقاق فى هذه الجهة والإخلال بأمن هذه الإمارة المسالمة .

وإنى أكرر التماسى من الدولة البريطانية لتقوم بتنفيذ قرارها وتطبيق تأكيداتها ومواعيدها لى ، وأن تحافظ على معاهداتها معى ، للمحافظة على أملاكى وصيانتها[1] ولقد قام السير أرنولد ولسن صديق الشيخ خزعل الحميم ـ وكان قد عينه وكيلا عاماً على أملاكه وأمواله ـ بنشاط سياسى واسع النطاق ، فى سبيل المحافظة على مركز الشيخ خزعل وعدم تعرض رضاخان له بسوء ، وقد بذل جهوداً دبلوماسية مضنية بين لندن وطهران والمحمرة لحل المعضلة ، وقدم الكثير للشيخ خزعل وإلى ذلك يشير رضا شاه فى مذكراته[2] : « قام المستر ولسن رئيس شركة النفط فى عبادان بأعمال سياسية على حين أن أعماله فى

(١) انظر نص الرسالة فى الملحق (السابع والثلاثين) .

(٢) مذكرات رضا شاه : ٥٩ .

الظاهر تجارية فقط ، وأخذ يلعب بأمور خطرة ، وهو الآن بمثابة المستشار للشيخ خزعل ، وهو الذى يضع له الخطط ، وأخيراً سافر إلى لندن لحمل الجهات العليا هناك على تأييد سياسته الرامية إلى فصل عربستان عن فارس وجعلها إمارة مستقلة يحكمها الشيخ خزعل كما هى الحال فى الكويت والبحرين » .

وقد طلب السير أرنولد ولسن من الشيخ خزعل بوساطة معتمده محمد أحمد خان بهادر ما نصه : « نظراً إلى الوضعية فى جزيرة العرب والعراق التى تجعل من المحال أن يحصل الشيخ على أية مساعدة فعلية من أمراء العرب فى سائر البلاد ، إنى أظن من المناسب أن الشيخ يقبل نصيحة الكابتن بيل ـ القنصل البريطانى فى عربستان والمقيم فى الأحواز ـ ويحصل على مساعدة الدولة الإنكليزية فى إعادة الأحوال على ما كانت عليه فى سنة ١٩٢٣ ، أعنى أن تجرى المقاولة المعمولة مع ماك كرماك بخصوص الرسوم »[1] .

لذلك فإن الشيخ خزعل وجد أن من المستحسن عدم مقاومة جيش نظامى مدرب بأسلحة حديثة بعشائر غير نظامية ، برغم أنه ربح عدة معارك[2]. فلما أوفد رضاخان ـ وهو على حدود الإمارة ـ رسولاً يدعو الشيخ خزعل للحضور إلى مركز قيادته ، اعتذر الشيخ بأن صحته وشيخوخته لاتسمحان له بالقدوم ، وذهب نجله الشيخ عبد الكريم ليتفاهم معه فى أمر الإمارة ، وليرافقه عند دخوله حاضرة البلاد[3]. وقد أرسل الشيخ خزعل لرضاخان رسالة مطولة شرح فيها الأسباب التى دعته إلى الثورة ، ملقياً اللوم فيما قام به على المحرضين والمشاغبين ،

(١) نص من محتويات رسالة أرسلها معتمد الشيخ خزعل محمد أحمد خان بهادر إلى الشيخ خزعل . انظر النص فى : الملحق الثامن والثلاثين . ومن المعروف أن الشيخ خزعل منع الموظفين الماليين الذين أرسلوا لضبط الموارد فى عربستان وصار يضايقهم ويضغط عليهم .

(٢) محمد الهاشمى ـ الأبطال الثلاثة : ٨١ .

(٣) سليمان فيضى ـ فى غمرة النضال : ٢٩٨ .

ويتعهد بخضوعه مقابل تركه حاكماً على إمارة عربستان من قبل الحكومة الفارسية[١]، ولكن رضاخان الذى قال عند خروجه من طهران : « إننى ذاهب للقضاء على الشيخ خزعل فإن توفقت وإلا فسأوارى جسدى فى مقابر المحمرة ولا أرجع إلى طهران بالفشل »[٢]، أى إلا أن يدخل إمارة المحمرة فاتحاً ، فظل يزحف بجيوشه ، يحتل القرية بعد الأخرى .

أما التحالف الذى عقده زعماء المنطقة ، فقد تفكك بعد علمهم أن الشيخ خزعل يسعى لإقامة إمارة عربية مستقلة ، وكان لأعوان رضاخان أثر كبير فى تفككه ، بعد أن أشاعوا الهلع فى نفوس العجم من العرب . وأمام ذلك لم يجد الشيخ خزعل بداً من التسليم ، ولم يبد أية مقاومة تذكر[٣]. فدخل رضاخان الأحواز (الناصرية) الحاضرة الثانية لعربستان ، واتخذ من قصر الشيخ خزعل فيها مقراً لقيادته . ومكث يومين قابل فى اليوم الأول الشيخ خزعل ، الذى أظهر له رضاخان اعتزازه بصداقته وحرصه على سلامته وحفظه لمنصبه ومقامه[٤]، ومقابل ذلك أهداه الشيخ خزعل مبلغاً كبيراً من الباونات . ولكن العرب فى المنطقة — الذين كانوا فى حماس شديد فى سبيل نيل الاستقلال التام — ثاروا على موقف الشيخ خزعل الذى أظهر فيه من الخنوع والخضوع الشىء الكثير ، وتجردوا عنه « وبذلك انكسرت شوكته وأصبح منبوذاً من بنى جلدته »[٥] .

أما رضاخان فيذكر فى مذكراته : « فى مدة بقائى فى الناصرية طلب القنصل البريطانى مواجهتى . . فأخبرنى فى سياق حديثه معنى أن السير برسى لورين الوزير المفوض وصل إلى الناصرية — بطريق الجو — وأنه سيكون فى محلى للتشرف برؤيتى . وبعد خروج قنصل بريطانيا دخل علىّ قنصل

(١) محمد الهاشمى — الأبطال الثلاثة : ٨١ .
(٢) المصدر السابق : ٨٠ .
(٣) سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٨ .
(٤) المصدر السابق : ٢٩٨ .
(٥) صوت الإسلام — العدد ١٠ — ١٧ .

روسيا مهنئاً ، وأظهر لى سروره وفرحه »[١]. والواقع أن السوفييت كانوا يؤيدون رضاخان فى حركته ، وذلك لأن القضاء على الشيخ خزعل معناه القضاء على النفوذ البريطانى فى المنطقة ، وهذا ما يعمل من أجله السوفييت . وقد اعتبروا دخول الجيش الفارسى إلى عربستان انكساراً وهزيمة للدبلوماسية الإنكليزية ، كما أن السوفييت يعتقدون بأن أى خلاف بين فارس والإنكليز يكون سبباً لتقارب فارس مع السوفييت . أما الإنكليز فقد تخلوا عن تعهداتهم السابقة للشيخ خزعل[٢]، عندما وجدوا أن رضاخان ماض بجد وحزم فى تحقيق غايته . وقد استهدفت بريطانيا تجنب وقوع أى اشتباك مسلح بين الشيخ خزعل ورضاخان فتحقق لها ما أرادت .

وقد توجه رضاخان بعدئذ إلى المحمرة ، واستقبله الشيخ خزعل فى قصر الفيلية ، ثم طاف فى معظم أرجاء الإمارة ، وقبل أن يغادر عربستان أمر بتشكيل حكومة عسكرية برياسة أمير اللواء فضل الله خان زاهدى ، على اعتبار أن المنطقة قد احتلت احتلالا عسكرياً مؤقتاً لأغراض وطنية[٣]ووضعت تحت إمرته ثلة من القوات العسكرية لتمشية أعماله . وقد أعلنت الأحكام العرفية فى جميع أنحاء عربستان ، وشكلت محكمة خاصة باسم « محكمة الصحراء » من العسكريين لتستجوب المتهم وتنفذ الحكم فى الحال[٤]. وبعد ذلك غادر رضاخان عربستان متوجهاً إلى العراق فى زيارة خاصة للعتبات المقدسة[٥]، بعد أن طلب من جميع موظفيه — الذين حلوا فى عربستان — احترام الشيخ خزعل[٦].

(١) مذكرات رضا شاه : ١٩٠ — ١٩١ .
(٢) بروكلمان — تاريخ الشعوب الإسلامية — ج ٥ : ١٣٦، الساداتى — رضا شاه — ٩٥.
(٣) سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٨ .
(٤) صوت الإسلام — العدد ١١ : ١٧ ، وقد أعدمت بعض العرب الذين اتهمتهم بقطاع الطرق والسراق .
(٥) بروكلمان — المصدر السابق : ١٣٦ .
(٦) راجع النص فى الملحق (التاسع والثلاثين) .

أما الشيخ خزعل ، فإن المكانة المرموقة التى تمتع بها أيام حكمه لابد أن تتضاءل بعد ذلك الاحتلال وتتقلص سلطته ، ولكنه برغم ذلك يبدو أن الأمل ما زال يراوده فى استعادة مكانته ، وقد ظن أن المهمة التى جاء من أجلها رضاخان قد انتهت إلى هذا الحد ، وما زال يعلق آمالاً على حلفائه الإنكليز ، فقد كتب إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح يطمئنه بقوله : « إن الأمور — من فضل الله ومساعى رجال الدولة المعظمة البريطانية ومساعدتهم — ختمت على حسب الإرادة فى جميع الوجوه " أما " عن وجود أنفار من القوزاق فى المحمرة لاتصيروا بفكر لأنهم أربعون نفراً فقط وهم : عشرون نفراً يستقيمون فى المحمرة ، وعشرون فى عبادان ، وبقاؤهم مؤقت »[1] .

وقد اتبع الجنرال زاهدى — الحاكم العسكرى فى المنطقة — أساليب دبلوماسية موفقة انطلت على الشيخ خزعل ، وجعلته يثق به . وقد كتب للشيخ : «تلقيت رسالتكم الكريمة التى أظهرتم فيها إخلاصكم لصاحب الفخامة رضاخان ، وعطفكم على ، فأقدم لكم خالص شكرى ، وأرجو أن تعلموا بأنى سوف لن أتوانى عن القيام بإنجاز أشغالكم ، وقد كتبت إلى طهران عن إخلاصكم ، وأنا مطمئن بأن الأمور ستسوى عما قريب »[2] ، ويبدو أنه كان يشير إلى ماينوى التخطيط له لإزاحة الشيخ خزعل من على خشبة المسرح العربى فى عربستان . وكأن الشيخ خزعل أوجس فى نفسه خيفة من الجنرال زاهدى فمكث مقيما فى قصوره فى الفيلية لا يتركها إلا نادراً للذهاب إلى البصرة ، إذصمم على سكناها وعزم على شراء إحدى مقاطعاتها فى (كرمة على) لينتقل وأتباعه من المحيسن إليها ، ولكن حكومة فيصل الأول أبت عليه ابتياع الأرض « لرعويته الفارسية»[3] ، وقد بذل الجنرال زاهدى جهوداً مضنية لإقناع الشيخ خزعل بالسفر إلى طهران ، ولكن دون جدوى .

---

(١) انظر الرسالة فى : (الملحق الأربعين) .

(٢) نص الرسالة الخطى باللغة الفارسية محفوظ لدى الشيخ أحمد الخزعلى .

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل — تاريخ عربستان (مخطوط) .

وبينما كان الشيخ خزعل فى البصرة — فى قصر الرباط — أعلن الجنرال زاهدى تلقيه الأوامر الانسحاب من المنطقة ، وقد غادر الأحواز إلى المحمرة ، وطلب من الحاج رئيس التجار أن يبلغ الشيخ خزعل هذا النبأ ، فعاد الشيخ إلى المحمرة بيخته الخزعلى الخاص ليقابل المعتمد السياسى البريطانى فى الأحواز ، للوقوف على صحة ما أدلى به زاهدى ، وقد أكد المعتمد البريطانى له صحة النبأ ، وعندئذ طلب الجنرال زاهدى إقامة حفلة ساهرة لوداعه ، فلبى الشيخ خزعل الطلب ، وأوعز إلى ابنه عبد الحميد بالحضور من البصرة ليهيئ لتلك الحفلة كل ما لذ وطاب والتى أعدها حفلة النصر ، فأقامها فى يخته الخاص (I.V.) الراسى فى شط العرب مقابل قصر الفيلية ، لكى لا يشيع خبرها ، ولم يدع لها سوى أبنائه : عبد الحميد وعبد الله وعبد المجيد[1] وأحد أقاربه موسى الشيخ يوسف وسكرتيره الخاص عبد الصمد ، وذلك احتراماً لقدسية ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان — التى أقيمت فيها الحفلة — أمام الأهالى . وبعد غروب الشمس قدم الشيخ خزعل يحرسه نفران من غلمانه : يوسف العلى الزبيدى[2] ، وعبده ناقوط . وبعد أن عرضت بعض الرقصات واستمعوا إلى جانب من الغناء — وقد أرخى الليل سدوله — صعدت ثلة من الجيش إلى الباخرة ، فقطعت على الشيخ خزعل نشوته ، وتقدم إليه أحد الضباط الفرس المسلحين — المدعو مصطفى خان — ليلقى القبض عليه[3] ، وعلى ابنه عبد الحميد اللذين سيقا من الفيلية إلى المحمرة ، ومنها إلى الأحواز فى نفس الليلة . وفى اليوم التالى أرسلا إلى طهران على البغال . ولم يتعرض الجند لغيرهما بسوء وبذلك طوح بحكمه ، وزالت إمارة

---

(١) لقد أجرينا مقابلة شخصية معه ، وهو يقيم الآن فى البصرة .

(٢) لقد أجرينا مقابلة شخصية معه ، وهو يقيم الآن فى البصرة .

(٣) ومما هو جدير بالملاحظة أن معظم الذين أشاروا إلى إلقاء القبض على الشيخ خزعل أطلقوا لخيالهم العنان فجاءت رواياتهم متضاربة — وأكثرها من نسج الخيال — . راجع على سبيل المثال : =

آل مرداو من عربستان فى ٢٠ نيسان (أبريل) سنة ١٩٢٥[1] . والغريب أنه لم يحدث أى رد فعل من قبل العشائر فى المنطقة ، ذلك لأن الجيش الفارسى كان يسيطر على زمام الأمور فى الإمارة ، إضافة إلى العزلة التى كان يعيشها أبناء الإمارة عن شيخهم .

وكان موقف إنكلترا من ذلك الحدث قد عبر عنه اللورد بلفور بمجلس اللوردات فى ١٩ مارس سنة ١٩٢٥ : « إن الشيخ خزعل لم تعتبره إنكلترا يوماً ما حاكماً مستقلا ، بل كان فى نظرها — على الدوام — خاضعاً للسيادة الفارسية »[2] .

أما رضاخان ، فبعد أن تم له ما أراد عمل على تحويل السلطة التنفيذية لنفسه ، فأصدر المجلس فى تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٢٥ قراراً يقضى بخلع الشاه أحمد المقيم فى باريس — والذى كان يحلم بالعودة إلى بلاده — وتسليم الأمور إلى رئيس الوزراء ريثما تقوم جمعية وطنية جديدة بوضع دستور جديد للبلاد وأخرج ولى العهد إلى بغداد ، واجتمعت الجمعية الجديدة فى كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٥ وناقشت الدستور طوال ستة أسابيع ، فاصطفى رضاشاه بهلوى عاهلا ووراثيًّا على إيران .. وفى نيسان (أبريل) سنة ١٩٢٦ ارتقى

= محسن الأمين — أعيان الشيعة — ج ٢٩ : ٢٣٢ — ٢٣٣ ، سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٨ — ٢٩٩ .
محمد لطفى جمعة — حياة الشرق : ١١٣ .
خليل القميمى — الكفاح العربى فى عربستان : ٩٧ — ١٠٣ ، وفيه من المفارقات التاريخية الشىء الكثير رشيدات — عربستان : ٥ ، يذكر ما نصه : « بعد هذه العملية العسكرية الخاطفة أعلنت إيران عن انتهاء المقاومة وأسر الشيخ المتمرد مزعل المحيسن شقيق الأمير الأسير خزعل ونائبه » الزركلى — الأعلام — ج ٢ : ٣٥٠ .

توفى ابنه عبد الحميد سنة ١٩٣٩ ، ويبدو أن قصة إلقاء القبض على الشيخ خزعل تركت فى نفس الجنرال زاهدى أثراً عميقاً فعندما سأله النشاشيبى — بعد ثلاثين سنة — عن قصة تبعث فيه نوعاً من الشعور بالفخر أو الندم أجاب « هناك قصتى مع الشيخ خزعل أمير المحمرة الذى ألقيت القبض عليه انظر : ناصر الدين النشاشيبى — ماذا جرى فى الشرق الأوسط : ٣٤٥ .

(١) العزاوى — تاريخ العراق بين احتلالين — ج ٧ : ٣٩ .
(٢) الساداتى — رضا شاه : ١٠٤ .

رضاشاه العرش ليبدأ فى إيران عهد جديد ، لكن رضاخان الذى كرس نفسه لخدمة إيران[1] وتقدمها قد عاقته لذته المتزايدة فى جمع ثروة شخصية هائلة وعدم رغبته فى التنازل عن شىء من السلطة ، فأصبحت فى يده مبالغ طائلة واستولى على كثير من القرى وامتلاك كثيراً من الأراضى الزراعية والإقطاعيات[2] فى وقت كان يفتخر بأنه قضى على الشيخ خزعل الذى يمثل فى نظره آخر نغمة من نغمات الإقطاع[3] .

أما من الناحية الإدارية فقد استعان بجيشه لإخماد روح التمرد فى البلاد ، وببرلمان فقد روح الاستقلال ومقوماته الأساسية ، فكان ينفذ كل اقتراح يقدمه إليه . وهكذا انعدمت حركة الكلام والصحافة ، وأصبح أعداء الملك الشخصيون يعاقبون عقاباً قاسياً ، وأنشأ إدارة خاصة لتوجيه الرأى العام ، لم تتح أية فرصة لإظهار المصلحين والزعماء الوطنيين[4] .

عوامل نكبة العرب فى عربستان :

يمكننا — ونحن ندرس عوامل نكبة العرب فى عربستان — أن نقسمها إلى قسمين رئيسين : عوامل داخلية ، وأخرى خارجية .

أما العوامل الداخلية ، فتتمثل فى ضعف بنية أبناء الإمارة لما أصابهم من فقر وجهل ومرض ، وانخفاض مستوى المعيشة وانعدام فى الوعى السياسى والاجتماعى ، وعدم الشعور بالمسئولية نتيجة النفوذ الأجنبى من جهة ، والحيف الذى لحقهم من حكم الشيخ خزعل وغلمانه من جهة أخرى .

والواقع أن حكم الشيخ خزعل كان يشبه إلى حد بعيد حكم الشيوخ المحليين

---

(١) لقد غير الشاه رضا بهلوى اسم دولته من فارس إلى إيران .
(٢) Wilber, op. cit., p. 120
(٣) محمد الهاشمى — الأبطال الثلاثة : ٨٠ .
(٤) Wilber, op. cit., p. 120.

فى الجزيرة العربية . وكان لكل منهم أطماعه وخططه فى التعاون مع العثمانيين والإنكليز ، وكانوا — جميعاً — يعتمدون فى بقائهم على مقدراتهم الدبلوماسية من جهة ، وعلى المعونة المادية والمعنوية التى يتلقونها من الخارج من جهة أخرى .

أما أفراد الشعب العربى فى تلك الإمارات ، فكانوا يكدحون ويقاتلون إرضاء لرغبات هؤلاء الأمراء الذين أمعنوا فى إذلالهم ، لذا فإننا لم نلاحظ أن العشائر العربية فى المنطقة قد هبت لنجدة الشيخ عندما اختطفه الجنرال زاهدى إلى طهران ، وكأن الأمر لايعنيهم فى شىء ، ذلك لأن الشيخ خزعل قد اتبع سياسة البطش والقوة مع عرب الإقليم[١] ، مما جعلهم يبتعدون عنه ، ويخافون سطوته ، وينتظرون اليوم الذى يتخلصون فيه منه . ومن أبرز مظاهر تلك العزلة بين الحاكم والمحكوم أن أظهر الشعب فى عربستان — والحرب العالمية قائمة — ميلا نحو الأتراك على حين كان الشيخ وحاشيته ميالين نحو الإنكليز ، مما اضطره إلى أن يتعاون مع الإنكليز فى ضربهم . ومن المؤكد أن جانباً كبيراً من أبنـاء المنطقة قد ارتسمت علائم الارتياح على وجوههم عند احتلال رضاخان أرضهم — برغم عروبتهم الأصيلة — ذلك لأنهم كانوا يبغون الخلاص من الضيم والحرمان ، ورفع قسم منهم ظلاماتها إلى الغازى الجديد لإنقاذهم مما كانوا عليه . وقد عرف رضاخان كيف يستغل ذلك لمصلحته ، فنشر بلاغاً رسمياً جاء فيه : « إن هدفى الوحيد فى تحملى المشاق والمتاعب واجتياز هذه المسافات البعيدة هو الاستجابة لطلب مواطنينا ورعايانا الذين استنجدوا بى لتخليصهم من الظلم والإرهاق والتعديات ، فلبيت النداء بنفسى لأقف على هذه المظالم التى تواجههم فى كل يوم وليلة ، ولأضع حداً لأعمال المتجاوزين .... وإنى مستعد أن آخذ حق كل ضعيف من كل قوى ، وسوف أنظر

---

(١) جبهة تحرير عربستان — إقليم عربستان : ١٧ .

بجميع القضايا المقدمة بنفسى ، ولا أبرح هذه الأرض حتى أعيد الحق إلى نصابه .. »[١].

ومما يؤخذ على الشيخ خزعل ؛ أنه أبدى خضوعاً لامبرر له تجاه رضاخان فى وقت كان قد جمع فيه ممن يحمل السلاح ويحارب مايزيد على أربعين ألفا[٢] ، واكتفى بأن يبث لواعجه للممثلين البريطانيين متذمراً من أساليب الحرب الباردة التى اتبعها رضاخان معه ، فمما ذكره : « أن الموظفين الذين أرسلهم رضاخان إلى هذه الجهة ماجاءوا إلا لإغضابى ، ونهب أموالى وأموال عشائرى ، أفراد هذا الشعب العربى الذى مضت عليه القرون وهو سيد نفسه وليس للشاه عليه إلا السيطرة الاسمية فقط . وإن أعماله وموظفيه كلها تضر بمصالحى ، فى حين أكد لنا هؤلاء الموظفون أنهم أرسلوا لنفع الدولة ولتأمين أموال الناس وأرواحهم ، وفوق ذلك فإن هؤلاء أخذوا يبشرون بين الأعراب بآراء تضر بمصلحة العرب ، وقد سمموا أفكار العشائر نحوى وألبوهم ضدى ، وهذا ما يخالف الواجب الذى أرسلوا لتأديته ، وإن أعمالهم هذه خارجة عن نطاق اختصاصهم ، وها هو ذا يلعب بنا ؛ فيوماً يرسل أحد الحكام إلى عبادان ، وفى اليوم الثانى يشيع بأنه يود إسناد منصب الولاية لفلان على الجهة الفلانية ، ومرة يريد تعيين رئيس بلدية ، وأخرى يريد أن يرسل رئيساً إلى المحمرة . وهكذا لايمر يوم إلا ويتدخل فى أعمالى .

إن الصحف التى وقفت ضدى وكالت لى التهم الشنيعة ووصمتنى بأشياء لاحقيقة لها ، لم تنل عقابها ولم يقدم أحدها إلى المحاكم ، وحتى لم يتنازل لتوقيف المتطاولة منها علىّ ، وكذلك تلك الصحف التى شنعت على فإنها لم تؤدب ، وقد كان ظهيراً لهذه الصحف »[٣].

---

(١) مذكرات رضا شاه : ١٩٤ — ١٩٦ .

(٢) محسن الأمين — معادن الجوهر : ٢٨٧ .

(٣) راجع الملحق (السابع والثلاثين) .

ومن المسئوليات التى تقع على عاتق الشيخ خزعل : أنه إلى جانب تبذيره أموال الإمارة — التى أرهق الشعب بجبايتها — على نزواته الشخصية ، لم يسع مدة حكمه إلى تأسيس جيش نظامى مدرب يكون على استعداد للدفاع عن كيان الإقليم الواقع بين قوى لايطمأن إليها ، وكان جل اعتماده فى حالات الحرب على استنفار العشائر جرياً على عادة العرب القديمة ، وقد كانت العصبية القبلية بين معظمهم على أشدها ، والحروب بين الشيخ خزعل وبينهم مستمرة ، وإن خضعوا فلم يكن خضوعهم ولاء له منهم ، وإنما تجنباً لتنكيله وإرهابه ، وحتى الاتفاق الذى تم بينه وبينهم لمجابهة الخطر الفارسى كانت تشوبه الريبة وعدم الاطمئنان ، فكان الشيخ خزعل يشكو منهم دائماً ، ومما ذكره : « سألونى — وأنا العربى الأصيل — ألا يمكن الاتفاق معهم ومشاركتهم ؟ فأجبتهم . إنى مستعد لبذل آخر نفس فى سبيل منفعة الوطن . وقد اجتمعت جموع القبائل كلها ، وبعد تلاوة القرآن الكريم ، أقسموا الأيمان المغلظة ، وحلفوا بالطلاق ، وصمموا على وقوفهم فى صفنا وعدم مخالفتنا مطلقاً ، ولكن كان ما يبطنون غير ما يظهرون » . ومما زاد فى الطين بلة — إضافة إلى ذلك — أن الأب وبنيه لم يكونوا على اتفاق وصفاء فيما بينهم . وفى تقديرنا أن ذلك التفكك فى الجبهة الداخلية هو من جملة الأسباب التى أقعدت الشيخ خزعل عن الحرب.

ولكن — برغم ذلك كله — لايمكن أن ننسى أن الشيخ خزعل بشخصيته القوية ، وأساليبه الخاصة ومعاهداته التى عقدها ، قد حافظ على عروبة الإمارة ، ولولاه لكانت فارس قد ابتلعتها منذ زمن غير يسير . وعندما احتلت فارس بلاده لم يكن الشيخ خزعل إلا رجلا عجوزاً قد قعدت به السن ، فليس بمقدوره أن يقوم بأكثر ما تسمح به صحته ، « وكان ذنبه أن إمارته قائمة فى مكان استراتيجى فى عالم البترول الذى لايحفظ حقـاً ولاذمة »[1] ، وهكذا احتجز فى أحد قصور طهران ، إذ لاقى خلال سجنه من الحكومة الفارسية

---

(١) جان جاك بيربى — الخليج العربى : ١١١ .

احتراماً وإكراماً ، حتى إن الشاه زاره هناك أكثر من مرة [1]. وقد خلفه فى منصب الإمارة ابنه الشيخ عبد الله ، ومنحه رضاخان رتبة فى الجيش لكسبه إليه ، وقد حدثت فى أثناء حكمه ثورة الغلمان — حراس الشيخ خزعل — كرد فعل لأسر شيخهم ، وذلك بعد مرور أقل من ستة أشهر على أسره ، إلا أن السلطات الإيرانية قضت عليها بشىء من الشدة وحوكم عدد كبير منهم ، وقد غرم نتيجتها الشيخ خزعل مبلغ خمسة ملايين تومان (ما يعادل مليونا ونصف مليون دينار) ، دفعه الشيخ خزعل نقداً وهو فى معتقله[2] ، وبعد ثلاث سنوات نقل الشيخ عبد الله إلى طهران ولم يعين من يخلفه ، سوى أن الشيخ عبد المجيد — ابنه الآخر — أصبح رئيساً لقبيلة المحيسن .

أما الشيخ خزعل فقد توفى فى ٢٦ مارس سنة ١٩٣٦[3] . وقد علق بيربى على وفاته بقوله : «مات الشيخ خزعل فى طهران محاطاً بكل مظاهر الشرف محروماً فى الوقت ذاته من كل حقوقه كأمير مستقل ، أما أراضيه فقد ضمت إلى الإمبراطورية الفارسية ، واضطر الشركة الإنكليزية الفارسية إلى التعامل بعد ذلك مع حكومة طهران »[4] .

أما بالنسبة للعوامل الخارجية ، فقد تظافرت عدة عوامل الإطاحة بالحكم العربى وإزالته ، وأشد هذه العوامل قوة : ظهور رضاخان على المسرح ، ذلك القائد ذو النزعة القومية المتطرفة ، الذى كان ينوى ضم كل جزء وطئته الجيوش الفارسية إلى بلاده ، فراحت عربستان لقمة سائغة لأفكاره هذه .

والواقع أنه كان يحمل نوايا عدوانية ، إذ يمثل تيار قوميته المعادية للقومية العربية[5] ، لذا نلاحظ أنه عمل ما بوسعه لإزالة كل أثر عربى فى

---

(١) سليمان فيضى — فى غمرة النضال : ٢٩٩ . (٢) مجلة صوت الإسلام — العدد ١١ : ١٧
(٣) يقال إن السلطات الإيرانية أرسلت مدير شرطة العاصمة له فخنقه فى فراشه .
(٤) جان جاك بيربى — الخليج العربى : ١١٠ .
(٥) Wilson: South West Persia, p. 136.

المنطقة وفصم كل الروابط التى تربط عربستان بالوطن العربى ، فأمر بإبدال اسم المحمرة إلى خرمشهر[١]، وعربستان إلى خوزستان[٢]، كما أبدل أسماء بعض المدن العربية بأخرى فارسية . وحارب اللغة العربية ، ونقل بعض القبائل العربية ، إلى شمال فارس ، فلم تختلف سياسته عن سياسة التتريك التى مارستها جمعية الاتحاد والترقى تجاه العرب فى أخريات أيام الإمبراطورية العثمانية[٣].

وكان عرب المنطقة فى كل هذا يستغيثون فلا مغيث لهم ، فولوا وجوههم نحو النجف يستصرخون علماء الدين للتدخل فى أمر تلك الإجراءات ، وإلى ذلك تشير جريدة المفيد[٤]: « إن الحالة فى المحمرة قد ساءت بسبب ضغط ولاة الأمور الإيرانيين على السكان العرب للهجرة منها إلى الأراضى العراقية ، وقد اضطر كثير منهم إلى إرسال البرقيات إلى علماء الهيئة الروحانية الإسلامية فى العراق » .

وقد أوردت البرقية التالية من علماء الدين وسادات عربستان[٥] إلى علماء النجف فى العراق[٦] : « إن علماء وسادات عربستان يشكون أحوالهم من ضغط أمراء الدولة الإيرانية الذى كاد يقضى على العرب ، فاضطرهم إلى الهجرة عن

---

(١) رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة (العراق) – ترجمة على البصرى : ٨ .

(٢) جلال يحيى – العالم العربى الحديث : ٢٠١ ، والغريب أنه يذكر أن تلك الإجراءات ظهرت أمام غير المتعمقين وكأنها صراع بين العربية والفارسية ، برغم أنها كفاح بين الوطنيين المتحررين و بين أعوان الاستعمار .

(٣) قلعجى – الخليج العربى : ٦١٢ .

(٤) جريدة المفيد (٣ كانون الأول – ١٩٢٥) ، عرب المحمرة يستغيثون بعلماء النجف من ضغط حكام إيران عليهم لتهجيرهم .

(٥) منهم عبد المحسن الخاقانى وعبد الحميد بن عباس الخاقانى وسعيد بن هاشم وعلوان بن سيد شرف وعبد الله الحاج صلبوخ ومحمد الكنعان ومنصور بن عباس ورسول بن سيد هاشم وجعفر بن سيد جد وجاسم بن حاج ناصر .

(٦) وهم : السيد أبو الحسن الأصفهانى والشيخ جواد صاحب الجواهر والسيد محمد على بحر العلوم والحاج ميرزة حسين النائينى .

الأوطان مشتتين أيدى سبأ ، وقد هتكت منهم كل حرمة ، وأخذت الأموال منه بلا حق ، فلا مانع يمنعهم ولا قانون يدفعهم ، والباقون يستغيثون طالبين المساعدة الإسلامية » .

ورضاخان فى كل هذا لم يكتف بضم عربستان وحدها . وإنما صار يطالب بالبحرين منذ سنة ١٩٢٧ ، ولكن بريطانيا التى توصلت معه إلى تسوية فى عربستان لم تتوصل إلى مثلها فى البحرين الذى كان موضوع أخذ ورد[١]. والواقع أن نعرته العدائية للعرب هذه تظهر بصورة جلية فى وصيته لابنه ، إذ قال له : « لقد حررت الشاطئ الشرقى للخليج من العرب وعليك أن تحرر الشاطئ الغربى »[٢].

أما موقف الإنكليز المتراخى من الاحتلال الفارسى للإمارة فقد ساهم إلى حد بعيد فى نكبة العرب فى عربستان ، فإن عهودهم وضماناتهم الواسعة المكتوبة لم تكن أكثر جدية من الوعد الذى أعطوه للملك حسين شريف مكة فعندما شعروا بأن مصالحهم السياسية والتجارية تقضى بتغيير الحصان الذى راهنوا عليه ، تركوا الشيخ خزعل لوحده[٣]، وثبطوا همة قبيلة البختيارية فى مساعدته ، وقطعوا عليه كل اتصالهم مع العشائر العربية فى العراق[٤] الواقع تحت انتدابهم ، ويعلق بولارد على ذلك فيقول : « ربما خلف تخلى الحكومة البريطانية عنه وهو فى أشد ساعات محنته حسرة مؤلمة فى قلبه »[٥]. وكان قد وثق بالإنكليز حتى آخر لحظة من اعتقاله .

والواقع أن وضع عربستان يشبه إلى حد بعيد وضع الإمارات العربية فى

---

(١) مجيد خدورى – البحرين و إيران : ٢٦ .

(٢) سيد نوفل – الأوضاع السياسية لأمارات الخليج العربى – ج ٢ : ٩٢ .

(٣) محمود على الداود – الخليج العربى : ٦٤ :

(٤) قلعجى – الخليج العربى : ٦١٢ :

(٥) Bullard: op cit. ,p 164.

الخليج العربى من ناحية اتصالها بدولة ثالثة هى إنكلترا ، لكن زوال الأسباب التى من أجلها عقدت بريطانيا معاهداتها مع الشيخ خزعل ، وتناقص المنشآت البريطانية العسكرية فى فارس منذ سنة ١٩٢٠ ، وسحبها كلياً بين كانون الثانى (يناير) ونيسان ١٩٢١ ، وأملهم فى تأكيد حسن نيتهم نحو رضاخان ، ليحتفظ بموقفه المحايد وعدم انحيازه إلى جانب السوفييت ، جعل من الصعب على بريطانيا أن تتخذ إجراءات مضادة بالقسر[١] ، فاختارت الطريق الأخرى ، وقلبت للشيخ خزعل ظهر المجن ، وتحولت نحو رضاخان بعد أن أصبح فى نظرها من القوة بحيث يحتمل أن يلعب دوراً مهماً فى تاريخ إيران . ولكن خاب ظن الإنكليز ، وأصبحت علاقاتهم معه سيئة[٢] ، إذ منع سنة ١٩٣١ طائرات الخطوط الجوية الإمبراطورية من الطيران فى سماء بلاده ، وأزال مؤسسات شركة خطوط البرق من أراضيه ، وألغى فى تشرين الثانى سنة ١٩٣٢ امتياز حقول النفط ، وأرغمهم على إبعاد مقيمهم السياسى فى الخليج من بوشهر[٣] . وقد احتجت بريطانيا فى البدء ، ثم سرعان ما سكتت على مضض لتزيله من مسرح السياسة سنة ١٩٤١ عندما قامت بهجوم مباشر على قواته فى المحمرة ، واضطرته إلى التنازل عن العرش ، ونفته تحت حراستها إلى جزيرة الموريس ، ثم نقلته إلى جنوب أفريقيا حتى توفى سنة ١٩٤٤[٤] .

وأخيراً ، فإن الموقف المائع الذى وقفه الحكام العرب المجاورون لإمارة المحمرة — بسبب السيطرة البريطانية على مقدرات أمورهم ومعرفتها فى كيفية اختيارهم — إزاء احتلالها ، يعتبر مساهمة غير مباشرة فى نكبة العرب فى عربستان .

---

(١) عبد الفتاح إبراهيم — على طريق الهند : ١٤٦ .
Lenczowski: The Middle East, p. 230.
(٢) صلاح العقاد — التيارات السياسية : ٢٩٠ .
(٣) جان جاك بيربى — الخليج العربى : ١١٠ .
(٤) Wilber: op. cit., p. 120.

فمما لاريب فيه : أن الاتجاه السائد فى ذلك الوقت هو اعتبار سكان الإمارة جزءاً من الشعب العربى فى الخليج ، وقد أكدت الأحداث أن معظم العشائر فى عربستان وجنوب العراق لم تقبل التعاون مع الغزاة[١] .

والواقع أن رضاخان قد خدمته الظروف فى المنطقة العربية ، فجزيرة العرب كان أمراؤها فى شغل عن أحداث عربستان ترهقهم الحروب ، وقد اشتبك الهاشميون والسعوديون فى صراع عنيف من أجل السلطة ، وكانت بريطانيا تسيطر على معظم العلاقات بين حكام تلك المناطق ، فلا تسمح باتصال بعضهم ببعض إلا بموافقة الوكيل السياسى البريطانى . وسورية كانت تخوض ثورتها الوطنية . أما العراق فكان يعيش فى أعقاب ثورة العشرين — وقد شرد معظم الوطنيين — ، فاستلمت السلطة طبقة تسيرها الدبلوماسية الإنكليزية ، فلا يمكنها — والحالة هذه — الخروج عما يرسمه لها الإنكليز . لذا فإن حكومة فيصل الأول هادنت الاحتلال الفارسى لعربستان ، وتركت المنطقة العربية تبتلعها فارس دون ما اكتراث ، ولم يدر فى خلدها أن هذا الاحتلال كان خطوة أولى للدخول إلى مياه شط العرب ، فقد أصرت السلطات الإيرانية على جعل شط العرب بأكمله مشتركاً ، ولشدة الإصرار اضطر العراق إلى رفع القضية إلى مجلس عصبة الأمم ، وذلك فى تشرين الثانى سنة ١٩٣٤ ، ولكن المجلس أوصى بحل الخلافات عن طريق المفاوضات التى باعت بالإخفاق . فانتهزت إيران ضعف الإدارة السياسية فى العراق عند انقلاب بكر صدقى ، وانشغالها بالمشاكل الداخلية ، فجددت مطالبتها بشط العرب ، مما اضطر العراق إلى منحها حق الاشتراك مناصفة فى ملاحة الشط مسافة ٤ أميال أمام عبادان[٢] . وأصبح خط الحدود يمر فى منتصف النهر ، مماسهل تهديد العراق فى كل لحظة ، وجعل مصالحه المتعلقة بالنفط وميناء البصرة فى خطر ، وهذا ما جعل الحدود الإيرانية

---

(١) صلاح العقاد — التيارات السياسية : ٢٣٤ .
(٢) الداود — أحاديث عن الخليج العربى : ١٩ .

العراقية كثيرة الحساسية فى تلك المناطق[١].

وفى تقديرنا أن أولى الواجبات القومية التى تلقى على العراق هو خروجه رسمياً من معاهدة أرضروم الثانية ونقضها ، وشجب الاحتلال الفارسى لعربستان ، لاستعادة حقوق العرب فيه ، وإرجاع ذلك الجزء إلى الوطن العربى[٢]، لقد طالب عبد الكريم قاسم رئيس وزراء العراق بعد تموز سنة ١٩٠٨ بالكويت وأقام الدنيا وأقعدها ، برغم أصالتها العربية ، وكان أولى به أن يطالب بعربستان — برغم إشارته الخفيفة لها — وقد بدأت تمحى آثارها العربية .

والواقع أنه منذ الغزو الفارسى وشعب عربستان يعيش بعيداً عن أية مشاركة عربية فعلية وحتى دون أى اهتمام عربى معنوى ، سواء من قبل الجامعة العربية أو الدول والمنظمات العربية ، فشعب عربستان يقف وحيداً فى معركته ، معزولا فى إمكانياته ، غريباً فى كفاحه ، لاعون عربى له[٣].

لقد مر احتلال فارس لعربستان دون أية مقاومة عربية خارجية ، أو حتى أى احتجاج[٤]. ومضت إيران فى خطواتها لتفريس المنطقة ، فأحدث ذلك ردود فعل عند أبنائها للقيام بثورات غير منظمة ومتفرقة ومتباعدة ، كتلك التى قامت بها عشيرة كعب الدبيس سنة ١٩٤٠ ، وثورة الفجرية سنة ١٩٤٣ التى تزعمها الشيخ جاسب خزعل ، وحركة الشيخ عبد الله بن الشيخ خزعل سنة ١٩٤٤ التى وئدت فى المهد ، وثورة بنى طرف سنة ١٩٤٥ التى كان من نتائجها أن أجبروا على ترك مناطقهم إلى شمال إيران[٥]، كما قام فى سنة ١٩٤٦ حزب السعادة

---

(١) جان جاك بيربى — الخليج العربى : ١٠٩ .

(٢) مصطفى عبد القادر — رأى فى معاهدة أرضروم وسايكس بيكو وأثرهما على الوضع السياسى للوطن العربى — العدد نفسه : ٢٠ — ٢١ .

(٣) رشيدات — عربستان : ٩٥ .

(٤) لقد قامت بعض الصحف العراقية (لواء الاستقلال واليقظة والجريدة) بنشر مقالات الأحتجاج ، كما أن حزب الأستقلال العراقى قد أصدر بياناً ضمنه رأيه فى المشكلة .

(٥) جبهة تحرير عربستان — إقليم عربستان : ١٧ .

للمطالبة بحقوق العرب فى المنطقة . وفى عام ١٩٥٦ شكلت حركة قومية سياسية ثورية فى المنطقة أطلق عليها اسم « جبهة تحرير عربستان » لتنظم عرب الإقليم سياسياً وثورياً ، وأخذت على عاتقها منذ ذلك الحين قيادة النضال العربى ضد الاحتلال الفارسى[١] .

وإذا كان جيلنا اليوم يذكر مأساة فلسطين بكثير من المرارة ، فلأنه عاش النكبة ورأى قطعة غالية من بلاده تنسلخ عنها . بيد أنه من المؤسف أن الكثير من أبناء جيلنا المعاصرين يجهلون كيف سلبت من وطنهم العربى قطعة أخرى هى عربستان .

---

(١) وقد استطاعت إدخال قضية عربستان فى جدول أعمال مؤتمر الصحفيين العرب الدولى ، ومؤتمر الأتحاد الدولى للعمال العرب ، ومؤتمر المحامين العرب وغيرها .

الملاحق

القسم الأكبر مما تحتويه الملاحق من وثائق ومستندات لم يسبق نشرها وقد نقلت نصوصها حرفياً بدون تغيير

موضوعات الوثائق الملحقة بالبحث :

١ ــ شيوخ بنى كعب .

٢ ــ معاهدة أرضروم الثانية والمذكرات الإيضاحية .

٣ ــ ولاة البصرة ومتسلموها المعاصرون لحكم الشيخ خزعل .

٤ ــ نموذج من الرسائل المتبادلة بين الشيخ خزعل والمحفل الأكبر الوطنى المصرى للماسونية .

٥ ــ فى الشئون الزراعية للإمارة .

٦ ــ فى شئون الكمارك .

٧ ــ أمراء الكويت .

٨ ــ رسائل خاصة بمؤتمر الكويت ١٩١٦ .

٩ ــ الرسائل المتبادلة بشأن توسط الشيخ خزعل بين نجد والكويت .

١٠ ــ طلب الشيخ خزعل من الشيخ أحمد السلاح فى أزمة النزاع مع رضاخان .

١١ ــ رسالة من نظارة الداخلية وولاية بغداد إلى السيد طالب النقيب .

١٢ ــ نص الوعد البريطانى للسيد طالب النقيب ومقترحات النقيب إلى بريطانيا .

١٣ ــ رسالة خطية من عبد المسيح أنطاكى إلى الشيخ خزعل .

١٤ ــ اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال إمارة المحمرة .
١٥ ــ نموذجان من صورة تلغراف وارد من علماء الدين إلى الشيخ خزعل .
١٦ ــ رسالة خطية من الشيخ خزعل إلى الميجر مور .
١٧ ــ رسالة من جاويد باشا إلى الشيخ خزعل .
١٨ ــ بيانات من الشيخ خزعل إلى عشائره .
١٩ ــ رسائل من علماء النجف إلى الشيخ خزعل يرجونه التوسط لدى بريطانيا لإصدار العفو العام عن زعماء ثورة العشرين .
٢٠ ــ نموذج من الرسائل المتبادلة بين علماء النجف والشيخ خزعل حول ترشيحه للعرش .
٢١ ــ رسالة خطية من مزاحم الباجمجى إلى الشيخ خزعل .
٢٢ ــ رسالتان من نورى السعيد وجعفر العسكرى إلى الشيخ خزعل حول ترشيحه لعرش العراق.
٢٣ ــ رسالة خطية من متصرف البصرة أحمد الصانع إلى الشيخ خزعل أثر وصول الأمير فيصل إلى البصرة .
٢٤ ــ رسالة خطية من الشيخ خزعل إلى ولى عهده ابنه الشيخ جاسب بعد امتناع أتباعه فى البصرة من الاشتراك فى انتخاب الأمير فيصل.
٢٥ ــ ملحق رسالة من أحمد الصانع إلى الشيخ خزعل .
٢٦ ــ رسالة من مشاور لواء البصرة إلى الشيخ خزعل .
٢٧ ــ رسالة خطية من الشيخ خزعل إلى أحمد الصانع بعد حفلة تتويج فيصل ملكاً على العراق .
٢٨ ــ رسالة من الملك فيصل الأول إلى الشيخ خزعل بشأن مؤتمر المحمرة .
٢٩ ــ تصريح فتح نهر كارون للملاحة الدولية .
٣٠ ــ حكام تركيا وشاهات فارس المعاصرون لإمارة المحمرة .

٣١ ــ أمراء المحمرة حتى تقويض الحكم العربى .
٣٢ ــ تصفية الحسابات المالية بين الشيخ خزعل وحكومة طهران ، الاتفاقية المالية المعقودة بين الشيخ خزعل وكرماك ، برقية كرماك إلى ملسبو فى طهران .
٣٣ ــ برقية من الشيخ خزعل ــ بوساطة السفارة العلية الإسلامية التركية فى طهران (دامت شوكتها) ــ إلى رئاسة مجلس الشورى الملى ــ شيد الله . أركانه ــ فى طهران .
٣٤ ــ بلاغ صادر من رئيس الوزراء وقائد القوات العام إلى أهالى عربستان .
٣٥ ــ مذكرتان من الحكومة البريطانية إلى الحكومة الفارسية .
٣٦ ــ ملحق من الشيخ خزعل إلى الشيخ أحمد جابر الصباح .
٣٧ ــ رسالة من الشيخ خزعل إلى الممثلين السياسيين الإنكليز .
٣٨ ــ رسالة خطية من معتمد الإمارة محمد خان بهادر إلى الشيخ خزعل .
٣٩ ــ بيان من رضا خان إلى الموظفين العاملين فى عربستان .
٤٠ ــ رسائل متبادلة بين الشيخ خزعل والشيخ أحمد الجابر الصباح .

الملحق الأول

شيوخ بني كعب (١)

الرقم	الاسم		الفترة / ملاحظات
١	الشيخ ناصر بن محمد	:	وهو أول رئيس معروف لبني كعب وسمي باسمه (البو ناصر) .
٢	ـ الشيخ عبد الله بن ناصر	:	١٦٩٠ — ١٧٢٢ تولى هؤلاء الشيوخ بالتوالي إمارة بني كعب .
٣	ـ الشيخ سرحان بن ناصر		
٤	ـ الشيخ رحمة بن ناصر		
٥	ـ الشيخ فرج الله بن عبد الله	:	١٧٢٢ — ١٧٣٣
٦	ـ الشيخ طهماز بن خنفر بن ناصر	:	١٧٣٣ — ١٧٣٥
٧	ـ الشيخ بندر بن طهماز	:	١٧٣٥ — ١٧٣٧
٨	ـ الشيخ سلمان بن سلطان بن ناصر	:	١٧٣٧ — ١٧٦٦ حكما بصورة مشتركة لغاية ١٧٦٤ وبعد وفاة عثمان حكم سلمان بمفرده لحين وفاته سنة ١٧٦٦ .
٩	ـ الشيخ عثمان بن سلطان بن ناصر		
١٠	ـ الشيخ غانم بن سلمان	:	١٧٦٦ — ١٧٦٩
١١	ـ الشيخ داود بن سلمان	:	١٧٦٩ — ١٧٧٠

(١) Curzon: op. cit. ,No. 1,2, p. 324.
حسين خلف الشيخ خزعل – تاريخ الكويت السياسي – ج ٣ : ٩٤ – ٩٥ على نعمة الحلو – تاريخ إمارة كعب العربية – : ٣٦ – ٩٨ .

الرقم	الاسم		الفترة / ملاحظات
١٢	ـ الشيخ بركات بن عثمان بن سلطان	:	١٧٧٠ — ١٧٨٢
١٣	ـ الشيخ غضبان بن محمد بن بركات	:	١٧٨٢ — ١٧٩٢
١٤	ـ الشيخ مبارك بن غضبا ن	:	١٧٩٢ — ١٧٩٤
١٥	ـ الشيخ فارس بن داود بن سلمان	:	١٧٩٤ — ١٧٩٥
١٦	ـ الشيخ علوان بن محمدبن شناوة بن فرج الله	:	١٧٩٥ — ١٨٠١
١٧	ـ الشيخ محمد بن بركات	:	١٨٠١ — ١٨١٢
١٨	ـ الشيخ غيث بن غضبان	:	١٨١٢ — ١٨١٦
١٩	ـ الشيخ عبد الله بن محمد	:	١٨١٦
٢٠	ـ الشيخ غيث (مرة ثانية)	:	١٨١٦ — ١٨٢٨
٢١	ـ الشيخ مبادر بن غضبان	:	١٨٢٨ — ١٨٣١
٢٢	ـ الشيخ عبد الله بن محمد (مرة ثانية)	:	١٨٣١
٢٣	ـ الشيخ ثامر بن غضبان	:	١٨٣١ — ١٨٣٧
٢٤	ـ الشيخ عبدالرضا بن، بركات	:	١٨٣٧ — ١٨٣٨
٢٥	ـ الشيخ فارس بن غيث	:	١٨٣٨ — ١٨٤١
٢٦	ـ الشيخ لفته بن بركات		
٢٧	ـ الشيخ جعفر بن محمد بن فارس	:	تولوا الإمارة لغاية ١٨٩٨
٢٨	ـ الشيخ رحمة بن عيسى		

الملحق الثانى

معاهدة أرضروم الثانية والمذكرات الإيضاحية(1)

معاهدة أرضروم ١٢٦٤هـ — ١٨٤٧ م: استمرت إيران فى مداخلاتها بشئون العراق طويلا وكانت كثيراً ما توشك أن تحصل معركة جديدة بين الدولتين وأخيراً قررت الدولتان إجراء مباحثات جديدة وعقد مصالحة ثابتة يرعاها الطرفان مع العلم أن الدولتين الإنكليزية والروسية قد تدخلتا فى الموضوع ، وتم ذلك فعلا سنة ١٣٦٤ ه ٣١ أيار سنة ١٨٤٧م : وهذا نصها :

المادة الأولى :

تتنازل الدولتان الإسلاميتان عن كل ما للواحدة على الأخرى من ادعاءات مالية فى الوقت الحاضر على شرط ألا يكون فى هذا الترتيب ما له مساس بالأحكام الموضوعة لتسوية الادعاءات التى تبحث فيها المادة الرابعة ؛

المادة الثانية :

تتعهد الحكومة الإيرانية بأن تترك للحكومة العثمانية جميع الأراضى المنخفضة — أى الأراضى الكائنة فى القسم الغربى من منطقة زهاب — وتتعهد الحكومة العثمانية بأن تترك للحكومة الإيرانية القسم الشرقى — أى جميع الأراضى الجبلية — من المنطقة بما فى ذلك وادى كرند . وتتنازل الحكومة الإيرانية عن كل ما لها

(١) شاكر صابر الضابط — العلاقات الدولية : — ٦٣ — ٧٣ كما يمكن الرجوع إلى مجموعة الوثائق التى نشرها : Hurewitz : Diplomacy in the Near and Middle East (vol. 1)

من ادعاءات فى مدينة السليمانية ومنطقتها وتتعهد تعهداً رسمياً بألا تتدخل فى سيادة الحكومة العثمانية على تلك المنطقة أو تتجاوز عليها . وتعترف الحكومة العثمانية بصورة رسمية بسيادة الحكومة الإيرانية التامة على مدينة المحمرة وميناءها وجزيرة خضر والمرسى والأراضى الواقعة على الضفة الشرقية — أى الضفة اليسرى — من شط العرب التى تحت تصرف عشائر معترف بأنها تابعة لإيران . وفضلا عن ذلك فللمراكب الإيرانية حق الملاحة فى شط العرب بملء الحرية وذلك من محل مصب شط العرب فى البحر إلى نقطة اتصال حدود الفريقين .

المادة الثالثة :

لما كان الفريقان المتعاقدان قد تنازلا بهذه المعاهدة عن ادعاءاتهما الأخرى المختصة بالأراضى فإنهما يتعهدان بأن يعينا حالا قوميسرين ومهندسين ممثلين عنهما من أجل تقرير الحدود بين الدولتين بصورة تنطبق على أحكام المادة المتقدمة .

المادة الرابعة :

يوافق الفريقان على أن يعينا فى الحال قوميسرين من الجانبين للحكم فى كل قضية سببت ضرراً لأحد الفريقين وتسويتها تسوية عادلة ، من القضايا التى وقعت منذ قبول الاقتراحات الودية التى وضعتها وقدمتها الدولتان الكبيرتان الوسيطتان فى شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦١ ، وكذلك للحكم فى جميع المسائل المتعلقة برسوم الرعى منذ تلك السنة التى وقعت فيها بقايا فى تلك الرسوم وتسويتها تسوية عادلة .

المادة الخامسة :

تتعهد الحكومة العثمانية بأن يقيم الأمراء الإيرانيون الفارون فى بروسة وبألا يسمح لهم بمغادرة ذلك المحل ولا بأن تكون لهم علاقات سرية بإيران ، وكذلك تتعهد

الدولتان الساميتان بتسليم جميع المهاجرين للأخرى، عملاً بأحكام معاهدة أرض روم الأولى .

المادة السادسة :

على التجار الإيرانيين أن يدفعوا الرسوم الكمركية على بضائعهم — عيناً أو نقداً — حسب قيمة تلك البضائع الجارية الحالية وعلى المنوال المشروح فى المادة المتعلقة بالمتاجرة فى معاهدة أرض روم المنعقدة فى سنة ١٢٣٨ ﻫ (١٨٢٣)م ولا يستوفى شيء إضافى ما علاوة على المقادير المعينة فى تلك المعاهدة .

المادة السابعة :

تتعهد الحكومة العثمانية بمنح الامتيازات المقتضية لتمكين الزوار الإيرانيين وفق المعاهدات السابقة من زيارة الأماكن المقدسة فى الأراضى العثمانية بسلامة تامة ومن غير التعرض لمعاملات مزعجة مهما كانت ، وكذلك لما كانت الحكومة العثمانية راغبة فى تقوية وتوثيق عرى الصداقة والتفاهم الواجب بقاؤهما بين الدولتين الإسلاميتين وبين رعاياهما فإنها تتعهد باتخاذ أنسب الوسائل التى من شأنها أن تؤمن أمر التمتع بالامتيازات المذكورة فى الأراضى العثمانية ليس للزوار فحسب بل لجميع الرعايا وذلك بصورة تحميهم من كل ظلم أو خشونة سواء أكان ذلك فيما يتعلق بأعمالهم التجارية أم بأى أمر آخر .

وفضلا عن ذلك تتعهد الحكومة العثمانية بالاعتراف بالقناصل الذين قد تعينهم الحكومة الإيرانية فى أماكن واقعة فى أراضى عثمانية تتطلب وجودهم بداعى المصالح التجارية أو لحماية التجار وسائر الرعايا الإيرانيين ، إنما تستثنى من ذلك مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وتتعهد فيما يخص القناصل المومى إليهم بأن تحترم جميع الامتيازات التى لهم حق التمتع بها بناء على صفتهم الرسمية والممنوحة لقناصل الدول المتحابة الأخرى .

وتتعهد الحكومة الإيرانية فيما يخصها بتطبيق أصول المعاملة المتبادلة من جميع

الوجوه بحق القناصل الذين تعينهم الحكومة العثمانية فى أماكن واقعة فى إيران، ترى تلك الحكومة لزوما لتعيين قناصل فيها . وكذلك تتعهد بتطبيق أصول المعاملة المذكورة على التجار العثمانيين وعلى سائر الرعايا العثمانيين الذين يزورون إيران .

المادة الثامنة :

تتعهد الدولتان الإسلاميتان الساميتان المتعاقدتان باتخاذ وتنفيذ الوسائل اللازمة لمنع ومعاقبة السرقات والسلب من جانب العشائر والأقوام المستقرة على الحدود، وتقومان لذلك الغرض بوضع الجنود فى مراكز ملائمة وتتعهدان فضلا عن ذلك بالقيام بالواجب المفروض عليهما إزاء مختلف أعمال التعدى كلها كالنهب واللصوصية والقتل مما قد يقع فى أراضيهما .

على الدولتين المتعاقدتين الساميتين فيما يخص العشائر المتنازع فيها والتى لا تعرف لمن السيطرة عليها أن تتركها حرة فى اختيار وتقرير الأماكن التى سيقطنوها دائماً من الآن فصاعداً ، أما العشائر التى تعرف لمن السيطرة عليها فترغم على المجيء إلى داخل الأراضى التابعة للدولة المسيطرة عليها .

المادة التاسعة :

تؤيد بهذا من جديد جميع النقاط والمواد المدرجة فى معاهدات سابقة ولاسيما المعاهدة المنعقدة فى أرض روم فى سنة (١٢٣٨ﻫ — ١٨٢٣م) والتى لا تعدلها أو تلغيها هذه المعاهدة بصورة خاصة ، ويسرى هذا التأييد إلى نصوصها كلها كما لو كانت قد نشرت بحذافيرها فى هذه المعاهدة .

وتوافق الدولتان الساميتان المتعاقدتان على أن تقبلا وتوقعا هذه المعاهدة عند تبادل نسخها وعلى أن يتم تبادل وثائق إبرامها فى ظرف مدة شهرين أو قبل ذلك .

مذكرة إيضاحية حول بعض الشروط الواردة فى معاهدة أرضروم

«قدمها السفيران البريطانى والروسى فى الآستانة إلى الحكومة العثمانية فى السادس والعشرين من شهر نيسان – أبريل – سنة ١٨٤٧م »

يتشرف الموقعان أدناه ممثلا بريطانيا العظمى وروسيا الوسيطين بتسلم المذكرة المطابقة – مع الملحق – المتعلقة بالمفاوضات التركية الإيرانية والتى تفضل معالى على أفندى وزير الخارجية بإرسالها إليهما فى الحادى عشر من الشهر الحالى .

لقد ارتاح الموقعان أشد الارتياح من تصريح معاليه فى المذكرة المذكورة بالنيابة عن الباب العالى بأنه قد قر القرار على إصدار التعليمات على الفور إلى المندوب العثمانى المفوض فى أرض روم للتوقيع على مواد المعاهدة المنعقدة مع بلاط إيران غير المعدلة : أى وفق النص الذى وضعه مندوبا البلاطين الوسيطين وكما قدمت لموافقة الحكومات المختصة من قبل وزرائها المفوضين فى أرض روم على شرط أن يقدم ممثلا البلاطين المذكورين إلى الباب العالى الإيضاحات عن بعض النقاط التى ترى الحكومة العثمانية أنها غير واضحة كل الوضوح .

أما النقاط التى يريد الباب العالى تقديم إيضاحات عنها فهى كالآتى :

١ – يظن الباب العالى بأن الفقرة الواردة بالمادة الثانية من مسودة المعاهدة والتى تنص على ترك مدينة المحمرة ومينائها ومرساها وجزيرة خضر لإيران لا يمكن أن تشمل أراضى الباب العالى المتضمنة خارج المدينة ولا موانيه الأخرى الواقعة فى هذه الأقاليم .

ويهم الباب العالى كذلك فيما يتعلق بالنص الوارد فى فقرة أخرى من هذه

المادة حول إمكان تقسيم العشائر التابعة فعلا لإيران أى إسكان نصفها الواحد فى أراض عثمانية ونصفها الآخر فى أراض إيرانية ، أن يعلم هل أن ذلك معناه أن تصبح أيضاً أقسام العشائر الموجودة فى تركيا خاضعة لإيران وبالتالى أن تترك كذلك لإيران الأراضى التى تحت تصرف تلك الأقسام وهل سيكون لإيران الحق يوماً من الأيام فى المستقبل فى أن تنازع الباب العالى حق التصرف فى الأراضى المذكورة ؟

٢ – يهم الباب العالى فيما يخص أحكام المادتين الأولى والرابعة الحالية أن يعلم هل أن للحكومة الإيرانية الحق فى أن تدخل التعويضات المالية فيما بين الحكومتين التى تنازلت عنها برمتها ضمن الادعاءات الشخصية ؟ والمفهوم لدى الباب العالى أن هذه الادعاءات لاتسرى إلا إلى بعض رسوم الرعى والخسائر التى تكبدها رعايا الحكومتين من جراء الأعمال التى ارتكبها قطاع الطرق وما شاكل ذلك .

ثم إن الباب العالى يستفهم ما إذا كان سيتم الحصول على موافقة الحكومة الإيرانية على مسألة الاستحكامات والحصول المضافة إلى المادة الثانية وكذلك على الفقرات المختصة بالمعاملة المتبادلة التى سها عن درجها فى المادة السابعة من مسودة المندوبين ؟ ولما كان الممثلان الموقعان أدناه راغبين وملزمين فى إزالة الغموض العالق بذهن الباب العالى حول جميع المسائل المذكورة أعلاه فإنهما يصرحان بهذا كالآتى :

خصوص ١ – أن مرسى المحمرة هو القسم الواقع مقابل مدينة المحمرة فى قناة الحفار . وهذا التعريف لايحتمل أن يؤدى أى تفسير آخر فى معناه .

وفضلا عن ذلك فإن الممثلين الموقعين أدناه يشاطران الحكومة العثمانية الرأى القائل بأن قيام الحكومة العثمانية بتركها لإيران مدينة المحمرة ومينائها ومرساها وجزيرة خضر فى المنطقة المذكورة

لايعنى تركها، ، أية أراض أو موان أخرى موجودة فى تلك المنطقة . ويصرح كذلك الممثلان الموقعان أدناه بأنه سوف لايكون لإيران الحق بأية حجة كانت فى أن تقدم ادعاءات حول المناطق الكائنة على الضفة اليمنى من شط العرب ولا حول الأراضى العائدة لتركية على الضفة اليسرى حيث تقطن تلك الضفة أو من تلك الأراضى عشائر إيرانية أو أقسام منها .

بخصوص ٢ — أما بشأن تخوف الباب العالى من احتمال تفسير المادتين الأولى والرابعة من مسودة المعاهدة تفسيراً غير قانونى بحيث يؤدى بالحكومة الإيرانية إلى إثارة مسألة الادعاءات المالية التى بين الحكومتين من جديد فإن الممثلين الموقعين أدناه يصرحان بهذا بأنه كما أن المادتين المذكورتين من مسودة المعاهدة قد صرحتا بالتنازل الآن وفيما بعد عن جميع الادعاءات التى من هذا القبيل مهما كان منشؤها فإنه ليس فى الاستطاعة استئناف البحث فى هذه المسألة بشأن أية قضية كانت وأنه على الفريقين ترضية أصحاب الادعاءات الشخصية فقط دون غيرها ، وفضلا عن ذلك فإن تدقيق تلك الادعاءات الشخصية والبت فى مشروعيتها سيناط بلجنة خاصة تؤلف لهذا الغرض ، كما أن البت فى أى من الاعاءات التى ستعتبر بمنزلة ادعاءات شخصية سيحال كذلك إلى هذه اللجنة .

وللجواب على السؤالين الفرعيين اللذين وردا فى ختام مذكرة معالى على أفندى ؛ فإن الموقعين أدناه يعتقدان بأن هناك ما يسوغ لهما القول بأن الحكومة الإيرانية ستوافق على أن تدرج فى المادة السابعة الفقرات المتعلقة بأصول المعاملة المتبادلة التى على كل من الحكومتين مراعاتها حباً لصالح رعاياها وزوارها وموظفيها القنصليين . أما بشأن مسألة الاستحكامات والحصون فلا يستطيعان سوى بيان

رأيهما الشخصى وهو أن تعهد الدولتان الإسلاميتان تعهداً متبادلا بعدم تحصين ضفتى شط العرب معناه ضمان آخر لدوام العلاقات السلمية بين المملكتين كما أنه من شأنه توثيق عرى الإخلاص وحسن النية وهذا ما ترمى إليه المعاهدة المذكورة .

بناء على ما تقدم فإنه، فى وسع الممثلين الموقعين أدناه أن يعضد تلبية رغبات الباب العالى حول هذه النقطة بوساطة توسط زملائهم فى طهران ولها وطيد الأمل بأن عملهما هذا سيسفر عن نتيجة مرضية .

وفى عين الوقت يعتقد الممثلان الموقعان أدناه بأنه فى الإمكان توقيع المعاهدة قبل ظهور نتيجة المفاوضات حول النقطة الخاصة الآنفة الذكر لأنه فى الاستطاعة فيما بعد إضافة مادة جديدة إلى المعاهدة .

بيرة فى ١٤ نيسان ١٨٤٧ الموقعان إلخ . . .

أو ستينوف

اج . وليسلى

جواب الحكومة العثمانية على مذكرة السفيرين البريطانى والروسى فى مدينة الآستانة

تلقيت مذكرة معاليكم الرسمية المشتركة والمؤرخة ١٤(٦) شهر نيسان الماضى جواباً على مذكرتى الرسمية إلى معاليكم التى طلبت فيها بعض الإيضاحات حول موضوع المعاهدة الإيرانية .

لقد قيل فى مذكرة معاليكم فيما يتعلق بالأراضى والعشائر التى تبحث فيها المادة الثانية إنه وإن كان الباب العالى يوافق على ما جاء فى هذه المادة بشأن احتفاظ إيران بمدينة المحمرة ومينائها و بالمرسى الواقع مقابل المدينة فى قناة الحفار و بجزيرة خضر لكنه لايتنازل بذلك عن أى ميناء آخر أو أرض أخرى فى تلك المنطقة وأنه سوف لايكون للحكومة الإيرانية الحق فى تقديم أى ادعاء كان بحقوق الملكية لا فيما يخص الأماكن الكائنة على الضفة اليمنى من شط العرب ولا فيما يخص الأماكن

العائدة للحكومة العثمانية على الضفة اليسرى منه حتى حيث تقطن عشيرة إيرانية أو قسم منها وأنه سوف لا تدخل الادعاءات الموجودة بين الحكومتين والتي تنازلتا عنها بأجمعها بمقتضى المادة الأولى ضمن الادعاءات الشخصية التي تبحث فيها المادة الرابعة وأن هنالك ما يبعث فيكما الأمل بموافقة بلاط إيران بلا تردد عن درج الفقرة التي سهى عن درجها في المادة السابعة حول أصول المعاملة المتبادلة .

إن الباب العالي مرتاح إلى الإيضاحات والتأكيدات الرسمية المار ذكرها أعلاه ولما كان لصاحب الجلالة السلطان ملء الثقة بالبلاطين الوسيطين وبممثليهما فقد أصدر إرادته الملكية بإرسال التعليمات لمعالي أنور أفندي مندوب الباب العالي في مدينة أرض روم كي يوقع على مسودة المعاهدة التي قدمها مندوبا البلاطين الوسيطين بلا تعديل على أن يقبل بلاط إيران بالتأكيدات التي أعطاها ممثلا البلاطين الوسيطين والتي مآلها أن إيران سوف لا تقدم ادعاءات تتعارض وهذه التأكيدات وكذلك على أنه إذا قدمت ادعاءات من هذا القبيل فإن المعاهدة ستعتبر لاغية وباطلة المفعول .

إن الغرض من كتابة هذه المذكرة الرسمية وإرسالها إليكما هو إلفات نظر معاليكم إلى جميع الاعتبارات المذكورة في أعلاه .

في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٢٦٣ الإمضاء

السيد محمد أمين عالي

مذكرة مؤرخة في ٣١ كانون الثاني سنة ١٨٤٨

من مرزا محمد علي خان إلى السفيرين الروسي والبريطاني

أصرح بهذا لمعاليكم بأنني بناء على المهمة التي عهدت بها إلى حكومتي لتبادل وثائق إبرام معاهدة أرض روم موافق كل الموافقة على الإيضاحات التي قدمها ممثلا الدولتين الوسيطتين إلى الباب العالي حول النقاط الثلاث الأولى من رسالة معاليكم . وفضلا عن ذلك أصرح فيما يختص بالنقطة الرابعة من الرسالة المذكورة بألا مانع لدي أن تدرج في المادة السابعة الفقرات المتعلقة بأصول المعاملة المتبادلة على كل حكومة من الحكومتين مراعاتها فيما يتعلق برعايا الحكومة الأخرى وزوارها وموظفيها القنصليين وكذلك صرح فيما يخص الاستحكامات والحصون بأن جلالة الشاه يوافق على أن تمتنع إيران عن إقامة الاستحكامات والحصون على الضفة اليسرى التي أمن تصرفها بموجب إحكام المعاهدة ما دامت تركية تمتنع عن إقامة الاستحكامات والحصون على الضفة اليمنى من شط العرب مقابل الأراضي الإيرانية .

وتأييداً لذلك فقد وقعت على هذه المعاهدة وختمتها بختمي .

بيرة ٢٣ صفر سنة ١٢٦٤ الموافق ٣١ كانون الثاني سنة ١٨٤٨

الإمضاء

محمد علي

الملحق الثالث

ولاة البصرة ومتسلموها، المعاصرون لحكم الشيخ خزعل[1]

١ — وكيل الوالى الفريق محمد محسن باشا : ١٨٩٧

٢ — الوالى محمد أنيس باشا : ١٨٩٧ — ١٨٩٨

٣ — الوالى الفريق محمد حمدى باشا : ١٨٩٨ — ١٨٩٩

٤ — الوالى الفريق محمد محسن باشا (للمرة الثانية) : ١٨٩٩ — ١٩٠١

٥ — وكيل الوالى عبد اللطيف باشا : ١٩٠١

٦ — الوالى الفريق مصطفى نورى باشا (قائد الجيش النظامى) : ١٩٠١ — ١٩٠٤

٧ — وكيل الوالى مير لواء حسين فخرى باشا : ١٩٠٤

٨ — الوالى الفريق محمد مخلص باشا : ١٩٠٤ — ١٩٠٦

٩ — وكيل الوالى أمير الاى نظيف بك : ١٩٠٦

١٠ — وكيل الوالى عبد المجيد بك (والى بغداد) : ١٩٠٦

١١ — وكيل الوالى ملك مخلص (دفتر دار الولاية) : ١٩٠٦

١٢ — والى البصرة عبد الرحمن حسن بك المصرى : ١٩٠٦ — ١٩٠٧

١٣ — والى البصرة نورى بك (متصرف العمارة) : ١٩٠٧ — ١٩٠٨

١٤ — وكيل الوالى إسماعيل رأفت بك : ١٩٠٨

---

(١) عبد القادر باش أعيان — تاريخ البصرة الكبير (مخطوط) — ج ٦ : — ١٢ — ١٩
ابن الغملاس — ولاة البصرة ومتسلموها — ٨١ — ٨٤.
النبهانى — التحفة النبهانية : — ج ٩ : ٣٢٩ — ٣٣٦.

١٥ — وكيل الوالى ممتاز أفندى (متصرف نجد سابقاً) : ١٩٠٨

١٦ — الوالى محمد محرم أفندى : ١٩٠٨ — ١٩٠٩ (بعد الدستور)

١٧ — وكيل الوالى أحمد شوكت أفندى : ١٩٠٩

١٨ — الوالى محمد عارف بك الماردينى : ١٩٠٩

١٩ — وكيل الوالى راقم أفندى (متصرف العمارة) : ١٩٠٩

٢٠ — الوالى سليمان نظيف بك بن سعيد باشا الديار بكرى : ١٩٠٩ — ١٩١٠

٢١ — وكيل الوالى على سعيد بك (متصرف نجد سابقاً) : ١٩١٠

٢٢ — وكيل الوالى على وهبى أفندى : ١٩١٠

٢٣ — وكيل الوالى عارف بك الصوفى : ١٩١٠

٢٤ — الوالى حسين جلال بك الكريتى (متصرف كربلاء) : ١٩١٠ — ١٩١١

٢٥ — وكيل الوالى حسين حسنى أفندى : ١٩١١

٢٦ — الوالى الفريق حسن رضا باشا الطوبجى بغدادى : ١٩١١ — ١٩١٢

٢٧ — وكيل الوالى محمد طاهر أفندى الحمصى : ١٩١٢

٢٨ — وكيل الوالى أمير الاى على رضا باشا الركابى الدمشقى : ١٩١٢ — ١٩١٣

٢٩ — الوالى ملك مخلص (استقال قبل مجيئه للبصرة) : ١٩١٣

٣٠ — الوالى محمد علاء الدين الدروبى الحمصى : ١٩١٣

٣١ — وكيل الوالى قائد الجيش محمد عزت باشا صارى الكهية زادة : ١٩١٣ — ١٩١٤

٣٢ — الوالى مير لواء سليمان شفيق باشا الكمالى (وهو آخر وال يصل البصرة) : ١٩١٤

٣٣ — وكيل الوالى ميرالاى صبحى بك (وأخذ أسيراً بعد احتلال البصرة) : ١٩١٤

فترة الاحتلال البريطانى للبصرة : ١٩١٤ — ١٩٢٠

٣٤ — متصرف البصرة أحمد باشا الصانع (أول متصرف من قبل الحكومة العراقية) : ١٩٢٠ — ١٩٢٦

الملحق الرابع

نموذج من الرسائل المتبادلة بين الشيخ خزعل والمحفل الأكبر الوطن المصرى للماسونية(١)

بسم الله

ناصرية الأهواز

٢٩ شعبان ١٩٤٢ (١٩٢٤)

حضرة الفاضل يوسف أفندى الحاج المحترم

سلاماً أخويًّا مثلثاً : — وبعد، فقد ورد علينا كتابكم المؤرخ ٦ شباط وفهمنا ما جاء فيه .

نحمد الله الذى شفاكم من المرض وندعوه أن يجعلكم على الدوام متمتعين بالصحة التامة . لقد ساءنا ما جرى بين الإخوان من الاختلافات التى فهمناها من المكاتيب ! والنشرات المتعددة ، فاستغربنا وقوع مثل هذه الحوادث بين إخوان هذا المبدأ القويم والعشيرة المحترمة ، مما جعلنا نأسف من شدة التأثر ونقف موقف المبهوت المتحير .

وعلى كل حال نتمنى لكم من صميم الفؤاد زوال سوء التفاهم بين الإخوان، وأن يحل الاتحاد والاتفاق بدلا من التفرقة والاختلاف ، حفظاً على سمعة العشيرة الماسونية وصيانة لمبدئها المحبوب .

وفى الختام نؤمل لحضرتكم دوام العافية والسعادة ، ودمتم بخير .

خزعل

(١) رسالة خطية محفوظة لدى الشيخ أحمد الخزعلى بالبصرة .

الملحق الخامس

فى الشئون الزراعية للإمارة(١)

(١) اتفاق خطى بين الشيخ خزعل وأحد الملاكين حول استغلال الأراضى الزراعية

بسم الله الرحمن الرحيم

وجه تحرير هذه الورقة هو أنه :

إنى يا خزعل المرحوم حاج جابر خان أقر حقاً بأنى قد تقاولت مع حاملها عبد الله الحاج صلبوخ : على أن يكون تعاباً فى قطعة الأرض المملوكة لى والواقعة فى ملكى الخاص وهى مقاطعة الجزيرة والمحدودة فى الحدود الأربعة قبله النهر المسمى بنهر البناك ويلحقه نهر خريبة ومقطع الذى بين البوطاها إلى حد المقام ويختمها النهر الذى ما بين أراضى الشلب والنخل ويلحقها قاع أم خمينة وتتمها قاع الغضبانية وقاع بيت بريج ودرب الوسطانى وعكس القبلة الشط الجرف وشرقاً الشط الكبير المسمى بشط الخس وغرباً نهر الماجدى ، على أن :

أولا : أن مدة التعبة المذكورة فى تاريخه أدناه لمدة سبع سنوات .

ثانياً : أن المتعهد المذكور عليه أن يغرس سبعاً منها فى كل سنة واحدة فى هذه المدة بحيث يكون المقدار المذكور المختص بكل سنة فى نهايتها كامل الغرس بالنخيل والأشجار مكرى النهران والشوايخ كاملا فى كل جهة بمقتضى العرف والأصول الجارية .

(١) نص خطى محفوظ لدى الشيخ أحمد الخزعلى بالبصرة .

ثالثاً : أن جميع مصاريف الغرس والكريان والتعمير وغيرها عائدة على المتعهد التعاب المذكور أعلاه يصرفها من ماله وليس على أنا منها شيئاً .

رابعاً : إذا – لاسمح الله – تأخر عن إكمال القسم المخصص لأى سنة كانت فى هذه المدة فلى الحق بفسخ هذه المقاولة وإخراج المذكور عبد الله من الملك المذكور وليس له حق الاعتراض بكل وجه من الوجوه ولكن له الحق بهذا بأن ننتخب متفقاً واحداً أو ثلاثة من الخبيرين الأخيار ليقدروا ثمن أتعابه ومصاريفه وأكون أنا مكلفاً بإعطائه ذلك الثمن .

خامساً : أن جميع حاصلات القطعة المذكورة تقسم نصفين نصف خالص منها لى أنا الملاك وهو ملزوم ومتعهد بتأديته لى تماماً بدون تأخير والنصف الآخر عائد له ، وأن حصة الفلاحين تخرج من النصف العائد للمذكور وليس على أنا منها شيء قط .

سادساً : عند انتهاء المدة وبعد إكمال ما يحتاج إليه جميع الملك المذكور فى الغرس والكريان والعمران وما يتفرع عنه يبقى الحال على المنوال المحرر أعلاه يعنى : نصف الواردات خالصة لى أنا صاحب الملك والنصف الآخر للتعاب المذكور ، فهكذا تبقى الحالة إلى النهاية بينى وبين التعاب المذكور يبقيه العمار ، ويخرجه الخراب ، وإذا – لا سمح الله – اقتضى إخراجه من التعبة المذكورة لسبب إهماله التعمير فيجب حينئذ أن ننتخب متفقا واحداً أو ثلاثة من الخبيرين الأخيار لتخمين جميع أتعاب المذكور ومصارفه وأكون أنا مكلفاً بأداء كلما يقدره الخبيرون المذكور وأن تسليمه نقداً له ، وليس له حق بمطالبة شيء فى رقبة الأرض وعلى هذا وقع الرضى وصح القبول والله خير الشاهدين .

حرر فى اليوم العشرين فى شهر محرم الحرام سنة الألف وثلثماية وتسع عشرة هجرية

٢٠ محرم سنة ١٣١٩ (١٩٠١)

خزعل

(ب) سند خطى لضمان قطعة من الأرض الزراعية التابعة للشيخ خزعل

قران

« ٢٠٢٥٠٠ »

نصفه

« ١٠١٢٥٠ »

فقط مايتان ألف وألفين وخمسماية قران لا غيرها

وجه تحرير السند هو أنه :

نحن يا مفتن ولفتة ، أولاد مطلب الحاج سبهان قد ضمنا ربع من نصيفية بيت سعيد بن عظمة مولانا الشيخ خزعل خان – دام ظله العالى – بمبلغ المشروح أعلاه فقط مايتين ألف وألفين وخمسماية قران ، وأننا ملزومين نسلم المبلغ المذكور بموجب ثلاثة أقساط ؛ القسط الأول فى أول التقسام ، والباقى نسلمه بأسرع وقت ، وأعطينا هذا السبب للبيان .

تحريراً فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان سنة الألف وثلاثماية واثنين وأربعين هجرية .

٢٩ شعبان سنة ١٣٤٢ (١٩٢٣)

ختم — ختم — عن إقرار لفتة المطلب — عن إقرار مفتن المطلب

الملحق السادس

فى الشئون الكمارك(١)

(١) وثيقة خطية لضمان أجور الحمالية لكمرك المحمرة «خلال حكم الشيخ مزعل»

قران

٥٣٫٥٠٠

نصفه

٢٦٫٧٥٠

فقط ثلاثة وخمسين ألف وخمسماية قران لا غيرها

الباعث لتحرير السند :

إنى الفقير إلى سبحانه يا عبد الرضا بن قاسم قد ضمنته من حضرة مولانا الأعظم ومولانا الأقوم معز السلطنة وأمير تومان الشيخ مزعل خان دام بقاه الكمرك والأسكلة كجارى العادة سنة كاملة فى مبلغ عده وقدره حكم المشروع أعلاه ثلاثة وخمسين ألف وخمسماية قران التى يعمل نصفها عن السهو ستة وعشرين ألف وسبعماية وخمسين قران والدراهم أسلمها مقاسطة كل شهر قسط والوعدة من حال التاريخ إلى انفصال المدة وقد أشهده على نفسى وإن الله خير الشاهدين .

حرره وجرى فى يوم الخامس عشر من شهر ربيع أول أحد أشهر سنة الألف والثلثماية وأربعة عشر هجرية على مهاجرها الألف التحية والصلاة ١٥ ربيع الأول سنة ١٣١٤ (١٨٩٦م)

عبد الرضا
ختم

(١) نص خطى محفوظ لدى الشيخ حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

(ب) وثيقة خطية لضمان أجور الحمالية لكمرك المحمرة «خلال حكم الشيخ خزعل»

قران

١٥٢٫٠٠٠

نصفه

٧٦٫٠٠٠

فقط ماية واثنين وخمسين ألف قران لا غيرها

وجه تحرير السند :

أنا الفقير إلى الله سبحانه وتعالى يا عابدى الصمور على ولازم ذمتى لدافع السند حضرة مولانا الأعظم وملاذنا الأقدم جناب المستطاب الأجل الأمجد معز السلطنة وأمير تومان الشيخ خزعل خان دام بقاه مبلغاً قدره حكم المشروح أعلاه ماية واثنين وخمسين ألف قران من السكة السالكة التى يعمل نصفها عن السهو ستة وسبعين ألف قران وذلك عن ضمان الخانة والسوق والسيف والأمبار والاسكلة مدة سنة كاملة من حال التاريخ إلى انقضاء اثنى عشر شهر كاملاة والدراهم المذكورة أسلمها قسط بقسط وليس لى انفكاك إلا بالوفاء وأموال الذى تخص بيت الخضيرى وكارح دخول وخروج ما إلى استحقاق فى رسم كمرك أموالهم من جميع الوجوه وأعطيت هذا السند وأشهده على نفسى والله خير الشاهدين .

حرره وجرى فى غرة شهر شعبان الأول أحد شهور سنة الألف وثلثماية وسادس عشر من الهجرة على صاحبها آلاف التحية والصلاة.

عن إقرار
عابدى بن صمور

غرة شعبان المكرم سنة ١٣١٦ (١٨٩٨م)

الملحق السابع

أمراء الكويت

١ — صباح الأول (١٧١٨ — ١٧٧٦) وهو أول أمراء الكويت

٢ — عبد الله (١٧٧٦ — ١٨١٤)

٣ — جابر (١٨١٤ — ١٨٥٩)

٤ — صباح الثانى (١٨٥٩ — ١٨٦٦)

٥ — عبد الله الثانى (١٨٦٦ — ١٨٩٢)

٦ — محمد (١٨٩٢ — ١٨٩٦)

٧ — مبارك (١٨٩٦ — ١٩١٥)

٨ — جابر الثانى (١٩١٥ — ١٩١٧)

٩ — سالم (١٩١٧ — ١٩٢١)

١٠ — أحمد (١٩٢١ — ١٩٥٠)

١١ — عبد الله (١٩٥٠ — ١٩٦٥)

١٢ — صباح (الأمير الحالى) (١٩٦٥ —)

جابر (ولى العهد الحالى)

الملحق الثامن

رسائل خاصة بمؤتمر الكويت ١٩١٦ [١]

(ا) رسالة من الشيخ خزعل والشيخ جابر إلى السير برسى كوكس بعد انعقاد مؤتمر الكويت ١٩١٦

حضرة صاحب السعادة والإجلال المفخم المحب الودود سير برسى كوكس الحاكم السياسى فى العراق دام مجده العالى

بعد تقديم احتراماتنا الفائقة لحضرتكم السامية هو أن يد الطاعة والخلوص تناولت أمركم العالى المؤرخ ٢ كانون الأول ١٩١٦ وبه أمرتم أن الحكومة الجليلة أبرقت لسعادتكم بشأن اجتماعنا المنعقد بالكويت واتحادنا بالصوت لأجل تقوية مسائل الأمة العربية وصون حقوقها والارتباط مع دولتنا البريطانية العظمى وأن سعادة مندوب الدولة الفخيمة بالقاهرة أخبر الشريف بالتلفون عن كل ما جرى لكى يتقوى عزمه ويستر قلبه وأن سيادة الشريف طلب من سعادة المندوب المشار إليه لكى يفيدنا بإظهار تشكراته الصميمة فى العبارة التى تلطف سيادة الشريف المندرجة بذيل كتاب سعادتكم أسرت قلوبنا ، إننا من صميم القلب نشكر حسياتكم الودية وعواطفكم الكريمة ونرجو من حضرتكم عرض خلوصنا وامتناننا لسعادة مندوب دولتنا البريطانية الفخيمة .

فقد حررنا إلى سيادة الشريف كتاب جواباً لعبارته تجدونه بطيه تطلعون على مضمونه ونرجو تقدمونه لسيادته بالتلفون بواسطة سعادة مندوب الدولة بالقاهرة لكى

---

(١) حسين الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى ج ٣ : ١٠٩ — ١١٠ .

يبلغ مضمونه سيادة الشريف بالتلفون ونكون شاكرين فضلكم وإحسانكم ونرجو دوام توجيهاتكم لمخلصيكم ودمتم رافلين بالعز والتوفيق .

١٣ صفر ١٣٣٥ (١٩١٦)

مخلصكم	مخلصكم
حاكم الكويت	حاكم المحمرة وتوابعها
جابر المبارك الصباح	معز السلطنة سردار أرفع

(ب) رسالة من الشيخ خزعل والشيخ جابر إلى الشريف حسين بعد انعقاد مؤتمر الكويت ١٩١٦

حضرة حميد المكارم والشيم صاحب الشوكة والفخامة وسيدنا وسيد الجميع الوالد المعظم الشريف حسين نجل المرحوم الشريف على المفخم دامت شوكته .

بعد تقديم الاحترامات الفائقة لمقامكم الرفيع بكل فرح وسرور تلونا عباراتكم الودية التى تلطفتم بها على مخلصيكم بواسطة سعادة مندوب دولتنا البريطانية العظمى بالقاهرة المشتملة على إظهار مسروريتكم وتهنئتكم القلبية بخصوص اجتماعنا المنعقد فى الكويت وحضره الأمير عبد العزيز بن سعود أننا بكامل الاحترام نقدم لسيادتكم الطاهرة فائق التشكرات وجزيل الامتنان وندعو الله أن يؤيد شوكتكم ويديم عزكم ويمدكم بإمداداته الصمدانية . فاعلم يا سيدى أن جل قصدنا من هذا الاجتماع تقوية مسائل الأمة العربية والملة الإسلامية والارتباط مع سيادتكم الطاهرة والدولة الفخيمة البريطانية . ونرجو أن يكون الاتحاد الخيرى مقروناً بالعز والنجاح والسعادة فالواجب علينا الإخلاص فى هذا العمل السعيد وجميع من به حمية للأمة العربية فلا شك أن يكون مسروراً وممنوناً من ذلك ويكون تابع مسلكنا سبيل الإرشاد وفى ظل فلا هادى له وأمر

سيادتكم أن لو كان علمتم عن ذلك الاجتماع قبل وقوعه لكان شرفتموه بمندوب لكى ينوب عن سيادتكم فاعلم يا سيدنا أن لو قسم الله ذلك لكان عندنا من أعظم النعم والمحظوظية ونحن أيضاً منسوبين ومحسوبين سيادتكم فى كل حال ونسأل الله أن يقرن جميع مساعيكم الحميدة بالعز والنجاح ويوفقنا لجلب رضاكم ومسرة خاطركم .

هذا والمأمول دوام توجيهاتكم القلبية ولا زلتم رافلين بالعز والسعادة .

فى ١٣ صفر ١٣٣٥ (١٩١٦م)

جابر المبارك	خزعل بن جابر
الصباح	المردار

الملحق التاسع

الرسائل المتبادلة بشأن توسط الشيخ خزعل بين نجد والكويت (١)

(ا) رسالة من الميجر مور إلى الشيخ خزعل

نمرة ٨

حضرة الأفخم الأجل صاحب المعالى والسعادة السردار أقدس المحب الشيخ سر خزعل خان المحترم

بعد تقديم واجبات الاحترام والسؤال عن شريف خاطركم بعده ، نسبة إلى مباحثاتنا إنى قد أبرقت إلى فخامة السير برسى كوكس نصيحة سموكم على ذهاب نجلكم الشيخ جاسب إلى الرياض برفقة الشيخ أحمد الجابر ومع شخصين أو ثلاثة من تجار الكويت لكى يسعون وراء الصلح فيما بين سعادة

(١) حسين الشيخ خزعل – تاريخ الكويت السياسى ج ٤ : ٣٠٢ – ٣١٥ .

الشيخ سالم وابن سعود وأن يحمل تحريراً من فخامته بأنه سيذهب كمصلح
فقط ولا بصفة مميز فإنى مع المسرورية أخبر سموكم بأن فخامته جاوبنى بأنه قد
استحسن فكر سموكم وهو للغاية متشكر من سعادتكم على هذه الفكرة الحسنة
وفخامته يذكر بأنه يعلم بأن ابن سعود ما يقبل فى تحكيم سموكم فلذلك يلزم على
الشيخ جاسب أن يذهب بصفته الشخصية أى كنجل صديق الطرفين الذى له
شوق فى مساعدتهم لأجل إنهاء المسألة وعمل الإصلاح وفخامته بصفته الشخصية
كصديق محب للجميع يدعو بالنجاح والتوفيق للوفد .

ثم فخامته لا يرى منفعة من مفاوضة الشيخ جاسب عن الحدود ولكن ثابتاً
إذا هم يحددون الحدود موقتاً فمن بعد ذلك يجب تحكيم ورضا الحكومة عليه . إن
فخامته يوافق على أن النقطة المهمة هى أن يسعون وراء المهادنة والسكينة فيما بين
العشاير وفى الختام للأمل أن ينتج من ذلك النتيجة الحسنة والنجاح الباهر وهذا
مالزم تعريفه ودمتم .

٢٧ ربيع ٢ سنة ١٣٣٩ (١٩٢١)

ميجر جى . سى مور بولتكل أجنت لدولة بريطانية فى الكويت

(ب) جواب الشيخ خزعل على رسالة الميجر مور

جناب صديقنا الودود الأجل الأفخم ميجر جى سى مور بولتكل أجنت
الدولة البهية أقيصرية الإنكليزية فى الكويت المحترم دام محروساً

غب إهداء السلام والسؤال عن خاطركم العاطر هو أنه أخذنا بيد الوداد
كتابكم نمرة (٨) المؤرخ فى ٢٧ ربيع الثانى ١٣٣٩ وماذكرتم صار معلوماً خصوصاً
عن وصول جواب فخامة السير برسى كوكس عن ذهاب ولدنا جاسب مع
الشيخ أحمد لاشك أنكم تعلمون هذا أيضاً جل فكرنا أنهم يذهبون بصفة صداقة
ويتفاوضون فى مسألة الصلح فقط لا بصفة تحكيم وإن شاء الله ما يصير إلا الذى

يحبه خاطر فخامة السير برسى كوكس ونسأل الله النجاح وبالختام اقبلوا منا جزيل
التحية والإكرام ودمتم محروسين .

فى ١٨ ربيع الثانى ١٣٣٩ — خزعل

(ج) رسالة من الشيخ أحمد الصباح إلى الشيخ خزعل

حضرة حميد السجايا والشيم عالى الهمم الأجل الأفخم سيدى العم سردار
أقدس الشيخ خزعل خان المفخم دام وجوده وإقباله آمين .

بعد تقديم السلام وواجب الاحترام لمقامكم السامى والسؤال عن صحة
وجودكم المسعود نسأل الله أنكم فى صحة وسرور بعده بلغنا خبر انتقال المرحوم
العم الشيخ سالم إلى رحمة الله فى أجله الموعود ونحن عند الإمام فهذا شأن الدنيا
كل من عليها فان نسأل الله أن يتغمده فى رحمته ويسكنه فسيح جنته ولعلمنا
بمودتكم إلى هذه العائلة حررنا هذه العريضة بداعى التعزية نسأل الله أن يديمكم
للجميع ويوفقنا لرضاء البارى جل شأنه وإلى حسن خدمتكم هذا والرجاء دوام محبتكم
مع إبلاغ سلامنا الأخ الشيخ عبد الحميد وإخوانه ومنا الأخ الشيخ جاسب يقبل
أياديكم والمولى يحفظكم .

فى ٢٣ جماد الثانى ١٣٣٩ — أحمد الجابر الصباح

(الملحق)

سيدى دام الله وجوده : منجهت الصلح تذاكرنا قبل ورود خبر وفات
المرحوم الشيخ سالم وأخرنا المذاكرة إلى يوم الخميس ٢٣ شهر جمادى الثانى
١٣٣٩ فى صباح اليوم المعين ورد لنا كتاب من قنصل البحرين يخبر عن وفات
المرحوم نحن جالسين فى صيوان الأخ الشيخ جاسب وإذا فى الأمام بنفسه مقبل
علينا وأخبرنا عن وفات المرحوم وفى الوقت الذى أخبرنا تم الصلح بين الطرفين على

موجب ما تحبون والإمام أمر فى إرسال معتمد إلى الأحساء والقطيف وجميع البادية يعرفهم بخصوص الصلح وكذلك أمر أحد خداماه يتوجه إلى بلدكم الكويت مع أحد من خداماك والأمور من فضل الله على ما تحبون إن شاء الله بكرة نهار الجمعة متوجهين إلى الأحساء وبوصولنا البحرين إن شاء الله نتيل. الله يديم لنا وجودكم .

(د) رسالة من الشيخ خزعل إلى الشيخ عيسى الخليفة

جناب حميد المكارم الشيم الأجل الأكرم الشيخ عيسى الخليفة المحترم دام بقاه

بعد إهداء السلام والسؤال عن صحة مزاجكم السليمة الباهر وعنا بحمده تعالى بخير وسرور جعلكم الله كذلك .

ثم مع التوكل على الله عزمنا الصلح بين أولادكم المحترمين الشيخ عبد العزيز السعود والشيخ سالم ورفع الشك والصدود بين الطرفين لهذا عزمنا أن نسير الأولاد شيخ أحمد الجابر وجاسب للرياض لمواجهة الشيخ عبد العزيز بهذا الخصوص. وحيث علمنا بشفقتكم الأبوية على الجميع وسروركم فى هذا العمل الخيرى أصحبناهم بهذه النميقه الودية لإحاطة علمكم الشريف وسلامنا للإخوان الكرام .

فى ٢٨ جماد الأول ١٣٣٩

خزعل

(هـ) رسالة من جاسب إلى أبيه الشيخ خزعل

جعلت روحى فداك

بعد تقبيل أقدامك الشريفة

نعرض لحضرة سعادتكم من الساعة التى تحركنا من خدمتكم نهار الثلاثاء . ونهار الأربعاء الساعة الخامسة عربى وصلنا إلى البحرين وما كان أحد يدرى فى حركتنا لما وصلنا من بعد ساعتين أتانا يوسف كانو مع عبد العزيز القصيبى أخبرونا بأنه (هذه الساعة تلغراف وصل لنا من عبد اللطيف باشا المنديل عن حركتكم والمشايخ مالهم خبر فى ذلك).

بقينا فى المركب إلى الساعة الحادية عشر أجالنا الشيخ محمد ولد الشيخ عبد الله ومن بعده أجالنا الشيخ عبد الله ونزلنا من المركب مجدم (لمرسى) المركب إلى الجرف تقريباً ساعة ونصف .

لما وصلنا إلى الجرف لقينا جميع عيال الشيوخ والأشخاص حاضرين رضا عند الشيخ عيسى كثيراً وعن المحبة التى لا أقدر أعرضها لسعادتكم فى هذه العريضة ولكن شفاها أعرض لحضرتكم التفصيل عند تقبيل أياديكم فى وصولنا قدمنا لسعادتكم عريضة (تلغراف) فيه وصولنا إلى البحرين وكذلك عرفت حضرة السير برسى كوكس عن الوصول .

سيدى إن شاء الله تعالى مع التوكل على البارى جل شأنه بكرة نهار السبت ٣ جماد الثانى عزمنا نتحرك من البحرين إلى العجير ولأجل اطلاع سعادتكم عرضت فى خدمتكم .

سيدى : مركب القنصل ما كان عنده فحم طلب من عندنا وكيل القنصل ستة أطنان فحم لأجل لكى يوصلنا إلى العجير .

ثم سيدى : وكيل القنصل أخبر الخادم بأن قبل خمسة أيام حضرة سر برسى كوكس عرفنى تلفونياً بأن أكتب مكتوباً إلى حضرة الأمير عبد العزيز المضمون بأن جاسب والشيخ أحمد وعبد اللطيف المنديل متوجهون لطرفكم لأجل ملاقاتكم إن شاء الله تعالى يرجعون من عندكم مسرورين والخط مشينة إلى الأمير عبدالعزيز لأجل اطلاعكم عرضت لخدمتكم ولا اكو فرد خبر جديد الذى يوجب العرض لسعادتكم .

وفى الختام أقبل أعتابكم وأسأل الله تعالى التوفيق وعمركم باقى وعدوكم فانى آمين .

ليلة السبت ٣ جمادى الثانى سنة ١٣٣٩ العبد المملوك

جاسب

(و) رسالة من عبد الله الخليفة إلى الشيخ خزعل

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عيسى آل خليفة إلى حضرة جناب الأجل الأفخم صاحب السمو الشيخ خزعل سردار أقدس خان المحترم دام مجده وعلاه آمين .

بعد السلام التام ووافر التحية والإكرام بمزيد الاحترام ثم أقدم لحضرتكم تشكراتى الخالصة على وصول الأخ الشيخ جاسب وأخيه الشيخ أحمد عند حضرة سيدى والد الجميع وحصل لنا كمال الفرح والسرور بمشاهدتهم وحال تاريخه عزموا على التجه إلى العجير نرجو الله أن يصحبهم السلامة ويجمعنا بهم عن قريب. المأمول اتصال كتبكم الكريمة على الدوام مع ما يبدو من مرام يقضى بمجرد الإعلام ويبلغ السلام حضرة الأخ الشيخ سالم والأولاد ومنا حضرة الوالد المكرم والإخوان والأولاد يهدونه ودمتم سالمين محروسين.

حرر فى ٣ جماد الثانى ١٣٣٩ ختم

(ز) رسالة من عبد الله ابن جلوى إلى الشيخ خزعل

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن جلوى إلى جناب الأجل الأكرم الشيخ خزعل بن المرحوم الحاج جابر المحترم دام عزهم آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ثم السؤال عن عزيز خاطركم لازلتم بكمال العافية والسرور . بعد فى أبرك ساعة وردنا كتابكم العزيز فتلوناه مسرورين لدوام وجودكم وما عرفتم كان معلوم . ولدكم المحروس الشيخ جاسب مع أربعة الشيخ أحمد الجابر وعبد اللطيف باشا المنديل وكافة خوياهم وصلو لطرفنا ويوم تاريخه نهار السبت سافروا لأخيهم الإمام عبد العزيز نسأله تعالى أن تقابلهم السلامة ويجعل لهم التوفيق رفيق وأملنا بالله قريباً يرجعون مع حصول المقصود ويقر الله عيونكم بهم .

هذا ما وجب تحريره ونأمل دوام مخابراتكم مع ما يلزم بمنه تعالى يقضى سلامنا الأولاد المحروسين . أولادنا يسلمون والبارى تعالى يحفظكم ودمتم كما رمتم والسلام .

تاريخ ١١ جماد الثانى ١٣٣٩ ختم

(ح) : رسالة من عبد العزيز القصيبى إلى الشيخ خزعل .

جناب الأجل الأكرم الأفخم حضرة سردار أرفع معز السلطنة الشيخ خزعل خان المحترم دام بقاه .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودمتم مسرورين بخير وعافية آمين .

تيلنا لجنابكم عن سفرة حضرة المكرم الشيخ جاسب خان مع رفقاه إلى العقير

وقد وردنا تلغرافكم تأمرون نفيدكم بما يبلغنا من الأخبار عن المشار إليه لا بأس ممنونين اليوم وردنا مكاتيب من الأحساء تفيد وصولهم الأحساء يوم الربوع الموافق (٩) وقد سافر من الحساء يوم السبت الموافق(١٢) .

سعادة الإمام عبد العزيز ظهرمن الرياض ونزل الحفر عن الحسا(٥) أيام وسيقام عليه بانتظارهم . وإن شاء الله بمساعيكم المبارك يحصل الاتفاق والراحة للعموم وخلاف هذا إن شاء الله نفيدكم بكلما تبلغناه الأخبار المسرة بالاتفاق والأمنية نرجو الله يصلح أحوال المسلمين . هذا ما لزم وشرفوا بما يلزم والسلام على الأولاد كافة ومنا الأولاد يسلمون ودمتم .

فى ١٥ جمادى الثانى ١٣٣٩

محبكم

عبد العزيز القصيبى

البحرين

الملحق العاشر

طلب الشيخ خزعل من الشيخ أحمد السلاح

فى أزمة النزاع مع رضا خان [١]

(ا) ملحق من الشيخ خزعل إلى أحمد الجابر بتاريخ ٢٧ صفر ١٣٤٣ (١٩٢٤م)

ولدى العزيز وفقك الله بالخير والمسرات من فضل الله وبسلامتك عماك ما عليه عايزمن جميع الوجوه لكن يعوز علينا شىء واحد هو السلاح لأن معلوم عند جنابك رفاقتك كثيرين من فضل الله والموجود عندنا ما يكفى للحاجة ولو أعلم أن حلالك وحلالى واحد والفرق معدوم لما أظهرت لك وذلك بصورة

(١) ملحق خطى محفوظ لدى حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

سرية بدون خبر كل أحد ولولا أحسب أن هذا الشىء عظيم لماطلبت مجىء ملا صالح لأن القصد من مجيئه حيث أعلم منه أنه موضع أسرارنا . . . . فبناء على المذاكرة التى جرت بيننا وقت حضورك فى محلك بالناصرية أرجو مساعدتك بهذا الخصوص . . .

(ب) ملحق من أحمد الجابر إلى الشيخ خزعل

سيدى من جهة الحاجة حسب أمركم عند اللزوم إنشاء الله نراجع المحبين ولاشك أنهم يساعدون فى كل أمر يئول منه نجاح فخامتكم بصورة سرية ونحن والله ما عندنا شىء بل نتشرف فى جميع أمر يسركم لأن رضاكم وامتثال أمركم علينا فرض . نرجو أن الله يوفقنا لذلك ويديم شوكتكم ويكمد أعداءكم بمنه وكرمه .

الملحق الحادى عشر

رسالة من نظارة الداخلية وولاية بغداد

إلى السيد طالب النقيب [١]

بعد أن احتج السيد طالب النقيب على مقال فى الجريدة عنوانه (إن السيد طالب بالاتفاق مع الشيخ خزعل والشيخ مبارك رتب معهما تسليم القرآن إلى العدو ومحو الإسلام)

مخرجه بغداد نمرة ١٢٩٤ رسمى

حضرة طالب بك أفندى

لانرى لزوماً أن نبين لكم أن فكر الفرد الواحد الوارد بإحدى الجرائد الحائزة الحرية بموجب قانون المطبوعات لا يكون له حكم ولا تأثير على

(١) عمر فوزى – أرج الطيب فى مآثر السيد طالب النقيب : ٤٧ .

ما لعطوفتكم وللشيخ مبارك والشيخ خزعل خان مما ذكرتموه من الخدم الدينية والوطنية فعلا .

١١ مارت ١٣٢٩ — والى بغداد

محمد زكى

الملحق الثانى عشر

نص الوعد البريطانى للسيد طالب النقيب ومقترحات النقيب إلى بريطانية (١)

(١) الوعد البريطانى للسيد طالب النقيب :

١ – تنصيب السيد طالب حاكماً عامًّا على ولاية البصرة ولوائى الناصرية والعمارة .

٢ – جعل اللغة العربية لغة رسمية فى الدوائر الحكومية والمدارس.

٣ – تعيين موظفين عراقيين فى جميع مناصب القضاء وفى الدوائر الرسمية .

٤ – جعل إدارة الأوقاف أهلية تحت إشراف الحكومة .

٥ – إعفاء أملاك السيد طالب النقيب وأملاك أسرته من الرسوم الأميرية .

٦ – تعنى الحكومة البريطانية بأمر المصارف والشؤون الاقتصادية والزراعية عناية خاصة لغرض تقدم البلاد ورقيها .

(ب) مقترحات السيد طالب النقيب للحكومة البريطانية :

١ – أن البلاد العربية ترغب فى التخلص من نير الاستعمار التركى

(١) سليمان فيضى – فى غمرة النضال : ١٨٨ – ١٩٠ .

لتعيش مستقلة لا لتبتلى باستعمار جديد لذلك فإنه – أى السيد طالب – يتعهد بإعلان الثورة ضد الأتراك مستعيناً بالضباط والجنود العرب وبالعشائر العراقية ، بدون تدخل الجيش البريطانى .

٢ – على الإنكليز أن يمدوه بالسلاح والذخائر والمال والطائرات والطيارين والفنيين فقط .

٣ – أن تبقى البواخر والقطعات البحرية الإنكليزية فى الخليج الفارسى خارج مياه شط العرب وألا تدخل الأراضى العراقية إلا عند اقتضاء الضرورة .

٤ – فى حالة اشتراك الجيوش الألمانية ضد العرب فيحق حينئذ لبريطانيا إنزال جيوشها فى البلاد .

٥ – إذا تم إخراج الترك من البلاد تؤسس دولة مستقلة دستورية تحت حماية الإنكليزية ملكية أو جمهورية حسب رغبة الشعب.

٦ – يمنح الإنكليز امتيازات اقتصادية فى العراق ويكون المستشارون الفنيون من الإنكليز دون سواهم .

٧ – إن النفقات التى يتكبدها الإنكليز فى مساندة الثورة تعتبر قرضاً على البلاد ويسدد على شكل أقساط من الميزانية وتنهى الحماية بتسديده وتبقى الامتيازات الاقتصادية وحدها نافذة .

٨ – أن تصبح هذه الشروط أساساً لمعاهدة دولية يوقع عليها مندوب رسمى من الحكومة البريطانية .

الملحق الثالث عشر

رسالة خطية من عبد المسيح أنطاكى إلى الشيخ خزعل [١]

بشأن تخلية بيوت الشيخ خزعل بالبصرة من القوات البريطانية التى فرغت لهم أثناء الحرب .

لمعالى فخر العرب والعجم والسيد السند المعظم مولانا ولى النعم معز السلطنة سردار أقدس صاحب السمو والعظمة الشيخ خزعل خان أمير نويان وسردار عربستان المعظم أدام الله علاه .

بعد عرض آيات العبودية والإخلاص على الأعتاب السنية الملوكانية أعرض أنى أنا عبدك المملوك لاهم لى إلا خدمتاك العلية أهمس بها آناء الليل وأطراف النهار، وإذا توفقت إلى شىء منها أقبالك الغالية يا ولى النعم رب المآثر والهمم .

مولاى أستطيع أن أرفع إلى أعتابك الكريمة إنجاز مهمة وفقنى الله إليها ذلك أنى أخذت وعداً شريفاً حازماً بتخلية جميع البيوت التى استعارتها من كرماك العسكرية الإنكليزية بعد ستة إلى سبعة شهور من هذا التاريخ بحيث لايحل شهر نيسان القادم إلا وجميع البيوت ترجع إلى معاليك وربما ترجع بعضها قبل نهاية هذا الأجل وألتمس أن تحفظ عريضتى هذه لتروا صدق الوعد الذى حصلت عليه وإنجازه وقد جرى على أثر ذكر البيوت خدمات ولى النعم للدولة الوفية بريطانيا العظمى وهى الخدمات الأدبية والمادية وما هنا موضع شرح ماتم ذكره بهذا الخصوص ولكن لى ما أقول بصراحة . إن خدمات عظمة الشيخ خزعل خان للدولة المفخمة الإنكليزية من مقدرة حق قدرها فى سجلات الجيش

(١) رسالة خطية محفوظة لدى الشيخ أحمد الخزعل فى البصرة .

البريطانى فى العراق وسيكون لها نصيبها بعد قليل من لندن الوزارة العظمى فى لندن والأيام ستحقق لعظمة الشيخ أن بريطانيا العظمى لا تهمل أصدقاءها ولا تنسى جمائلهم .

مولاى أثناء الحرب كل الذى كتبته لعظمتكم حققته الأيام وألتمس من عظمتكم أن تتفضلوا بحفظ هذه الكلمات لديكم حتى تروا بعد زمن ليس بطويل صحة ما أقول وحينئذ تتأكدون فوق ما فى تأكدكم بأنى لاأنام عن خدمة ذاتكم المقدسة طرفة عين والأيام بيننا وهى آتية لاريب فيها . مولاى إن إخلاصكم لبريطانيا العظمى واقتداركم وقوتكم واستعدادكم لبذل كل ذلك فى سبيل صديقتكم بريطانيا العظمى من الأمور المعروفة هنا اليوم وسوف تعرف بعد قليل فى لندن وهذا العبد المملوك غير غافل عن كل ذلك وإنى كما سبق وقلت إن اعتقادى بوفاء بريطانيا العظمى لأصدقائهم وأصدقاء دولتهم لاتتزعزع وإن الله مع الصابرين .

أعرض على أعتاب عظمة ولى النعم عبوديتى وإخلاصى وإنى العبد المملوك

البصرة ١٦ جولاى ١٩٢١

عبد المسيح أنطاكى

توقيع

الملحق الرابع عشر

اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال إمارة المحمرة (١)

إلى جناب الشيخ سير خزعل خان K.C.S.I., K.C.I.E سردار أرفع أمير نويان شيخ المحمرة وتوابعها — المحمرة .

بعد التحية

إلحاقاً برسالتنا المتضمنة خبر نشوب الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية أعلمكم بأن بريطانية أمرتني أن أبلغ سعادتكم شكرها بولائكم ولعرضكم المساعدة . وعليكم بعد ذلك أن تحاولوا بالتعاون مع صديقنا السيد مبارك الصباح حاكم الكويت والأمير عبد العزيز بن سعود أمير نجد الهجوم على البصرة وتحريرها من العثمانيين فإذا ما كانت هذه المهمة فوق طاقتكم فعليكم أن تجدوا الترتيبات للحيلولة دون وصول الإمدادات التركية إلى البصرة أو حتى القرنة إلى أن يصل الجند البريطانيون الذين سنرسلهم فى أقرب وقت بإذن الله وإنى لأرجو كذلك أن تصل سفينتان من سفننا الحربية إلى البصرة قبل وصول جنودكم إليها ومع أن هدفكم الأول سيكون تحرير البصرة إلا أننا نرجو أن تبذلوا كل ما لديكم من جهد لمنع الجنود وغيرهم من سلب بضائع التجار البريطانيين فى البصرة وأن تحموا الأوربيين المقيمين فى البصرة وتؤمنوهم ضد أى خسارة أو اضطهاد .

ولقد أمرتنى حكومة بريطانيا أن أقدم إلى سعادتكم مقابل هذه المساعدة

---

(١) هناك قسم من نصوصها فى : الحسنى — تاريخ الوزارات العراقية ج ٢ : ١٠٧، وهناك ترجمة ركيكة فى : حسين الشيخ خزعل — تاريخ الكويت السياسى ج٣ : ١٠٢ — ١٠٣، ومثلها فى مجلة صوت الإسلام فى العددين (٧ ، ٨) بغداد ١٩٦٤ (عربستان) .

(٢) وهى ألقاب حصلها الشيخ خزعل من بريطانيا لقاء تقديمه المساعدات لهم وترويج مصالحهم وحصلها معه الشيخ مبارك أمير الكويت .

القيمة وعداً بأننا إذا ما نجحنا — وسننجح بإذن الله — فإننا لن نعيد البصرة إلى الدولة العثمانية ولن نسلمها لهم أبداً وفوض إلى الآن أن أؤكد لكم بصورة شخصية وفى هذا الكتاب بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مهما طرأ من التبدل على شكل الحكومة الإيرانية وسواء كانت هذه الحكومة ملكية مستبدة أو دستورية مستعدة لأن تمدكم بالمساعدات اللازمة للحصول على حل يرضيكم ويرضينا معاً إذا تجاوزت الحكومة الفارسية على حدود اختصاصكم وحقوقكم المعترف بها أو على أموالكم الموجودة فى فارس . وكذلك ستبذل أقصى جهدها فى الدفاع عنكم لقاء أى اعتداء أو تجاوز يأتى إليكم من دولة أجنبية على دائرة اختصاصكم وحقوقكم المعترف بها أو على سلامة أموالكم الموجودة فى إيران . وهذه التأكيدات معطاة لكم ولخلفائكم من الذكور من صلبكم وتبقى أبداً معمولاً بها مادمتم أنتم وخلفائكم قائمين بواجباتكم نحو الحكومة الإيرانية على أن لا يرشح أحد من خلفائكم الذكور إلى الحكم إلا بعد امتزاج رأى الحكومة صاحب الجلالة البريطانية بصورة سرية وموافقتها على ذلك وأن تستمروا وخلفاء كم التابعين إلى مشورة حكومة صاحب الجلالة وتتخذوا موقف مرضى إزاءها . أما من جهة حكومة فارس فسنبذل منتهى جهدنا فى إبقائكم على ما أنتم عليه من الإدارة المختارة . وفضلا عن ذلك فستبقى بساتين النخيل العائدة لكم فى الجانب التركى من شط العرب كلها تحت حيازتكم وحيازة ورثتكم معفاة من الرسوم .

حرر فى ٢١ تشرين الثانى ١٩١٤

التوقيع

معتمد وقنصل عام دولة بريطانيا العظمى

فى الخليج

الملحق الخامس عشر

نموذجان من صورة تلغراف وارد من علماء الدين إلى الشيخ خزعل [١]

(ا) صورة التلغراف الوارد من مجتهدى النجف الأشرف وعلمائهم إلى الشيخ خزعل خان .

عشار — بواسطة الأجل الحاج حمود الملاك لحضرة الأجل الأكرم سردار أرفع دام إقباله العالى .

باسم الشريعة المحمدية يجب عليك النهوض والقيام واتفاقكم مع المسلمين فى مدافعة الكفار عن ثغر البصرة بالمال والنفس وبكل ما تقدرون عليه وهذا حكم دينى لايفرق بين إيرانى والعثمانى جاهدوا بأموالكم وأنفسكم ينصركم الله بحوله وقوته . بلغ هذا الحكم لجميع العشائر عرفونا سريعاً إقداماتكم .

خادم الشريعة	الأحقر	الأقل
محمد حسين المهدى	سيد مصطفى الكاشانى	شيخ الشريعة الأصفهانى
الأحقر	الأحقر	
آية الله زادة خراسانى	السيد على التبريزى	

فى ٢٧ تشرين أول سنة ١٣٣٣ (١٩١٤م)

(ب) تلغراف وارد من حجة الإسلام السيد محمد كاظم الطباطبائى إلى حضرة الشيخ خزعل خان عن النجف :

عشار — محمرة . سلام على السردار الأرفع معز السلطنة الشيخ خزعل دام إجلاله

(١) نص التلغراف محفوظ لدى حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخفى أن من أهم الواجبات المحافظة على بيضة الإسلام والدفاع بالنفس والنفيس عن ثغور المسلمين عن مهاجمة الكفار. وأنت فى ثغر مهم من تلك الثغور فالواجب عليك حفظ ذلك الثغر عن هجوم الكفار بكل ما تتمكن ، كما يجب ذلك على سائر العشائر القاطنين فى تلك الجهات واللازم عليك تبليغ ذلك إليهم كما أنه يحرم على كل مسلم معاونة الكفار ومعاضدتهم على محاربة المسلمين والأمل بهمتك وغيرتك أن تبذل تمام جهدك فى دفع الكافرين والله مؤيدك بالنصر على أعدائه إن شاء الله تعالى .

فى ٢٧ تشرين أول سنة ١٣٣٣ (١٩١٤)

محمد كاظم الطباطبائى

الملحق السادس عشر

رسالة خطية من الشيخ خزعل إلى الميجر مور [١]

جناب صديقنا الودود الأجل الأفخم ميجرجى سى مور وكيل الدولة البهية القيصرية الإنكليزية فى الكويت المحترم دام محروساً .

بعد إهداء السلام عليكم : هو أنه أخذنا بيد الوداد كتابكم رقم ١٢ رجب ١٣٤٠ نمرة ٤٨ المتضمن وصول بعض المفترين أكذبة بأنى كتبت إلى بعض شيوخ المنتفك ليحضرون عندى بالبصرة يحالفون لإطاعة ابن سعود . حقيقة أنى تعجبت للغاية وانزعجت من هذا الخبر فأرجوكم أولا تعرضون لفخامة

(١) محفوظة لدى الشيخ حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

السير برسى كوكس تشكراتى القلبية حيث أبرز حسن اعتماده بى وتكذيبه لهذا الخبر لكن كيف فخامته يظن أنى أعمل أو أتداخل بهكذا شىء قبل مراجعته رأساً أو بواسطة المأمورين من رجال الدولة العظمى وأخذ الرأى منه بذلك كما أنى أعتقد بأن فخامته مسبوق ويعلم علم اليقين أنى حتى أشغالى الخصوصية والشخصية ما أقدم ولا أؤخر فيها بدون مراجعته فكيف إذا كانت مسألة مثل هذه وعلاوة على ذلك أنا ما عندى غير المتابعة إلى مصالح الدولة المعظمة ورجالها الصادقين فإذا كانت هذه سريرتى هل يسوغ لى أن أتداخل فى أشياء مخالفة السياسة الحاضرة أو أعمل شيئاً بدون مشورته فبناء عليه أقول بكل صراحة إنى لا كتبت ولا أوصيت إلى شيوخ المنتفك ولا لغيره عن ذلك ولا كان عندى خبر من هذه المسألة لهذا أرجو من فخامة السير برسى كوكس أن يسعى برفع هذه الشبهات فيما يناسب المقام لكى بعد هذا لا يتجاسر أحد بنشر أخبار كاذبة كهذه هذا مالزم بيانه لكم ودمتم محروسين .

١٣ – رجب ١٣٤٠ (١٩٢١م)

خزعل

الملحق السابع عشر

رسالة من جاويد باشا إلى الشيخ خزعل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب حاكم المحمرة حضرة الشيخ خزعل خان المحترم دام بقاه آمين

امتثالا إلى طلبكم العالى أرسلنا إلى حضرتكم ياورى إبراهيم أفندى الذى معتمدى من كل الوجوه لازم تتذاكرون معه محافظة الدين الإسلامى الذى

(١) محفوظة لدى حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

مبشر بالقرآن الكريم ببقائه إلى يوم القيامة وننتظر معاونتكم العالية بعد تقديم الاحترام إليكم والسلام.

فى ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ (١٩١٤)

والى بغداد وقائد عموم العراق

ختم

محمد حسين جاويد

الملحق الثامن عشر

بيانات من الشيخ خزعل إلى عشائره[1]

(ا)– بيان من الشيخ خزعل إلى رؤساء العشائر عند قيام الحرب العالمية الأولى : مر علينا الدور السابق ونحن ننشر فيه عن الجد الصادق لأبناء عنصرنا ما تضمره لهم بريطانيا العظمى من الحرية التى تمنحهم السلطة على نشر المعارف والفوز بنتائجها والأخذ بمجدهم القديم وشرفهم الأصيل ، ولم يزل العنصر العربى يردد نصائحها الجدية ويصدر عن إرشادنا إلى سبل الحقيقة حتى جال وصال وأخذ يتطلع لما أفصحت عنه غير مرة بريطانيا العظمى من حرية الشعوب وإنقاذ البلاد العربية من نير الجهل وفخ الخمول .

وبحمد الله تعالى نجح مسعانا ، وبلغنا آمالنا ، وأطلت السعادة على الشعب العراقى وتخلص عنصرى الكريم من ذلك النير (نير الظلمة والعمى) وتدانى البعيد منه ، والتحم القريب وزاغ الخيال وأسفرت الحقيقة ، ولاحت معارجها ، واتضحت مدارجها يوم جلجلت بريطانيا العظمى عزيمتها وصدعت بجيوشها طوع غاياتها ومراميها فأدركت قريحتها أمنيتها ، ونهض داعى المدنية ، واستيقظ زعيم الحرية حتى أخذ الشعب العراقى يستأنف مفاخره ويعمل من مناهج رقيه بصائره ،

(١) نص خطى محفوظ لدى حسين الشيخ خزعل .

فما أرأفها وأعطفها به ، وما أقربه وأدناه لها . إنا نشكر عن وجداننا خالص ودنا لصديقتنا الصدوقة بريطانيا العظمى على رعايتها لعنصرنا ، ووقوفها لرقيه وحريته ، طالبين من الله تعالى مزيد العناية لها وله ، إنه سميع الدعاء ، قريب مجيب .

(ب) بيان من الشيخ خزعل إلى العشائر يعلن فيه تأييده لبريطانيا :

بسم الله تعالى

الحمدلله الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، فأعطاه القوة الباهرة ، وجعل منها سبيلا كهربائياً يصل من تلك القوة الباهرة ، فيصعد إلى الدماغ ، فيوحى إلى الفكرة ما يليق بالأعمال الموفقة إلى الطريق الموصلة إلى النجاح ، وذلك كل على قدر أهميته ، ومبلغ قدرته . فعلى ذلك :

إنى : **أولا :** أحمد الله الذى أمدنى فى العمر ووفقنى لصالح بنى جنسى من الخواص والعوام ، من العرب الحاضرة والبادية فى عموم اتحاد العراقيين ، حيث إنى بذلت لهم عظيم نصحى فى أول يوم دخول جيوش حكومة بريطانيا مدخل العراق ، وأوصيتهم باتخاذ طريق النجاح ، والرشاد مع من أراد انحطاطهم وعدم المداخلة إلى الحضيض الأسفل من الدركات وأذاقهم مرير الهوان ، والعذاب الأليم ، وأجهدت نفسى لهم حيث علمتهم أن حكومة بريطانيا العظمى هى الدولة الوحيدة المحبة لرقى البشر مطلقاً على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم ، وبينت لهم أنه لايتم لهم — ولا لأعقابهم من بعدهم — السعادة الكاملة فى هذه الحياة إلا بوجود هذه الدولة الراقية فى بلادهم ، فسمعوا ولله الحمد كلامى ، وأصغوا لنصحى بعد أن علموه مقارناً للحقيقة فاتبعوه .

ثانياً : حيث إنى أرى نفسى من رؤساء عرب العراقيين وكبش الفداء لعموم العرب وهى :

أولا : نفسى كونى ، وفقنى الله لخدمة أبناء بنى جنسى من الحضر والبادية .

ثانياً : أشكر من صميم فؤادى حكومة بريطانيا العظمى على ما أظهروه من حسن السيرة بصفاء السريرة تجاه عموم القبائل والعشائر العربية فى العراق على أنهم علموا كونهم مظلومين مغدورين فى زمن الحكومة السالفة ، وأيقنوا أنهم للآن فى نعمة تذكر فتشكر . وأشكر أيضاً حكومة بريطانيا العادلة على ما أظهروه بهذه المدة القصيرة على مرآى من الناس ومسمع من العمران ، والرقى والأمان والمساواة والعدالة فى عموم أنحاء العراق : من فتح المدارس ، وجلب الأدوات اللازمة لإخراج الماء ، وتعمير المدثور من الأراضى وأعمال الخراب منها ، ونصب الجسور ، لتسهيل العبور ، وتوسيع الطرق اللازمة كى لا تزدحم المارين والعابرين ، فعلى ذلك أتمنى من الله بواسطة حكومة بريطانيا العظمى أن يعودوا بالقريب مجد العراق ما كان من المجد الرفيع ، والشرف الأصيل فى سالف الأزمان ، وإنى أضرع إليه تعالى أن يوفقهم لما فيه صالح هذا الوطن الذى وصلت منه الروح إلى الحلقوم فى زمن الحكومة الغابرة .

الملحق التاسع عشر

رسائل من علماء النجف إلى الشيخ خزعل يرجونه التوسط لدى بريطانيا لإصدار العفو العام عن زعماء ثورة العشرين [1]

(١) حضرة الماجد الأجل الأفخم الأعظم ، جناب السردار أقدس الشيخ خزعل خان المعظم دام إقباله .

بعد إهداء وافر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نبدى : أننا لم نزل عندكم بالدعوات الخيرية تحت القبة المنورة الحيدرية ،

(١) نصوص خطية محفوظة لدى الشيخ حسين الشيخ خزعل .

بأن يجعلكم حصناً منيعاً للأمور المهمة ، ومصالح الأمة ، ولازم بلغكم ما حدث فى هذه الجهات ما أعقبه الدهر من الضرر على المسلمين ، والحبس والنفى على جماعة من المؤمنين، وحيث إنك — يا أيها الزعيم الكبير مطمح أنظار العموم، والرئيس المطلق ، النافذ القول ، لصداقتك وصدقك مع حكومة بريطانيا العظمى ، وسياستك وكياستك مع أولياء الأمور ، نأمل ونرجو من سعادتك — عند رجوع فخامة المندوب السامى (دام مجده) — تتشفع فى العفو العام، عن كافة المسجونين والمنفيين ، ولكم بذلك زيادة الأجر، ومنتهى مزيد الشكر منا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٩ رجب سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠) الأحقر أبو الحسن الموسوى الأصبهانى

ختم

(ب) — لحضرة الماجد صاحب الدولة السردار أقدس الشيخ خزعل خان المعظم ، دام حصناً وعزاً للشيعة . بعد إهداء السلام التام ، وإبداء التحيات اللائقة والاحترام ، والدعاء لكم بالتوفيق على الدوام . هذا ، ولازم استخبرتم بما جرى على سكان هذا القطر من الضرر ، بحبس ونفى جماعة المؤمنين ، وبما أن الله قد أنعم عليك ، بجميل الذكر ، وشايع الصيت ، ومزيد الفخر، وجعلك شبحاً لأنظار عموم العراقيين ، وبما أن لك الجاه ، والمنزلة الرفيعة عند الحكومة المعظمة البريطانية ، بعد ما أحرزوه من صداقتك ، فالمأمول من علو همتك — عند رجوع فخامة المندوب السامى — تطلب وتلمس منه الصفح عن المسجونين والمنفيين والمشردين ، فإن فيه صلاح الجميع ، وائتلاف القلوب ، ولك بذلك الأجر والفخر فى الدنيا والآخرة ، ومنا مزيد الشكر والدعاء لكم .

ودم مؤيداً — أيدك الله تعالى — والسلام .

تحريراً فى ١٤ رجب سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠) الأحقر على الحسينى الشيرازى

ختم

(ح) عمدة الأمراء العظام وزبدة الأكابر الفخام ، حضرة السردار أقدس الشيخ خزعل خان — دام ظله العالى — بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نبدى : أنا لم أزل عندكم ،وكافة إخواننا المؤمنين بالدعوات الخيرية ، نسأل الله تعالى أن يجعل مستقبل زمانك وزماننا خيراً من ماضيه ، ويجنبك وإيانا عن معاصيه ، ثم نعلمك بما هو خير لك فى الدنيا والآخرة — وإن كنت بذلك عالماً — وذلك بأن تتدارك أمر المنفيين والفارين والمسجونين من إخوانك المؤمنين الموحدين ، بتطلب إصدار العفو العام عنهم من الحكومة ، وبما أنعم الله عليكم من الاقتدار والرفعة يمكنك أن تشفع بالعفو عن هؤلاء المؤمنين ، وظنى بالله أن لك الشفاعة المقبولة ممن تنفع شفاعته يوم الدين — يوم لاينفع مال ولا بنون — وتساعدك على ذلك الدعوات المستجابة ونسأله التوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الراجى عفو ربه

١٥ رجب ١٣٣٩ (١٩٢٠) على الشيخ باقر قدس سره

ختم

(د) شعبان سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠)

حفظ الله تعالى وجود حضرة السردار الأقدس ، وأبقاه ووفقنا وإياه لرضاه، آمين :

يسرنى فى هذا الوقت السعيد ، أن أتلو لكم آيات الشكر والثناء ، حيث جاءت الأنباء تفصح عن اهتمامكم بالسعى وراء الأمر بالعفو عن المسجونين والمنفيين ، باستعطافكم فخامة المندوب السامى ، ولا غرابة ممن انطوت سريرته على محبة أبناء دينه ، نعم بادرنا لإنهاء شكرنا على هذه المهمة ، نظراً لأن

نعرب عن كمال رغبتنا لاستدامة سعيكم الصالح لمستقبل عموم أبناء دينكم العراقيين ، بصورة تتجلى عنهم غبرة سوء التفاهم ، الواقع بينهم وبين أرباب الدولة المعظمة البريطانية — تلك الدولة التى ما برحت تسدى مراحمها عليهم وتبالغ بالرفق فيهم . لهذا تشاهدونا نرغب كل الرغبة بأن تكونوا أنتم الواسطة فى المحافظة على الصداقة بينها وبينهم — لا سيا إذا منحتهم الاستقلال — فإنهم حينئذ أحوج لمساعيكم المباركة ، لأنا نرى نفوسهم إليكم متوجهة ، ترغب فى تولى أمورهم ، بالركون إليكم ، فاغتنموا هذه الفرصة الشريفة ، فإن الله تعالى قدمنا باللياقة التامة عليكم حتى جعل عامة الأنظار طامحة إليكم .

هذا وعليكم منا فائق السلام ، مشفوعاً بصالح الدعاء ، وجميل الاحترام لا زلتم بعز وتأييد مدى الأيام .

الأحقر مهدى آل الشيخ أسد الله طاب ثراه

نماذج للردود من الشيخ خزعل إلى بعض علماء النجف

(هـ) باسمه تعالى

أدام الله تعالى وجود حجة الإسلام ، ومنار الشرع الشريف لكافة الأنام ، مولانا وملاذنا حضرة الشيخ على — أبقاك الله حامياً حوزة الدين ، وأيدك هادياً إلى شريعة سيد المرسلين ، آمين .

أما بعد تقبيل شريف أنا ملكم ، وعرض ما يليق من الاحترام الرفيع جنابكم .

نبدى : وردنا كتابكم المؤرخ ١٥ رجب سنة ١٣٣٩ ، المشتمل على أمركم الذى ألبسنى سرعة المبادرة إلى امتثاله ، برود الفخر والشرف ، بعرض على فخامة الندوب السامى ما يوجب عطفه على المسجونين ، والمنفيين والمعتقلين ،

فتفضل فخامته بأن يصدر العفو العام ، إن شاء الله بلغكم أو سيبلغكم ذلك ونسأل الله التوفيق لرضاه . والسلام عليكم وعلى من يلوذ بكم والدعاء .

١ شعبان سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠)

خزعل

(و) — باسمه تعالى

أدام الله وجود ثقة الإسلام والمسلمين ، ومنار الشرع الشريف لكافة الموحدين ، حضرة مولانا الشيخ عبد الرضا — أبقاك الله حامياً حوزة الدين ، وأيدك هادياً إلى شريعة سيد المرسلين .

أما بعد نشر عريضة الخلوص ، وإهداء أزكى التسليمات إليكم ، وعرض ما يليق من الاحترام لرفيع جنابكم . فإنا نبدى : وردنا كتابكم الشريف المؤرخ ٢٣ رجب سنة ١٣٣٩ ، المشتمل على أمركم الذى ألبستنى سرعة المبادرة إلى امتثاله برود الفخر والشرف — بعرضى على فخامة المندوب السامى ما يوجب عطفه على المسجونين والمنفيين والمعتقلين ، فتفضل فخامته بأن يصدر العفو العام إن شاء الله يبلغكم ذلك ، أو سيبلغكم نسأل الله التوفيق لرضاه . والسلام عليكم وعلى من يلوذ بكم والدعاء .

١ شعبان سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠)

خزعل

(ز) — باسمه تعالى

أدام الله وجود حجة الإسلام ، ومقتدى الأنام ، مولانا وملاذنا الشيخ مهدى الشيخ أسد الله — أدام الله ظله .

بعد السلام عليكم ، وعرض ما يليق بساحتكم الرفيعة من الاحترام ، فقد

وردني كتابكم المؤرخ شعبان سنة ١٣٣٩، المشتمل على مزيد شفقتكم لمخلصكم بدعواتكم الصالحة ، فها أنا أشكر فضلكم وأسأل الله تعالى أن يوفقنى لتقبيل العتبات المقدسة والشرف بزيارتكم . والسلام

١٢ رمضان سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠)

خزعل

الملحق العشرون

نموذج من الرسائل المتبادلة بين علماء النجف والشيخ خزعل حول ترشيحة للعرش [1]

(ا) — رسالة خطية من الشيخ عبد الكريم الجزائرى—أحد علماء الدين فى النجف — يطالب فيها الشيخ خزعل ترشيح نفسه ملكاً على العراق .

بسم الله وله الحمد

حضرة الأجل الماجد صاحب الدولة السردار أقدس الشيخ خزعل خان. المحترم أدامه الله ، وأبقاه ، ووفقنا وإياه ، بما يحبه ويرضاه ، آمين .

بعد السلام والاحترام والدعاء بحسن الختام .

لايخفى ، أنى أعجب كل العجب منك ، مع علمى بمعرفتك وعقلك ، تجنبك فى هذه المدة عن أمور العراقيين ، مع أنك تربطك بهم رابطة المذهب والوطن واللسان ، هذا مع قطع النظر عن الخصوصيات السابقة مع آبائك — وبالأخص النجف — فإن آثاركم بها قديماً وحديثاً ، والآن — بعد أن شاع أن الدولة البريطانية قد أعطت الحرية للعراقيين بانتخاب من يشاءون لأمورهم العامة — وأنت لك الخصوصية على من سواك فى هذا الأمر ، فلو أعطيتهم بعضك لأعطوك كلهم ، فتدارك ما مضى من إعراضك بإقبالك

(١) نصوص خطية محفوظة لدى حسين الشيخ خزعل .

عليهم ، لتكون السبب فى إطلاق مسجونهم ، وإرجاع شاردهم ، وتأمين خائفهم ، وحفظ كافة شؤونهم ، وحفظ صداقتهم — بل وصداقة العرب مع الدولة المعظمة البريطانية وتحوز فخر الدنيا والآخرة . وفقك الله تعالى لكل خير ، آمين .

حرر يوم ٢٣ رجب سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠)

عبد الكريم الجزائرى

ختم

(ب) — رسالة خطية من الشيخ على كاشف الغطاء — أحد علماء النجف يطالب الشيخ خزعل ترشيح نفسه ملكاً على العراق .

حضرة الأجل صاحب الدولة السردار أقدس — دام تأييده — أنار الله كوكب سعده فى جميع الأوقات ، وجعله ملاذاً لكافة أهالى العراق . آمين.

بعد تقديم السلام والاحترام لمقامك الرفيع ، نبدي لحضرتك : أن أهالى العراق عموماً والنجف خصوصاً ارتباطهم مع بيتكم من قديم الزمان مادياً وأدبياً ، من زمان آبائك ، وقد زاد الارتباط فى زمانك إلى زمان احتلال الدولة المعظمة البريطانية ، نراك قطعت الارتباط — فى هذه المدة — مع أنك أولى الجميع بمداخلة الأمور العامة للعراقيين ، ولو كنت ، مع سياستك وعقلك ومعرفتك متداخلا فى هذه المدة ، لما وقع سوء التفاهم ولما أريق قطرة دم ،ولما احتاج العراقيون إلى الشريف وغيره .

فبناء على ذلك الأمل فيك ألا تحوج العراقيين للالتجاء إلى غيرك فى تولى أمورهم ، ونأمل أيضاً أن تستقر بك الأمور ، ويأتى الخائف ، ويرجع الشارد ، ويطلق المسجون ، ويتم بك استقلال العراق ، وتحفظ بك صداقة

العرب مع الدولة المعظمة البريطانية . وفقك الله تعالى لكل خير آمين . والسلام .

فى ٢٣ رجب سنة ١٣٣٩ (١٩٢٠)

المحب الداعى حاكم الشرع الشريف على آل
المرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره .

ختم

الملحق الحادى والعشرون

رسالة خطية من مزاحم الباجه جى إلى الشيخ خزعل[1]

البصرة ٩ مايس ١٩٢١

حضرة مولاى السردار

بعد التشرف بلثم أناملكم الشريفة ، أعرض : — إننى وفقا لأمركم ذهبت إلى بغداد ، وحكيت مع المعلومين ، فوجدتهم — كما سبق لى التنبؤ بحقهم — ورأيت الأحوال متغيرة للغاية ، وإقناع أحد بالمطلوب من أصعب الأمور ، بل تكاد تكون من المستحيلات .

أحضرت من الشخصين مكتوبين ، أرسلتهما مع الحاج مصطفى ، وأخبرنى بمندرجاتهما ، وهذا هو الذى كنت أتوقعه منهما — كما عرضت لسموكم ذلك قبل سفرى .

إننى اختبرت الحالة جيداً ، وعرفت بواطنها وظواهرها ، وصدقى مع سموكم يجبرنى أن أقول ذلك القول الذى قلت قبل شهر ، وهو أن المسألة

(١) جريدة البلد العراقية — ع ٨٤٨٠٣ — بغداد ١٩٦٧ .

أصبحت منتهية ، والسعى فيها لا أرى فيه أقل نفع — إذا لم يكن فيه بعض الضرر — ولا يبعد أن يكون هذا الضرر على مثلى ، إذا حاول تبديل ما وقع عليه الاتفاق ، وفاه به أهل الحل والعقد .

قبل سفرى إلى بغداد ، حضر عندى الحاج حسين العطية ، وشيخ غضبان ، وطلب الأخير بتوسط الأول أن أسعى عند الحكومة ، لأجل ترخيص الشيخ أن يذهب إلى بغداد ويعرض مسألته فكتبت له بعض التوصيات المعلومة ، ولا أدرى إذا ينجح فى مهمته أم لا .

هذا وإننى لا أزال ذلك العبد ، المخلص ، الصادق لسموكم ، أطال الله بقاءكم ، ومتعنا بعمركم ، وجعلكم لى فخراً وذخراً

الداعى
مزاحم الأمين الباجه جى

الملحق الثانى والعشرون :

رسالتان من نورى السعيد وجعفر العسكرى إلى الشيخ خزعل حول ترشيحه لعرش العراق[1]

(١) — رسالة خطية من نورى السعيد إلى الشيخ خزعل يعتذر عن تأييده لترشيح الشيخ خزعل للعرش بغداد — ٢٧ نيسان ١٩٢١

مولاى صاحب السمو

بعد تقديم واجبات الاحترام ، والإجلال إلى مقام سموكم العالى — أعرض : — إننى قد اجتمعت بصديقى مزاحم بك الباجه جى ، وبلغنى ما تفضلتم بإظهاره نحو العاجز من الإحساسات الشريفة ، واللطف الزائد الذى لا أستطيع إلا أن أقابله بخالص الشكر ومزيد الامتنان .

(١) نصوص خطية محفوظة لدى خيرى العمرى فى بغداد .

وقد فاتحنى حضرة الأخ المومى إليه بالمسألة المعهودة .فأسفت جد الأسف لعدم تمكنى من القيام بها ، لأننا قد تعهدنا — عند انتظامنا فى سلك الجيش — بعدم الاشتغال فى الأمور السياسية . والتى أغتنم هذه الفرصة ، وأقدم لسمو الأمير فائق الاحترام ، وأخلص الأمانى .

الداعى المخلص
نورى السعيد

(ب) — رسالة خطية من جعفر العسكرى إلى الشيخ خزعل يعتذر عن تأييده لترشيح الشيخ خزعل للعرش (وقد نصت رسالته على ما يلى) :

المعروض بعد الدعاء المفروض هو أنى بعد أن أرفع احتراماتى الفائقة وتعظيماتى اللائقة إلى سموكم — أعرض ؛ أن صديق الطرفين مزاحم بك الأمين الباجه جى بلغنى بألطافكم وإحساساتكم الشريفة ، فأشكر سموكم من صميم القلب على ذلك . وأما المسألة المعهودة ، أعتذر عنها حيث سبقت فى العهود بعدم الاشتغال بالسياسة لانتسابى للجيش .

هذا ، وتفضلوا — يا سمو الأمير — بقبول فائق الإخلاص والاحترام منى .

فى ٢٧ نيسان ١٩٢١

الداعى
جعفر العسكرى

الملحق الثالث والعشرون

رسالة خطية من متصرف البصرة أحمد الصانع إلى الشيخ خزعل إثر وصول الأمير فيصل إلى البصرة[١]

حضرة مولاى وسيدى ولى النعم المعظم — أدام الله إقباله ، وبلغه آماله .

(١) نص خطى محفوظ لدى الشيخ حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

بعد الدعاء وتقبيل أياديكم الكرام .

نعرض : أنه نهار أمس شرف حضرة صاحب السمو والدكم الأمير فيصل . وليلة البارحة صار لنا من مختصر نحو ساعتين كثر فيها المذاكرة وبلغته سلام سموكم ، والمانع من تشريف حضرتكم ، لأجل السلام عليه ، وقلت له كنت أتمنى لوما هذا المانع أن فخامة السردار يشرف وتراه ، وتعيد له الزيارة فى قصره العامر لو تسمح الفرصة لكان سموه يشرف فى مركب مهداة له من دولت الإنكليز ولكان سموكم تتمكن مع قصر الفرصة تزوره بالمركب ، أجاب : إن كل ما ذكرت عن أخلاق سمو السردار ثابت عندى من ذى قبل ونسمع عنه ، وأراه بمقام الوالد لى، وحتى جلالة والدى أمرنى أن أبلغ سلامه إلى سمو السردار ،وإنى أرجوك حينما تجتمع بحضرة السردار تحكى له ما دار بيننا من البحث ،وإنى أود لو ما كان هذا المانع وأراه، وأعيد الزيارة له فى قصره حتى لو تكون المسافة ليالى وأياماً . وأخبرته أن سموكم أرسلتم مخدومكم عبد الكريم ، لأجل السلام عليه ، وأنه يحضر صباحاً . .

١٧ شوال ١٣٣٩ (١٩٢١)

عبدكم
أحمد الصانع

الملحق الرابع والعشرون

رسالة خطية من الشيخ خزعل إلى ولى عهده ابنه الشيخ جاسب بعد امتناع أتباعه فى البصرة من الاشتراك فى انتخاب الأمير فيصل[١]

نور العين ولدنا الأكمل الأرشد جاسب — حفظه الله تعالى .

بعد سؤالى على حالك ، ثم خطك وصل ، وما ذكرت صار معلوم ،

(١) نص خطى محفوظ لدى الشيخ حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

فعاد حالا تروح إلى جناب ميجر ولسن ، تقول له : بأن والدى يسلم عليك يقول : خصوصيتى وإخلاصى بالنسبة إلى دولة بريطانيا العظمى ليس خافى عليكم . وأنا موافق إلى سياستكم فى كل الوجوه لهذا ، من جهة الانتخاب ، نحن ما مانعين طوايفنا انلا ينتخبون الأمير فيصل ، لكن هذا صاير سوء تفاهم ، لأن ، أولا : الأمير فيصل صديق حكومة الإنكليز وتابع إلى سياستهم ، ثانيا : أنا لى سوابق مع حضرة الشريف وخصوصيات فكيف أقول إلى طوايفى : لا ينتخبون الأمير فيصل ، ولكن قصدنا فردشى إنه إذا طوايفنا ينتخبون يذكرون فى أوراق الانتخاب بأن نحن ياطوايف فلان الساكنين بالبصرة أيضاً منتخبين الأمير فيصل لأن هذه العبارة نريدها المستقبل حتى لا يصير اعتراض فى مسألة طوايفنا ، والله يشهد حتى أنا لو يمكن كان مهرت فى ورقة الانتخاب باسم الأمير فيصل . المقصد ، بعد ما تعرض المسألة على جناب صديقنا الميجر ولسن فإذا رضى فى عبارة (إنه نحن يا طوايف فلان أيضاً منتخبين الأمير فيصل) حالا ترسل على رؤساء طوايفنا الذين بذاك الطرف وتأمرهم حالا يمهرون الأوراق ، وإذا ما يرضى بهذه العبارة نحن تابعين إلى سياستهم بكل وجه أيضاً أرسل على رؤساء الطوايف الذين بذاك الطرف وقول لهم يمهرون .

فى ٢١ ذى القعدة ١٣٣٩ (١٩٢١)

خزعل

الملحق الخامس والعشرون

ملحق : من متصرف البصرة إلى الشيخ خزعل يوضح له فيها انتخاب فيصل ملكاً على العراق [١]

ملحق : من أحمد الصانع إلى الشيخ خزعل.

أمرت ولدنا أن يتشرف بخدمتكم بالأهواز ، قصدى بعرض لأعتابكم تفصيلات الأحوال . أما الرجل فهو لامحالة ملك إلى العراق ولابد وصلتكم الجرائد والمنشورات الرسمية ، وفى هذا اليوم ابتدينا بالانتخابه ملكاً علينا طبقاً لى صورة المضبطة الواردة إلى المتصرفية من وزارة الداخلية المصدرة فى قرار مجلس الوزارى الذين بايعوه رسمياً وفى مقدمتهم رئيس الوزارة .

الملحق السادس والعشرون

ملحق : رسالة من مشاور لواء البصرة إلى الشيخ خزعل [٢]

تحريراً فى البصرة فى ٣ ذى الحجة سنة ١٣٣٩ الموافق ٧ أغسطس سنة ١٩٢١

نمرة ٥٩٧٨ عمومى ٤/٢

جناب صاحب السمو السردار أقدس حضرة الشيخ خزعل خان الفخم — أدام الله علاه — بعد السؤال عن شريف خاطركم ، لعلكم متمتعين بتمام الصحة والعافية ، وفى الوقت نفسه أنتهز فرصة لأعبر فيها لسموكم عظيم امتنانى وجزيل

---

(١) نص خطى محفوظ لدى الشيخ حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

(٢) نص خطى محفوظ لدى الشيخ حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

تشكراتى ، تلقاء المساعدة الكلية التى أبديتموها بخصوص انتخاب سمو الأمير فيصل ملكاً على العراق . وفى الختام تفضلوا بقبول فائق احتراماتى .

مشاور لواء البصرة ولسون

الملحق السابع والعشرون

رسالة خطية من الشيخ خزعل إلى أحمد الصانع متصرف لواء البصرة بعد حفلة تتويج فيصل ملكاً على العراق[١]

جناب صاحب السعادة الأجل الأفخم أحمد باشا الصانع متصرف لواء البصرة المحترم دام محروساً — بعد الاستفسار عن خاطركم العاطر ، وعنا نحمده تعالى بخير وسرور ، ولقد ازادنا سروراً حين وصلت إلينا البشارة عن رجوعكم من بغداد ، فهنئتكم بوصولكم بالسلامة والسرور ونبارك لكم عن حضوركم فى يوم تتويج جلالة الملك فيصل ، فنقول : يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيما بمشاهدة ذلك الاحتفال الشريف . . . أتوسل إلى الله أن يؤيده ويديم سلطنته بالتوفيق ودوام الارتباط مع الدولة العادلة بريطانيا العظمى . ولقد كنت منتظر ورود كتابكم المبشر عن ذلك عند وصولكم البصرة ، لكن يقيني كثرة مشغوليتكم حرمتنا من هذه البشارة .

بادرت بترقيم هذه النميقة الودادية نهنيكم ومستفسراً عن سلامتكم . وهذا مالزم بيانه لكم ودمتم محروسين .

٧ محرم سنة ١٣٤٠ (١٩٢١)

خزعل

(١) نص خطى محفوظ لدى الشيخ حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

الملحق الثامن والعشرون

رسالة من الملك فيصل الأول إلى الشيخ خزعل بشأن مؤتمر المحمرة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو السردار الأقدس الشيخ خزعل خان أمير المحمرة المعظم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد، فإن صبيحة بك وزير الأشغال العمومية فى حكومتنا قادم إلى المحمرة ليجتمع فى نادى عظمتكم مع مندوبى عظمة السلطان عبد العزيز ، وهو من خيرة رجالنا الذين نثق بهم ، ونعتمد على صدقهم وحسن شهادتنا ويستدعى التفات سموكم نحوه .

وإنى لأرجو أن يكون خير وسيلة لتأييد روابط الولاء والمحبة بيننا ، ولا أشك أن فى هذا الاجتماع الذى أؤمل أن سيكون من ورائه نفع كبير للقطرين المجاورين : العراق ونجد ، وبقية الأقطار العربية فى قصركم العامر تحت إشرافكم الخالص الود لهو أجمل فأل ينبئ بحسن الخاتمة وبمقدمات النجاح بتقوية أسس السلم وتوثيق عرى الصداقة بين كافة البلاد العربية .

هذا وإنى — قبل أن أختم كتابى — أود أن أكرر لسموكم خالص شكرى على تفضلكم بقبول مندوبى فى قصركم العامر راجياً لعظمتكم مزيد الإقبال وتوفر أسباب الصحة والعافية .

٣٠ شعبان ١٣٤٠هـ

فيصل

(١) أمين لطفى — دليل البصرة — ١٩٤ — ١٩٥ .

الملحق التاسع والعشرون

تصريح فتح نهر كارون للملاحة الدولية[1]

Translation of a Persian Circular announcing the opening of the Karun River from Muhammerah to Ahwaz 70 October 1888 (F.O. 60/617. (P.R.O.).

The Persian Government, with a view to the extension of commerce and wealth in her provinces and the progress of agriculture in Khuzistan and Ahwaz has ordered the commercial steamers of all nations, without exception. Besides sailing vessels which formerly navigated in Karun River, to undertake the transport of Merchandise in the Karun river from Muhammerah to the Dyke at Ahwaz; but it is on the condition that they do not pass the Dyke at Ahwaz, upwards, as from the Dyke upwards the river navigation is reserved to the Persian Government itself and its subjects, and the tolls which the Persian Government will organize shall be paid at Muhammerah. Such vessels are not to carry goods prohibited by the Persian Government, and vessels are not to stay longer than necessary for the unloading of commercial loads.

(١) الدكتور محمود على الداود – الخليج العربى والعلاقات الدولية : ٢١٠ .

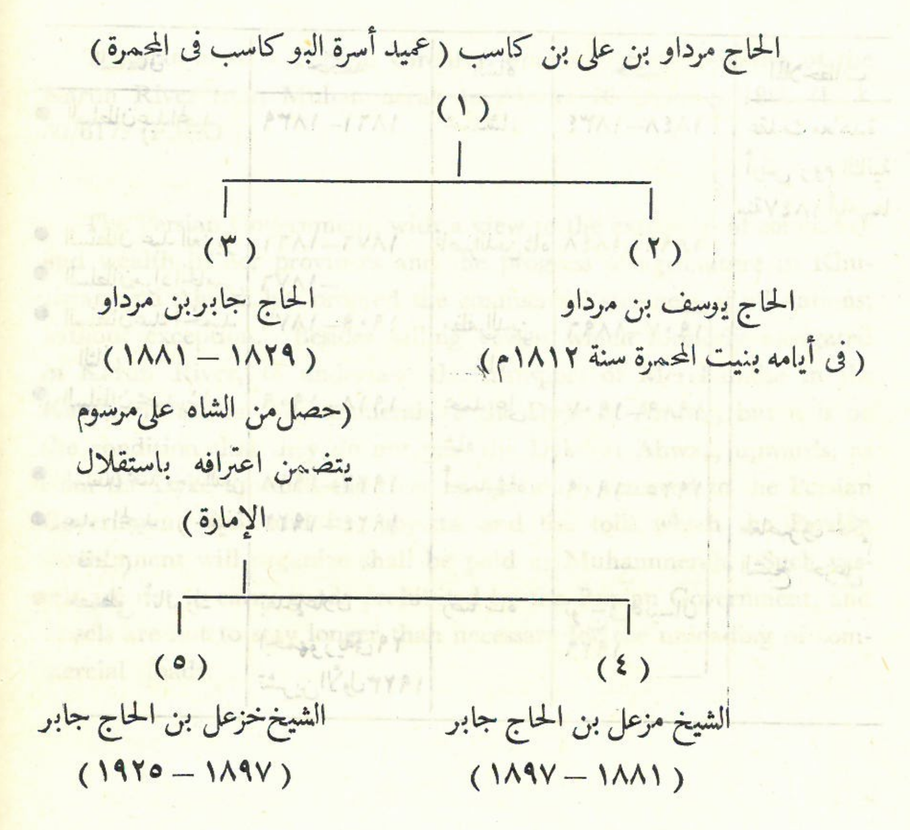
الملحق الثلاثون

حكام تركيا وشاهات فارس المعاصرون لإمارة المحمرة

السلطان	حكمه	الشاه	حكمه	الملاحظات
السلطان عبدالمجيد	١٨٣٩–١٨٦١	محمدشاه	١٨٣٤–١٨٤٨	عقدت معاهدة أرض روم الثانية سنة ١٨٤٧ أيامهما
السلطان عبد العزيز	١٨٦١–١٨٧٦	ناصرالدين شاه	١٨٤٨–١٨٩٦	
السلطان مراد الخامس	١٨٧٦–			
السلطان عبد الحميد الثانى	١٨٧٦–١٩٠٩	مظفرالدين شاه	١٨٩٦–١٩٠٧	
السلطان محمدرشاد	١٩٠٩–١٩١٨	محمد على شاه	١٩٠٧–١٩٠٩	
السلطان محمد وحيدالدين	١٩١٨–١٩٢٢	أحمدشاه	١٩٠٩–١٩٢٥	
عبد المجيد (خليفة فقط)	١٩٢٢–١٩٢٤			معاصرون لحكم الشيخ خزعل
مصطفى أتاتورك	بعد إعلان الجمهورية فى ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣	رضا شاه	توج فى ٥ نيسان ١٩٢٦	

الملحق الحادى والثلاثون

أمراء المحمرة حتى تقويض الحكم العربى



الملحق الثانى والثلاثون

تصفية الحسابات المالية بين الشيخ خزعل وحكومة إيران[١]

أهواز ٣ قوس ١٣٠٢

بموجب الصلاحية المخولة لى من وزارة المالية الجليلة ، والتفويض الممنوح لى من رئيس المالية العام ، وبناء على دفع مبلغ خمسمائة ألف تومان منها مئة تومان استلمت بالحال والباقى تسدد بعشرين قسطاً سنوياً كل قسط عشرون ألف تومان يدفع فى أول برج القوس من بداية سنة ١٣٠٣ بوساطة المصرف الشاهى فى المحمرة .

وهذه ورقة تصفية الحساب تشمل جميع الماليات التى كانت بذمة حضرة المستطاب الأجل الأكرم السردار أقدس — دام إقباله العالى — إلى آخر السنة المالية ١٩٠٢ ، وكذلك نظمت من هذه الورقة نسخة أخرى سلمناها إليه ، وقد وافق حضرة الأجل السردار أقدس على التنازل عن جميع ادعاءاته على الدولة من مخارج الديوان وفوج الحراسة (فوج البلوش) وغيرها ، إلى آخر السنة المالية ١٣٠٢ ، وليس له أى ادعاء أو مطالبة على الحكومة بأى وجه من الوجوه . وإن ورقة تصفية الحساب هذه ستبقى سارية المفعول ، ونافذة ، وغير قابلة للنقض إلا إذا تأخر دفع الأقساط أو جرت مماطلة فى دفعها .

رئيس تحصيلات المالية الداخلية العام
د . دبليو ماك كرماك

---

(١) نصوص خطية محفوظة لدى الشيخ حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

الاتفاقية المالية المعقودة بين الشيخ خزعل وكرماك (D. W. Mac. Cormaok)

الأهواز

٣ قوس ١٣٠٢ (٢٥ تشرين الثانى ١٩٢٢م ١٣٤٢هـ)

تم الاتفاق بين وزارة المالية الجليلة ، وبين حضرة المستطاب العالى الأكرم الأفخم سردار أقدس — دام إقباله العالى — على ما يأتى :

يدفع حضرة المستطاب العالى الأكرم سردار أقدس — دام إقباله العالى — فى بداية كل عام شمسى ابتداء من عام ١٣٠٣ مبلغ مئة وخمسين ألف تومان بأربعة أقساط سنوية متساوية فى بداية الأبراج التالية : الثانى والخامس والثامن والحادى عشر ، وذلك عن جميع الأملاك التى يملكها المومى إليه بموجب (الفرامين التى بيده والماليات غير الثابتة ، عن المحمرة وعبادان ، التى تسلمناها الآن) ، وقد عهد إليه بموجب هذه الاتفاقية استحصال الماليات غير الثابتة فى الناصرية ، وتدفع إلينا من قبله . على أن يحسم من المبلغ المذكور أعلاه فقط عشرون ألف تومان التى هى مصارف لديوانه الرسمى ومصروفات حراسة (فوج البلوش) ولا يصرف — زيادة على هذا المبلغ — أى شىء آخر بأى عنوان كان وما دامت هذه الاتفاقية سارية المفعول فتدفع إضافة سنوية على المبلغ قدرها ألف تومان فقط .

أوافق على ذلك — رئيس التحصيلات المالية الداخلية العام

وزير المالية — مدير المالية العام (D. W. Mac. Cormaok.)

أرسلت هذه الصورة بعد التصديق عليها من قبل وزارة المالية الجليلة إلى حضرة المستطاب العالى السردار أقدس .

(الأهواز) برقية ماك كرماك إلى ملسپوف D. W. Mac. Cormaok

فى طهران (Dr. Millspauph)

أهواز

٣ قوس ١٣٠٢ (١٩٢٢م)

دكتور ملسپوف — طهران

نمرة ٢١

صفيت جميع الماليات بذمة السردار أقدس وتسلمنا مئة ألف تومان نقداً، والبقية جعلناها فى أقساط سنوية كل قسط عشرون ألف تومان (فى عشرين قسطاً) .

وعن المستقبل قد حدد بمبلغ مئة وخمسين ألف تومان سنوياً على أن يحسم من هذا المبلغ — سنوياً — عشرون ألف تومان لمصاريف الديوان وفوج الحراسة (فوج البلوش) ، ولا توجد مصروفات أخرى غير ذلك .

إن السردار أقدس قد أبدى أعلى الهمم وإن العواطف وروح المحبة التى أبداها المومى إليه توجب الإعجاب والتقدير ، وإن السردار أقدس جدير بأن تقدم إليه وزارة المالية الجليلة كل شكر واحترام .

الملحق الثالث والثلاثون[1]

برقية من الشيخ خزعل — بوساطة السفارة العلية الإسلامية التركية فى طهران (دامت شوكتها) — إلى رئاسة مجلس الشورى الملى — شيد الله أركانه فى طهران .

إن المظالم والتعديات والاغتيالات وسفك الدماء والقتل العام الواقع على المسلمين من قبل المدعو (رضا خان) قائد القوات الإيرانية (سردارسپة) وضغطه على الحريات وخنقه الأحرار عن الكلام طيلة أربعين شهراً ، والمطمع

(١) مذكرات رضا شاه : ٤٥ — ٤٧ .

الأشعبية التى يكنها ، وتطاوله على كبار رجال الدولة ، وتخطيه الحدود المرسومة لمركزه ، ثم تطاوله على المركز السامى الملكى ، وما يبطنه من المطامع فى الاستيلاء على السلطة ، وما يقوم به من مفاسد ، مما أدى إلى إقلاق الأمن ، واضطراب المملكة . ثم تجاوزه على القانون المقدس مما سبب انفصام عرى المسلمين والجامعة الإسلامية الإيرانية . وبما أننا ممن يغارون على الدستور ويتفانون فى صيانته ، وصيانة الحرمات الإسلامية ، ويحرصون على إطلاق الحريات ، لا سيما حرية القول وإبداء الآراء السياسية كتابة وخطابة ، وعلى الأخص رفع سوء التفاهم بين المسيطر على زمام الحكم فى إيران وحزب الحر المسمى (حزب السعادة) الذى أسس بعد هذه النهضة الإسلامية المباركة ، لأجل حفظ استقلالنا وحماية الدين المقدس ، وصيانة المذهب الجعفرى ، وتأمين حرية الفرد ، واستقرار الأمن ، واحترام القانون الأساسى ، وصيانة أهداف المشروطية ، وإطاعة رأس الدولة الشرعى جلالة الملك أحمد شاه ، نرفع هذه المذكرة بوساطة سفارة الدولة العلية الإسلامية التركية ، لإيصالها إلى رئاسة مجلس الشورى الملى لأننا كنا ولا زلنا من خدام هذا الوطن ، وإن ما قمنا به تجاهه غير مستور وغير منكور ، وإننا لا ننكر هذه الخدمة الواجبة ، وأصدق دليل على صدق دعوانا ، شجب الأغراض الشخصية والمطامع الذاتية ، إننا أطعنا المجلس ، وسلمنا بالأمر الواقع منذ الثورة البهلوية ، إذ آزرنا الانقلاب كل المؤازرة ، لعلمنا أن الانقلاب كان لإصلاح الوضع وصيانة دستور البلاد واستقلال المملكة لا مخالفة الدستور ، والخروج على سيد البلاد ورأس المملكة الشرعى ، ونقض الإيمان المقدس ، واليمين العسكرى فى إطاعة الملك ، والقوانين الموضوعة ، ولهذا فإننا نعمل لتقدم إيران وإسعاد المملكة مرة أخرى ، وإننا جئنا الآن ، لنعمل على ما فيه سعادة المملكة ووضع حد للمطامع الشخصية التى تدور فى بعض الرؤوس ، وصيانة الحق ، وخلاص البلاد مما يكنه لها هذا الرجل فى الخفاء . إننا نتحمل كل الصعاب ، ولا نأسف من أن نتلقى الأوامر من الحكومة المركزية ، ولا نألوا جهداً فى بذل

المال والروح وكل مرتخص وغال ، وما يمكن من الخدمات ، ولكن لا ندرى ألحسن الحظ أم سوئه ، إننا منذ سنة اتضحت لدينا الحقائق الثابتة . وتأكد لدينا سوء نية هذا الرجل ورفقائه وبطانته ، وانفضحت سرائره ، وانكشفت مطامعه ، وعرفنا غاياته ، إنه يريد الاستيلاء على الثورة ، والاستحواذ على الحكم ، وهدم هذا العرش الوطيد منذ عشرات القرون ، بل يريد إعلان الدكتاتورية الفردية ، وأخيراً اضمحلال لواء الإسلام المقدس . والتفريط فى القانون الأساسى ، وضياع الغاية من المشروطية — أى الحرية والعدالة والمساواة — ونحن مقابل هذه الأمور تأثرنا كثيراً لما يتجه إليه الوضع والأخطار المحيطة بالدين وعقيدة المواطنين ، وتأكد لدينا أن شخص السردار رضا خان عدو للإسلام ، ومغتصب للحكم فى إيران ومتجاوز على حقوق الأمة ، وثائر على سيد البلاد ، وإننا سوف نبذل آخر جهد من قوة ومال لدفع هذا البلاء ، وكسر هذا السهم الموجه إلى قلب هذه البلاد ، وإننا ، حفظاً للقانون الأساسى ، ودستور الإسلام ، وحرية الشعب ، ورفاء المواطن ، وتقدم الوطن ، سنبذل الأنفس والمال والأرواح فى سبيل الله والأئمة الأبرار ، لحفظ الدين والدستور المقدس ، وإن الله ونبيه والأئمة — صلوات الله عليهم ، وسيدنا الشاهنشاه — أرواحنا فداه — الشاه أحمد قاجار ، يباركون أعمالنا ، لأننا نريد القيام بما يأمر به الدين الحنيف والوجدان الصحيح لخدمة هذا الوطن ، وحفظ دستوره ، وصيانة استقلاله ، ونعاهدهم أجمعين بأننا سنبذل كل مرتخص وغال فى هذا السبيل ، وخلاص المملكة من تحكم هذا الغاصب ، وأن مؤازرة نواب المجلس لنا تثبت أن فى البلاد من يغارون على هذا الوطن وتراثه القديم .

خزعل

الملحق الرابع والثلاثون(١)

بلاغ صادر من رئيس الوزراء وقائد القوات العام إلى أهالى عربستان

من علماء وأعيان وتجار وكسبة وطوائف (أقليات) وشيوخ وأغنياء وفقراء وزراع وعمال وأخيراًفرداً فرداً بلا استثناء أحد منهم .

يجب أن يعلم الجميع أن هذه القطعة من الأرض المسماة خوزستان هى ولاية عزيزة من ولايات إيران منذ القدم . وإن هذه القطعة من الأرض كنت أريد لها نظاماً وأماناً واطمئناناً وراحة لجميع سكانها ، وكنت قد جعلت هدفى إصلاح هذه الجهة منذ أول يوم استلامى زمام أمور السلطة ، وكنت أتألم لما يلاقيه أفراد الشعب فى هذه المنطقة من العنت والظلم ، وقد مضت على هذه المدة وأنا مشغول باستتباب الأمن فى شتى أنحاء إيران ، ولكننى لم أنس هذه الجهة ، وإنما كنت . أنتظر الفرصة المواتية لأسبغ على هذه القطعة من النعم ما تتمتع به إيران جميعها من رغد الحال واطمئنان البال . وها إن الشيخ خزعل سيلقى عواقب أعماله ويسوق نفسه إلى حتفه ، وإن انتقام الطبيعة قد حل به جزاء ما عمله مع أهالى هذه المنطقة ، وإنى لم أسير الجيش إلى هذه الجهة إلا لإيقاظ هذا الرجل من سباته العميق وتخليص هذه الجموع من الشعب المكبلة بالمظالم والتعديات طوال هذه المدة وإنقاذهم مما فيه .

إخوانى وأبنائى : إنى لا أجهل ما لاقيتموه من الظلم والإرهاق ، ولهذا لم آت إلى هذه الأرض مع جيشى للفساد والظلم والإرهاق والانتقام من الناس الموالين ، فليس لأفراد هذا الجيش عداوة مع أى منكم من شريف أو وضيع ، لأنى أعتقد أنكم أبرياء وأنكم مسوقون إلى هذه الطريق الوعرة بالقوة ، يجب

---

(١) مذكرات رضا شاه : – ١٠٤ – ١٠٧ .

عليكم ألا تحرموا من نعمة إيران وأن تعيشوا — كما يعيش إخوانكم — مرفهين منعمين ، نحن لانطالب إلا بالشخص المتمرد على الدولة ، وهذا الشخص هو (خزعل) وحده ، فيجب أن يؤخذ بالسيف،إن لم يطع الأوامر ويسلم نفسه لمحاسبته على ما جنته يداه بحقكم .

وبحوله تعالى ، وفى أقرب وقت سيعتبر هذا الرجل من الخونة ، فأنتم الذين أحبكم كأولادى وإخوانى وعليكم أن تعتمدوا على الجيش . وهو سياجكم ، وأن تطيعوا أوامر الدولة ، وإن هذا الجيش لم يؤلف ويجهز إلا لحمايتكم وحفظ سلامتكم ، وقد أمرت آمر هذه الجيوش أمراً قاطعاً أن يعدكم من أفراد الجيش ومن إخوانى وأولادى ، وأن يبذل لكم جميع أفراد الجيش — من الأمر حتى الجندى — كل مساعدة ، وألا يتوانوا عن حفظ كرامتكم .

يا أهالى خوزستان : اعلموا أنكم أينما كنتم ، وفى أية قرية سكنتم ، وفى أى أرض حللتم ، فى أمان ودعة ورفاه ، وبموجب هذا البلاغ فأنتم تحت حمايتى وفى ذمتى ومن حقكم الاعتماد على وعلى جيوشى لدرء جميع مايواجهكم من المظالم والإرهاق ، على ألا يخالف أحدكم الأوامر ولا يخل بالنظام،أو يتعرض لأفراد الجيش بسوء .

وكما أخبرتكم سابقاً ، أن سبب مجيئى إلى خوزستان ما هو إلا لرؤية جماعة من إخوانى وأولادى سكان هذه المنطقة ، وأن أوفر لهم الراحة والأمان والاطمئنان وأرفع عن كواهلهم الظلم والإرهاق والعبودية، التى يفرضها عليكم الشيخ خزعل وجماعته من الغلمان ، وعن قريب سينال هؤلاء الخارجون على النظام جزاءهم وستصادر أملاكهم ، ويأتى عليهم القبض ، لمحاكمتهم ، كما سوف يقبض على كل مناصر للشيخ . ولهذا فإنى أحذر الأهلين من إيواء أى كان من أتباع الشيخ إذ من يعمل ذلك يعد منهم وفى زمرتهم وينائه ما ينالهم من عقاب ، وإن القوات النظامية ستقصف بيوت وأماكن هؤلاء بالمدافع ، فعلى الأهالى جميعاً أن يتجنبوا الاختلاط بجماعة الشيخ — إن أرادوا السلامة —

كما أنى أقبل توبة أى كان من أتباع الشيخ إذا سلم نفسه وسأمنحه الأمان وأعفو عما سلف من أعماله .

وأخيراً فإنى سأصدر الأوامر بالهجوم ، وكل من يقاوم أو يتعرض للجيوش ينال جزاءه ، لأنه من جماعة الشيخ ولا يجد منا غير الموت .

وإنى أرجو جميع سكان خوزستان قراءة هذا البلاغ بدقة ، وإطاعة ماجاء فيه ، وإلا فاللوم يقع عليهم وحدهم ، ولا ينفع بعد ذلك — الندم .

رضا

رئيس الوزراء

وقائد القوات العام

الملحق الخامس والثلاثون

مذكرتان من الحكومة البريطانية إلى الحكومة الفارسية[١]

المذكرة الأولى : من سفير بريطانيا فى طهران إلى وزير الخارجية الفارسية ، بخصوص قضية عربستان

معالى الوزير

بعد لقائى بكم صباح اليوم ، تسلمت من معالى الأمور الخارجية لحضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا التعليمات المالية بخصوص قضية عربستان ، وهى التى أسلمها لكم راجياً عرضها على فخامة رئيس الوزراء وأعضاء الوزارة بالسرعة المستطاعة .

عرضت حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا خدماتها الصادقة لبذل المساعى الودية ، لإيجاد حل سلمى وصلح شريف بين الحكومة الإيرانية

(١) مذكرات رضا شاه — : ١٠٨ — ١١٠ .

والشيخ خزعل شيخ المحمرة ، وكان قد وعد صاحب الفخامة رئيس الوزراء أنه متى ما عرض الشيخ خزعل الطاعة وانقاد إلى أوامر الدولة ، فإن فخامته لايستعمل القوات المسلحة ضده ، وإن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا تأسف شديد الأسف ، لعدم وفاء فخامة رئيس الوزراء بوعوده وتعهداته ، وإن فخامته رد تلك النصائح الأخوية التى بذلتها بريطانيا ، ورفض وساطتها السلمية ، بل أصر على رأيه والتقدم إلى الجنوب واستعمال القوة المسلحة ضد سكان تلك المنطقة الوادعين ، ولهذا فإن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا مضطرة لاسترداد توسطها ونفض يدها من كل شىء ، ولا يسعها منع الشيخ أو الوقوف فى وجه العشائر البختيارية أو الضغط عليهم بعد الآن ، ولا يسع حكومة جلالة ملك بريطانيا إسكات المذكورين ومنعهم مما يريدون أن يفعلوه فى سبيل الدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، ومتى ما حصلت الخسائر أو تعديات من جراء التصادم المسلح بين الجيوش الإيرانية والعشائر على أملاك أو أنفس رعايا وأتباع بريطانيا ، فإن الحكومة الإيرانية تكون هى المسؤولة عن عواقب ذلك ، وأن حكومة جلالة ملك بريطانيا سوف تحمل الدولة الإيرانية جميع الخسائر التى تصيب الجاليات الإنكليزية ورعايا بريطانيا مضاعفة ، وستحصله فوراً ، كما أن حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية ستحتفظ بحقها فى كيفية حفظ أرواح وممتلكات رعاياها وبالطرق التى تراها مناسبة ، وحسب التعليمات فإن فخامة المستر تشمبرلن يرجو شخصياً ووديًّا أن تبلغ هذه المذكرة بدون تأخير إلى حضرة الأشرف رئيس الوزراء .

المذكرة الثانية :

حضرة معالى الوزير .

إيضاحاً لما جاء فى المذكرة السابقة التى سلمتها لكم بتاريخ اليوم ، وبناء على الأوامر التى تلقيتها من معالى وزير أمور خارجية حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ، أود إبلاغ فخامة رئيس الوزراء بهذه المذكرة التى أرسلها معاليه لأسلمها لكم الآن :

إنى أود تذكير فخامتكم أنه فى شهر تشرين الثانى سنة ١٩١٤ كانت حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا قد أكدت تأكيدات رسمية لجناب الشيخ المحمرة بأنها ألزمت نفسها أن تدفع عنه أى عدوان أو تجاوز يقع عليه من قبل أية حكومة كانت وفى ضمنها حكومة فخامتكم ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا تعهدت لسمو الشيخ أن تبذل له كل مساعدة لتوثيق علاقاته مع حكومة إيران وتتوسط حالا للتوفيق بينه وبين حكومة إيران عند حدوث خلاف ما ، وإن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا لا تألوا جهداً فى حل أى خلاف يقع بين الشيخ وحكومة إيران بالطرق السلمية قدر الإمكان ، وفى حدود استطاعة الحكومة البريطانية . وبناء على هذه التعهدات ، فإن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا مضطرة لحفظ أموال وأرواح الشيخ خزعل وأولاده وأتباعه من تعديات أية دولة كانت ، كما أن الحكومة البريطانية سوف تحفظ أموال وعمارات الشيخ وأتباعه فى جميع أنحاء إيران ، هكذا تعهدت حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا لشيخ المحمرة ، ومن يحل محله من أولاده وأعقابه من الذكور ماداموا يحافظون على تعهداتهم نحو الدولة العلية ، كما والتزمت حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا أن تكون مشيخة المحمرة وقفاً على الشيخ خزعل وأعقابه من الذكور . وإذا

فقد الشيخ الأولاد فيجب انتخاب الشيخ من أعقابه ، وإن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تتعهد للشيخ وأعقابه — إذا بقوا موالين ويتبعون نصائح حكومة جلالة ملك بريطانيا — أن تسعى السعى الحثيث وتبذل جميع المساعى والمساعدات الممكنة كى يظل الشيخ مستقلاً بإمارته استقلالا داخلياً محفوظاً ومدعماً منها ، وقد كلف المستر تشمبران السر برسى لورين أن يطلب من قنصل صاحب الجلالة ملك بريطانيا فى بوشهر ، وقنصل جلالة الحكومة البريطانية فى شيراز أن يبلغا صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء رسمياً بهذه التعليمات عند ما يتمكنا من مواجهة فخامته فى مراكزهم ، أو يسلمان التعليمات المذكورة بوساطة المراسلات الرسمية عندما يحل فخامته فى تلك الربوع .

الملحق السادس والثلاثون(١)

ملحق من الشيخ خزعل إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح

٢٧ – محرم ١٣٤٣

أما عن أخبارنا — كما أشرنا لكم تلغرافيا — بحمد الله جارية على حسب الإرادة من حيث المجموع ، وأهالى عربستان كافة وشوشتر ودزفول وبنى طرف والحويزة وكارون والمحمرة والدورة والجراحى كلهم متفقون على القول والعمل ، وجميعهم متعاهدون ومتحالفون بالقرآن المجيد أن يدافعون عن حقوقهم إلى آخر نقطة من حياتهم ، ولو أنهم ما لهم قدرة على المقاومة مع الدولة العليا ولكن حاضرين ومستعدين أن يحافظوا على حقوقهم ويدافعوا عن وطنهم ولسان حالهم يقول :

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

---

(١) نص خطى محفوظ لدى الشيخ حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

والآن جميع الرؤساء عندنا فى الناصرية من كعب ومحيسن وباوية وإمارة بنى طرف وبنى سالة والشرفاء والحويزة وخوانين وشوشتر ودزفول وأهل الميناو ،وأنا يا عمك لما شفتهم على هذا الاتفاق انجبرت أن أوافقهم وأساعدهم على مقاصدهم وحالا مشغولين فى المذاكرة مع المركز ، ومقصودنا فى الوقت الحاضر أن ترجع الأمور على ما كانت قبل ثلاثة سنين ، وأن يرفعوا العسكر من منطقة عربستان وإن شاء الله بسلامتك نحصل على مقاصدنا ، لأن اتفاق عربستان جميع الغير أيضاً وتسرب الأمر إلى غير مناطق والكل ينادون بالموافقة مع عربستان ، المقصد إن شاء الله تجرى الأمور على حسب ما نجد .

الملحق السابع والثلاثون[1]

رسالة من الشيخ خزعل إلى الممثلين السياسيين الإنكليز

لا شك أنكم لاحظتم أن جميع العشائر ومشايخ العرب اليوم قد عرفوا مقاصد دولة إيران السيئة ويعلمون ما تنويه الحكومة الحاضرة نحوهم ، وأهم نواياهم استملاك أراضيهم والاستحواذ على أموالهم ، وإجلاسهم على الأرض البلقاء ، وقد اتخذت الحكومة قضية الفرمانات ذريعة لأعمالهم ومظالمهم ، وسألونى – أنا العربى الأصيل – ألا يمكن الاتفاق معهم ومشاركتهم لحفظ حقوق ومصالح الطرفين ؟ فأجبتهم : إنى مستعد لبذل آخر نفس فى سبيل منفعة الوطن ، ولكن كان ما يبطنون غير ما يظهرون ، وقد اجتمعت جموع القبائل كلها ، وبعد تلاوة القرآن الكريم ، أقسموا الأيمان المغلظة ، وحلفوا بالطلاق وصمموا على وقوفهم فى صفنا وعدم مخالفتنا مطلقاً .

إن هذه الثورة لاتشبه الثورات السابقة، لأن الغرض من هذه الثورة دفع

(١) مذكرات رضا شاه : ١٤٩ – ١٥٢ .

الخطر ، والوقوف بوجه الدولة الإيرانية التى تريد أن تغصب أموالنا وأراضينا وأملاكنا .

إننا جميعاً لانعتمد على تأكيدات رئيس الوزراء ، ولا نؤمن بأقواله وربما كانت تأكيداته على الأكثر للخداع والمكر بنا كما مكر بالحكومة البريطانية، بعد أن أكد لممثليها أنه لايسوق الجيوش إلى أرض عربستان ، بينما كانت جيوشه فى الطريق إلى هذه الأراضى . كما أن الموظفين الذين أرسلهم إلى هذه الجهة ما جاءوا إلا لاغتصابى ونهب أموال عشائرى ، أفراد هذا الشعب العربى الذى مضت عليه القرون وهو سيد نفسه وليس للشاه عليه إلا السيطرة الرسمية فقط . وإن أعمال موظفيه كلها تضر بمصالحى ، بينما أكد أن هؤلاء الموظفين أرسلوا لنفع الدولة ولتأمين أموال الناس وأرواحهم ، وفوق ذلك فإن هؤلاء أخذوا يبشرون بين الأعراب بآراء تضر بالعرب ، وقد سمموا أفكار العشائر نحوى ، وألبوهم ضدى مما يخالف الواجب الذى أرسلوا لتأديته ، وإن أعمالهم هذه خارجة عن نطاق اختصاصهم . وها هو ذا يلعب بنا ، فيوماً : يرسل أحد الحكام إلى عبادان ، وفى اليوم الثانى يشيع بأنه يود إسناد منصب الولاية لفلان على الجهة الفلانية ، ومرة يريد تعيين رئيس بلدية ، وأخرى يريد أن يرسل رئيساً إلى المحمرة . وهكذا لا يمر يوم إلا ويتدخل فى أعمالى . إن الصحف التى وقفت ضدى وكالت لى التهم الشنيعة ووصمتنى بأشياء لا حقيقة لها لم تنل عقابها . ولم يقدم أحدها إلى المحاكم ، وحتى لم يتنازل لتوقيف المتطاولة منها على ، وكذلك تلك الصحف التى شنعت على فإنها لم تؤدب ، وقد كان ظهيراً لهذه الصحف ، إذ لو لم تكن تستند القوة منه لما تجاسرت على نشر هذه الأقوال المكذوبة والأخبار المختلفة . ولهذا فإنى لا أعتقد بأقوال رئيس الوزراء ولا أعتبر تأكيداته ، ولو أنه أقسم ألف يمين ، ولكنى أقتنع إذا أكدت لى بريطانيا رسمياً وكتابياً أنها تؤمن من جانبى على الشروط التالية :

أولا : جلاء آخر جندى إيرانى من عربستان ، لأن بقاء الجنود فى هذه البلاد ، يساعد على الثورات والاضطرابات .

ثانياً : — يجب تأكيد جميع الفرمانات التى أحملها رسمياً دون نكوص فيما بعد .

ثالثاً : إبقاء الواردات التى كنت أتقاضاها كما هى فى السابق وبنفس المقدار على أن يعتبر الاتفاق الذى كنت قد عقدته مع المستر (مكرمك) لاغياً ، لأن الحكومة الإيرانية أهملت تعهداتها .

رابعاً : يجب أن يؤمن جميع حلفائى وأصدقائى ، وأن يصدر بحقهم جميعاً عفو عام شامل ، وإنى سأجاهد ما استطعت لحفظ أنابيب النفط ، ولكن لا يغرب عن بالكم أن إيران — عدوتى — سوف تجتهد لإيقاع الضرر بالأنابيب جهد استطاعتها لإيجاد التنافر بينى وبين الإنكليز ، وإنى سأتخذ أشد التدابير التدميرية بحق من تحدثه نفسه بإيقاع الضرر بالأنابيب ، وعسانى أوفق لذلك ، كما أرجو أن تتنبه بريطانيا لمكايد الأعداء نحو أنابيب النفط .

وإنى أكرر من جديد تعهدى لحفظ مصالح بريطانيا ، وإن خدماتى غير مخفية ولا مستورة وإنى أنتظر عدالة ومساعدة بريطانيا لى لإنجاز تعهداتى على الوجه الأكمل . وقد كانت عربستان طوال هذه السنين آمنة مطمئنة وهذه حقيقة يعترف بها الجميع ، وإن الحكومة الإيرانية تميل لبث الشقاق فى هذه الجهة والإخلال بأمن هذه الإمارة المسالمة .

وإنى أكرر التماسى من الدولة البريطانية لتقوم بتنفيذ قرارها وتطبيق تأكيداتها ومواعيدها لى ، وأن تحافظ على معاهداتها معى ، لمحافظة وصيانة أملاكى .

إنى رجل مسالم وغير معتد على أحد ، ولكن إذا صممت الحكومة الإيرانية على متابعة تنفيذ خططها فإنى أضطر كل الاضطرار للمحافظة على حقوقى وأن أدافع عن

هذا الحق إلى آخر نفس ، وإن ما يخيفنى تطويل القضية والتماهل عن الخطر ، فإنه بقدر التماهل يشتد الخطر وتزداد الأزمة وخامة .

خزعل

الملحق الثامن والثلاثون

رسالة خطية من معتمد الإمارة محمد خان بهادر إلى الشيخ خزعل(١)

البصرة ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٤٣

لحضرة سمو صاحب العظمة مولانا الأعظم — دامت عظمته —

بعد عرض الاحترام الواجب .

أعرض بأنى أخذت مكتوباً اليوم من حضرة الشيخ عبد اللطيف الجزائرى ، وبطيه مكتوب لاسمكم السامى منه ، ومكتوب آخر ، والبرقية التى طلبت منى أن أخابرها إلى باريس فأرسلت البرقية المذكورة إلى باريس ، كما أنى أقدم المكتوبين المذكورين مع أصل المكتوب الذى أخذته من المومى إليه . وقد وصلنى مكتوب اليوم من حضرة السير ولسن وهو يقول فيه كما يأتى : (نظراً إلى الوضعية فى جزيرة العرب والعراق التى تجعل من المحال أن يحصل الشيخ أى مساعدة فعلية من أمراء العرب فى ساير البلاد . إننى أظن من المناسب أن الشيخ يقبل نصيحة القبطن بيل ويحصل مساعدة الدولة الإنكليزية فى إعادة الأحوال على ما كانت هى فى سنة ١٩٢٣ ، أعنى أن تجرى المقاولة المعمولة مع من كرمك بخصوص الرسوم وألا يتعين مأمورون آخرون من إيران وعربستان) ، وأنا أظن بأنه قد عمل كل ما يمكن إجراؤه بمقتضى

(١) نص خطى محفوظ لدى حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

العقل والحزم ، ويقدر أن يحصل جميع مقاصده تقريباً إذ يخفف شدته الآن .

ولا زلتم موفقين مؤيدين سيدى .

الأحقر

محمد خان بهادر

الملحق التاسع والثلاثون

بيان من رضا خان إلى الموظفيين العاملين فى عربستان[1]

الأهواز

٢٠ كانون أول (ديسمبر) سنة ١٩٢٤

٢٨ قوس ١٣٠٣

بناء على ما أبداه السردار أقدس (الشيخ أقدس) من المحبة ودلائل الصداقة ، فقد زال عن خاطرى كل سوء ظن كنت أكنه نحوه ، وقد حل محله الأمانة والصداقة والإخلاص . وعلى هذا فإنى أحرر هذه الكلمات ليطلع عليها جميع الموظفين المعنين من قبلى ، وليعلموا بأن السردار من المخلصين فعليهم احترامه كما يحترمونني .

رضا

رئيس الوزراء

وقائد القوات المسلحة العـام

(١) نص خطى محفوظ لدى حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

الملحق الأربعون

رسائل متبادلة بين الشيخ خزعل والشيخ أحمد الجابر الصباح[1]

جناب ذا الخصال الحميدة الأجل الأفخم ولدنا العزيز الشيخ أحمد الجابر الصباح — دام محروساً المحترم .

بعد السؤال عن عزيز خاطركم العاطر ، وعنا لله الحمد بخير وسرور .

بعد السلام . يوم الثلاثاء الماضى وصلنا لمحلكم القصر سالمين ، ومن حيث كنا مشغولين فى ترتيب تشريف حضرة رئيس الوزراء إلى القصر وحركته العتبات المقدسة ، لهذا ما أمكن بوقته نعرفكم بوصولنا وكيفية الأمور ، نرجوكم المعذرة ، والآن حيث حضرة المعظم إليه سافر وجب علينا مبادرة هذه النميقة الودية مستفسرين فيها عن غاية سلامتكم ، وفى الضمن نعرفكم أن الأمور ، من فضل الله ومساعى رجال الدولة المعظمة البريطانية ومساعدتهم ، ختمت على حسب الإرادة فى جميع الوجوه ، ولعلمنا أنكم تسرون من هذه البشائر جينا اطلاعكم مع سلامنا على الأخ شيخ جابر وكافة الأولاد .

جميع رفاقتنا ومن هنا أخوكم عبد الحميد وإخوته يهدون السلام ، وبعد هذا لاتقاطعونا أخبار سلامتكم السارة على الدوام وما يكون لديكم من غرض يقضى ، ودمتم محروسين .

خزعل

(١) نصوص خطية محفوظة لدى حسين الشيخ خزعل بالبصرة .

٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧
ملحق بالكتاب ٢٥ الأول سنة ١٣٤٣

من شيخ خزعل إلى أحمد الجابر

ودمتم بخير وسرور قد يكون بلغكم عن وجود بعض الأنفار من القوزاق فى المحمرة ، لاتصيرون بفكر لأنهم أربعون نفراً فقط ، وهم عشرون نفراً يستقيمون فى المحمرة وعشرون فى عبادان وبقاؤهم موقت هنا إن شاء الله حضوراً نبين لكم التفصيل ليكن عندكم معلوم .

جواب أحمد الجابر للشيخ خزعل

من أحمد الجابر إلى الشيخ خزعل

سيدى ، دمت بعز وسرور . بلغنا خبر أن دولتكم شرف الفيلية ، وعدتم إلى الناصرية لأجل مقابلة رضا خان ، وأن عزمكم تشرفون إلى محلكم المعمور الفيلية ، وأن المومى إليه يشرف برفقتكم ، ونحن ما تحقق عندنا ذالك ما عندنا من دولتكم تعريف عن ذلك ، والحقيقة أننا مشغولو الفكر ولا أزال أترقب أخباركم السارة ، وأننا الآن من فضل الله مطمئنو الخاطر ومسرورون من الحالة الحاضرة بدوام سلامتكم ولكن نحب نعرف نتيجة المسألة لكى يزداد سرورنا فنسأله تعالى أن يديم بقاءكم ويوفقكم لما فيه الخير والصلاح فى الدارين ويكمد أعداكم بمنه كرمه .

أحمد

مصادر الرسالة

أولا :

مجموعة خطية من الرسائل والمستندات والنصوص والتعهدات : — محفوظة لدى أحفاد الشيخ خزعل (تتضمن علاقات الشيخ خزعل العامة) .

ثانياً : — وثائق منشورة .

— وثائق الحكومة العراقية :

(ا) وزارة الخارجية العراقية : حقائق عن الحدود العراقية — الإيرانية (بغداد — ١٩٦٠) « يحوى خلاصة موجزة عن تطورات الوضع على الحدود العراقية الإيرانية منذ العهد العثمانى حتى سنة ١٩٣٧ ويوضح المكاسب الإقليمية التى حققتها إيران على حساب الحدود العراقية وشط العرب » .

(ب) تقرير تحديد الحدود الإيرانية — العثمانية — وضع درويش باشا — ترجمة وزارة الخارجية العراقية (بغداد — ١٩٥٣) : « وضعه درويش باشا بالتركية ، وهو أستاذ فى المهندسخانة ، عهد إليه أمر تحديد الحدود العراقية الإيرانية وقد قام بزيارة المنطقة وكتب تقريره ، وقامت وزارة الخارجية العراقية بترجمته سنة ١٩٥٣ ، وأهمية هذا التقرير تظهر فى مجموعة السندات والوثائق الشرعية التى تثبت ملكية المحمرة للدولة العثمانية ، ويحوى التقرير خلاصة المذكرات الجارية بين موظفى الطرفين — المتعلقة بالحدود » .

وثائق جبهة تحرير عربستان :

(ا) إقليم عربستان ـ تشرين الأول (أكتوبر -- ١٩٦٤)

(ب) صوت عربستان ع (السنة الأولى ـ ١٣٨٤هـ١٩٦٥)

(حـ) ميثاق جبهة تحرير عربستان « يحتوى على مقدمة وستة أبواب » .

(د) وثائق ومنشورات ومذكرات وبيانات عامة .

ـ الضابط (شاكر صابر) ـ العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران (بغداد ـ ١٩٦٦) . « فيه ذكر لنصوص معاهدات الحدود العراقية ـ الفارسية منذ صدر العهد العثمانى فى العراق حتى تاريخه الحديث وكان اعتمادنا عليه فى أخذ نصوص معاهدة أرضروم الثانية والمعاهدات الأخرى » .

ثالثا ـ المخطوطات :

ـ الأعرجى (جعفر محمد) : مناهل الضرب فى أنساب العرب (النجف) ـ محفوظ لدى الشيخ أغابزرك الطهرانى (بالنجف) : « تناول المؤلف فيه ترجمة بعض القبائل العربية وخص منها بالذكر بنى كعب من البوناصر والبوكاسب وقد بالغ فيه بمدح الشيخ خزعل الذى كان يتردد عليه كثيراً فى المحمرة » .

ـ باش أعيان (الشيخ عبد القادر) : تاريخ البصرة الكبير ـ ج ٦ (البصرة) محفوظ فى مكتبة آل باش أعيان (بالبصرة) : « أكمل منه المؤلف حتى الآن ـ ٢٤ جزءاً ـ والمخطوط يتناول الأحداث القريبة والبعيدة التى أثرت على البصرة فى تاريخها القديم والحديث ، وفيه إشارات واضحة عن الشيخ خزعل والسيد طالب النقيب » .

ـ باش أعيان (الشيخ عبد الواحد) : تحفة النصرة فى تاريخ البصرة ج ١ ، ٢

(البصرة ـ ١٣٣٣) : محفوظ فى مكتبة آل باش أعيان (بالبصرة) يبتدئ من سنة ١٤هـ وينتهى بالاحتلال الإنكليزى للبصرة (سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٤م) .

ـ زبدة التواريخ ـ ج ١٦ (البصرة ـ ١٣٣٠) : محفوظ فى مكتبة آل باش أعيان (بالبصرة) : « يحتوى على أخبار تاريخية واسعة بحث فيه المؤلف من أول تأسيس البصرة إلى نهاية الحكم العثمانى فى البصرة » .

ـ الجزائرى (نعمة الله) : زهر الربيع ـ ج٢ (النجف) : « فيه إشارات عن قبيلة بنى كعب ومناطق سكناها ، وفيه ذكر للحويزة » .

ـ الحلى (حمادى نوح) : ديوان حمادى نوح الحلى ـ ج٢ (البصرة ـ ١٣٢٤) : محفوظ لدى الشيخ أحمد الخزعلى (بالبصرة) .

الشيخ خزعل (حسين خلف) : تاريخ عربستان (البصرة) : محفوظ لدى المؤلف (بالبصرة) : « يحتوى على مجموعة نادرة من الوثائق والرسائل الخطية التى تتناول علاقة الشيخ خزعل بالأمراء المتاخمين لإمارته ، وقد اعتمدنا اعتماداً كبيراً على تلك الوثائق والرسائل » .

ـ نظرات فى تاريخ البصرة السياسى (البصرة) محفوظ لدى المؤلف (بالصرة) .

ـ الساعدى (حمود) : تاريخ عشائر الفرات الأوسط ـ ج ٤ (بغداد) .

ـ الشبيبى (الشيخ جواد) : حياة الشيخ خزعل خان (النجف) : محفوظ لدى الشيخ عزالدين الجزائرى (بالنجف) : ـ « يقع فى خمس كراريس أورد فيها المؤلف سوانح الشيخ خزعل وتراجم ما دحيه وقصائدهم ، وهناك إشارة للمخطوط فى كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج٧ تحت

رقم ٦٣٤ صفحة ١٢٠ لاغا بزرك الطهرانى ، والغريب أن المخطوط ليس مهماً بالدرجة التى تبدو من عنوانه » .

— العبيدى (خضير نعمان) : عربستان (بغداد) : محفوظ لدى المؤلف (ببغداد) : « وقد استقى المؤلف معظم معلوماته مما سمعه من أبناء المنطقة فى الفترة التى كان فيها منتدباً للتدريس فى المحمرة » .

— النجفى (الشيخ محمد الشيخ عيسى) : الرياض الخزعلية فى السياسة الإنسانية جـ ١ ، ٢ النجف — ١٣١٩) : محفوظ لدى السيد محمد البلاغى (بالنجف) : « يقع فى جزأين وهو من ترتيب الشيخ عبد المجيد البصرى البهبهانى ويحتوى على أربعة أبواب وهى : الطبايع اللازمة للنفس ، والعقل وأحكامه ، والسياسة العقلية ، والسياسة النفسية ، وقد ذكره الشيخ أغابزرك الطهرانى فى الذريعة إلى تصانيف الشيعة جـ ١١ صفحة ٣٢٤ ، ومما يلفت النظر أن المخطوط قد نسب تأليفه إلى الشيخ خزعل فى نسخته المطبوعة » .

— مجهول المؤلف — تاريخ كعب (النجف) .

رابعا : — الدوريات العربية

(أ) معارف عامة

دائرة المعارف الإسلامية — المجلد الثامن — العدد الرابع : مادة الحويزة .

المجلد التاسع — العدد الأول : مادة خوزستان .

(ب)الصحف

— الأوقات البصرية : ع ٢٣٥ (تشرين الأول سنة ١٩٢٤) .

— البلد : ع ٢٥٤ (بغداد — آذار — ١٩٦٥) مقال كتبه أبو حامد عن (عربستان) .

ع ٨٤٨ ، ٨٤٩ (بغداد — ١٩٦٧) مقال كتبه خيرى العمرى عن

(الصراع على عرش العراق) .

— الخليج العربى : ع ٤٠٧ ، ٤٠٨ (البصرة — ١٩٦٦) مقال كتبه أمين السامرائى عن « سيد طالب النقيب » .

— الزوراء : ع ١٦٥ (بغداد ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م) خبر بعنوان (تجاوزات أمير المحمرة الشيخ جابر) .

— العراق : ع ٢٢٧٢ (بغداد ١٣ رمضان ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠) : تعليق بعنوان (البصرة أيام الوالى سليمان نظيف) .

— العراق : ع ٣١٧ (بغداد ١٩٢١) ، تصريحات الشيخ خزعل عن ترشيحه لعرش العراق .

: ع ١٣٢٤ (بغداد ١٤ صفر ١٣٤٣هـ/١٩٢٤) .

— العمران : أعداد متفرقة (القاهرة) مقالات كتبها عبد المسيح أنطاكى عن (المحمرة وأميرها الشيخ خزعل)

— الجريدة : أعداد متفرقة (بغداد ١٩٤٨— ١٩٥٤) ، مقالات عديدة.

— لواء الاستقلال : حول عروبة عربستان ، ورأى حزب الاستقلال العراقى

— اليقظة فى : المشكلة .

— المفيد : (٣ كانون الأول — ديسمبر — سنة ١٩٢٥) ، تعليق بعنوان (عرب المحمرة يستغيثون بعلماء النجف من ضغط حكام إيران عليها لتهجيرهم) .

(حـ) المجلات :

— الأسبوع العربى : ع ٢٩٥ (بيروت ١٩٦٥) ، تحقيق محمد سويد وغازى العياش وزهير ماردينى ، مقال بعنوان (فلسطين إيرانية فى الخليج العربى) .

— الأقلام : ج ٥ (بغداد/ كانون الثانى ١٩٦٧) مقال كتبه سامى الكيالى عن (عبد المسيح أنطاكى)

– الجمعية الجغرافية العراقية: ع ١ (بغداد ١٩٦٢) مقال للدكتور نورى خليل البرازى عنوانه (التربة وأثرها فى التطور الزراعى فى سهل العراق الرسوبى) .

: ع ١ (بغداد ١٩٦٢) مقال كتبه ليس وفالكون وترجمه الدكتور أحمد صالح العلى عنوانه (التاريخ الجغرافى لسهول ما بين النهرين) .

– سامراء : ع من ٧ – ١٦ (بغداد ١٩٦٣) فصول من كتاب تاريخ بانصد ساله لأحمد كسروى، ترجمها على البصرى بعنوان (تاريخ خوزستان).

– السياسة الدولية : ع ٨ (القاهرة ١٩٦٧) مقال للدكتور صلاح العقاد عنوانه (الاستعمار والبترول فى الخليج العربى).

– صوت الإسلام : ع ٣، ٤، ٦ – ١٢ (بغداد ١٩٦٤) مقالات كتبها نادر الشيخ خزعل تحت اسم أمير من أمراء عربستان عن (عربستان) .

– كلية الآداب : ع ٦ (بغداد ١٩٦٣) مقال للدكتور عبد الأمير محمد أمين عن (التنافس بين الشركات الإنكليزية فى منطقة الخليج العربى والأقطار المجاورة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر) .

– (جامعة بغداد – ١٩٦٠) مقال للدكتور محمود على الداود – عن « العلاقات البرتغالية فى الخليج العربى » .

– (جامعة بغداد – كانون الثانى – ١٩٦١) مقال للدكتور محمود على الداود – عن « العلاقات الهولاندية مع الخليج العربى » .

– لغة العرب : ع ٢ ، ٣ (بغداد – ١٩١٣) – مقال بعنوان « البصرة وأنهارها » .

ع : ٤، ٥ (بغداد – ١٩١١) – مقال بعنوان « البريم أو عبادان الحديثة » .

– المشرق : ع ١٠ (بيروت – ١٩٠٤) مقال كتبه إنستاس مارى الكرملى عن « تسمية مدينة الكويت » .

– المعلم : ع ٢ (البصرة – شباط ط ١٩٦٧) مقال كتبه مصطفى عبد القادر –

عنوانه « عربستان منذ الفتح العربى حتى تولى بنى كعب الإمارة » .

: ع ٣ (البصرة – كانون الثانى – ١٩٦٨) مقال كتبه مصطفى عبد القادر – عنوانه «رأى فى معاهدتى أرض روم وسايكس بيكو وأثرهما على الوضع السياسى للوطن العربى » .

– المقتطف : جـ٢ مجلد ٨٢ (القاهرة – ١٩٣٣) مقال كتبه يوسف رزق الله غنيمة – عن « السياسة البريطانية الفارسية » .

– ملحق العهد الجديد (الفلقة) – ع ١١ (بغداد – ١٩٦١) مقال كتب باسم الجراح – عنوانه « الرجل الذى أرهب العثمانيين وخيب ظن الإنكليز » .

– وادى الرافدين : ع ١ (البصرة – ١٩٦٧) – قائمة عن ولاة البصرة ومتسلموها من ٦٣٥ إلى ١٩٦٦ .

– العربى : ع ٣٠ (الكويت – ١٩٦١) مقال للدكتور أحمد أبو حاكمة – عنوانه « الكويت فى سجلات شركة الهند الشرقية » .

خامسا : – المراجع العربية

– آل فرعون (فريق المزهر) : الحقائق الناصعة فى الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ (بغداد – ١٩٥٢) .

– إبراهيم (عبد الفتاح) : على طريق الهند (بغداد – ١٩٣٢) .

– ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) (القاهرة – ١٩٣٨) .

– ابن حوقل : صورة الأرض (بيروت – مكتبة الحياة) .

– ابن الغملاس : ولاة البصرة ومتسلموها (بغداد – ١٩٦٢) .

– أبو حاكمة (الدكتور أحمد مصطفى) : محاضرات فى تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة (القاهرة – ١٩٦٧/١٩٦٨) .

— أبو صادق : الماسونية بلا قناع (بغداد — ١٩٦٧) : — « يحتوى على وثائق انتماء الشيخ خزعل للمحافل الماسونية » .

— أبو الغداء : تقويم البلدان (بغداد — مكتبة المثنى) .

— الأسدى (عبد الرزاق) : الوحى القومى (النجف — ١٣٦٨) .

— الإصطخرى (أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسى) : المسالك والممالك — ج١ (القاهرة — ١٩٦١) .

— الأعظمى (على ظريف) : تاريخ الدول الفارسية فى العراق (بغداد — ١٩٢٧)
: مختصر تاريخ البصرة (بغداد — ١٩٢٧) .

— أغابزرك (محمد محسن) : الذريعة إلى تصانيف الشيعة — ج ٧ (طهران — ١٩٤٨) — ج ١١ (طهران — ١٩٥٩) .
: « موسوعة ضخمة احتوت على خلاصة موجزة لجميع ما كتب عن الشيعة وأتباعها من مصنفات ، ويمتاز بالدقة فى ذكر السنوات والصفحات والأبواب والفصول ومكان حفظ الكتاب » .

— الأمين (عبد المطلب) : مبادئ السوق وجغرافية العراق العسكرية (بغداد — ١٩٤٦) .

— الأندلسى (عبد الله بن عبد العزيز البكرى) : تحقيق مصطفى السقا — معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع — ج ١ (القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

— الندوانى (عبد الكريم) : تاريخ العمارة وعشائرها (بغداد — ١٩٦١) .

— أنطاكى (عبد المسيح) : رحلة عظمة السلطان حسين فى وادى النيل (مصر — ١٩١٧) « الفصل الأخير منه خصه بذكر إمارة الشيخ خزعل لاسيما أحداث الحرب العالمية الأولى » .
: الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة (مصر — ١٣٢٥)

: « يحتوى على العلاقات المتينة بين الكويت والمحمرة أيام الشيخ خزعل والشيخ مبارك »
: الدرر الحسان فى منظورات ومدائح سمو الشيخ خزعل خان (القاهرة — ١٩٠٨) .
: القصيدة العلوية المباركة (القاهرة — ١٩٢٠) .
: « وهى ملحمة شعرية تعتبر تاريخاً تبلغ أبياتها ٥٥٩٥ بيتاً » .
: « لقد حفلت كتابات أنطاكى بعبارات المديح وأبيات الثناء لكل من الشيخ خزعل والشيخ مبارك فجاءت كتاباته مليئة بصيغ المبالغة . ومؤلفاته على علاتها تعطينا صوراً واضحة من حياة الإمارتين ، لاسيما أنه عاش بعض أحداثها » .

— أنيس (الدكتور محمد) : الدولة العثمانية والشرق العربى (١٥١٤ — ١٩١٤) . (القاهرة — مكتبة الإنكلو المصرية) .

— أوكونور (هارفى) : — ترجمة الدكتور عمر مكاوى ، مراجعة الدكتور راشد البراوى — الأزمة العالمية فى البترول (القاهرة — ١٩٦٧)
: — « تناول الكتاب إشارات عن حقول النفط فى عربستان ، ويبدو أن المؤلف لم يتأكد من سنى حكم الشيخ خزعل فيجعل بداية حكمه سنة ١٩٠٩ ، وتقويض حكمه سنة ١٩٢٧ ، كما أن المترجم لم يضبط اسم الشيخ خزعل فترجمه إلى الشيخ غزال فى جميع المواضع التى ذكر فيها » .

— باش أعيان (الشيخ عبد القادر) : البصرة فى أدوارها التاريخية (بغداد — ١٩٦١ .

— باقر (طه) : — مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ج١ (بغداد — ١٩٥٥) . ج٢ (بغداد — ١٩٥٦) .

— بحرى (الدكتور لؤى) : سكة حديد بغداد (بغداد — ١٩٦٧)
: « وهى دراسة فى تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين —

بغداد حتى عام ١٩١٤» .

– برو (توفيق على) : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ١٩٠٨ – ١٩١٤ (القاهرة – ١٩٦٠).

: « رسالة قدمها المؤلف للحصول على درجة الماجستير فى التاريخ العربى الحديث من معهد الدراسات العربية العالية » .

– بروكلمان (كارل) : ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكى – تاريخ الشعوب الإسلامية ج٤ (بيروت – ١٩٥٥) ج ٥ (بيروت– ١٩٥٦) .

– البزاز (الدكتور عبد الرحمن) : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال (بغداد – ١٩٦٧) .

– البزركان (على) : – الوقائع الحقيقية فى الثورة العراقية (بغداد– ١٩٥٤).

– البصير (الدكتور محمد مهدى) : تاريخ القضية العراقية – ج١ (بغداد – ١٩٢٤) .

– البغدادى (صفى الدين) : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع – جزءان (القاهرة – ١٩٥٤)

– بلال (عبد الحميد) : الجغرافية الاقتصادية (بغداد – ١٩٥٨) .

– بيريى (جان جاك) : ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز – الخليج العربى – (بيروت – ١٩٥٩) .

: « وتمتاز كتاباته بإظهار بعض المعالم العربية لإمارات الخليج العربى فى الماضى والحاضر» .

– بيرين (جاكلين) : ترجمة قدرى قلعجى – اكتشاف جزيرة العرب (بيروت – ١٩٦٣) .

: « احتوى على ترجمة مختصرة لرحلة نيبور إلى جزيرة العرب وشواطئ الخليج العربى خلال القرن الثامن عشر » .

– بيل (المس كرترود) : ترجمة جعفر خياط – فصول من تاريخ العراق القريب (بيروت – ١٩٤٩) .

: « وهو ترجمة بعض الفصول الخاصة بالعراق من مذكرات السيدة بيل سكرتيرة دار الاعتماد البريطانى فى بغداد والتى نشرتها لها أمها إثر وفاتها » .

– التكريتى (سليم طه) : الصراع على الخليج العربى (بغداد – ١٩٦٦) : من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد العراقية .

– التميمى (خليل): الكفاح العربى فى عربستان (منشورات الجبهة العربية القومية لتحرير عربستان) .

– الجاوشلى (هادى رشيد) : شؤون مناطق الحدود فى الجمهورية العراقية (بغداد – ١٩٦١) .

– الجمال (دكتور أحمد عبد القادر) : من مشكلات الشرق الأوسط (القاهرة – ١٩٥٥) .

– جمعة (محمد لطفى) : حياة الشرق (مصر الجديدة – ١٩٣٢) .

– الحاتم (عبد الله) : من هنا بدأت الكويت (دمشق – المطبعة العمومية)

– حسن (الدكتور حسن إبراهيم) : تاريخ الإسلام السياسى – ج٢ (القاهرة – ١٩٦٢) .

– الحسنى (عبد الرزاق) : الثورة العراقية الكبرى (صيدا – ١٩٦٥) .

: تاريخ العراق السياسى الحديث – ج١ ، ٣ (صيدا – ١٩٥٧).

: تاريخ الوزارات العراقية – ج١ (صيدا – ١٩٦٥)ج ٤ (صيدا – ١٩٦٦) .

: — العراق فى دورى الاحتلال والانتداب — جـ ١ (صيدا — ١٩٣٥) .

— الحسينى (محسن الأمين) : — أعيان الشيعة — جـ ١٥ (دمشق — ١٩٤٠) جـ ٢٩ (دمشق — ١٩٤٨) جـ ٤٨ (بيروت — ١٩٦٠) .

: — « وهى موسوعة لاتقل أهمية عن موسوعة الذريعة إلى تصانيف الشيعة لاغابزرك الطهرانى ، وقد تناول المؤلف فيها خلاصة وافية لكل عين من أعيان الشيعة الذين لعبوا دوراً فى الحياة فأخذنا عنه بعض المعلومات عن الحاج جابر والشيخ خزعل والشيخ مزعل » .

— معادن الجواهر ونزهة الخواطر فى علوم الأوائل والأواخر جـ٢ (دمشق — ١٣٤٩ هـ)

: — « يتعرض فيه لقضية أسر الشيخ خزعل أمير المحمرة » .

— الحصرى (ساطع) : — البلاد العربية والدول العثمانية (بيروت— ١٩٦٥) .

— الحلو (على نعمة) : بلاد الأحواز (عربستان)— جـ١ (القاهرة — ١٩٦٦) .

: — « وهو يبحث عن جغرافية الإقليم القديمة والحديثة ويتعرض لأحواله الاجتماعية ويورد بعضاً من القبائل العربية فى المنطقة» .

— تاريخ إمارة كعب العربية فى القبان والدورق — الفلاحية (النجف — ١٩٦٨) .

— الحلى (جعفر آل كمال الدين) : — ديوانه سحر بابل وسجع البلابل (صيدا — ١٣٣١هـ) .

— حماد (خيرى) : — عبد الله فيلبى (بيروت — ١٩٦١) .

— الحموى (ياقوت) : — معجم البلدان جـ ١ ، ٦ (مصر — ١٩٠٦) .

— حورانى (جورج فاضلو) : — ترجمة الدكتور يعقوب بكر — العرب

والملاحة فى المحيط الهندى (القاهرة — ١٩٥٨) .

— الحيدرى (إبراهيم فصيح) : عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد (بغداد — ١٩٦٢) .

: — « وقد زار المحمرة وتوابعها سنة ١٢٨٦ وكتب عن علاقتها بالدولة العليا العثمانية » .

— أحوال البصرة (بغداد — ١٩٦١) .

: — « وهو فصل مستقل من كتاب عنوان المجد » .

— الخاقانى (على) : — شعراء الغرى — جـ٦ (النجف — ١٩٥٤) . جـ ٧ (النجف — ١٩٥٥) جـ ١١ (النجف ١٩٥٦

: شعراء الحلة — جـ ٣ (النجف — ١٩٥٢) .

— خدورى (الدكتور مجيد) : البحرين وإيران (بيروت — ١٩٥٣) .

: العدد الأول من منشورات صوت البحرين (مترجم عن الإنكليزية) .

— الشيخ خزعل (حسين خلف) : تاريخ الكويت السياسى — أربعة أجزاء (بيروت — ١٩٦٢ — ١٩٦٥) .

— خسرو (ناصر) : السفر نامه —نقله إلى العربية يحيى الخشاب (القاهرة ١٩٤٥) .

— الخلف (الدكتور جاسم محمد) : محاضرات جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية (القاهرة — ١٩٥٩) .

— دائرة الاستخبارات البريطانية ، ترجمة الدكتور عبد الجليل الطاهر — تقرير سرى عن العشائر والسياسة (بغداد — ١٩٥٨) .

— الداود (الدكتور محمود على) : الخليج العربى والعلاقات الدولية — جـ ١ (القاهرة — ١٩٦١) .

: « يعتمد الكتاب اعتماداً كلياً على وثائق دار المحفوظات البريطانية التى تفصح عن السياسة البريطانية فى الخليج وقد أفدنا من إشاراته لعربستان والمحمرة فيما يخص المصالح البريطانية فى المنطقة ونظرتها للشيخ خزعل ، واحتوى الكتاب على فصل قيم فى المنافسة الروسية البريطانية فى فارس . ومما يؤخذ على الكتاب — فى إشارته لعربستان — أنه يحدد ترك بنى كعب لعاصمتهم قبان إلى الفلاحية — وقد ذكرت باسم الفلاحين — بعد تخريب كريم خان السدود وشاريع الرى ، والواقع أنهم تركوها قبل حملة كريم خان لا بعدها ، ويجعل معاهدة أرض روم الأولى سنة ١٨٢١ فى حين عقدت فى تموز سنة ١٨٢٣ ، ويذكر أنها أعطت منطقة خوزستان إلى إيران ولكنها تركت المحمرة وشط العرب إلى العراق العربى ، والحقيقة أن معاهدة أرض روم الأولى لم تتطرق إلى المحمرة وشط العرب وإنما كان ذلك من شأن معاهدة أرض روم الثانية سنة ١٨٤٧ ، كما أن خوزستان هو الاسم الذى أطلقه الفرس على عربستان ، وتقع ضمنها المحمرة لاخارجها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أنه يجعل سنوات حكم الحاج جابر (١٨٦٢ — ١٨٨١) فى حين أن المعروف أنه حكم الإمارة بعد وفاة أخيه الحاج يوسف سنة ١٨٢٩ ، أما سنة ١٨٦٢ فتمثل سنة ولادة الشيخ خزعل لابداية حكم أبيه ، ويذكر أن الشيخ خزعل عارض مشروع الملاحة النهرية فى نهر كارون ، وأعتقد أنه يقصد مزعل؛لأن المشروع تم الاتفاق عليه وفتح أيام الشيخ مزعل لا أيام الشيخ خزعل ، ولم يعرف عن الشيخ خزعل معارضته للمشاريع الإنكليزية ، وأخيراً أنه يصف جيش عربستان بأنه جيش مسلح تسليحاً حديثاً يفوق تسليح الجيش الإيرانى ، والواقع أنه لايوجد فى عربستان مثل ذلك الجيش ، وإنما عدته أفراد العشائر بأسلحتهم التقليدية ، وإلا فأين كان ذلك الجيش

عند تقويض الحكم العربى فى عربستان ؟ ولماذا ألح الشيخ خزعل على الشيخ أحمد الصباح فى طلب السلاح ؟ » .

— أحاديث عن الخليج العربى (بغداد — ١٩٦٠) .

: « وهو كراس نسج فيه المؤلف على منوال ما كتبه فى كتابه ، الخليج العربى والعلاقات الدولية ، وهو فى كثير من الأحيان إعادة له ، وإشارات الداود عن عربستان تتسم بعدم الدقة فى سرد الحوادث وذكر السنين كما يلاحظ على كتاباته فى الموضوع صيغ المبالغة ، وجاء جل اعتماده على المصادر الأوربية فقط ، ومن غريب ما يؤاخذ عليه فى كراسه هذا أنه يذكر : " موضوع السيادة على شط العرب وعربستان يرجع فى الأصل إلى سنة ١٨٢١ عندما عقدت معاهدة الحدود بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية التركية إثر الحروب القائمة بين السلطان مراد الرابع وبين الشاه صفوى وقد أعطت تلك المعاهدة خوزستان إلى فارس ولكنها تركت منطقة شط العرب ضمن العراق العربى " والواقع أن موضوع السيادة هذه يرجع إلى معاهدة سنة ١٨٤٧ لا إلى معاهدة سنة ١٨٢٣ — التى يجعلها سنة ١٨٢١ — ، كما أن تلك المعاهدة لم تعقد على أثر الحروب القائمة مع السلطان مراد الرابع ؛ وإنما عقدت آنذاك معاهدة سنة ١٦٢٩ والتى تدعى معاهدة قصر شيرين ، ولعل المؤلف يقصد أن معاهدة سنة ١٨٢٣ استندت فى الأصل على حدود مراد الرابع القديمة ، ومن المؤكد أن معاهدة سنة ١٨٢٣ لم تتطرق إلى عربستان ومنطقة شط العرب . ومما يلفت النظر أنه يذكر أن كعباً هى التى بنت قبان مركزاً لها ، والواقع أن قبان كانت موجودة قبل مجىء كعب إليها ، وكان يحكمها بكتاش أغا ، ثم انتقلت تبعتها إلى أفراسياب وهو الذى سمح لهم بالنزول فى قبان ، وأخيراً أنه يجعل حكم الشيخ خزعل سنة ١٨٩٦ بينما المعروف أنه جاء

للحكم سنة ١٨٩٧ » .

— الدركزلى (سلمان) : جغرافية العراق والأقطار المجاورة (بغداد — ١٩٥٦) .

— الدرة (محمود) : — القضية الكردية (بيروت — ١٩٦٦) .

— الدورى (الدكتور عبد العزيز) : الجذور التاريخية للقومية العربية . (بيروت — ١٩٦٠) .

— ديولافوا (مدام) : رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة — العراق — ترجمه عن الفارسية على البصرى (بغداد — ١٩٥٨) .

— الرشيد (عبد العزيز) : تاريخ الكويت (بيروت — منشورات دار مكتبة الحياة) .

: « ويعتبر هذا الكتاب أول مؤلف كتب عن الكويت » .

— رشيدات (شفيق) : — عربستان الجزء العربى المغتصب (القاهرة — ١٩٦٧) .

: — « قدم المؤلف هذا الكراس إلى المؤتمر التاسع لاتحاد المحامين العرب باعتباره أميناً عاماً للاتحاد ، وقد وضع الكراس بأسلوب عاطفى وبطريقة عرض صحفية . والواضح أن اعتماده فى البحث كان على بعض منشورات جبهة تحرير عربستان التى وضعت لأغراض سياسية بحتة ، فجاء الكراس مليئاً بالأخطاء والمتناقضات واحتوى على مفارقات تاريخية لاحصر لها ، وقد أصدر أحكامه غاية فى التطرف والمغالاة ، وهو فى كل هذا لا يفرق بين الشيخ خزعل والشيخ مزعل» .

— الرصافى (معروف عبد الغنى) : ديوان الرصافى ، شرح مصطفى السقا (مصر — ١٩٥٣) .

— رضا شاه (ترجمة) على البصرى عن الفارسية : مذكرات رضا شاه (بغداد — ١٩٥٠) .

: « وضعها رضا شاه بقلمه ، ويظهر فيها تحامله على الشيخ خزعل وهى عظيمة الأهمية بالنسبة لبحثنا لأنها تعطينا صورة واضحة لوجهة النظر الرسمية الفارسية فى تقويض الحكم العربى فى عربستان ، والمذكرات مشاهدة حية لمجريات الأمور بين الشيخ خزعل والمؤلف ، وقد أعطتنا إضافة إلى ذلك معلومات عن التيارات الداخلية فى إيران قبل الانقلاب البهلوى » .

— الريحانى (أمين) : — ملوك العرب — ج٢ (بيروت — ١٩٥١) .

: — « هو كتاب وضعه الريحانى عن الملوك العرب — خلال سفراته وقد اهتممنا بالجزء الثانى الذى يعرض ترجمة مختصرة للشيخ خزعل) .

— الزركلى (خير الدين) : الأعلام — ج ٢ (مطبعة كوستاتوماس وشركاه (القاهرة — ١٩٥٤) .

— الساداتى (أحمد محمود) : رضا شاه بهلوى ، نهضة إيران الحديثة (القاهرة — ١٩٣٩) .

— الساعدى (كاظم جواد) : تاريخ البصرة (النجف — ١٩٥٩) .

— السامر (الدكتور فيصل) : ثورة الزنج (بغداد — ١٩٥٤) « رسالة للماجستير فى التاريخ الإسلامى » .

— سركيس (يعقوب) : مباحث عراقية — ج ١ (بغداد — ١٩٤٨) .

— سعيد (أمين محمد) : الوطن العربى (القاهرة — دار الهلال)

: « يشير إشارة قصيرة لمشكلة عربستان فى نطاق مشكلات الوطن العربى . ومن غريب ما ذكره أنه جعل بلاد التمر معنى لخوستان والصحيح أن خرم شهر معناه بلاد التمر ، والأغرب من ذلك أنه يجعل "هذه الإمارة تقع على الضفة الغربية لشط العرب " والصحيح أن

البصرة تقع على ضفته الغربية، أما عربستان فتقع على ضفته الشرقية ».

: الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة (بيروت — دار الكاتب العربى) .

— سوسة (الدكتور أحمد) : وادى الفرات ومشروع سدة الهندية (بغداد — ١٩٤٥) ؛ « فى الكتاب إشارات لطبيعة المنطقة الجغرافية وتكوينها الرسوبى ».

— شبر (جاسم حسن) : تاريخ المشعشعين (النجف — ١٩٦٥) .

« تناول فيه مؤلفه تاريخ إمارة الحويزة العربية تحت حكم آل مشعشع ، وجاء على ذكر حكمها ، وفيه بعض الإشارات عن علاقة إمارة المشعشعين بالشيخ خزعل » .

— الشرقى (على) : العرب والعراق (بغداد — ١٩٦٣) .

— شريف (الدكتور إبراهيم) : الموقع الجغرافى للعراق وأثره فى تاريخه العام حتى الفتح الإسلامى (بغداد — مطبعة شفيق) .

: « رسالة الدكتوراه » .

: — الشرق الأوسط (بغداد — ١٩٦٥) .

— الشملان (سيف مرزوق) من تاريخ الكويت (القاهرة — ١٩٥٩)

— شير على (رياض حمزة) : جولة صحفية فى إيران (النجف — ١٩٥٧) .

— صادق (الدكتورة دولت) وآخرون : الجغرافية السياسية (القاهرة — ١٩٦١) .

— صالح (الدكتور زكى) : مجمل تاريخ العراق الدولى فى العهد العثمانى (القاهرة — ١٩٦٦) .

: — مقدمة فى دراسة العراق المعاصر (بغداد — ١٩٥٣) .

— صايغ (أنيس) : الهاشميون والثورة العربية الكبرى (بيروت — ١٩٦٦) .

— الصوفى (أحمد على) : المماليك فى العراق (الموصل — ١٩٥٢) .

— عامر (السيد على محمد) : ترجمة الشيخ محمد صالح — المحمرة والوحدة العثمانية أو خدمة الدستور (مصر — ١٣٢٩) .

: — « الكراس مترجم عن التركية يتناول علاقة إمارة المحمرة بالبصرة على عهد الشيخ خزعل والوالى العثمانى سليمان نظيف ، ويلاحظ فيه ميل المؤلف إلى الشيخ خزعل والتزامه جانبه فى نزاعه مع الوالى » .

— العجلى (معن) : — فى البصرة (بغداد — ١٩٤٨) .

— العزاوى (عباس) : عشائر العراق — ج ٤ (بغداد — ١٩٥٦) .

: — « تناول فيه ذكر كعب وأفخاذها وبطونها ولكنه لم يعن بتاريخها قدر عنايته بتحديد أنسابها ، وإشاراته التاريخية — رغم قصرها — جاءت مرتبكة وتمتاز بعدم الدقة ، فعلى سبيل المثال يذكر أن الحويزة كانت للعراق وتسكنها عشائر كعب ، وهذا غير وارد فالمعروف أن الحويزة إمارة مستقلة تحت حكم المشعشعين ، أما كعب فقد سكنت قبان فالفلاحية وفخذ منهم سكن المحمرة، وهو يأخذ — خطأ — على نعمة الله الجزائرى — فى مخطوطه زهر الربيع : ٣٤٦ — كيف أنه لم يذكر كعباً عند ذكر عشائر الحويزة ، والظاهر أنه يقصد بالحويزة عربستان ، ذلك لأنه يذكر أن المحمرة فى الحويزة » .

— تاريخ العراق بين احتلالين — ج ٧ (بغداد — ١٩٥٥) .

ج ٨ (بغداد — ١٩٥٦) .

: — « المعلومات عن كعب فيه أدق مما هى فى عشائر العراق ، ففى كعب يذكر أنها كانت فى العراق فمالت إلى أنحاء المحمرة والفلاحية ، وقامت إمارتهم على أطلال المشعشعين فى الحويزة وهو قول يناقض ما ذكره فى كتابه — عشائر العراق — ويذكر أن محل إمارتها الفلاحية » .

— عز الدين (الدكتور يوسف) : فى الأدب العربى الحديث، بحوث ومقالات (بغداد — ١٩٦٧) .

- العسكرى (تحسين) : — مذكراتى عن الثورة العراقية الكبرى — جـ ١ (بغداد — ١٩٣٦) .
- العطار (الدكتور حسن) : الوطن العربى ، دراسة مركزة لتطوراته السياسية الحديثة (بغداد — ١٩٦٦) .
- العقاد (الدكتور صلاح) : التيارات السياسية فى الخليج العربى (القاهرة — ١٩٦٥) .

: الاستعمار فى الخليج الفارسى (القاهرة — ١٩٦٥) .

- العقاد (عباس محمود) : — الإسلام فى القرن العشرين (القاهرة — ١٩٦٠) .
- على (سيد أمير) : — مختصر تاريخ العرب (بيروت — ١٩٦١) .
- العمرى (خيرى أمين) : — شخصيات عراقية — جـ١ (بغداد — ١٩٥٥) .
- غانم (الدكتور محمد حافظ) : — العلاقات الدولية العربية (القاهرة — ١٩٦٧) .
- غرايبة (الدكتور عبد الكريم محمود) : مقدمة فى تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ — ١٩١٨ — جـ ١ (دمشق — ١٩٦٠) .

: — « الكتاب دراسة دقيقة للعراق والجزيرة العربية ، وقد احتوى على معلومات مهمة عن عربستان وما جاورها من إمارات ، ولكنه برغم هذا — لم يسلم من الأخطاء التاريخية فهو يجعل أمير الحويزة العربى الذى ينتمى إلى ربيعة ، إيرانياً ويجعل الأمير مانع — أمير البصرة — أميراً للحويزة ، ويذكر قبان فى موضعين فيجعلها حيناً تابعة لأفراسيا — بعد أن انتزعها من بكتاش أغا وهو الصحيح ، ويجعلها حيناً آخر تابعة لأمير الحويزة ، وهذا غير وارد » .

- غربال (محمد شفيق) : — منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية (القاهرة — ١٩٦١) .
- الغزالى (عبد المجيد حسن) : تاريخ البصرة (١٩٤١ — بغداد) .

- غنيمة (يوسف رزق الله) : — تجارة العراق قديماً وحديثاً (بغداد — ١٩٢٢) .
- فيضى (سليمان) : — فى غمرة النضال (بغداد — ١٩٥٢) .

: — « وهو عبارة عن مذكرات المؤلف فى الأحداث التى عاشها ، وقيمته بالنسبة إلينا إن المؤلف شغل منصب معتمد الإمارة عند الشيخ خزعل لمراسلة الملوك والأمراء العرب ، وقد تناول ذكر السيد طالب النقيب ، والشيخ خزعل بشىء من الإيجاز » .

- فيلبى (سنت جون) : — ترجمة جعفر خياط — أيام فيلبى فى العراق (بيروت — ١٩٥٠) .

(عبد الله) : — ترجمة عمر الديراوى — تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (بيروت — منشورات دار المكتبة الأهلية)

- قاسم (الدكتور جمال زكريا) : الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ — ١٩١٤ (القاهرة — ١٩٦٦) .

: — « أطروحة المؤلف لنيل درجة الدكتوراه من جامعة عين شمس ، وهو دراسة وافية وقيمة لتاريخ إمارات الخليج ويمتاز بالشمول والموضوعية وقد أفدنا منه كثيراً فى دراستنا ففيه إشارات واضحة عن عربستان والشيخ خزعل وعلاقته بالكويت والبصرة » .

- القزوينى (مهدى) : — أنساب القبائل العراقية وغيرها (النجف — ١٩٦٣) .
- قلعجى (قدرى) : — الخليج العربى (بيروت — ١٩٦٥) .

: — « والكتاب ، — فى رأيى — غير موضوعى ، ومما يؤخذ عليه أنه ينسب بناء المحمرة إلى الشيخ جابر يوسف المرد أو من عشيرة بنى كساب ، والغريب أنه لايوجد بين أمراء المحمرة شخص بهذا الاسم ، كما لا توجد بين قبائل المنطقة عشيرة باسم بنى كساب » .

- القلقشندى (أبو العباس أحمد) : — نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب (القاهرة — ١٩٥٩) .

— القناعى (يوسف بن عيسى) : — صفحات من تاريخ الكويت (القاهرة — ١٩٤٦) .

— « وهو عرض لحكام الكويت وما وقعت فى أيامهم من أحداث حتى عهد الشيخ مبارك » .

— كبة (محمد مهدى) : — مذكراتى فى صميم الأحداث ١٩١٨ — ١٩٥٨ (بيروت — ١٩٦٥) .

: — تضمن بيان حزب الاستقلال العراقى الذى أصدره عام ١٩٤٦ فى نطاق العمل القومى بشأن اضطهاد العرب فى عربستان أجمل فيه سياسة العداء الإيرانية تجاه عروبة المنطقة وطالب باستفتاء شعبى لتقرير مصير الإقليم » .

— كركوكلى (الشيخ رسول) : — نقله عن التركية موسى كاظم نورى — دوحة الوزراء فى تاريخ وقائع بغداد الزوراء (بيروت — دار الكاتب العربى — بدون تاريخ) .

— كركوكلى (مكتوبى زادة عمر فوزى) : — مترجم عن التركية — أرج الطيب فى مآثر السيد طالب النقيب (البصرة — ١٣٣١) .

— الكعبى (الشيخ فتح الله بن علوان) : — زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر (بغداد — ١٩٢٤) .

— الكعبى (هاشم بن مردان) : — ديوان الكعبى (النجف — ١٩٦٤) .

— كمال الدين (محمد على) : — ذكرى السيد عيسى آل كمال الدين (بغداد — ١٩٥٧) .

— كوك (ريجارد) : — ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل — بغداد مدينة السلام ج٢ (بغداد — ١٩٦٧) .

— كوكس (برسى) : — وهنرى دوبس (مذكرتان) ، ترجمة بشير فرجو — تكوين الحكم الوطنى فى العراق (الموصل — ١٩٥١) .

— لاكور (ولتر) : — ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين — الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط (بيروت — ١٩٥٩) .

— لطفى (أمين) : — دليل البصرة (البصرة — ١٩٥٤) .

— مؤتمر الصحفيين العرب الدولى — مقررات (الكويت — فبراير — ١٩٦٥) .

— مؤتمر الاتحاد الدولى للعمال العرب — مقررات (نسخة مطبوعة بالرونيو لاتحمل تاريخاً) .

— مؤتمر المحامين العرب — مقررات (القاهرة — فبراير — ١٩٦٧) .

— محمد أمين (الدكتور عبد الأمير) : — القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر (بغداد — ١٩٦٦) .

— المدنى (الشيخ محمد بن حسن الحلوانى) — خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق ١١٨٨ — ١٢٤٢ هـ (القاهرة — ١٣٧١) .

: — « وهو مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالى داود ، ألفه عثمان ابن سند البصرى بتكليف من داود باشا ، مع إضافة تاريخ السنوات الخمس الأخيرة التى لم يشملها مطالع السعود بعد وفاة ابن السند سنة ١٨٢٦ . والكتاب الأصلى ما زال مخطوطاً ، وتناول أحداث العراق وعلاقته بجيرانه منذ عام ١٧٧٤ (ولادة داود باشا) ، ووصف حصار الفرس للبصرة وفيه إشارات عن قبيلة كعب ، وقيمة الكتاب من معاصرة المؤلف الأحداث التاريخية التى يرويها » .

— المقدسى — أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ليدن — ١٩٠٦) .

ـ مكاريوس (شاهين) : ـ تاريخ إيران (مصر ـ ١٨٩٨) .

ـ النبهانى (محمد خليفة) : ـ التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية ـ ج ٩ ـ البصرة ـ (مصر ـ ١٣٤٢) .
ج ١٠ ـ المنتفك ـ (مصر ـ ١٣٤٤) .

ـ النجار (حسين فوزى) : ـ السياسة الاستراتيجية فى الشرق الأوسط (القاهرة ـ ١٩٥٣) .
: ـ « وقد أخذنا منه بصورة غير مباشرة النزاع الروسى البريطانى فى فارس ، وهو لم يسلم مما وقع فيه غيره ، فعند الإشارة إلى اتفاقية ١٩٠٧ لايعتبر طهران من مناطق النفوذ الروسى ، كما أنه يعتبر زعماء البختيارية سادة إقليم خوزستان (أى عربستان) علماً بأن مناطقهم تجاور شمالا إمارة عربستان ، كما أنه ينسب ـ خطأ ـ قوة بنادق جنوب إيران إلى السير برسى كوكس الذى أرسلته بلاده عندما رأت عنف الدعاية الألمانية » .

ـ نديم (محمود شكرى) : ـ حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٨ (بغداد ـ ١٩٦٦) .
ـ الجيش الروسى فى حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٧ (بغداد ـ ١٩٦٧) .

ـ النشاشيبى (ناصر الدين) : ـ ماذا جرى فى الشرق الأوسط (بيروت ـ ١٩٦٢) .

ـ نوار (الدكتور عبد العزيز سليمان) : ـ داود باشا والى بغداد (القاهرة ـ ١٩٦٨) .
: ـ « رسالة الماجستير قدمها المؤلف إلى جامعة عين شمس وفيها إشارات للعلاقات الفارسية العثمانية فى عهد المماليك ، كما أورد ذكر قبيلة بنى كعب وعلاقتها بالعشائر العربية فى العراق » .

ـ المصالح البريطانية فى أنهار العراق ١٦٠٠ ـ ١٩١٤ (القاهرة ـ ١٩٦٨) .

ـ تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود إلى نهاية حكم مدحت باشا (القاهرة ١٩٦٨) : رسالة الدكتوراه للمؤلف من جامعة عين شمس ، وفيها ذكر للنزاع الفارسى العثمانى فى عربستان حول عشائر كعب ومعاهدة أرض روم الثانية .

ـ نوفل (الدكتور سيد) : ـ الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة ـ جزءان (القاهرة ـ ١٩٦١ ، ١٩٦٦) .

ـ نيبور (كارستن) : ترجمة سعاد هادى العمرى ـ مشاهدات نيبور فى رحلته من البصرة إلى الحلة سنة ١٧٦٥ (بغداد ـ ١٩٥٥) .

ـ الهاشمى (طه) : ـ جغرافية العراق (بغداد ـ ١٩٣٦) .

ـ الهاشمى (محمد) : ـ الأبطال الثلاثة : ـ الملك فيصل ، الغازى مصطفى كمال ، البهلوى رضا شاه (بغداد ـ ١٩٣٧) .

ـ هستد (كوردن) : ـ ترجمة جاسم محمد الخلف ـ الأسس الطبيعية لجغرافية العراق (بغداد ـ ١٩٤٨) .

ـ واصف (أمين) تحقيق أحمد زكى باشا ـ الفهرست (معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية (مصر ـ ١٩١٦) .

ـ وهبة (حافظ) : جزيرة العرب فى القرن العشرين (القاهرة ـ ١٩٦١) .

ـ يحيى (الدكتور جلال) : ـ العالم العربى الحديث (القاهرة ـ ١٩٦٥) .

سادساً : ـ المقابلات الشخصية مع أبناء وأحفاد الشيخ خزعل ومعاصريه

ـ الشيخ أحمد الخزعلى ـ البصرة .

ـ الشيخ جابر الشيخ عبد الحميد الشيخ خزعل ـ الكويت ـ ابن ولى عهد الإمارة .

— الشيخ حسين الشيخ خلف الشيخ خزعل — البصرة .

— الشيخ راشد الشيخ خلف الشيخ خزعل — الكويت.

— الشيخ عبد القادر باش أعيان العباسى — البصرة .

— الشيخ عبد المجيد الشيخ خزعل — البصرة — حاكم الدورق والمحمرة .

— يوسف العلى الزبيدى — البصرة — أحد غلمان الشيخ خزعل الذى شهد الأسر .

— مقابلات شخصية مباشرة مع عدد من أفراد العشائر العربية — فى كل من الأحواز والمحمرة وعبادان والبصرة والنجف .

سابعاً : — المصادر الأجنبية

(ا) وثائق منشورة :

— Admiralty War Staff, A Handbook of Arabia, 2 Vols. (London, 1916 - 1917).

— Aithison, C.U.A. Collection of Treaties Engagements and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries. (Calcutta : 1909, vol. 11).

— Foreign Office, Handbook Prepared under the Direction of the Historical Section of the Foreign Office No. 67. The Persian Gulf, His Majesty's Stationery Office (London, 1920).

— Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East. Vols. 1, 2 (New York, 1956).

وقد احتوى الكتاب على نصوص أهم المعاهدات التى عقدت مع دول الشرق الأوسط بين القرنين السادس عشر والعشرين .

(ب) الدراسات والرحلات :

— Ainsworth, William Francis: A Personal Narrative of the Euphrates Expedition, 2 vols. (London, 1888)

كان المؤلف أحد أعضاء بعثة تشسنى Chesny النهرية فى العراق (١٨٣٠ — ١٨٣٧) والمادة التاريخية فيه قليلة إلا أنها مهمة وقد ركز اهتمامه على الناحية الحضارية ، وقد تناول قبائل بنى كعب والطبيعة الجغرافية لمناطق سكناها .

— The River Karun an Opening to British Commerce (London, 1890).

— Bell, Lady Florence : The Letters of Gertrude Bell, 2 vols. (New York, 1927).

— Browne, Edward G. : The Persian Revolution of 1905-1909 (London, 1910).

اشتهر المؤلف بتخصيصه فى اللغة الفارسية وإلمامه بالأدب الفارسى ، وقد عرض فى كتابه وجهة النظر الوطنية التى تمثل آراء القوميين الدستوريين الإيرانيين فى الحركة الإصلاحية ، وكان صديقاً شخصيا لزعماء الحركة الدستورية الإيرانية ، وإليه يرجع الفضل بتأسيس جمعية الصداقة الإنكليزية الفارسية فى لندن .

— Bullard, Sir Reader : Britain and the Middle East from the Earliest times to 1952 (New York, 1952).

شغل المؤلف منصب سفير بريطانيا فى إيران خلال (١٩٣٩ — ١٩٤٦) وهو دراسة مركزة لنشوء العلاقات بين بريطانيا وأقطار الشرق الأوسط ، وقد جاء صورة واضحة لوجهة النظر البريطانية فى قضايا الشرق الأوسط ومنها فارس والمحمرة .

— Curzon, George N. : Persia and the Persian Question, 2 vols. (London, 1892).

عرف اللورد كيرزن باهتمامه الشخصى بمنطقة الخليج منذ أن كان سفيراً لبلاده فى طهران، وقد تضمن هذا الكتاب آراءه ، وقد قام بزيارة الإمارات العربية فى الخليج سنة ١٩٠٣ وصار فى عداد المختصين

فى سياسة الهند والشرق الأوسط ، وكان يؤمن بأن سلامة الهند تكمن فى سيطرة بريطانيا على الخليج ، وقد عمل – أكثر من أى سياسى آخر– على ضرورة تقوية وسائل الدفاع عن الهند ويلاحظ فى كتاباته المبالغة فى خطورة التهديدات الروسية فى فارس على الخليج .

والواقع أن آراءه – فى كتابه هذا – تختلف عن السلوك التوسعى الذى انتهجه فى سياسته بعدئذ ، وفى كتابه هذا إشارات متميزة عن كعب ومناطق سكناهم .

— Della Valle: The Travels of Sig. Pietro Della Valle into East-Indies and Arabia Deserta; (Hakluyt Society : 1902).

— Foster, H.A. : The Making of Modern Iraq. (Oklahoma - 1975)

— Graves, Philip : The life of Sir Percy Cox (London, 1941).

يركز الكتاب على الدور الذى لعبه السير برسى كوكس فى أحداث الخليج العربى لاسيا قبيل قيام الحرب العالمية الأولى وفى أثنائها .

— Ireland, Philip W. Iraq: A Study in Political Development (London, 1937).

— Kirk, George E. : A Short History of the Middle East, from the Rise of Islam to Modern Times. (New York, 1955).

— Lenczowski: George : Oil and State in the Middle East (New York, 1960).

يعرض الكتاب علاقة الشيخ خزعل وزعماء البختيارية بالإنكليز وشركة النفط الإنكليزية – الفارسية .

— The Middle Eastern World Affairs (New York, 1955).

— Russia and the War in Iran 1918 - 1948 (New York, 1949).

— Le Strange Guy: The Land of the Eastern Caliphate. (Cambridge, 1905).

— Lockhardt, L.: Nadir Shah, a Critical Study based mainly upon contemporary sources, (London, 1938).

فيه صور واضحة عن الفوضى التى عمت إيران بعد مقتل نادر شاه .

— Longrigg, H. Stephen: Four Centuries of Modern Iraq. (Oxford, 1925).

أكد الكتاب على عروبة مناطق بنى كعب ، وتناول بعض الإشارات عن تاريخ الحويزة وحوض كارون .

— Iraq; 1900 - 1950 (Oxford, 1953)

بالرغم من أن كتاباته يمكن اعتبارها محايدة ، إلا أننا يجب أن ندرك أنه يكتب من وجهة نظر خاصة تجاهلت نواحى مهمة فى التاريخ العربى .

— Lorimer, J.G. : Gazette of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia; 2 vols. (Calcutta, 1908).

يعتبر كتاب (وقائع الخليج) لمؤلفه لورمر من الكتب المهمة عن الخليج العربى ، اعتمد كاتبه فيه على سجلات حكومة الهند ، وقد نشرته حكومة الهند فى كلكتا ، وكان يعتبر وثيقة سرية لايجوز الاطلاع عليها حتى بعد الحرب العالمية الثانية .

— Meade, Earle Edward:Turkey, The Great Powers and the Baghdad Railway "A Study in Imperialism (New York, 1924).

— Marlowe, John : The Persian Gulf in the Twentieth Century (London, 1962).

— Miles, Colonel Samuel B.: The Countries and Tribes of the Persian Gulf; 2 vols. (London, 1919).

— Niebuhr, C.: Travel through Arabia and Other Countries in the East "Translated into English by Robert Heron" (Edinburgh, 1792).

وهو خير مرجع عن جزيرة العرب والخليج فى القرن الثامن عشر ، والرحالة نيبور (١٧٢٣–١٨١٥) هو أحد أعضاء البعثة العلمية الخمسة الذين أرسلهم ملك الدانمارك سنة ١٧٦٢ وشاءت الأقدار ألا يعود الأنيبور المهندس المكلف بتدوين المعلومات الجغرافية ، وكان قد مكث فى منطقة الخليج فى الفترة بين (١٧٦٤ – ١٧٦٥) فترك لنا معلومات غاية فى الأهمية عن قبائله – ومنها كعب – وعلاقاتها السياسية والعسكرية . وقد تضمن أخبار كتابه رحلة فى جزيرة العرب – الذى هو بين أيدينا ، وصفة جزيرة العرب ، وقد رسم نيبور خارطة للخليج العربى لها أهمية تاريخية عربية بالغة ، لأنها توضح منازل القبائل العربية على شواطئ الخليج .

— Outram, Sir James, "The Persian Campaign" (London, 1860).

لقد ذكر اللواء السير جيمس أوترام وقائع الهجوم الإنكليزى على بوشهر والمحمرة سنة ١٨٥٧ فى كتابه : الحملة الفارسية ، الذى احتوى على مراسلات ووثائق ومذكرات منذ اليوم الأول لنزول الحملة فى بوشهر إلى حين عقد معاهدة الصلح فى باريس بين الطرفين فى (٤) آذار سنة ١٨٥٧ وجلاء حملته عن المحمرة .

— Rolandshay, Earl F. : The Life of Lord Curzon, 7 vols. (London).

— Rowlinson, Major General Sir Henry: England and Russia in the East (London 1875).

— Saleh, Zaki: Mesopotamia : Iraq 1600 - 1914. A Study in British Foreign Affairs (Baghdad, 1957).

— Sykes, Sir Percy M.: A History of Persia. 2 vols. (London, 1921).

يتناول الجزء الثانى من الكتاب المنافسة البريطانية فى الخليج ، كما يعرض لمشكلة الحدود الفارسية العثمانية ، ومؤلف الكتاب من ضباط البحرية الإنكليزية ، الذى كلف إبان الحرب العالمية بتأليف قوة

بنادق جنوب إيران ، وقد قضى وقتاً طويلا ممثلا للحكومة البريطانية فى فارس .

— Teiskeira: The Travels of Pedro Teiskeira, with His "Kings of Harmuz", and extracts from His "Kings of Persia". (Hakluyt Society, 1902).

— Van Ess, John: Meet the Arab (London, 1947).

فى الكتاب إشارات واضحة عن البصرة فى أواخر العصر العثمانى ، وفيه إشارات مختصرة عن أبناء الشيخ خزعل .

— Willcocks, W.: From the Garden of Eden to the Crossing of the Jordan (London, 1919).

— Wilber, Donald N.: Iran: Past and Present (Princeton University Press, 1956).

— Wilson, Sir Arnold: Precis of the Relations of the British Government with Tribes and Shaikhs of Arabstan (1912).

تناول الكتاب ملخص العلاقات بين الحكومة البريطانية والقبائل وشيوخ عربستان .

— The Persian Gulf. A Historical Sketch from the Earliest times to the Beginning of the Twentieth Century (London,1928).

الكتاب نشر لأول مرة فى لندن سنة ١٩٢٨ وهو يتناول منطقة الخليج بالدرس منذ أقدم العصور وتتبع بشكل خاص ظهور الدول الأوربية منذ ظهور البرتغاليين حتى الربع الأول من القرن العشرين ، ويعرض مركز الخليج فى السياسة العالمية ، وفيه شرح موجز للسياسة البريطانية فى الخليج وإشارات واضحة للمعاهدات مع إمارات الخليج . وفى نهاية الكتاب ثبت بالمراجع التى صدرت عن الخليج آنذاك .

— South West Persia; A Political Officer's Diary 1907 - 1914 (Oxford, 1941).

والكتاب بمثابة مذكرات حية للمؤلف فى الفترة التى عاشها فى إمارة

عربستان أيام حكم الشيخ خزعل ، وكان صديقاً حميماً له أظهر عطفاً كبيراً عليه فى معظم كتاباته وتعتبر كتاباته من أهم الدراسات عن المنطقة وأفضلها .

— Loyalties-Mesopotamia (1914 - 1917) 2 vols. (Oxford, 1934).

يتضمن آراء المؤلف فى ربط مناطق الاحتلال بالإدارة المباشرة لتدين بالولاء للتاج البريطانى وقد وصف طلاب الحركة الوطنية العربية بالشرذمة الصغيرة التافهة ، واعتبر — فى الجزء الثانى — مجتهدى الشيعة الطغاة الروحانيين همهم صد تيار التحرر ، وقد أشار إلى الشيخ خزعل باعتباره نموذجاً رائعاً للزعامة القبلية ، وكان المؤلف — آنذاك — يشغل منصب الحاكم المدنى فى العراق قبل أن يتركه ليعمل مديراً لشركة النفط الفارسية الإنكليزية .

(ج) كتب فارسية :

— تبريزى (أحمد كسروى) — تاريخ بانصد سالة خوزستان (طهران — ١٩٣٤)

« تاريخ خوزستان خلال ٥٠٠ سنة » ومؤلفه إيرانى مكث فى عربستان أكثر من سنة وعاش أحداث المنطقة فى أواخر سنى الحكم العربى ، وشهد أسر الشيخ خزعل ، والكتاب يبحث فى تاريخ بنى كعب والمشعشعين وحوادث عربستان منذ أيام الصفويين حتى أيام الشيخ خزعل ونهايته ، وهو يمثل وجهة النظر الفارسية فى تاريخ المنطقة ، وقد ترجم بعض فصوله على البصرى فى مجلة سامراء .

(د) مقالات نشرت فى مجلات دورية أوربية :

— Binnie, Geoffrey Morse: Some Notes on the Karun River and the Shatt Al Arab. Paper No. 5690.

Journal of the Institution of Civil Engineers No. 3 (London, January 1950)

وهو فصل جغرافى عن عربستان ، ويركز على أنهار المنطقة ولاسيما نهر كارون .

— Curzon, G.N: "The Karun River and the Commercial Geography of South West Persia" Proceedings of the Royal Geographical Society, vol. 12 (1890).

— James, Felix Jones: "Narrative of a Journey to the Frontier of Turkey and Persia, through a part of Kurdistan" submitted to Government on the 16th August, 1848, selections from the Records of the Bombay Government No. XLIII News Series.

— Layard, Sir A.H. "Description of the Province of Khuzistan" Journal of the Royal Geographical Society, vol. XVI (16) 1846.

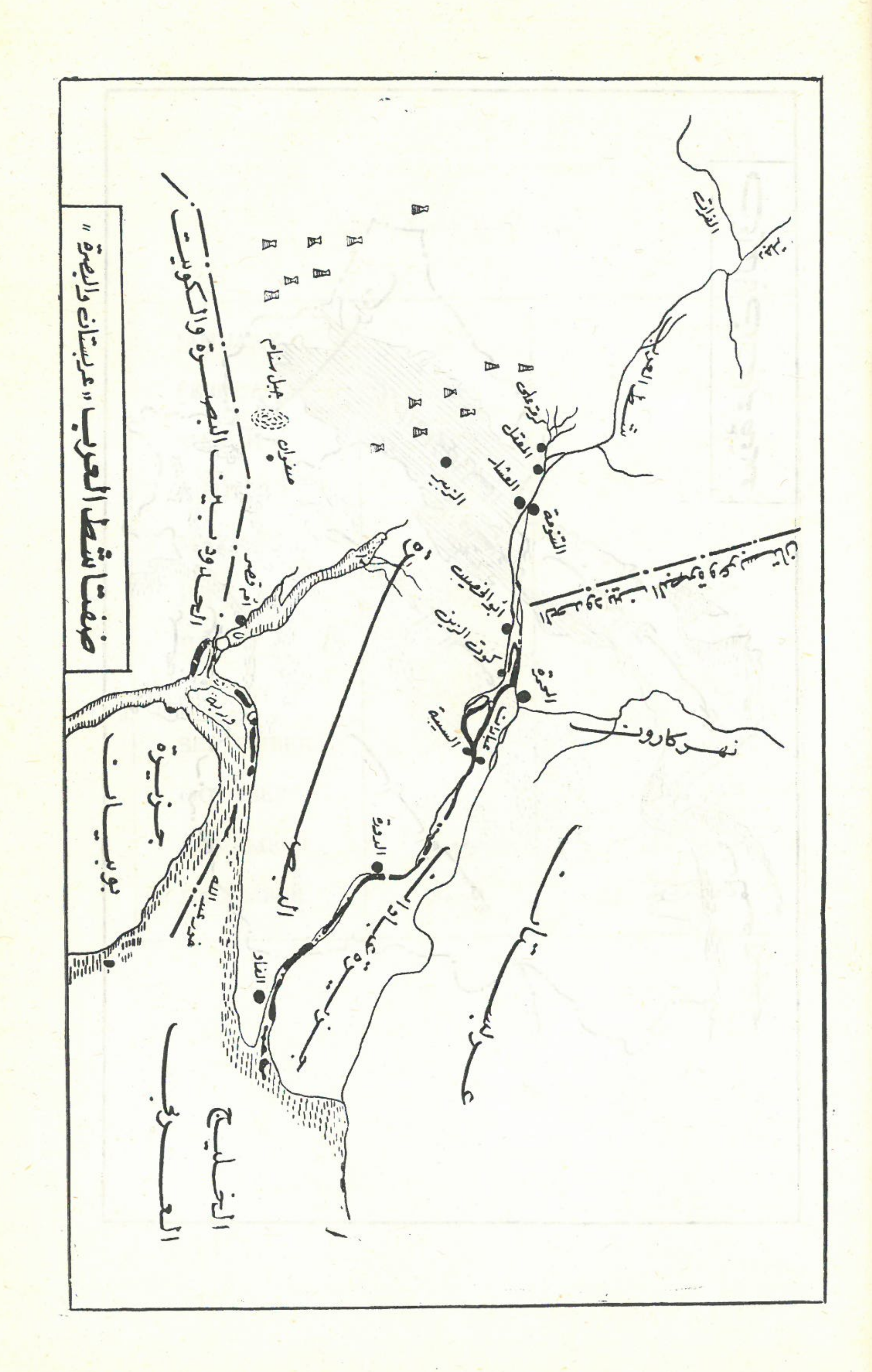
تناول فى مقاله وصفاً لمقاطعة عربستان (خوزستان) .

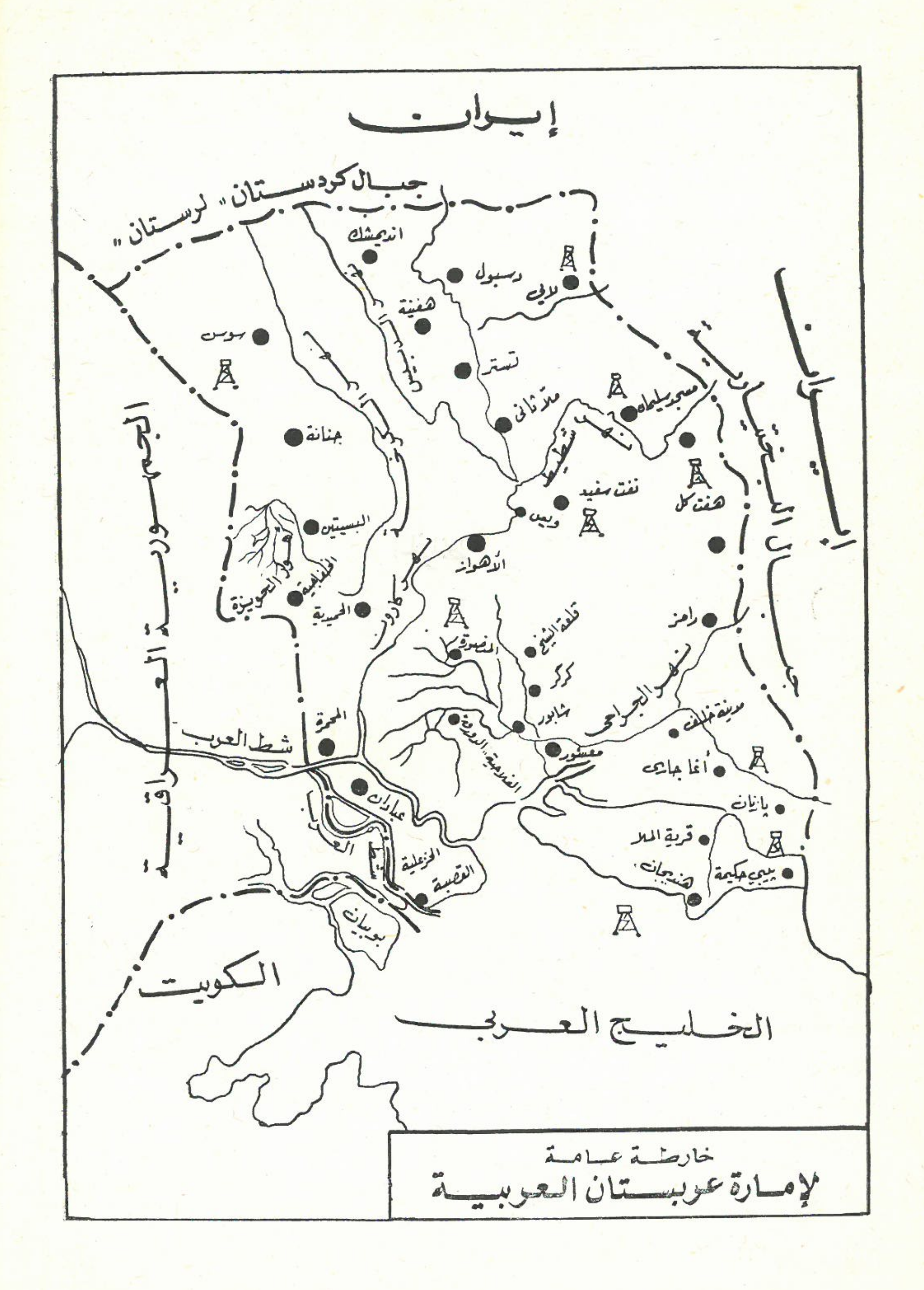
— Lynch, H.F.B.: "The Baghdad Railway Fortnightly Review, vol. 89 (March, 1911) and (May, 1911).

— Rawlinson, H.C.: Memorandum on the Dispute Between Turkey and Persia, Royal Geographical Society (1855-1857).

يؤكد رولنسن فى مذكرته عن النزاع العثمانى الإيرانى حول مسألة تبعية بنى كعب بين الدولتين خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فيجعل كعباً عثمانيين فى الأصل سكنوا سنين طويلة أراضى واسعة ضمن حدود الإمبراطورية العثمانية المحاذية للإمبراطورية الإيرانية والكاتب شغل منصب قنصل بريطانيا العام فى العراق (١٨٤٣ — ١٨٥٥) بعد عزل تيلر .

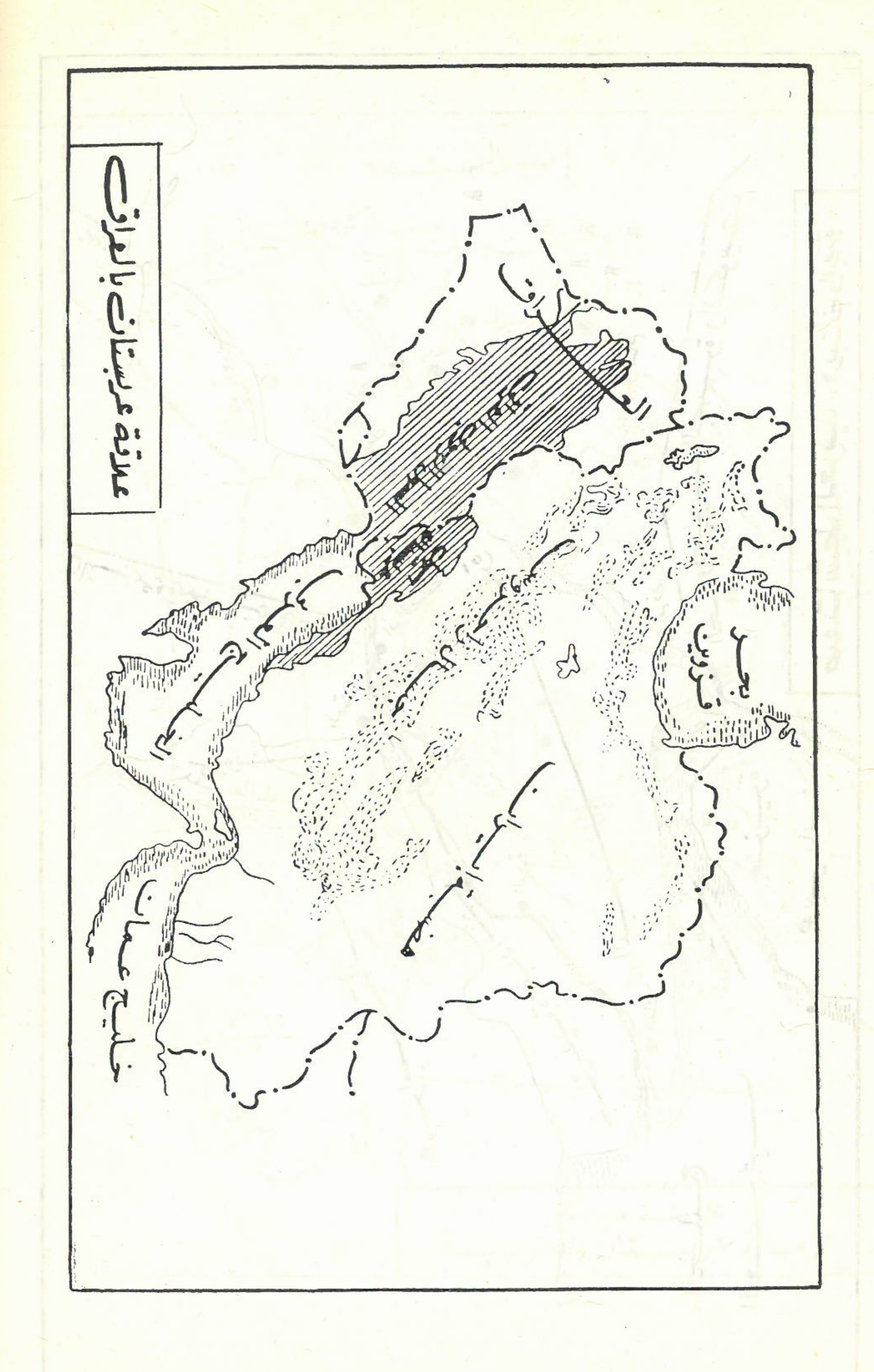
الخرائط




إيران
جبال كردستان "لرستان"
الخليج العربي
الكويت
شط العرب
المحمرة
عبادان
الأهواز
تستر
دسبول
رامز
بوبيان
خارطة عامة
لإمارة عربستان العربية

أسماء الأشهر المتعارف عليها

JANUARY	يناير	كانون الثانى
FEBRUARY	فبراير	شباط
MARCH	مارس	آذار
APRIL	أبريل	نيسان
MAY	مايو	أيار
JUNE	يونيو	حزيران
JULY	يوليو	تموز
AUGUST	أغسطس	آب
SEPTEMBER	سبتمبر	أيلول
OCTOBER	أكتوبر	تشرين الأول
NOVEMBER	نوفمبر	تشرين الثانى
DECEMBER	ديسمبر	كانون الأول



there was an old disagreement between the Ottomans and the Persians over the ownership of the area. This encouraged the Russians and the English to take part in the dispute. The result was the Treaty of Erzroum, 1847. In order to reduce the tension, the Treaty allocated Al Muḥammarah, its port, and the Island of Khudhur (Abadan) to Persia, including the lands on the left side of the Shaṭṭ Al ʻArab used by the tribes which admitted that they belonged to Persia. To balance this, Persia gave up its claims to the city of Sulaimaniyyah and its area (Shahrzur). The case, however, increased in complexity, and there were numerous exchanges of reminders and explanations. The matter of determining the boundaries of the ownership of the area remained unsettled, stirring up much debate, until the beginning of the First World War. The Second Treaty of Erzroum decided the people's destiny against their own wish, and without their participation in self-determination. It is to be noticed that the Treaty determined the transfer of a very limited area of ʻArabistān to Persia. At the same, time, the Treaty was not to the liking of either side — the Ottomans and the Persians. There were many causes for contracting such a treaty. But whatever was the case, ʻArabistān remained in fact Arabic in land and people. There are many facts — geographical, historical, political, economic, social, legal, and national — which make ʻArabistān an inseparable part of the Arab nation. The Murdaw clan — one part of the Benū Kaʻb tribe and the family of the present rulers — represents the period of Arabic rule, which became a natural extension to the rule of the Benū Kaʻb tribe in ʻArabistān. They built al Muḥammarah in the year 1812 to be the capital of their Princedom. The most famous of their princes was Al Ḥajj Jābir ibn Murdaw, whose rule lasted until 1881. During his reign he laid the real foundations of the Princedom of Al Muḥammarah. He was able to gain the recognition of Nāṣir-Al-Dīn Shāh for local limited autonomy, for Al Muḥammarah. Sheikh Mizʻal (1881-1897) succeeded his father to the Sheikhdom. The period of the rule of Sheikh Mizʻal marks the movement from limited to almost complete autonomy, which was reached in the reign of Sheikh Khazʻal, at which time also the attention of the British was turned to the benefits of utilizing the Karun River.

ʻARABISTĀN DURING THE REIGN OF SHEIKH KHAZʼAL 1897 - 1925

This thesis, which I present for the Master's Degree in Modern Arabic History (ʻAin Shams University) treats the problem of modern ʻArabistān. The period covered by this research witnessed the reign of Sheikh Khazʻal, the person who represents the pinnacle reached by the Princedom of ʻArabistān, and whose end marks the rapid decline of the Arab rule in ʻArabistān. The research, in fact, discloses some of the unknown aspects of the history of ʻArabistān. It begins with a general introduction to the area's geography, explaining its topography, and stressing its formation of a natural boundary to the Iraqi delta plain, which is of recent origin, a land through which flows much sediment-filled water. The location of the region on the northern coasts of the Arabian Gulf has given it a very great strategic and economic importance. Today it is one of the world's petroleum reserve areas, and owes much of its importance to the fact that it is located in the area which forms the land-bridge between three continents: Asia, Africa, and Europe. The aim of this introduction is to explain the effect of the natural environment on the history of the region.

The thesis in general is divided into five chapters. The first contains the general political evolution of the Princedom. This evolution began with the coming of the Benū Kaʻb tribe to the plains of the northern end of the Gulf, that is, to ʻArabistān. This tribe was the kernel around which was built the modern Arabic presence in the area. Benū Kaʻb sprang up, building their greatness in ʻArabistān by using the waters of the Gulf, for their fleet was one of the great fleets which controlled the sea activities of the eighteenth century, standing on its own against the Ottomans, the Persians, and the English, especially during the reign of Sheikh Salmān ibn Sulṭān (1737-1767). But this Arabic power began to deteriorate because of the feuds that arise among the various princes, resulting in their rivalry. Along with this rivalry,

The Second Chapter deals with the personality of Sheikh Khaz'al and his succession to the rulership after killing of his brother, Sheikh Miz'al, Being concerned with the domestic affairs of 'Arabistān, the Chapter reveals the nature of Sheikh Khaz'al's reign as a twofold authority — he was both a tribal sheikh over the area's tribes and a prince over the territory. He exercised authority in his princedom as an independent prince, with his own sources of income, his own army, and his unique regime which had the characteristic tribal customs and Arabic morality. The tribes in his realm played a vital role in the internal politics of the princedom. Sheikh Khaz'al relied upon tribal pride to insure his own power.

Chapter Three deals with Sheikh Khaz'al's foreign relations, particularly those with Arabic territories. Khaz'al's political relationships with Kuwait, Najd, and 'Irāq were very direct, friendly, and co-operative. He exerted significant political weight, being a skilled diplomat and a close friend of the princes of Kuwait, especially Sheikh Mubārak. During the latter's reign there were very close relationships between the two territories. He endeavoured to end the crisis between Ibn Sa'ūd and Sheikh Sālim Al Ṣabāḥ. His relationships with 'Irāq were good. He had good relations with Baṣrah in the days of Sayyid Ṭālib Al Nakīb, in spite of the fact that the Turkish Valis were antagonistic to him. Baṣrah displayed keen Arabic enthusiasm which was wholeheartedly supported by Sheikh Khaz'al. But unity of goals is not sufficient unless there is readiness to sacrifice personal interests. For this reason the movement achieved nothing of its goals.

During World War I Sheikh Khaz'al supported the British occupation of 'Irāq. He supported the British and antagonized those who were not loyal to them. Owing to this fact and to his relation with 'Irāq, the British supported his candidature for the Iraqi throne. But since they had more prejudice for Prince Faiṣal, Khaz'al withdrew, against his own intentions.

Chapter Four deals with the development of European influences in 'Arabistān, in particular and in the Arabian Gulf in general. For the Gulf witnessed increasing European pressures during the period

between the 16th century and the early 20th century. These pressures gave the Gulf great importance in international politics. The area witnessed first a Dutch-Portuguese, then an Anglo-French competition, whereafter the British felt a Russian threat extending to the Gulf. Persia became the chief battlefield for the growing conflicts. Since 'Arabistān is located on the Gulf which touches the whole area, it became one of the most significant subjects in the international relationships of Europe. It met multiple foreign challenges, but the Arab presence withstood them all, and 'Arabistān remained an Arab fortress on the Arabian Gulf.

The Karun River on the plain of 'Arabistān and the area's oil attracted the attention of British diplomacy and oil magnates, with the result that 'Arabistān became a territory penetrated by British power. Sheikh Khaz'al tried to win British friendship and recognition for his Princedom.

Chapter Five deals with Sheikh Khaz'al and the resistance to Persian interference. Obviously domestic affairs in Persia had their effect on the political existence of 'Arabistān. The anarchy in Persia during the reign of the Kajars helped to establish an independent position for the Princedom and made the princes of Al Muḥammarah able to pursue a separate policy in spite of the Second Treaty of Erzroum. This encouraged the Persian Shahs to try insistently to destroy this autonomy.

Although the relations were not always similar, generally the Persian Kings in general took the existence of 'Arabistān for granted, and they did not interfere in the internal policy of the Sheikhdom until the rise of Reza Shāh, after his famous coup d'état. Having his mind full of dreams concerning the glorious past of Persia, he led his army southwards towards 'Arabistān. The result was the collapse of the Arabic reign, after a bitter fight, and the beginning of Persian Power in the territory.

Actually, the Arabic tragedy in 'Arabistān had both its internal and external reasons. The internal elements were : the weakness of the Princedom, the lack of political and social maturity, the lack of

a feeling of responsibility, the interference of foreign powers, and the autocratic regime of Sheikh Khaz'al. The external elements were : the rise of Reza Shāh with his nationalistic tendency and his desire to aggrandize Persia, the British (Sheikh Khaz'al's allies) and their heedless attitude, and the passive attitude of the neighbouring Arab Leaders, who were completely controlled by British Power.

Mustafa Abdul Qadir Al-Najjar

ثبت المحتويات

صفحة

صفحة

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٩٨٤ / ١٩٧١

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٧١